

سنة بلا مذاهب

(٢)

الإمامة والامتداد الرسالي

الأحاديث الواردة حول الإمامة والفتن التي تعترضها

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب جمع ما ورد من الأحاديث في المصـادر السنية والشيعية حول الإمامة والامتداد الرسالي، والتي تتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم من:

1 ـ أن من مقتضيات عناية الله تعالى بعباده، باعتباره ربهم وهاديهم، توفير كل أسباب الهداية التي تحميهم من الضلالة، ومن التحريف الذي يلحق الأديان بعد وفاة الأنبياء عليهم السلام، وأن الذين يقومون بذلك يُطلق عليهم [الأئمة]، أو [أئمة الهدى]، أو [الخلفاء]، أو [الورثة]، أو [الهداة]

2 ــ أن أتباع الأنبياء يفترقون في مواقفهم من أولئك الأئمة الهداة الذين استخلفهم أنبياؤهم عليهم، وأوصوهم بهم؛ فبينما يطبق بعضهم تلك الوصايا، ويحرص عليها، بينما يخالف آخرون، وهم كثر، تلك الوصايا، ويرتضون لأنفسهم أئمة بدلهم، لكن ذلك لا يعني اندراس الدين الأصيل، لأن في ذلك فتنة كبرى، تجعل البشر محرومين من الهداية الإلهية الصافية.. فلذلك لا يخلوا عصر من العصور من المتمسكين بالدين الحقيقي، وأتباع أئمة الهدى.

3 ـ أن الأصل في إمامة الأئمة ووراثتهم أن تكون شاملة لكل الجوانب التي يرتبط بها الدين سواء تعلقت بالقضايا الدينية البحتة، أو تعلقت بالجوانب الحياتية ابتداء من الجانب السياسي.. ذلك أنهم يمثلون الهداية النبوية ويطبقونها في تلك الجوانب، لكن النصوص الكثيرة تشير إلى أن إمامة الأئمة للجانب السياسي تفتقر للقابلية الشعبية؛ فإن لم تتحقق، أو رغب الناس عن حكم الأئمة لهم؛ فإن ذلك يعفيهم من هذا الجانب، ليبقى الجانب الأساسي، وهو جانب الهداية والتوجيه والبلاغ عن الله وتوضيح حقائق الدين في كل الجوانب بما فيها الجانب السياسي.

سنة بلا مذاهب

(2)

الإمامة والامتداد الرسالي

الأحاديث الواردة حول الإمامة والفتن التي تعترضها

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1441 ـ 2019

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 2
المقدمة 7
القسم الأول: ما ورد حول الإمامة وأهلها وشروطها: 11
القسم الثاني: ما ورد في شأن الامتداد الرسالي والفتن التي تعرض له: 15
الفصل الأول 23
أئمة الهدى وأوصافهم في المصادر السنية 23
أولا ـ الوصايا النبوية بالتمسك بالعترة الطاهرة: 24
ثانيا ـ الوصايا النبوية بمحبة العترة الطاهرة والارتباط بها: 31
1 ـ ما ورد في كون العترة الطاهرة سفينة نجاة الأمة من الفتن: 31
2 ـ ما ورد في الحث على حبها ونصرتها والتحذير من بغضها وإذيتها: 32
3 ـ ما ورد في الحث على الصلاة عليهم في الصلاة وغيرها: 34
4 ـ ما ورد في الجزاء المرتبط بمن يساندهم: 35
5 ـ ما ورد في حق فاطمة الزهراء والتحذير من مخالفتها وإذيتها: 35
6 ـ ما ورد في اعتبار رسول الله ﷺ مثل الأب لأولاد الزهراء: 39
7 ـ ما ورد في أن العترة لا يقاس بها أحد: 40
ثالثا ـ تحديد مصاديق العترة الطاهرة: 40
رابعا ـ تحديد عدد الخلفاء المهديين والدعوة إلى الاستنان بسنتهم: 52
خامسا. اعتبار الإمام علي أول أئمة الهدى: 57
1 ـ الوصية بالإمامة: 58
أ ـ ما ورد في التصريح بإمامته: 58
ب ـ ما ورد في الإشارة إلى إمامته: 69
ما ورد في بيان دوره في محاربة المحرفين للدين: 70
ما ورد في علاقته الشديدة برسول الله ﷺ: 71

ما ورد في اعتباره موضع اختبار للأمة: 73
ما ورد من فضائله في الآخرة: 77
ما ورد في الدعوة إلى ذكره والاهتمام به: 78
2 ـ أهلية الإمامة: 78
سادسا ـ اعتبار الحسن والحسين من أئمة الهدى: 83
1 ـ ما ورد من الأحاديث الدالة على كونهما منه، أو كونه منهما: 84
2 ـ ما ورد من الأحاديث الداعية إلى حبهما والتحذير من بغضهما وإذيتهما: 85
3 ـ ما ورد من الأحاديث الدالة على كونهما من الأسباط: 89
4 ـ ما ورد من الأحاديث الدالة على كونهما سيدي شباب أهل الجنة: 90
5 ـ ما ورد من الأحاديث الدالة على وظائف كل منهما: 92
سابعا ـ أحاديث البشارة بالإمام المهدي: 95
1 ـ الأحاديث الواردة في التبشير به وذكر صفاته: 99
2 ـ الأحاديث الواردة في التمهيد والتمحيص المرتبط بظهوره: 110
أ ـ الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ: 110
ب ـ الأحاديث الموقوفة على غيره: 118
الفصل الثاني 122
أئمة الهدى وأوصافهم في المصادر الشيعية 122
أولا ـ الأدلة النقلية والعقلية على إمامة أئمة الهدى: 124
1 ـ الأدلة النقلية: 124
أ ـ الأدلة المستنبطة من القرآن الكريم. 124
ب ـ الأدلة من الحديث والروايات: 129
2 ـ الأدلة العقلية: 135
ثانيا ـ وظائف الأئمة: 142
1 ـ حفظ الدين من التحريف: 143
2 ـ حفظ وحدة الأمة: 156
أ ـ حفظ الوحدة السياسية: 157
ب ـ حفظ وحدة الولاء: 158
3 ـ تحقيق الحاكمية الإلهية: 170

ثالثا ـ صفات الأئمة: 182
1 ـ أئمة الهدى والعلم اليقيني: 183
2 ـ أئمة الهدى والمواقف العملية: 187
رابعا ـ الإمام المهدي ووظائفه في تصحيح مسار الأمة، وسر تأخر ظهوره: 189
الفصل الثالث 204
الامتداد الرسالي والفتن التي تعرض له في المصادر السنية 204
أولا ـ أحاديث الفتن وعلاقتها بالامتداد الرسالي: 204
1. ما ورد صريحا في الدلالة على الامتداد الرسالي: 204
2. ما ذكره الصحابة من اشتمال النبوءات النبوية لكل الوقائع: 207
3 ـ ما ورد في بيان دور الفتن في تمحيص الأمة: 208
ثانيا ـ ما ورد في بيان أنواع الفتن، وكيفية التعامل معها: 210
الفتنة الأولى: فتنة عزل العترة: 214
أ ـ ما ورد في بيان قرب الفتن وكثرتها: 215
ب ـ ما ورد من تحذير المبدلين والمغيرين: 216
ج ـ ما ورد في بيان الموقف من الوصايا النبوية: 216
د ـ ما ورد في شأن أبي ذر والبلاء الذي يقع له: 223
الفتنة الثانية: فتنة حرب العترة: 229
أ. ما ورد في الدلالة على دور الإمام علي في مقاتلة المبدلين للدين: 229
ب. ما ورد في مناقب أصحاب الإمام علي: 230
ما ورد في شأن عمار بن ياسر: 230
ما ورد في شأن المقداد بن الأسود: 235
ما ورد في شأن أويس القرني: 239
ج. ما ورد في مثالب أعداء الإمام علي: 241
ما ورد في شأن معاوية بن أبي سفيان: 248
ما ورد في شأن بني أمية ومن ساندهم من القرشيين: 255

د. ما ورد في التحذير من حرب الإمام علي: 262
1 ـ ما ورد في تحذير الصحابة جمعيا من محاربة الإمام علي: 262
ما ورد في شأن الفتنة ودور الإمام علي فيها: 263
ما ورد في شأن حرب صفين: 263
ما ورد في شأن المارقين: 265
ما ورد في تحذير بعض الصحابة من المشاركة في الفتنة: 267
2 ـ ما ورد في تحذير آحاد الصحابة من محاربة الإمام علي: 273
ما ورد في تحذير عائشة من محاربة الإمام علي: 273
ما ورد في تحذير الزبير من محاربة الإمام علي: 278
الفتنة الثالثة: فتنة محاولات القضاء على العترة: 279
أ ـ ما ورد في شأن الأذى الذي تتعرض له العترة: 279
ب ـ ما ورد في شأن الأذى الذي يتعرض له الموالون للعترة: 281
ج ـ ما ورد في شأن الأذى الذي يتعرض له الأنصار بسبب مواقفهم من العترة: 284
د ـ ما ورد في شأن سب العترة وإذيتها، وخصوصا الإمام علي: 285
الفتنة الرابعة: فتن وهن الأمة وضعفها وارتدادها الكامل عن قيم دينها: 288
أ ـ ما ورد في التحذير من تحريف الدين وتشويهه والبعد عنه: 289
ب ـ ما ورد في التحذير من الانحراف السياسي: 299
ج ـ ما ورد في التحذير من تمزق الأمة وهوانها: 304
د ـ ما ورد في التحذير من التثاقل إلى الدنيا: 306

هـ ـ ما ورد في التحذير من الانحرافات الاجتماعية: 310
و ـ ما ورد في الطائفة الناجية من الفتن: 315
ما ورد في الحديث من أن الأمة لا تجتمع على ضلالة: 316
ما ورد في الحديث من أنه ستبقى طائفة ملتزمة بالحق: 317
ما ورد فيمن يشتاق إليهم رسول الله ﷺ: 319
ما ورد في شأن مواطن الفئة المنصورة وغيرها: 319
ما ورد في البشارة بانتصارات الطائفة المنصورة: 323
الفصل الرابع 328
الامتداد الرسالي والفتن التي تعرض له في المصادر الشيعية 328
أولا ـ اهتمام أئمة الهدى بالفتن ومصادرهم فيها: 330
ثانيا ـ ما ورد في شأن هجر الوصية وكيفية مواجهة أئمة الهدى لها: 336
1. أنواع الأذى التي تصيب العترة: 336
3 ـ ما ورد من احتجاجات الإمام علي للرافضين للإمامة: 340
الحديث الأول: 341
الحديث الثاني: 358
الحديث الثالث: 363
ثالثا. ما ورد في شأن التحريفات الناتجة عن هجر الوصية: 368
1 ـ ما ورد في شأن التحريفات الحاصلة بعد وفاة رسول الله ﷺ: 369
2 ـ ما ورد في شأن التحريفات التي قام بها معاوية وأصحابه: 383
أ ـ ما ورد في تحذير الإمام علي من معاوية وفتنته: 384
ب ـ ما ورد من رسائل الإمام علي إلى معاوية: 388

ج ـ ما ورد في تحذير الإمام الحسن من معاوية وفتنته: 397
3 ـ ما ورد في شأن التحريفات التي قام بها بنو أمية: 410
رابعا ـ ما ورد في الفتن الناتجة عن عدم مراعاة الإمامة والامتداد الرسالي: 418
خامسا ـ ما ورد في شأن الناجين من الفتن وفضلهم وصفاتهم: 424
1ـ الأحاديث الواردة في الناجين من الفتن عموما: 424
2 ـ الأحاديث الواردة في أصحاب الإمام المهدي والممهدين له: 430
الفصل الخامس 437
الأحاديث المردودة حول الإمامة والامتداد الرسالي 437
أولا ـ الأحاديث المشوهة لأئمة الهدى والمسيئة لهم: 439
1 ـ الأحاديث المشوهة لأئمة الهدى: 439
النموذج الأول: تشويه الإمام علي 440
النموذج الثاني: تشويه الإمام الحسن 442
2 ـ أحاديث الغلو في حق أئمة الهدى: 445
أ ـ الغلو المرتبط بالأحاديث الموضوعة الخالية من الإسناد: 448
الخطبة الافتخارية: 448
الخطبة التطنجية: 451
ب ـ الغلو المرتبط بالاجتهاد المبني على النظريات الصوفية: 454
3 ـ أحاديث الغلو في حق أتباع أئمة الهدى: 457
ثانيا ـ أحاديث المناقب التي وضعتها الفئة الباغية: 466
1 ـ الأحاديث الموضوعة في حق معاوية: 471
2 ـ الأحاديث الموضوعة في المبشرين بالجنة 479
3 ـ الأحاديث الموضوعة في فضائل التابعين ومن بعدهم: 486
ثانيا ـ الأحاديث المردودة حول الامتداد الرسالي: 490
1 ـ ما ورد في المصادر السنية: 490

أ ـ الأحاديث الغريبة الواردة في فتح القسطنطينية: 490
ب ـ ما ورد من الأحاديث التي تبعث التشاؤم في مستقبل الأمة: 493
ج ـ ما ورد من الأحاديث الغريبة المرتبطة بالمستقبل: 495
2 ـ ما ورد في المصادر الشيعية: 500
أ ـ خطبة البيان الغريبة المنسوبة للإمام علي: 501
ب ـ ما ورد من الأحاديث في تشويه حركة الإمام المهدي: 506

المقدمة

لم تكتف العناية الإلهية بتلك التعاليم المقدسة المنزلة في وحيه لأنبيائه، ولا بتلك الشروح والبيانات التفصيلية التي وضح بها الأنبياء ما نُزل إليهم، وإنما ضم إلى ذلك توفير أسباب الامتداد الرسالي حتى لا يحصل للأديان التغيير والتبديل الذي يحرفها عن مسارها.

وقد أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله عن زكريا عليه السلام حينما دعا الله عز وجل في طلب الذرية الصالحة: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: 5، 6]

فزكريا عليه السلام حسب هذا الدعاء، لم يكن يقصد الولد لذاته، ولا ليتمتع برؤيته، وتقرّ به عينه، وإنما كان لحرصه على بني إسرائيل، خوفا من أن يؤثر فيهم غيابه عنهم، ليتحولوا عن الهداية التي جاء بها.

وهكذا أخبر عن موسى عليه السلام أنه لم يذهب للميعاد إلا بعد أن استخلف أخاه في بني إسرائيل حتى لا يضلوا من بعده، وقد أشار إلى ذلك، بل صرح به قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)﴾ [طه: 90 - 94]

وهكذا أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه دعا الله أن يمد البشر بالأئمة الهداة الذين يحفظون مسيرة الدين من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]

فإبراهيم عليه السلام ـ لحرصه الشديد على هداية الخلق ـ لم يكتف بأهل زمانه، وإنما تطلع لسائر الأزمنة، سائلا الله تعالى أن يرزقهم من أئمة الهدى من يحفظون لهم الهداية الإلهية.

ومن هـذه الآيـة الكريمـة اخترنـا هـذا الاصـطلاح [الإمـام]، وربطناه بــ [الامتـداد الرسـالي].. ذلـك أن النبـوة محـدودة في مـدتها، وأجلهـا، وقـد انتهت أدوارهـا بوفـاة آخـر الرسـل عليهم السلام، ولذلك لم يبق إلا الإمام.

وسر ذلك واضح.. ذلك أن النبـوة تتضـمن إيصـال التعـاليم الإلهية إلى العباد لتطبيقها في حياتهم، ثم يقوم الإمام بعد ذلــك بشرح تلك التعاليم، وخاصة في الزمن الذي يتسلل فيـه البغـاة للتحريف والتبديل.

وقد أشار إلى هذا قوله تعالى ـ مشـيرا إلى منـابع الهدايـة الثلاثة: الكتاب، والنبوة، والإمامة ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَـى الْكِتَـابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَـاهُ هُـدًى لِبَنِي إِسْـرَائِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 23ـ 24]؛ فقد قرن الله تعالى الإمامـة بالهدايـة، أي أن دور الإمام هو حفظ الهداية من أن يتسلل إليهـا المتسـللون عبر استثمار المتشابه، واستعماله وسيلة للفتنة.

وهكذا ورد الإخبار عن هذه السنة الإلهية في قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَـا﴾ [فـاطر: 32]، ثم بين مواقف الأمم من هؤلاء المصطفين، فقـال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَـالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: 32]

وبـذلك؛ فـإن القـرآن الكـريم يشـير إلى أن أئمـة الهـدى يتعرضـون ــ مثلمـا تعـرض الأنبيـاء ــ لمواجهـة أصـحاب الفتن، ومتبعي الشـبهات، والـذين لا يكتفـون بتحريـف الـدين، وإنمـا يضـيفون إليـه إقصـاء الأئمـة، وتشـويههم، واسـتبدالهم بأئمـة آخرين.

وقد أشار إلى ذلك قولـه تعـالى: ﴿كَـانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِـدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِـالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَـا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ وَمَـا اخْتَلَـفَ فِيـهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَتْهُمُ الْبَيِّنَـاتُ بَغْيًـا بَيْنَهُمْ فَهَـدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْـدِي مَنْ يَشَـاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213]

ثم عقب الله تعالى على هذه الآية الكريمة بـأن سـنته في هذه الأمة هي نفس سنته في سائر الأمم، وأن الشيطان الــذي أضـل سـائر الأمم بإبعادهـا عن سـراطها المسـتقيم، وممثليـه

الشرعيين، سيفعل ذلك مع هذه الأمة أيضا، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214]

وبذلك يمكن أن نستنبط من الآيات الكريمة ثلاثة معان:

أولها ـ أن من مقتضيات عناية الله تعالى بعباده، باعتباره ربهم وهاديهم، توفير كل أسباب الهداية التي تحميهم من الضلالة، ومن التحريف الذي يلحق الأديان بعد وفاة الأنبياء عليهم السلام، وأن الذين يقومون بذلك يُطلق عليهم [الأئمة]، أو [أئمة الهدى]، أو [الخلفاء]، أو [الورثة]، أو [الهداة]، كما نص على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7]

ثانيها ـ أن أتباع الأنبياء يفترقون في مواقفهم من أولئك الأئمة الهداة الذين استخلفهم أنبياؤهم عليهم، وأوصوهم بهم؛ فبينما يطبق بعضهم تلك الوصايا، ويحرص عليها، بينما يخالف آخرون، وهم كثر، تلك الوصايا، ويرتضون لأنفسهم أئمة بدلهم، كما قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59]، وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169]

لكن ذلك لا يعني اندراس الدين الأصيل، لأن في ذلك فتنة كبرى، تجعل البشر محرومين من الهداية الإلهية الصافية.. فلذلك لا يخلوا عصر من العصور من المتمسكين بالدين الحقيقي، واتباع أئمة الهدى، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى في الآية التي تلت الآية السابقة: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170]

ولهذا يخبر الله تعالى أن الحق لن ينطفئ نوره أبدا، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: 8]، وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81]

وأخبر عن بني إسرائيل أنهم لم يجمعوا على تحريف الدين، بل بقيت منهم طائفة صالحة، إلى أن جاء الإسلام

فاتبعته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159]

وكل ذلك حتى تقوم الحجة على الخلق، ذلك أن وقوع جميع الأمة في الباطل يعني انتصاره على الحق، وهو ما يعني حرمان الأجيال من الهداية الإلهية الصافية التي لم تكدر بالأهواء البشرية.

ثالثها ــ أن الأصل في إمامة الأئمة ووراثتهم أن تكون شاملة لكل الجوانب التي يرتبط بها الدين سواء تعلقت بالقضايا الدينية البحتة، أو تعلقت بالجوانب الحياتية ابتداء من الجانب السياسي.. ذلك أنهم يمثلون الهداية النبوية ويطبقونها في تلك الجوانب.

لكن النصوص المقدسة الكثيرة تشير إلى أن إمامة الأئمة للجانب السياسي تفتقر للقابلية الشعبية؛ فإن لم تتحقق، أو رغب الناس عن حكم الأئمة لهم؛ فإن ذلك يعفيهم من هذا الجانب، ليبقى الجانب الأساسي، وهو جانب الهداية والتوجيه والبلاغ عن الله وتوضيح حقائق الدين في كل الجوانب بما فيها الجانب السياسي.

وهذا ما يزيل كل الإشكالات التي يطرحها من لم يفهم تلك النصوص المقدسة؛ فيتصور أن إمامة الإمام قاصرة على توليه لمسؤولية الخلافة، ولهذا نجد الصوفية في المدرسة السنية يذكرون هذا الاعتبار؛ فيقسمون الخلافة إلى قسمين: ظاهرة وباطنة.. ويذكرون أن الإمام علي، وغيره من الأئمة، تولوا الخلافة الباطنة.

بناء على هذا سنحاول في هذا الكتاب جمع الأحاديث الموضحة لمصاديق هذه المعاني والمؤكدة لها، والتي تنبع جميعا من حرص رسول الله ﷺ على هذه الأمة، لا في جيله الذي عايشه فقط، وإنما في جميع الأجيال، وقد رأينا أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: ما ورد حول الإمامة وأهلها وشروطها:

وهي الأحاديث التي يبين فيها رسول الله ﷺ بالتلميح والإشارة، أو بالتصريح والعبارة، المصاديق الذين ينطبق عليهم ألقاب الأئمة والخلفاء والورثة، حتى تجتمع الأمة عليهم، وتحفظ نفسها من الفرقة والخلاف بسبب التوزع على أئمة كثيرين

مختلفين.

وبما أن هذه القضية من أكبر القضايا التي وقع فيها الخلاف في الأمة؛ فقد ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى ناحية مهمة جدا، ربما يكون اعتبارها المعيار الأول في تحديد مصاديق الأئمة، فالله تعالى يعطي أهمية خاصة لذرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويبين أن لهم مكانة كبيرة لا من الجانب العاطفي فقط، وإنما من الجانب العملي أيضا، باعتبار أن لهم اصطفاء خاصا، ودورا مهما في الرسالة وحفظها والوفاء بمقتضياتها.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى سنته في ذلك، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 33، 34]

ومثلها قوله تعالى عند تسميته للأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين في القرآن الكريم: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87)﴾ [الأنعام: 83 - 87]

فهذه الآيات الكريمة توضح الصلات النسبية بين الأنبياء جميعا، وتبين أن الاجتباء الإلهي شملهم بهذا الشكل، ولا راد لاجتباء الله.

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا التعميم، بل ذكر تفاصيل كثيرة تدل عليه، حتى يترسخ في الأذهان أن اصطفاء الأنبياء فضل إلهي باعتباره استمرارا للنهج الرسالي وتوحيدا لمسيرته حتى لا تنحرف به الطرق والمناهج.

ومن تلك التفاصيل ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل إبراهيم عليهم السلام في آيات متعددة، كقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ

لَمِنَ الصَّالِحِينَ [العنكبوت: 27]
بل إن القرآن الكريم يذكر أن إبراهيم عليه السلام نفسه دعا الله أن يكون الخط الرسالي ممتدا في ذريته، فقال: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة: 124]
وقد صرح القرآن الكريم بانقسام ذريته إلى محسن وظالم في قوله تعالى: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ [الصافات: 112، 113]
بل إن الله تعالى صرح بأن الأمر باق في عقبه، فقال: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الزخرف: 28]
بل إن الله تعالى ذكر أن إبراهيم عليه السلام .كما سأل

ربه أن يجعل ذريته أئمة للناس ــ سأله أيضا أن يوفق الناس لمودتهم والاقتداء بهم، فقال على لسان إبراهيم عليه السلام: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [إبراهيم: 37]
ومن تلك التفاصيل ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل موسى وآل هارون عليهم السلام، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في قصة طالوت: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: 248]
بل إننا نجد أن الله تعالى اختار هارون أخا موسى عليه السلام ليكون معينا له ووزيرا بناء على طلب موسى، فقال: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا [الفرقان: 35]
ومن تلك التفاصيل ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل يعقوب عليهم السلام، وهم وإن كانوا جزءا من آل إبراهيم، لكن القرآن خصهم بالذكر عند الحديث عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

[يوسف: 6]
وذكرهم عند الحديث عن زكريا عليه السلام حينما دعا الله عز وجل وطلب الذرية الصالحة، فقال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: 5، 6]

ومن تلك التفاصيل ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل داود عليهم السلام، والذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: 13]، وقد بين القرآن الكريم أن سليمان ورث داود، فقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]

وهكذا نجد حديث الله عن اصطفائه لآل بيت أنبيائه، وإعطائهم مكانة خاصة، وهي سنته فيهم، ورسول الله ﷺ أولى بذلك منهم، إن لم يكن نظيرا لهم فيه، وقد قال تعالى عنه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9]

ولذلك؛ فإن وجود أحاديث تدل على هذه المعاني، وأن رسول الله ﷺ يتحدث عن أهل بيته، أو يوصي بهم، أو يدل على أن لهم وظائف خاصة ترتبط بالهداية ليس مستغربا؛ فالقرآن الكريم يؤكد ذلك، ويصرح به، وسر ذلك يعود لأمرين يدل عليهما العقل والنقل:

أما **أولهما**: فهو نفس السر الذي بسببه رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام، وهو أن الأمم قد تخضع لأنبيائها بدافع المعجزات التي ظهرت على أيديهم، ولكنها ترفض أن تخضع لقرابتهم من بعدهم حسدا وبغيا، كما ذكر القرآن الكريم ذلك، فقال: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55)﴾ [النساء: 54، 55]

وأما **الثاني**: فهو ما تدل عليه الفطرة السليمة، ذلك أن أقرب الناس تمثيلا للأنبياء واقتداء بهم وعلما بأحوالهم هم أهلوهم الذين عاشوا معهم، وهذا متوفر لأهل بيت النبوة بحكم تربيتهم في بيت النبي ﷺ، ومن ثم الأخذ عنهم بصفة مباشرة، ومن ثم انتقال العلم بينهم بالتوالي من المصدر تماماً.

وهذا ما يدل عليه الواقع؛ فالصانع الحرفي اليدوي الماهر

ينقل سر صنعته ومهارته تلك إلى ابنه وحفيده.. والرياضي البارع هو في الغالب ابن رياضي بارع.. والسياسي الحاذق نجده قد تربى ونقل عن والده نفس المهارة.. حتى الساحر والحاوي ينقل سر مهنته تلك عن أبيه، وبالمثل الطبيب الحاذق والموسقي المبدع والعالم الباحث.

وهذا لا يعني أن الإمامة تنطبق على كل أولاد الرسول أو أقاربه، فقد أخبر الله تعالى أن منهم من يكون ظالما، ولذلك لا يستحق ذلك الشرف.. بل أخبر أن ابن نوح عليه السلام كان كافرا، ولذلك نزل عليه العذاب مثلما نزل على غيره، بناء على ما تقتضيه العدالة الإلهية.

ولهذا يحتاج التعرف على الإمام وصفاته ووظائفه إلى البيان النبوي الذي يحمي الأمة من أن تضع مصاديق الإمامة في غير أهلها؛ فتنحرف عن السراط المستقيم.

القسم الثاني: ما ورد في شأن الامتداد الرسالي والفتن التي تعرض له:

وهي الأحاديث التي يبين فيها رسول الله ﷺ مواقف الأمة الواقعية من تلك الوصايا، والفتن التي تحصل لها بسبب ذلك، مما يندرج ضمن النبوءات.. وهي ليست مجرد نبوءات، وإنما هي وصايا تدل على الطريق الذي ينجي من الفتن، ويعيد الأمة إلى مسارها الصحيح.

ذلك أن الله تعالى أبلغ نبيه ﷺ بكل ما تفعله الأمة من بعده.. وهو لذلك ـ بناء على شفقته وحرصه عليهم ـ لا يكتفي بأن يوصيهم بالوصايا التي يعلم أنهم سيقصرون فيها، وإنما يضيف إلى ذلك تحذيرهم من المواقف التي تصيبهم بسبب ذلك التقصير، ويبين لهم كيفية الخروج منه.

وكل ذلك تابع لما تقتضيه الهداية الإلهية للخلق، والتي لم تكتف بتلك الوصايا الداعية إلى مراعاة السراط المستقيم الذي يمثله أئمة الهدى، وعدم الانحراف عنه إلى غيره، وإنما أضافت إلى ذلك وصف الواقع الذي سيؤول إليه حال المسلمين بسبب تفريطهم في الوصايا الإلهية، وبيان كيفية التعامل معه، وهو ما يطلق عليه [الفتن والملاحم]

ونرى أن أصل هذا النوع من الأحاديث مقبول موافق للقرآن الكريم وللعقول والفطر السليمة، ذلك أنها من دلائل الحرص على الهداية، وتوفير كل ما يؤدي إلى إقامة الحجة

على الخلق، حتى لا تبقى حجة لمحتج؛ فأحاديث الفتن، ليست مجرد استشراف للمستقبل، ووصف دقيق له، وإنما هي بمثابة التشريعات المرتبطة بالظروف المختلفة، حتى يتعرف المؤمن على وجه الحق فيها؛ فيتبعه.

وبذلك، فإنه يمكن وصفها بأنها امتدادا للنبوة، وامتداد لنصحها وتوجيهها، وكأن رسول الله ﷺ حاضر عند كل فتنة، ليعلمنا كيفية تجنبها، مثلما كان في حياته الدنيوية تماما، كما قال تعالى في وصفه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128]

فالحرص الشديد لرسول الله ﷺ على نجاة البشرية وخلاصها هو الذي جعله لا يترك مناسبة إلا ويخبر فيها عما يتربصها في جميع مراحل تاريخها المستقبلية من خير أو شر، مبينا أسباب ذلك وعوامله، وموجها إلى كيفية التعامل معه.

وهذا ما ينسجم مع ما ورد في النصوص الكثيرة من وضوح أمر الدين، وكل ما يعترض حركته وتطبيقه في التاريخ من عقبات.

وفوق ذلك؛ فإن الواقع أحسن دليل على صحتها، ذلك أن الكثير من تلك الاستشرافات التي أخبر عنها رسول الله ﷺ تحققت بالفعل، ولذلك لم تبق حجة لمن ينكرها، ولذلك أدرجها العلماء في [دلائل النبوة]

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد أخبر الله تعالى عن استعمال الأنبياء عليهم السلام لها لبيان نبوتهم وصدقهم، مثلما فعل يوسف عليه السلام عندما قال مخاطبا صاحبيه في السجن: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: 37]

ومثله قوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام مخاطبا بني إسرائيل:﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49]

ولهذا نرى اليهود والمسيحيين وغيرهم من أصحاب الأديان، يعتمدون على النبوءات في إثبات عقائدهم، ولهذا نجد في كتبهم المقدسة اهتماما كبيرا بالنبوءات الغيبية، ومحاولة تطبيقها على الواقع.

وسر ذلك أن [النبوءات]، وخاصة الدقيقة منها، خارجة عن

القدرات العلمية العادية، فالإنسان لا يعرف إلا ماضيه وحاضره، أما المستقبل فهو غيب مطلـق، ولـذلك لا يعرفـه بدقتـه إلا من يملك الاتصـال بعـالم الغيب، وذلـك لأن النطـق بـالنبوءة خطـير جدا، ذلك أنه يمـيز الصـادق من الكـاذب، وفي التـاريخ نبـوءات كثيرة كذبت أصحابها، وكانت من أسباب ارتفاع ثقـة جمهـورهم بهم.. ومن ذلـك البيـان الشـيوعي المعـروف الـذي صـدر سـنة 1848، والذي تنبأ بأن أول البلاد التي ستقود الثـورة الشـيوعية هي (ألمانيا)، لكنـه وبعـد مضـي العقـود الكثـير من السـنين لم تتحقـق هـذه النبـوءة، بـل سـقطت الشـيوعية نفسـها قبـل أن تتحقق.. وقد كتب كارل ماركس في مايو سنة 1849 قائلا: (إن الجمهوريـة الحمـراء تـبزغ في سـماء بـاريس)، ورغم أكـثر من قرن على هذه النبوءة إلا أنها لم تتحقق[1].

بناء على هذا لقي هـذا النـوع من الأحـاديث اهتمامـا كبـيرا من المحـدثين من المدرسـتين السـنية والشـيعية، حيث لا نجـد كتابا من كتب الحديث، إلا ويشتمل على أبواب من هذا النوع.

ففي الصحيحين اللـذين تعتبرهمـا المدرسـة السـنية أصـح الكتب بعد كتاب الله نجد هذا النوع من الأحـاديث، ففي صـحيح البخاري، نرى كتاباً مخصصا لأحاديث الفتن والملاحم، تـرجم لـه البخاري بعنوان (كتاب الفتن)، جمع فيه ما لا يقل عن 87 حديثاً مقسمةً على 28 باباً.. ومثله نجد في صحيح مسـلم كتابـا تحت عنوان (كتاب الفتن وأشراط الساعة)، جمع فيـه مـالا يقـل عن 143 حديثاً موزعا على 28 باباً، وكان فيه أكثر تفصيلاً ودقة من البخاري.

أماّ في كتب السنن الأربع الـتي تعتبرهـا المدرسـة السـنية تالية للصحيحين، فنجد فيها جميعا كتبا وأبوابا خاصة بهـذا النـوع من الحـديث.. ومن أمثلهـا سـنن أبي داوود السِّجِسـتاني، الـذي جمع مرويات الفتن في مصنفه المشـهور في ثلاثـة كتب، الأول بعنوان (كتاب الفتن والملاحم)، أورد فيه مـا يقـارب 88 حـديثاً، والثاني بعنوان (كتاب المهـدي)، وذكـر فيـه 21 حـديثاً، والثـالث بعنوان (كتاب الملاحم)، جمع فيها ما يزيد عن 50 حديثاً.

ومثله فعل الحافظ الترمذي، والذي خصص كتابـا لأحـاديث الفتن والملاحم، وترجم له بعنوان (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ)، وقد جمع فيه مـا يزيـد عن 70 بابـاً في أحـاديث ومرويـات

[1]() الاسلام يتحدى مدخل علمي الى الايمان، وحيد الدين خان، ص ١٢٨.

الفتن.
ومثلهما فعل الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي، لكنه لم يفرد كتاباً خاصاً لأحاديث الفتن، بل بثها في ثنايا سننه على شكل أبواب متفرقة في كتب مختلفة.
ومثلهم فعل الحافظ ابن ماجة محمد القزويني، الذي خرّج أحاديث الفتن في سننه في كتاب ترجم له بـ [كتاب الفتن]، قسمه إلى ما يزيد على 30 باباً جمعت أكثر من 100 حديث للنبي ﷺ في الموضوع.
بل إنهم خصصوا كتبا خاصة بذلك، وهي كثيرة، ومن أهمها [كتاب الفتن][1]، لنعيم بن حماد، وهو من المصادر الرئيسية في هذا الباب، لكونه من الكتب المتقدمة التي جمعت أكثر ما يتعلق بهذا الموضوع من أحاديث، بالإضافة إلى كونه لقي اهتماما كبيرا من أئمة الحديث، ذلك أن مؤلف الكتاب (نعيم بن حماد) كان شيخا لكبار أئمة الحديث من أمثال البخاري ومسلم وأبي داوود والترمذي والنسائي، بل إنهم استندوا إليه في تخريج هذا النوع من الحديث.
ومنها كتاب (السنن الواردة في الفتن وغوائلها والأزمنة وفسادها والساعة وأشراطها)[2] لأبي عمرو الداني، وقد قسمه إلى أكثر من مئة باب، جمع فيها الكثير من أحاديث الفتن وتفاصيلها وأزمنتها والأمكنة التي تقع فيها.
وهكذا نجد اهتمام المصادر الحديثية للمدرسة الشيعية بأحاديث الفتن والملاحم والنبوءات، بل إن اهتمامها بها أكبر بكثير، ذلك أنها تعتبرها من المعارف الدينية الضرورية، والتي ترتبط بها الكثير من المواقف والسلوكات بخلاف المدرسة السنية، والتي تكتفي عادة بربطها بالعقائد أو دلائل النبوة.
ولهذا نجد في كتب الحجاج والمناظرات والجدل الذي دار بين المدرستين احتجاج كبار أعلام الشيعة ومتكلميهم بأمثال تلك الروايات والنصوص، والتي ينقلونها في مصادرهم عبر طرق كثيرة متواترة.
ونحب أن ننبه هنا إلى أن الكثير من الروايات التي نجدها في المصادر الشيعية، هي نفسها في المصادر السنية، وربما

1() ويقال بأن اسمه الصحيح هو (الفتن والملاحم)، ولكنه اشتهر بكتاب [الفتن].
2() وقد قام بتحقيقه رضاء الله المباركفوري، وطبعته دار العاصمة بالرياض في ستة مجلدات.

يكون ذلك لاعتماد كلا المدرستين على ما كتبه نعيم بن حماد في [كتاب الفتن]، بالإضافة لأبي صالح السليلي بن أحمد بن عيسى ابن شيخ الحساني، وأبي يحيى زكريا بن يحيى بن الحارث البزار..

وقد جمعها جميعا علي بن موسى بن طاووس في كتابه [الملاحم والفتن]، والذي ذكر هذه الكتب الثلاثة، وبين مدى مصداقيتها، ثم قال: (وقد اقتضت الاستخارة أن أذكر من هذه الثلاثة المصنفات ما يوفقني الله جل جلاله لذكره وأكون في ثقله متابعا لمقدس أمره وحافظا بجمعه ما تفرق من سره ومستفتحا لأبواب بره ونصره، وتعظيم قدره والتعريف لما يجب على ذلك من حمده وشكره، وأجعله أبوابا وفي كل باب أذكر ما اشتمل عليه الباب من خبره وخبره، وأقيد ذكر الأبواب التي في ذلك الكتاب ليعرف الناظر فيها ما اشتملت عليه فيطلبه من حيث يرشده إليه إن شاء الله تعالى)[1]

ثم بين مدى قيمة كتاب أبي نعيم خصوصا، وذكر أن ذلك بسبب كونه (..أقرب عهد بالصحابة والتابعين وقد زكاه جماعة من المفسرين)[2]، ثم ذكر بعض الروايات عن الأعلام الذين وثقوه، والذين ذكروا علاقته الطيبة بأصحاب الإمام علي، وروايته عنهم.

ولذلك؛ فإن معظم الخلاف بين المدرستين ليس في نصوص الأحاديث والروايات، وإنما في تطبيقها على المصاديق اللائقة بها، حيث نجد كل مصنف أو شارح لتلك الأحاديث يطبقها على ما يراه من الواقع الذي عاشه.

ومن الأمثلة على ذلك ما فعله أبو عمرو الداني في كتابه [السنن الواردة في الفتن وغوائلها والأزمنة وفسادها والساعة وأشراطها] حيث طبق أحاديثه على ما وقع في زمانه من أحداث، ولذلك ذكر في كتابه أن الفتنة قد وصلت ذروتها في زمانه ولم يبق إلاّ العلامة الكبرى لقيام الساعة، فقال: (فقد ظهر في وقتنا وفشا في زماننا من الفتن وتغيير الأحوال وفساد الدين، واختلاف القلوب، وإحياء البدع، وإماتة السنن، ما دل على انقراض الدنيا وزوالها، ومجيء الساعة واقترابها، إذ كل ما

1() الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر عجل الله فرجه الشريف، السيد رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، ص 20.

2() المرجع السابق، ص 19.

قد تواتر من ذلك وتتابع وانتشر، وفشا وظهر، قد أعلمنا به نبينا ﷺ وخوفناه)[1]

بناء على هذا كله، فقد قسمنا الكتاب إلى خمسة فصول، كما يلي:

الفصل الأول: حول الأحاديث المقبولة المرتبطة بتحديد أئمة الهدى وأوصافهم في المصادر السنية.

الفصل الثاني: حول الأحاديث المقبولة المرتبطة بتحديد أئمة الهدى وأوصافهم في المصادر الشيعية.

الفصل الثالث: حول الأحاديث المقبولة المرتبطة بالامتداد الرسالي، والفتن التي تعرض له في المصادر السنية.

الفصل الرابع: حول الأحاديث المقبولة المرتبطة بالامتداد الرسالي، والفتن التي تعرض له في المصادر الشيعية.

الفصل الخامس: حول الأحاديث المردودة المرتبطة بالإمامة والامتداد الرسالي.

وقد حاولنا الاكتفاء بإيراد الأحاديث، وبيان مدلولاتها العامة من دون تفصيل كبير، إلا إذا رأينا أن تأويلا لحق بتلك الأحاديث ليحرفها عن معناها؛ فنحتاج حينها لرده.

1() السنن الواردة في الفتن وغوائلها والأزمنة وفسادها والساعة وأشراطها، 1/177.

الفصل الأول

أئمة الهدى وأوصافهم في المصادر السنية

وهي أحاديث كثيرة جدا يوصي فيها رسول الله ﷺ أمته بمنابع الهداية الصافية التي لم تختلط بغيرها، مثلما فعل كل الأنبياء قبله، لعلمه بأن الشيطان لن يترك الإسلام صافيا نقيا، بل سيعمل على تشويهه وملئه بالانحرافات مثلما فعل مع الأديان السابقة.

ولذلك لم يترك الأمر سدى، ولا جعل حبل الأمة في أيدي كل أفرادها؛ فيستحيل أن يستقيم أمر أمة يكون لكل فرد منها الحق في الكلام في الدين، وإدخال ما شاء فيه، لأن ذلك ييسر أمر المندسين الذين قد يلبسون لباس التقوى، ليتحولوا إلى ثقاة عند جمهور الناس، ليضيفوا من خلال ذلك إلى الدين من القيم والتشريعات والعقائد ما يحلو لهم.

ولهذا؛ فإن رسول الله ﷺ كما كان حريصا في كل المعارك على تحديد القادة، وكما كان يدعو كل ثلاثة من الناس إلى اختيار أمير لهم؛ فإنه دعا الأمة كذلك إلى الالتزام في أمر دينها بأئمة محدودين مثلما تأتم في صلاتها بأئمة محدودين.

وبناء على كثرة الأحاديث الدالة على هذا؛ فقد قسمناها إلى سبعة أصناف، كل صنف منها له دلالته الخاصة، والتي لا تكتمل إلا بضمه إلى غيرها، حتى لا نقع فيما وقع فيه أولئك الذين يروون هذه الأحاديث منفصلة عن بعضها، ولهذا يفهمونها فهما جزئيا لا كليا.

وهذه الأقسام السبعة هي:

1 ـ الوصايا النبوية بالتمسك بالعترة الطاهرة.

2 ـ الوصايا النبوية بمحبة العترة الطاهرة والارتباط بها.

3 ـ تحديد مصاديق العترة الطاهرة.

4 ـ تحديد عدد الخلفاء المهديين والدعوة إلى الاستنان بسنتهم.

5. اعتبار الإمام علي أول أئمة الهدى.

6 ـ اعتبار الحسن والحسين من أئمة الهدى.

7 ـ أحاديث البشارة بالإمام المهدي.

وهذه الأقسام جميعا، وما ينتج عنها تشكل أرضية للتوافق بين الأحاديث الواردة في المصادر السنية والشيعية، وهي تجعل منها أكثر مقبولية؛ فالأمة لا تجتمع على ضلالة.

أولا ـ الوصايا النبوية بالتمسك بالعترة الطاهرة:

وهي أحاديث كثيرة، لكن أشهرها ما يطلق عليه [حديث الثقلين]، ويسمى كذلك لقوله ﷺ في بعض ألفاظه: (إنِّي تاركٌ فيكم الثَّقَلينِ) ـ كما يذكر المحدثون ـ لأهميتهما، قال القاضي عياض: (قِيلَ سُمِّيَا بذلك؛ لِعِظم أقدارهما، وقيل: لشدَّة الأخْذ بهما)[1]، وقال النوويُّ: (سمِّيَا ثَقلين؛ لعظمهما، وكبير شأنهما)[2]

وقد روي عن جمع من الصحابة، وبصيغ متقاربة، تدل على أن رسول الله ﷺ كان يكثر من ذكره والتنبيه عليه، وهو بجميع صيغه يدل على كون العترة الطاهرة منبعا من منابع الهداية الصافية، بدليل ذكرها مع القرآن الكريم، والإخبار بعدم افتراقها عنه، ومن تلك الصيغ:

[الحديث: 1]ـ حديثُ الإمام عليٍّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تضلُّوا: كتابَ الله، سببُه بيده وسببُه بأيديكم، وأهلَ بَيتي)[3]

[الحديث: 2]ـ حديثُ زَيد بن ثابتٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا: كتاب الله، وعِترتي أهل بيتي؛ فإنَّهما لن يفترقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ)[4]

[الحديث: 3] حديث زَيد بن أرقمَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي. أحدُهما أعظمُ من الآخَر.:كتاب الله، حبْلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما)[5]

وفي لفظ آخر: (أيُّها الناس، إنِّي تاركٌ فيكم أمرينِ لن

1() انظر: (مشارق الأنوار على صحاح الآثار) (1/134)

2() انظر: (شرح صحيح مسلم) (15/180)

3() رواه إسحاق بن راهويه كما في (إتحاف الخيرة المهرة) للبوصيري (7/210)، و(المطالب العالية) لابن حجر (4/252) والطحاوي في (شرح مشكل الآثار) (1760)، والحديث صحح إسناده الحافظ ابن حجر في (المطالب العالية) (4/252)

4() رواه عبد بن حميد في (مسنده) (240)

5() رواه الترمذي (3788)، والفسوي في (المعرفة والتاريخ) (1/536)، والشجري في (ترتيب الأمالي) (738) قال الترمذي: (حسن غريب)

تضلُّوا إن اتَّبعتموهما، وهما: كتابُ الله، وأهلُ بيتي عِترتي)[1]

[الحديث: 4] حديثُ جابرِ بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يا أيُّها الناس، إني تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تضلُّوا: كتاب الله، وعِترتي أهْلَ بَيتي)[2]

[الحديث: 5] حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إنِّي قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به، لن تضلُّوا بعدي: الثَّقلَين. أحدهما أكبرُ مِن الآخَر. كتاب الله، حبْلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ألَا وإنهما لن يَفترِقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ)[3]

وفي رواية: (تركتُ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به، فلن تضلُّوا: كتابَ الله، وأهلَ بيتي)[4]

وفي رواية: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به، لن تضلُّوا بعدي. أحدهما أعظمُ من الآخَر: كتاب الله، حبلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهْلِ بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما)[5]

ولا تعارض بين هذه الأحاديث وبين ما ورد من الروايات في الجمع بين الوصية بالقرآن الكريم والسنة، على الرغم من كون المحدثين يضعفون الروايات التي استبدل فيها لفظ [العترة] بلفظ [السنة]، ذلك أنه وردت أحاديث أخرى تضع سنة رسول الله ﷺ، وسنة أئمة الهدى في محل واحد، ولهذا يمكن اعتبارها من الأحاديث المقبولة، والتي يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الواردة بلفظ العترة.

[الحديث: 6] ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ: (تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا بعدهما: كتابَ الله جلَّ وعزَّ، وسُنَّةَ نبيِّه)[6]، وقوله: (.. وما عطَّلوا كتابَ الله وسُنَّةَ رسولِه، إلَّا جعَل الله بأسَهم بينهم)[7]، وقوله: (تركتُ فيكم أيُّها الناس، ما إنِ

1() رواه الحاكم (4577)، والشجري في (ترتيب الأمالي) (712)

2() رواه الترمذي (3786)، والطبراني في (المعجم الكبير) (3/66) (2680)

3() رواه أحمد (11578)، وابن أبي عاصم في (السنة) (1553)، وأبو يعلى (1140)، والطبراني في (المعجم الكبير) (3/65) (2678)، والبغوي في (شرح السنة) (3914)

4() رواه أحمد في (فضائل الصحابة) (170)

5() رواه الترمذي (3788) قال الترمذي: حسنٌ غريب.

6() رواه بحشل في (تاريخ واسط) (ص50)

7() رواه البيهقي في (شعب الإيمان) (3315)، والسخاوي في (الأجوبة المرضية) (2/546)

اعتصمتم به، فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه)[1]، وقولـه: (قـد تـركتُ فيكم بَعْـدي مـا إن أخـذتُم، لم تضـلّوا: كتـاب اللـه، وسُنَّة نبيِّكم)[2]، وقوله: (إنِّي قـد خَلَّفتُ فيكم اثـنين، لن تضـلّوا بعدهما أبـدًا: كتـاب اللـه، وسُـنتي، ولن يتفرَّقَـا حـتى يـرِدَا عليَّ الحوض)[3]، وقوله: (يا أيُّها الناس، إنِّي قد تـركتُ فيكم الثَّقلين: كتاب الله، وسُـنَّتي؛ فاسـتنطِقوا القـرآن بسُـنَّتي، ولا تعسـفوه؛ فإنَّه لن تعمَى أبصارُكم، ولن تَزِلَّ أقدامكم، ولن تقصـرَ أيـديكم ما أخذتُم بهما)[4]

ومع ورود الحـديث بتلـك الصـيغ الكثـيرة الصـحيحة الدالـة على وصية رسول اللـه ﷺ بـالعترة، واعتبارهـا منبعـا من منـابع الهداية مثلها مثـل القـرآن الكـريم، وأنـه لا تعـارض لـذلك بينهـا وبين السنة النبوية، ذلك أنهـا مكملـة ومبينـة لهـا، مثلمـا تكمـل السنة القرآن وتبينه؛ إلا أنه مع ذلك نجد من العلماء الذين أثرت فيهم الفئـة الباغيـة يـردون تلـك الأحـاديث، مـع أنهم يسـلمون بصحتها.

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن قدامة المقدسي: (لا نسلم أن المـراد بـالثقلين: القـرآن، والعـترة، وإنمـا المـراد: القـرآن والسنة، كما في الرواية الأخرى: (تركت فيكم أمرين لن تضـلوا ما تمسـكتم بهمـا: كتـاب اللـه، وسـنة رسـوله)، وإنمـا خص ﷺ العترة بالذكر؛ لأنهم أخبر بحاله ﷺ)[5]

وهنا نلاحظ مدى التخبط الذي يقع فيه صاحب هذا القــول؛ فبينما يسلم للعترة بكونها أخبر بحال رسول الله ﷺ، وأعرف به من غـيرهم، ومـع ذلـك يـرد الروايـات الدالـة على الوصـية بهـا وبهديها.

ومثـل ذلـك قـول الآمـدي: (لا نسـلم أن المـراد بـالثقلين: الكتاب، والعترة، بل الكتـاب، والسـنة، على مـا روي أنـه قـال:

1() رواه الحـاكم في (المسـتدرك)، والمـروزي في (السـنة) (68)، والعقيلي في (الضعفاء الكبير) (2/250)، (318)، والبيهقي في (دلائل النبوة) (5/449)

2() رواه أبو نعيم في (تاريخ أصبهان) (1/138)

3() رواه البزار (8993) واللفظ لـه، والعقيلي في (الضـعفاء الكبـير) (2/250)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء) (4/69)، والدارقطني (4/245)، والحاكم (4321)

4() رواه الخطيب في (الفقيه والمتفقـه) (1/275)، وفيـه: سـيف بن عمـر؛ قـال ابن معين: ضعيف الحديث. وقال أبو حـاتم: مـتروك الحـديث، يشـبه حديثـه حـديث الواقـدي. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف. ينظر: (تهذيب التهذيب) لابن حجر (4/259)

5() روضة الناظر (1/470)

(كتاب الله، وسنتي)[1]

مـع أنـه يقـرر في كتبـه الأصـولية، وفي مبـاحث التعـارض والترجيح، أنه يقـدم الحـديث الصـحيح على الضـعيف، وأنـه في حال إمكان الجمع بين الأحاديث لا يرفض أي منها.

ومن تلك التأويلات للحديث مع وضوحه قصر الوصية بأهـل البيت على التعامل العاطفي المجـرد عن اتبـاع هـديهم، مـع أن هذا الحديث وغيره يشير إلى ذلك بدليل اقتران العترة بـالقرآن الكريم والإخبـار بعـدم افتراقهمـا، وهـو مـا عـبر عنـه القرطـبي بقوله: (وأهـل بيـتي، أذكـركم اللـه في أهـل بيـتي. ثلاثـا)؛ هـذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي: وجـوب احـترام آل النـبي ﷺ وأهل بيته، وإبرارهم، وتوقـيرهم، ومحبتهم وجـوب الفـروض المؤكدة، التي لا عذر لأحد في التخلف عنها. هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ، وبأنهم جزءٌ منه؛ فإنهم أصوله الـتي نشـأ منها، وفروعه التي تنشأ عنه)[2]

وقـال ابن كثـير: (ولا تنكـر الوصـاة بأهـل الـبيت، والأمـر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم؛ فإنهم من ذرية طـاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرا وحسبا ونسـبا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية، الصحيحة الواضحة الجليـة، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريتـه)[3]

ومن التـأويلات الـواردة في الحـديث لصـرفه عن معنـاه استعمال كل الوسائل لإدخال كل بني هاشم مـع العـترة، وكـأن رسول الله ﷺ يجعل الدين ميراثا يقسم بين الأسرة، لا أنه كـان حريصا على دلالة الأمة على أفراد محدودين معدودين يتعاقبون على حمل الهدي الصحيح بسبب علاقتهم المتينـة برسـول اللـه ﷺ، كمـا يشـير إلى ذلـك مـا ذكـره اللـه تعـالى عن وراثـة يحي لزكريا عليهمـا السـلام، أو مـا يصـرح بـه قولـه تعـالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ [النمل: 16]

ومن الأمثلة على ذلك قـول ابن تيميـة: (إن النـبي ﷺ قـال عن عترته: إنها والكتاب لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهـو الصادق المصدوق؛ فيدل على أن إجماع العترة حجة، وهذا قول

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام، (1/308)
[2] المفهِم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (20/51)
[3] تفسير ابن كثير، (7/201)

طائفة من أصحابنا، وذكره القاضي في المعتمد، لكن العترة هم بنو هاشم كلهم: ولد العباس، وولد علي، وولد الحارث بن عبد المطلب، وسائر بني أبي طالب وغيرهم، وعليٌ وحده ليس هو العترة، وسيد العترة هو رسول الله ﷺ وإجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة)[1]

وهكذا تحول الحديث عنده من الوصية باتباع العترة إلى الوصية باتباع الأمة، وهو في ذلك يشبه الوالد الذي يوصي ولده بأن يتمسك بهدي نفسه.

ومثل ابن تيمية في المتقدمين نجد الألباني يستعمل سلاح الطائفية لضرب الحديث، وعدم الاستفادة منه على الرغم من تصحيحه له ولطرقه الكثيرة؛ فقد قال: (من المعروف أن الحديث مما يحتج به الشيعة، ويلهجون بذلك كثيرا، حتى يتوهم بعض أهل السنة أنهم مصيبون في ذلك، وهم جميعا واهمون في ذلك، وبيانه من وجهين)[2]

أما الوجه الأول الذي ذكره؛ فقد عبر عنه بقوله: (الأول: أن المراد من الحديث في قوله ﷺ: (عترتي) أكثر مما يريده الشيعة، ولا يرده أهل السنة، بل هم مستمسكون به، ألا وهو أن العترة فيه هم أهل بيته ﷺ، وقد جاء ذلك موضحا في بعض طرقه كحديث الترجمة: (وعترتي أهل بيتي)، وأهل بيته في الأصل: هم نساؤه ﷺ، وفيهن الصديقة عائشة.. وتخصيص الشيعة (أهل البيت) في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين، دون نسائه ﷺ من تحريفهم لآيات الله تعالى؛ انتصارا لأهوائهم)[3]

وهو وجه يتناقض مع الأحاديث التي صححها حول مصاديق أهل البيت، والذي سنورده مع الأحاديث الدالة عليه بعنوان خاص في هذا المبحث.

وأما الوجه الثاني، فذكر فيه (أن المقصود من (أهل البيت) إنما هم العلماء الصالحون منهم، والمتمسكون بالكتاب والسنة؛ قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: (العترة: هم أهل بيته صلى الله عليه وسلم، الذين هم على دينه، وكذلك المتمسكون

1() منهاج السنة النبوية، (7/393-397)
2() سلسلة الأحاديث الصحيحة، (4/260)
3() سلسلة الأحاديث الصحيحة، (4/260)

بأمره)

ومثله ما عبر عنه ابن باز بقوله: (إني تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)، يعني بهم: زوجاته، وقراباته من بني هاشم، يذكر الناس بالله في أهل بيته، بأن يرفقوا بهم، وأن يحسنوا إليهم، ويكفوا الأذى عنهم، ويوصوهم بالحق، ويعطوهم حقوقهم ما داموا مستقيمين على دينه، متبعين لشريعته عليه الصلاة والسلام)[1]

وهكذا راح الكثير من العلماء يؤولون الحديث عن معناه على الرغم من وجود أحاديث أخرى كثيرة تدل على معناه، بالإضافة لما ورد في القرآن الكريم من ذلك، ومنها قول ابن حجر الهيتمي: (وفي رواية صحيحة: (إني تاركٌ فيكم أمرين، لن تضلوا إن تبعتموهما، وهما: كتاب الله، وأهل بيتي عترتي)... وفي رواية: (كتاب الله، وسنتي) وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب؛ لأن السنة مبينة له، فأغنى ذكره عن ذكرها، والحاصل: أن الحث وقع على التمسك بالكتاب، وبالسنة، وبالعلماء بهما من أهل البيت)[2]

ثانيا ـ الوصايا النبوية بمحبة العترة الطاهرة والارتباط بها:

وهي أحاديث كثيرة توصي المؤمنين بمحبة العترة الطاهرة، والتعلق بها، والصلاة عليها، باعتبارها سفينة نجاة الأمة من الفتن، وهي تحذر في نفس الوقت من إذيتها أو الوقوف في صف أعدائها.. وهي كلها تحمل إشارات واضحة إلى الوظائف التي أنيطت بتلك العترة؛ فرسول الله ﷺ أعظم من أن تكون وصاياه متعلقة بالعواطف المجردة عن التفعيل والآثار.

وللأسف؛ فإن الكثير ممن يؤمن بتلك الأحاديث، توهم أنها مرتبطة بكل منتسب لأهل البيت، وليس لتلك العترة التي قاومت الظلم والاستبداد، واستعملت كل الوسائل لمواجهة التحريف، لكنها لم تجد من يقف معها إلا القليل.

بل نجد من يؤمن بتلك الأحاديث، ممن لم يفتن بأن يعيش في تلك العصور، يقف موقفا سلبيا من تلك العترة، بتولي

1() مجموع فتاوى ابن باز، (9/34)
2() الصواعق المحرِقة، (2/439)

أعدائها، ومن حاربوها، والدفاع عنهم، وفي نفس الوقت يتصور أنه ركب سفينة النجاة بمحبتهم، ولست أدري أي محبة تلك التي تجعل الشخص يقف مع أعداء من يحبه؛ ومن تلك الأحاديث:

1 ـ ما ورد في كون العترة الطاهرة سفينة نجاة الأمة من الفتن:

[الحديث: 6]ـ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)[1]

وهذا الحديث واضح في الدلالة على أهمية وضع الإمامة في محل مضبوط محدد حتى لا تتيه بالمؤمن السبل، ويشتد الخلاف.

[الحديث: 7] عن سلمة بن الأكوع، قال: قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي)[2]

[الحديث: 8]ـ عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت أتاها ما توعدون، وأنا أمان لأصحابي، فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون)[3]

[الحديث: 9]ـ عن الإمام علي قال: قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم، ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)[4]

[الحديث: 10]ـ عن أبي سعيد الخدري وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح في قوم نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومثل حطة بني إسرائيل)[5]

2 ـ ما ورد في الحث على حبها ونصرتها

1() رواه الحاكم، سبل الهدي والرشاد (11/7)
2() رواه ابن أبي شيبة ومسدد وأبو يعلى والحكيم والترمذي والطبراني وابن عساكر، سبل الهدي والرشاد (11/6)
3() رواه الحاكم، سبل الهدي والرشاد (11/6)
4() رواه أحمد في المناقب، سبل الهدي والرشاد (11/7)
5() رواه البزار والطبراني وأبو نعيم والبزار وابن جرير والحاكم والخطيب في (المتفق والمفترق) والطبراني في (الصغير) و(الأوسط)، قال الحافظ أبو الخير السخاوي: وبعض طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا، سبل الهدي والرشاد (11/11)

والتحذير من بغضها وإذيتها:

[الحديث: 11] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله ـ تعالى ـ وأحبوا أهل بيتي بحبي)[1]

[الحديث: 12] عن الإمام علي قال: قال رسول الله ﷺ: (من آذاني في أهلي، فقد آذى الله عز وجل)[2]

[الحديث: 13] عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (من أبغض أهل البيت فهو منافق)[3]

[الحديث: 14] عن ابن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وأهلي أحب إليه من أهله، وإني أحب إليه من ذاك)[4]

[الحديث: 15] عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، لا يبغض أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار)[5]

[الحديث: 16] عن الحسن بن علي أنه قال لمعاوية بن خديج: يا معاوية، إياك وبغضنا، فإن رسول الله ﷺ قال: (لا يبغضنا، ولا يحسدنا أحد إلا زيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار)[6]

[الحديث: 17] عن الحسين بن علي أن رسول الله ﷺ قال: (من سب أهل البيت، فإنما يسب الله ورسوله، ومن والانا فلرسول الله ﷺ، ومن عادانا فلرسول الله ﷺ)[7]

[الحديث: 18] قال رسول الله ﷺ: (حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم)[8]

[الحديث: 19] عن درة بنت أبي سهب قالت: خرج رسول الله ﷺ مغضبا حتى استوى على المنبر، فحمد الله،

1() رواه الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي في (الشعب) وابن سعد وابن الجوزي، سبل الهدي والرشاد (11/8)
2() رواه أبو نعيم، سبل الهدي والرشاد (11/8)
3() رواه أحمد في المناقب، سبل الهدي والرشاد (11/8)
4() رواه الطبراني وأبو الشيخ بن حيان في (الثواب) والبيهقي في (الشعب) والديلمي، سبل الهدي والرشاد (11/8)
5() رواه الحاكم وابن حبان وصححاه، سبل الهدي والرشاد (11/8)
6() رواه الطبراني في الأوسط، سبل الهدي والرشاد (11/8)
7() رواه أبو بكر البزقاني، سبل الهدي والرشاد (11/8)
8() رواه الديلمي، سبل الهدي والرشاد (11/9)

وأثنى عليه ثم قال: (ما بال الرجال يؤذونني في أهلي؟ والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي)[1]

[الحديث: 20]ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ـ عز وجل ـ ثلاث حرمات من حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا آخرته) قلت: ما هن؟ قال: (حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي)[2]

3 ـ ما ورد في الحث على الصلاة عليهم في الصلاة وغيرها:

[الحديث: 21]ـ عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: لقيت كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال (قولوا: اللهم، صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[3]

[الحديث: 22]ـ عن إبراهيم بن يزيد النخعي قال: قالوا: يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد)[4]

[الحديث: 23]ـ عن أبي مسعود البدري قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه)، وقال أبو مسعود: (لو صليت صلاة لا أصلي فيها على آل محمد ما رأيت أن صلاتي تتم)[5]

وقد صاغ بعضهم ذلك شعرا، فقال:

يا أهل بيت رسول الله حبكم... فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم... من لم يصل عليكم لا صلاة له

4 ـ ما ورد في الجزاء المرتبط بمن يساندهم:

1() رواه أبو الشيخ، سبل الهدي والرشاد (11/9)
2() رواه الطبراني وأبو الشيخ، سبل الهدي والرشاد (11/9)
3() رواه البخاري ومسلم، سبل الهدي والرشاد (11/10)
4() رواه إسماعيل القاضي، سبل الهدي والرشاد (11/10)
5() رواه الدارقطني والبيهقي وغيرهما. سبل الهدي والرشاد (11/10)

وهي دعوة غير مباشرة لتشكيل حلف بقيادتهم لمواجهة الاستبداد والظلم والتحريف:

[الحديث: 24] عن الإمام علي قال: قال رسول الله ﷺ: (من صنع إلى أحد من أهل بيتي يدا كافأته عنه يوم القيامة)[1]

[الحديث: 25] عن الإمام علي قال: أن رسول الله ﷺ قال: (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند ما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه)[2]

5 ـ ما ورد في حق فاطمة الزهراء والتحذير من مخالفتها وإذيتها:

وكأن رسول الله ﷺ يدعو الأمة بعده إلى البحث عن مواقفها، واتباعها، باعتبارها بضعة منه، لأنها تمثل موقفه، لكن ذلك لم يطبق للأسف؛ فقد عزلت الزهراء عن الساحة تماما إلى أن ماتت ودفنت دون أن يحضر جنازتها إلا القليل، على الرغم أنها بنت رسول الله ﷺ، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 26] عن الإمام علي أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: (إن الله تعالى يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[3]

[الحديث: 27] عن عائشة قالت: كنا أزواج رسول الله ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: (مرحبا يا بنتي) فأجلسها عن يمينه أو عن شماله: ثم إنه أسر إليها حديثا فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى إذا قبض سألتها فقالت: أنه كان حدثني (إن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك) فبكيت لذلك، ثم إنه سارني فقال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو

1() رواه الملا وأبو سعيد النيسابوري، سبل الهدي والرشاد (11/11)

2() رواه الديلمي، سبل الهدي والرشاد (11/11)

3() رواه الطبراني بإسناد حسن وابن السني في معجمه وأبو سعيد النيسابوري في (الشرف)، سبل الهدي والرشاد (11/44)

سيدة نساء هذه الأمة)؟ فضحكت لذلك)[1]

[الحديث: 28]ـ عن عائشة قالت: ما رأيت أحدا أشبه سمتا ولا هديا، ولا حديثا برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة)[2]

[الحديث: 29]ـ عن عائشة قالت: (ما رأيت أحدا قط أصدق من فاطمة إلا أن يكون أباها ﷺ)[3]

[الحديث: 30]ـ عن عائشة قالت: (ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة من فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ إلا أن يكون الذي والدها ﷺ)[4]

[الحديث: 31]ـ عن عائشة قالت: توفيت السيدة فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ـ وفي رواية: ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة ـ ودفنها علي بن أبي طالب ليلا)[5]

[الحديث: 32]ـ عن جعفر بن محمد قال: (مكثت فاطمة بعد النبي ﷺ ثلاثة أشهر، وما رؤيت ضاحكة بعد رسول الله ﷺإلا أنهم قد امتروا في طرف نابها)[6]

[الحديث: 33]ـ عن عائشة: أن فاطمة بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ)، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس

1() رواه مسلم، سبل الهدي والرشاد (11/45)
2() رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي، سبل الهدي والرشاد (11/45)
3() رواه أبو يعلى برجال الصحيح، سبل الهدي والرشاد (11/47)
4() رواه أبو عمر، سبل الهدي والرشاد (11/47)
5() رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح والبخاري، سبل الهدي والرشاد (11/49)
6() رواه الطبراني برجال الصحيح، سبل الهدي والرشاد (11/49)

مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا ولا يأتنا أحد معك، كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي، والله لآتينهم، فدخل عليهم أبو بكر، فتشهد علي، فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته، فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر، فتشهد، وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة، وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد علي، فعظم حق أبي بكر، وحدث: أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارا للذي فضله الله به، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا، فاستبد علينا، فوجدنا في أنفسنا، فسر بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، وكان المسلمون إلى علي قريبا، حين راجع الأمر المعروف[1].

[الحديث: 34]ـ عن عائشة قالت: أرسلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ، قال: لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، وقال أبو بكر: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته)[2]

1() رواه البخاري، 4240.

2() البخاري (4240) و(4241)، ومسلم (1759)، وأبو داود (2968)، والبيهقي 10 / 142.

[الحـديث: 35]ـ عن عبـد اللـه بن محمـد بن عقيـل أن فاطمـة لمـا حضـرتها الوفـاة أمـرت عليـا فوضـع لهـا غسـلا، فاغتسـلت وتطهـرت ودعت بثيـاب أكفانهـا فـأتيت بثيـاب غلاظ خشن، فلبستها ومست من حنوط ثم أمرت عليـا أن لا يكشـف عورتها إذا أقبضت وأن تدرج كما هي في ثيابها، فقلت لـه: هـل علمت أحدا فعل ذلك؟ قـال: نعم، كثـير بن العبـاس، وكتب في أطراف أكفانه: يشهد كثير أن لا إله إلا الله[1].

[الحـديث: 36]ـ عن أم سـلمة قـالت: اشـتكت السـيدة فاطمة بنت سـيدنا رسـول اللـه ﷺ شـكواها الـتي قبضـت فيـه فكنت أمرضها فأصبحت يوما كأمثل ما رأيتها في شكواها تلــك، قـالت: وخـرج علي لبعض حاجتـه فقـالت: يـا أمـه، اسـكبي لي غسلا فسكبت لها غسلا فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسـل، ثم قالت: يا أمي، أعطني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبستها ثم قـالت: يـا أمـه قـدمي لي فراشـي وسـط الـبيت، ففعلت، واسـتقبلت واضطجعت القبلة، وجعلت يدها تحت خدها، ثم قـالت: يـا أمـه، إني مقبوضـة الآن، وقـد تطهـرت، فلا يكشـفني أحـد، فقبضـت مكانها، فجاء علي فأخبرته[2].

6 ـ مـا ورد في اعتبـار رسـول اللـه ﷺ مثـل الأب لأولاد الزهراء:

[الحديث: 37]ـ عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (كـل ولـد أب فـإن عصـبتهم لأبيهم مـا خلا ولـد فاطمـة فـإني أنـا عصبتهم)[3]

[الحديث: 38]ـ عن عبـد الملـك بن عمـير قـال: أرسـل الحجاج إلى يحيى بن يعمر، قال: بلغني أنـك تـزعم أن الحسـن والحسين من ذرية النـبي ﷺ قـال: تجـده في كتـاب اللـه ــ عـز وجل ـ وقد قرأتـه من أولـه إلى آخـره، فلم أجـده، قـال يحـيى: كذبت، قال الحجـاج: لتـأتيني على مـا قلت ببينـة، فقـال: أليس تقرأ سورة الأنعام: ومن ذريته داود وسليمان [الأنعام 84] حتى بلغ (ويحيى وعيسـى) قـال: بلى، قـال: أليس عيسـى من ذريـة إبراهيم وليس له أب؟)[4]

1() رواه الطبراني، سبل الهدي والرشاد (11/49)
2() رواه أحمد، سبل الهدي والرشاد (11/49)
3() رواه أحمد في (المناقب)، سبل الهدي والرشاد (11/56)
4() رواه ابن أبي حاتم والديلمي وأبو الشيخ والحاكم والبيهقي، سبل الهدي والرشـاد

7 ـ ما ورد في أن العترة لا يقاس بها أحد:

[الحديث: 39] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد)[1]

ثالثا ـ تحديد مصاديق العترة الطاهرة:

لم يكتف رسول الله ﷺ بذلك الإجمال الـذي دعـا فيـه إلى الالـتزام بأهـل الـبيت، واتبـاعهم، والحـرص على هـديهم، وإنمـا وضح المقصود منهم، حتى لا يصبح مجرد دعاية عاطفية لأسرة؛ فرسول الله ﷺ أعظم من أن يدعو لأسـرة، كمـا يتصـور أولئـك الذين أدخلوا في الدين نوعا من أنواع الطبقية، حين توهمـوا أن كل المنتسبين لأهل بيت النبوة وفي جميـع العصـور داخلين في مسمى العترة، وأتاحوا لهم الكثير من المراتب التي ينالونها من غير عمل.

مع أن رسول الله ﷺ كان يخاطب رحمه وقرابته قائلاً: (يـا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من اللـه شـيئا، يـا بني عبد مناف لا أغني عنكم من اللـه شـيئا، يـا عبـاس بن عبـد المطلب لا أغــني عنــك من اللــه شــيئاً، ويــا صــفية بنت عبــد المطلب لا أغـني عنـك من اللـه شـيئاً، ويـا فاطمـة بنت محمـد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً)[2]

وقد أخبر ﷺ ـ محذرا ـ بمـا كـان عليـه الأمم السـابقة من التفريق بين الناس على أساس أنسابهم، فقال: (إنّما أهلـك من كان قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحـد، وأيمُ اللـه لـو سـرقت فاطمـة بنت محمد لقطعتُ يدها)[3]

لكن هذا التحـذير لم يجـد مفعولـه للأسـف في الكثـير من أفراد الأمة بسبب تلك الأوهام حول المـرادين من أهـل الـبيت، والــذين أوصــى رســول اللــه ﷺ بهم.. حيث تحــول من أفــراد معدودين إلى أجيال من البشر، يختلـط الصـالح فيهم بالفاسـد، والصادق من المدعي، حتى أصبح الانتساب لأهـل الـبيت تجـارة للكسالى والمنتهزين والمنحرفين.

وكيف لا يتحول إلى ذلـك، وقـد قـال بعضـهم يـبين المزايـا

(11/56)

[1] () رواه الديلمي وعمر الملا، سبل الهدي والرشاد (11/7)

[2] () البخاري 2753 و4771 ومسلم 424.

[3] () البخاري 4/213 و5/29 وفي 5/2 ومسلم 5/114.

التي أتيحت لكل من ينتسب لهم: (فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم، ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصا من الله تعالى، وعناية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفورا لهم، وأما في الدنيا فمن أتى منهم حدا أقيم عليه، كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كما عز وأمثاله ولا يجوز ذمه)[1]

وهذا حكم خطير جدا، فمن أين علم أن الله سيغفر لهم.. وما حال من وقع منهم في ذنوب متعدية تفتقر لمسامحة الخصوم؟

لكن كل ذلك لم يهتم به، ولا فهم دلالة النص من خلال تفسير رسول الله ﷺ.. فالرسول ﷺ أخبر أن آية التطهير تخص أفرادا محدودين معدودين علم الله صدقهم وإخلاصهم وتفانيهم في خدمة الرسالة.. وأنهم ـ فوق ذلك ـ سيتعرضون لأنواع من البلاء تمحصهم.. وأنهم سيكلفون بمهام كبيرة في هذه الأمة، فلذلك أخبر بطهارتهم، وبالعناية الخاصة بهم.. لا عناية الجزاء، وإنما عناية التربية والتكليف.. فالله لا يحابي أحدا في الجزاء.

وبناء على هذا تأتي أهمية هذه الأحاديث، وما يفسرها من أحاديث أخرى سنعرض لها في العناوين التالية.

وخلاصة هذه الأحاديث أنها تذكر أن المراد بأهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين، وهي متوافقة تماما مع قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]، والتي اتّفق المفسّرون أنّها نزلت في أهل البيت بسبب الروايات الواردة في ذلك، والتي تعتبر (أَبْنَاءَنَا) إشارة إلى الحسَنَين، (وَنِسَاءَنَا) إشارة إلى فاطمة، (وَأَنْفُسَنَا) إشارة إلى الإمام علي[2].

1() الفتوحات المكية، ج1، ص: 196.

2() قد ذكر ذلك كل المفسرين والمحدثين، وهو محل اتفاق بينهم، ومن الأمثلة على ذلك: تفسير الرازي 2/ـ 699، تفسير البيضاوي / 76)، تفسير الكشاف 1/ـ 49، تفسير روح البيان 1/، 457، تفسير الجلالين 1/، 35، صحيح الترمذي 2/، 166، سنن البيهقي 7/ 63، صحيح مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة، مسند أحمد بن حنبل 1/ 185، مصابيح السنّة

وهذه روايات الحديث أو صيغه المختلفة الدالة على ذلك:
[الحديث: 40]ـ ما حدثت بـه عائشـة قـالت: خـرج النَّبِيُّ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل مِن شَعر أسود، فجاء الحسـن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحُسين فدخل معه، ثمَّ جاءت فاطمةُ فأدخلَهـا، ثمَّ جـاء عليٌّ فأدخلـه، ثمَّ قـال: ﴿إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] [1]

[الحديث: 41]ـ مـا حـدث بـه سَعد بن أبي وقّاص قـال: (لَمَّا نزلت هذه الآيةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَـا وَأَبْنَـاءَكُمْ وَنِسَـاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران: 61]دعا رسولُ اللـه ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحَسناً وحُسيناً، فقال: اللَّهمَّ هـؤلاء أهـل بيتِي) [2]

[الحديث: 42]ـ ما حدث به يزيد بن حيَّان قال: (انطلقتُ أنا وحُصين بن سَـبْرة وعمـر بنُ مسـلم إلى زيـد بنِ أرقم، فلمَّا جلسنا إليه، قال له حُصين: لقد لقيتَ ــ يـا زيـد! ــ خيراً كثيـراً؛ رأيتَ رسولَ الله، وسمعتَ حديثَه، وغزوتَ معه، وصلَّيتَ خلفـه، لقد لقيتَ ـ يا زيد! ـ خيراً كثيراً، حدِّثْنا ـ يا زيد! ـ ما سَـمعتَ من رسولِ الله، قال: يا ابنَ أخي! واللـه! لقـد كَبِـرَتْ سِـنِّي، وقَـدُم عهـدِي، ونسـيتُ بعضَ الـذي كنتُ أعِي من رسـول اللـه، فمـا حدَّثتُكم فاقبلوا، وما لا فلا تُكلِّفونيه، ثمَّ قـال: قـام رسـولُ اللـه يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمًّا، بين مكة والمدينة، فحمِـد اللـهَ وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: أمَّا بعد، ألا أيُّها الناس! فإنَّمـا أنا بشرٌ يوشـك أن يـأتي رسـولُ ربِّي فـأجيب، وأنـا تـاركٌ فيكم ثَقَلَيْن؛ أوَّلُهما كتاب الله، فيه الهُدى والنُّور، فخذوا بكتـاب اللـه، واستمسـكوا بـه، فحثَّ على كتـاب اللـه ورغَّب فيـه، ثم قـال: وأهـلُ بَيتِي، أُذكِّرُكم اللـهَ في أهـل بيتِي، أُذكِّرُكم اللـهَ في أهـل بيتِي، أُذكِّرُكم اللهَ في أهل بيتِي، فقال له حُصين: ومَن أهلُ بيتِه يـا زيـد؟ أليس نسـاؤه من أهـل بيتِـه؟ قـال: (لا، وايمُ اللـه! إنَّ المرأةَ تكون مع الرَّجـل العصـرَ من الـدَّهر، ثم يُطلِّقهـا، فـترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيتِه أصلُه وعَصَبتُه الذين حُرِمـوا الصَّـدقة بعده)[3]

[الحديث: 43]ـ عن عمر بن أبي سلمة، ربيب النـبي ﷺ،

للبغوي 2/ 201، سير أعلام النبلاء 3/ 193.
[1] مسلمٌ (2424)
[2] مسلمٌ (2404)
[3] رواه مسلم (2408)

قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:33] في بيت أم سلمة، فدعا النبي ﷺ فاطمة، وحسنا، وحسينا، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت إلى خير)[1]

[الحديث: 44] ما حدث به شداد أبي عمار، قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا عليا، فلما قاموا، قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة، رضي الله عنها، أسألها عن علي، قالت: توجه إلى رسول الله ﷺ، فجلست أنتظره، حتى جاء رسول الله ﷺ، ومعه علي وحسن وحسين، رضي الله عنهم، آخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل، فأدنى عليا وفاطمة، فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه، أو قال: كساء، ثم تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق)[2]

[الحديث: 45] ما حدثت به أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: أين ابن عمك وابناك؟ فقالت: في البيت، فقال: ادعيهم؛ فجاءت إلى علي، فقالت: أجب النبي ﷺ أنت وابناك..قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة، فمده وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: (هؤلاء أهل البيت، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[3]

[الحديث: 46] ما حدثت به أم سلمة، قالت: جاء النبي ﷺ إلى بيتي، فقال: لا تأذني لأحد، فجاءت فاطمة، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه، وجاء الحسين، فلم أستطع أن أحجبه،

1() رواه الترمذي (3205 و3787)
2() رواه أحمد 4/107 (17113)
3() تفسير الطبريّ: 22/ 12.

فاجتمعوا حول النبي ﷺ على بساط، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط.. قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم، وقال: إنك إلى خير[1].

[الحديث: 47]ـ ما حدثت به أم سلمة، قالت: إن النبي ﷺ جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، فقالت أم سلمة: وأنا منهم؟ قال: إنك إلى خير[2].

[الحديث: 48]ـ ما حدثت به أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة بنت النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ متوركة الحسن والحسين، في يدها برمةٌ للحسن فيها سخينٌ، حتى أتت بها النبي ﷺ، فلما وضعتها قدامه قال لها: أين أبو الحسن؟ قالت: في البيت، فدعاه فجلس النبي ﷺ وعليٌ وفاطمة والحسن والحسين يأكلون، قالت أم سلمة: وما سامني النبي ﷺ وما أكل طعاما قط إلا وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم ـ تعني بـ (سامني): دعاني إليه ـ فلما فرغ التف عليهم بثوبه، ثم قال: (اللهم عاد من عاداهم، ووال من والاهم)[3]

[الحديث: 49]ـ ما حدثت به أم سلمة، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء فدكيا، ثم وضع يده عليهم ثم قال: (اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميدٌ مجيدٌ)، قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال: إنك على خير[4].

[الحديث: 50]ـ ما حدثت به أم سلمة، قالت: كان النبي ﷺ عندي وعليٌ وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرةٌ، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباء ة أو قطيفة، ثم قال:

---

(1) تفسير الطبريّ: 22/ 12.

(2) رواه أحمد: 10 / 197 / 26659، سنن الترمذيّ: 5 / 699 / 3871، مسند أبي يعلى: 6 / 290 / 6985.

(3) مسند أبي يعلى: 6 / 264 / 6915.

(4) رواه أحمد: 10/228/26808، المعجم الكبير: 3/53/2664، وذكره أيضًا في: 23 / 336 / 779.

(اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهـرهم تطهـيرا)[1]

[الحديث: 51]ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول اللـه ﷺ: (نزلت هـذه الآيـة: في خمسـة في وفي علي وفاطمـة وحسـن وحسـين: ﴿ إِنَّمَـا يُرِيـدُ الله لِيُـذْهِبَ عَنكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:33])[2]

[الحـديث: 52]ـ عن أبي سـعيد قـال: لمـا دخـل علي بفاطمـة جـاء رسـول اللـه ﷺ أربعين صـباحا إلى بابهـا يقـول: (السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاتـه، الصلاة رحمكم اللـه، ﴿ إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللـه لِيُـذْهِبَ عَنكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:33])[3]

[الحديث: 53]ـ عن أبي الحمراء قال: رأيت رسول اللـه ﷺ بالمدينة ليس من مرة يخـرج إلى صـلاة الغـداة إلا أتى بـاب علي فرفع يده على جنبي الباب، ثم قال: الصلاة الصلاة ﴿ إِنَّمَـا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِـيرًا﴾ [الأحزاب:33])[4]

[الحديث: 54]ـ عن ابن عباس قال: شهدنا رسـول اللـه ﷺ سبعة أشهر يأتي كـل يـوم بـاب علي (ابن أبي طـالب) عنـد وقت كل صلاة فيقول: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهـل الـبيت) ﴿ إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللـه لِيُـذْهِبَ عَنكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:33])[5]

[الحديث: 55] عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: (الصلاة يـا أهـل ﴿ إِنَّمَـا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِـيرًا﴾ [الأحزاب:33])[6]

وقد أقر كبار العلماء من المذاهب المختلفة بمضمون هذه الأحاديث، فقد قال الطحاوي ـ وهو من كبار علماء الحنفيـة في [شرح مشكل الآثار] تحت عنوان: [بـاب بيـان مشـكل مـا روي

1() تفسير الطبريّ: 22/ 12.

2() رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني، سبل الهدي والرشاد (11/13)

3() رواه ابن سعد وابن أبي حاتم والطـبراني وابن مردويـه، سـبل الهـدي والرشـاد (11/13)

4() رواه ابن جرير وابن المنذر والطبراني، سبل الهدي والرشاد (11/13)

5() رواه ابن مردويه، سبل الهدي والرشاد (11/14)

6() رواه ابن أبي شـيبة والإمـام أحمـد والترمـذي وحسـنه وابن جريـر وابن المنـذر والحاكم والطبراني وصححه، سبل الهدي والرشاد (11/14)

عنه ﷺ في المراد بقول الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ من هم؟]ـ: (لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: (اللهم هؤلاء أهلي).. ففي هذا الحديث أنّ المرادين بما في هذه الآية هم رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسن)[1]

ثم أورد مجموعة من الرّوايات لحديث الكساء من طريق أم المؤمنين أم سلمة، وعقب عليها بقوله: (فدل ما رويناه في هذه الآثار مما كان من رسول الله ﷺ إلى أم سلمة، مما ذكر فيها لم يرد به أنّها كانت ممن أريد به ما في الآية المتلوة في هذا الباب، وأنّ المرادين فيها رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين دون من سواهم)[2]

ومثله قال العلامة أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي: (روي أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي. وروي أنّه جمع عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر إلى الله تعالى: رب هؤلاء أهلي، قالت أم سلمة: يا رسول الله فتدخلني معهم؟ قال: أنت من أهلي، يعني من أزواجه كما في حديث الإفك: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، لا أنها أهل الآية المتلوة في هذا الباب، ويؤيده ما روي عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بيتي فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: أنت على خير، إنّك من أزواج النبي، وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين.. فكان قوله ﷺ لواثلة: أنت من أهلي لإتباعك إيّاي وإيمانك بي، وأهل الأنبياء متّبعوهم، يؤيده قوله تعالى لنوح: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فكما خرج ابنه بالخلاف من أهله، فكذلك يدخل المرء في أهله بالموافقة على دينه وإن لم يكن من ذوي نسبته)[3]

ثم فسر سر وجود الآية عند الحديث عن أزواج رسول الله ﷺ بقوله: (والكلام لخطاب أزواج النبي ﷺ تمّ عند قوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ...﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ استئناف

1() شرح مشكل الآثار ٢/٢٣٥- ٢٣٧.
2() شرح مشكل الآثار ٢/٢٤٤- ٢٤٥.
3() معتصر المختصر ٢/٢٦٦-٢٦٧.

تشريفاً لأهل البيت وترفيعاً لمقدارهم، ألا ترى أنه جاء على خطاب المذكر فقال: ﴿عَنْكُمُ﴾ ولم يقل (عنكن)، فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية، ويدل عليه ما روي أن رسول الله ﷺ كان إذا أصبح أتى باب فاطمة فقال: السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)[1]

وقال العلامة حسن بن علي السقاف الشافعي: (وأهل البيت هم سيدنا علي والسيدة فاطمة، وسيدنا الحسن، وسيدنا الحسين، وذريتهم من بعدهم ومن تناسل منهم للحديث الصحيح الذي نص النبي ﷺ فيه على ذلك، ففي الحديث الصحيح: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت مكانك، وأنت إلى خير)[2]

وقال ـ ردا على الألباني في تخصيصه أهل البيت بأزواج رسول الله ﷺ: (وهذا من تلبيساته وتمحله في رد السنة الثابتة في تفسيره لأهل البيت، وهو بهذا أراد أن يلبس على القارئ بأن من قال أنّ أهل البيت هم أهل الكساء أنهم الشيعة، والحق أن من قال ذلك جميع أهل السنة والجماعة، وقبلهم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، ولكن هذا هو النصب الذي يفضي بصاحبه إلى ما ترى كما شرحنا في موضعه)[3]

وقال العلامة أبو بكر الحضرمي في (رشفة الصادي من بحر فضائل النبي الهادي): (والذي قال به الجماهير من العلماء وقطع به أكابر الأئمة، وقامت به البراهين وتظافرت به الأدلة أن أهل البيت المرادين في الآية هم: سيدنا علي وفاطمة وابناهما، إذ المصير إلى تفسير من أنزلت عليه الآية متعيّن؛ فإنّه ﷺ هو الذي فسّرها بأنّ أهل بيته المذكورين في الآية

1() معتصر المختصر ٢/٢٦٦-٢٦٧.
2() صحيح شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٥٥.
3() صحيح شرح العقيدة الطحاوية، 657.

الكريمـة هم: علي وفاطمـة وابناهمـا؛ بنص أحاديثـه الصـحيحة الواردة عن أئمة الحديث المعتد بهم رواية ودراية)[1]

وقال: (والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبمـا أوردتـه منهـا يعلم قطعاً أن المـراد بأهـل الـبيت هم علي وفاطمـة وابناهمـا (رضـوان اللـه عليهم)، ولا التفـات إلى مـا ذكـره صـاحب (روح البيان) من أن تخصيص الخمسة المذكورين بكونهم أهـل الـبيت هو من أقوال الشـيعة لأنّ ذلـك محض تهـوّر يقتضـي بـالعجب!، وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنة السـنية يسـفر الصبح لذي عينين)[2]

وقال الشـوكاني ــ ردا على من قـال بـأن الآيـة في نسـاء النبي ﷺ ـ: (وأجيب بأن سياق الآية يفيد أنّه في نسـائه، ويجـاب عن هذا بأنه ورد بالدليل الصحيح أنهـا نـزلت في علي وفاطمـة والحسنين)[3]

وقـال ابن الصـباغ المـالكي: (أهـل الـبيت على مـا ذكـر المفسّرون في تفسير آية المباهلة وعلى ما روي عن أم سـلمة هم: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين)[4]

وقـال الحافـظ محمـد بن يوسـف الكنجي الشـافعي: (بـل الصحيح أنّ أهل البيت علي وفاطمة والحسنان كما رواه مسلم بإسناده عن عائشة أن رسـول اللـه ﷺ خـرج ذات غـداة وعليـه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخلــه، ثم جاء الحسين فأدخله معـه، ثم جـاءت فاطمـة فأدخلهـا، ثم جـاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِـيراً﴾، وهـذا دليـل على أن أهـل الـبيت هم الـذين نـاداهم بقولـه أهـل الـبيت وأدخلهم رسـول اللـه ﷺ في المرط)[5]

وقال الآجري: (باب ذكر قول اللـه عـزّ وجـل: ﴿إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِـيراً﴾، قـال محمد بن الحسين: هم الأربعة الذين حووا جميـع الشـرف وهم: علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين)[6]

1() رشفة الصادي، ص ٢٣-٢٤.
2() رشفة الصادي، ص ٣٥.
3() إرشاد الفحول ٨٣،.
4() الفصول المهمة، ص ٢٣.
5() كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، ص ٤٩.
6() الشريعة للآجري ٤/٣٧٨.

وقال ابن حجر: (وفي ذكر (البيت) معنى آخر، لأنّ مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي... الحديث، أخرجه الترمذي وغيره ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأنّ الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها)[1]

وقال الذهبي: (وفي فاطمة وزوجها وبنيها نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجللهم رسول الله ﷺ بكساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي)[2]

وقال القرطبي: (وقراءة النبي ﷺ هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دليل على أنّ أهل البيت المعنيون في الآية هم المغطون بذلك المرط في ذلك الوقت)[3]

رابعا ـ تحديد عدد الخلفاء المهديين والدعوة إلى الاستنان بسنتهم:

وهو ما أخبر عنه ﷺ من وجود اثني عشر خليفة من الصالحين الذين يقوم عليهم أمر الأمة وهدايتها، ويبدو أن الحديث قد روي ـ كالكثير من الأحاديث ـ بالمعنى، ولهذا اختلفت رواياته، وإن اتفقت على عدد الخلفاء المهديين وفضلهم.

أما ما يدل على كونهم من الصالحين، وليسوا مجرد خلفاء عاديين ـ كما يذكر بعض من أول تلك الأحاديث؛ فهو:

[الحديث: 56] ما روي عن أبي نجيح العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم

1() فتح الباري ٧/١٣٨.
2() تاريخ الإسلام ٣/٤٤.
3() المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٣٠٢-٣٠٣.

ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالةٌ)[1]

ولا يصح تطبيق الاصطلاح التاريخي لـ [الخلفاء الراشـدين] هنا، لأن الخلافة المقصودة هنا مشترطة بمـا ورد في الأحـاديث الأخرى من شروط، وأولها كـونهم من العـترة الـتي أوصـى بهـا رسول الله ﷺ.

بالإضافة إلى ذلك، فقـد ورد في الحـديث قولـه ﷺ: (فإنـه من يعش منكم فسـيرى اختلافـا كثـيرا، فعليكم بسـنتي وسـنة الخلفاء الراشدين المهديين)؛ وذلك يدل على أن هـؤلاء الخلفـاء الراشدين سيظهرون عند الاختلاف والفرقة والفتنة، وهو يشـير إلى إعراض النـاس عنهم، ولـذلك دعـا إلى التمسـك بهم، وهـو على خلاف ما كان عليه الخلفـاء التـاريخيين الثلاثـة الـذين كـان الأمر بأيديهم.

أما الأحاديث الواردة في عددهم، فمن رواياتها:

[الحديث: 57] ما رواه جابر بن سمرة، قال: دخلت مـع أبي على النـبي ﷺ، فسـمعته يقـول: (إنّ هـذا الأمـر لا ينقضـي حتى يمضي فيهم اثنا عشـر خليفـة)، ثمّ تكلم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي: ماذا قال؟ قال: (كلهم من قريش)[2]

[الحديث: 58] مـا ذكـره المفسـرون في قولـه تعـالى (وَلَقَـدْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ بَنِي إِسْـرائيلَ وبَعَثْنَـا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَـرَ نَقِيباً...)(المائدة:12) عن الشعبي عن مسروق قال: كنا جلوسـا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هـذه الأمـة من خليفة؟ فقال عبد الله:ما سألني عنها أحـد منـذ قـدمت العـراق قبلك ثم قال: نعم ولقد سألنا رسول اللـه ﷺفقـال: (إثنـا عشـر كعدة نقباء بني إسرائيل)[3]

ويبدو أن هناك تصرفا في الحديث، باستبدال عترة رسـول الله ﷺ بقـريش، مـع أن كـل أحـاديث الخلافـة والوصـية ترتبـط بأهل بيت النبوة، ولهذا بدل أن تُطبـق تلـك الأحـاديث على هـذا الحـديث، صـار يسـتدل بـه على كـون الخلافـة أو الإمامـة في قريش، كما عنون لذلك مسلم في صحيحه بقوله: (باب النـاس تبع لقريش والخلافة في قريش)، ثم أورد الحديث.

1() رواه أبو داود [رقم:4607]، والترمذي [رقم: 266]
2() رواه البخاري (رقم/7222) ومسلم (رقم/1821)
3() رواه أحمد (1398) وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره، (2/33)

بل الطامة الأعظم من ذلك هو تطبيق الحديث على الواقع السياسي للأمة، مع أن رسول الله ﷺ لم يكن يؤرخ للواقع السياسي، وإنما كان يؤرخ لواقع الهداية في الأمة.

وقد حصلت تناقضات كثيرة نتيجة ذلك التطبيق؛ فبينما ترد الأحاديث الكثيرة المتفق عليها في تخلخل الواقع السياسي، وبعده عن مسار الهداية النبوية، وتحوله إلى الملك العضوض، ومع ذلك نجد أولئك الذين يؤمنون بتلك الأحاديث يستدلون بهذا الحديث على فضل الخلفاء السياسيين الذين انحرفوا بالأمة عن منهاج نبوتها.

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن كثير: (ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا، يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس.. ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره)[1]

وقال القرطبي عند ذكره للأقوال في الحديث: (إن هذا إخبارٌ عن الولايات الواقعة بعده وبعد أصحابه، وكأنه أشار بذلك إلى مدة ولاية بني أمية، ويعني بالدين: الملك والولاية، وهو شرح الحال في استقامة السلطنة لهم، لا على طريق المدح.. ثم عدد هذا القائل ملوكهم فقال: أولهم يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد.. ثم عبد الملك، ثم الوليد، ثم سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد، ثم يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم بن الوليد، ثم مروان بن محمد. فهؤلاء اثنا عشر. ثم خرجت الخلافة منهم إلى بني العباس)[2]

وقال ابن تيمية: (وهكذا كان فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من النقص ما هو باق إلى الآن، فإن بني أمية تولوا على جميع

1() تفسير القرآن العظيم (3/65)
2() المفهم (8/4-9)

أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم عزيزة، والخليفة يـدعى باسمه عبد الملك وسـليمان، لا يعرفـون عضـد الدولـة، ولا عـز الدين، وبهاء الدين، وفلان الدين، وكان أحدهم هـو الـذي يصـلي بالناس الصلوات الخمس، وفي المسجد يعقـد الرايـات، ويـؤمر الأمراء، وإنما يسـكن داره، لا يسـكنون الحصـون، ولا يحتجبـون عن الرعية)[1]

وقال ابن حجر في معـرض الـترجيح بين الأقـوال الكثـيرة: (أرجحهـا الثـالث؛ لتأييـده بقولـه في بعض طـرق الحـديث الصحيحة: (كلهم يجتمع عليه النـاس)، وإيضـاح ذلـك أن المـراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته، والـذي وقـع أن النـاس اجتمعـوا على أبي بكـر، ثم عمـر، ثم عثمـان، ثم علي، إلى أن وقـع أمـر الحكمين في صفين، فسمي معاوية يومئـذ بالخلافـة، ثم اجتمـع الناس على معاوية عنـد صـلح الحسـن، ثم اجتمعـوا على ولـده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر بل قتـل قبـل ذلـك، ثم لمـا مـات يزيد وقع الاختلاف، إلى أن اجتمعوا على عبد الملـك بن مـروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعـوا على أولاده الأربعـة: الوليـد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمـر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثـاني عشـر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمع النـاس عليـه لمـا مـات عمه هشـام، فـولي نحـو أربـع سـنين، ثم قـاموا عليـه فقتلـوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك؛ لأن يزيد بن الوليـد الـذي قـام على ابن عمه الوليد بن يزيـد لم تطـل مدتـه، بـل ثـار عليـه قبـل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان، ولما مـات يزيـد ولي أخـوه إبـراهيم، فغلبـه مـروان، ثم ثـار على مـروان بنـو العباس إلى أن قتل، ثم كان أول خلفاء بني العباس أبو العباس السفاح ولم تطل مدتـه مـع كـثرة من ثـار عليـه، ثم ولي أخـوه المنصـور فطـالت مدتـه، لكن خـرج عنهم المغـرب الأقصـى باسـتيلاء المروانـيين على الأنـدلس، واسـتمرت في أيـديهم متغلبين عليها إلى أن تسموا بالخلافة بعد ذلـك، وانفـرط الأمـر في جميع أقطار الأرض، إلى أن لم يبـق من الخلافـة إلا الاسـم في بعض البلاد، بعد أن كانوا في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفـة في جميـع أقطـار الأرض شـرقا وغربـا وشـمالا

[1]() منهاج السنة (8/170)

ويمينا مما غلب عليه المسلمون، ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة على شيء منها الا بأمر الخليفة، ومن نظر في أخبارهم عرف صحة ذلك، فعلى هذا يكون المراد بقوله: (ثم يكون الهرج) يعني: القتل الناشئ عن الفتن وقوعا فاشيا، يفشو ويستمر ويزداد على مدى الأيام، وكذا كان)[1]

والملاحظة التي ذكرها ابن حجر مهمة جدا، وهي ما ورد في الأحاديث من الإشارة إلى إجماع الأمة عليهم، وهو قوله: (كلهم يجتمع عليه الناس).. ولكن تأويله لذلك بعيد جدا، ذلك أن أولئك الخلفاء الذين ذكرهم لم يجمع عليهم الناس، وإنما فرضت بيعتهم قهرا وتسلطا، بخلاف أئمة الهدى، والذين اجتمعت الأمة جميعا على مكانتهم وفضلهم، وإن اختلفت في التبعية لهم.

ولم يكتف الفارون من الحديث ومقتضياته بهذه التأويلات البعيدة، بل إن بعضهم ذهب إلى أن المراد منه تفاصيل الهيئة الحاكمة: الخليفة، والوزراء، والنواب، والحكام، وغيرها، كما عبر عن ذلك ابن تيمية بقوله: (وقد تأول ابن هبيرة الحديث على أن المراد أن قوانين المملكة باثني عشر، مثل الوزير، والقاضي، ونحو ذلك)[2]

خامسا. اعتبار الإمام علي أول أئمة الهدى:

والكثير منها صحيح بحسب شروط الصحة في المصادر السنية، وعند أكثر المحدثين تشددا، بل إن بعضها بلغ مبلغ التواتر، وفوق ذلك لا تعارض بينها وبين القرآن الكريم، ولا العقل السليم، ولا الفطرة الصافية.

فالقرآن الكريم يشير إلى أن الوظائف الكبرى قد تستدعي تدخلا إلهيا حتى لا يقع البشر في سوء الاختيار، ومن الأمثلة على ذلك ما قصه الله تعالى علينا من قصة بني إسرائيل ولجوئهم إلى نبيهم ليحدد لهم الملك الذي يخرجهم من الذلة والهوان الذي ارتكسوا فيه بسبب سوء اختيارهم، كما نص على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 246]

ومثل ذلك أخبر عن عناية الله تعالى بإخراج المستضعفين

1() فتح الباري: (13/214)
2() منهاج السنة (8/173)

من نير المستكبرين، وذلك بتوفير أئمة الهدى الذين يؤدون ذلك الدور، كما قـال تعـالى: ﴿وَنُرِيـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾ [القصص: 5 ـ 6]

وهكذا أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه سـأل اللـه تعـالى أن يكــون في ذريتــه من الأئمــة مــا يحفظــون بــه الــدين من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْـرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَـاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَـالَ إِنِّي جَاعِلُـكَ لِلنَّاسِ إِمَامًـا قَـالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَـالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]

أما العقل والفطرة السليمة؛ فيدلان على ذلك أيضـا، ذلـك أن من مقتضـيات الحـرص والعنايـة ألا يـترك العاقـل من كُلـف برعايتهم من دون أن يوفر لهم من النصائح ما يسـد عليهم كـل أبواب الفتنة والتنازع والاختلاف.

ولهذا كان رسول الله ﷺ حريصا على تعيين القادة في كل معركة من المعارك، مثلما حصل في غـزوة مؤتـة، والـتي يعلم خطرها؛ فلـذلك لم يكتـف بتعـيين قائـد واحـد، وإنمـا عين ثلاثـة قـادة، بحيث إذا استشـهد أحـدهم لم يختلـف المسـلمون فيمن يولونه عليهم.

ولهذا؛ فإن الأحاديث التي تدل على اعتبار الإمام علي أول أئمــة الهــدى، وســيدهم، أدلــة مقبولــة عقلا ونقلا، وهي وحــدها كافية في تحديد سائر الأئمة بعده، ذلك أن كـل إمـام يمكنـه أن يختار من يخلفه من بعده.. ولو أن الأحـاديث الصـحيحة أشـارت إلى إمامة الحسنين كما سنرى.

بناء على هذا سنذكر في هذا المبحث أمرين:

1. الأحاديث التي تشير إلى اهتمام رسول اللـه ﷺ بالإمـام علي، ودلالة الأمة عليه، إما عـبر الوصـية المباشـرة باسـتخلافه وولايته، أو عبر ذكر مناقبه، والتي تشير إلى كونه الأولى بإمامة الأمة بعده.

2. الأحـاديث الـتي تشـير إلى أهليتـه للإمامـة والقيـادة، بحسب الرؤية القرآنية لذلك.

1 ـ الوصية بالإمامة:

أ ـ ما ورد في التصريح بإمامته:

وهي أحاديث كثـيرة، وواضـحة الدلالـة في كـون المقصـود

منها تنبيه الأمة إلى ضرورة اعتبار الإمام علي هو أول أئمة الأمة الهداة، وأنه خليفة رسول الله ﷺ في ذلك، وأن عليها الرجوع إليه في كل شؤونها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 59]ـ وهو ما يعرف بـ [حديث الغدير]، والذي ورد بطرق كثيرة جدا، ومما اتفقت على روايته المدارس الإسلامية، وخلاصة ما ورد في المصادر السنية أنه بعد أن قضى رسول الله ﷺ مناسكه وقفل راجعا إلى المدينة، فلمّا انتهى إلى غدير خم، في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة نزل عليه قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]

حينها طلب رسول الله ﷺ أن يقام له من حدائج الإبل، فصعد عليه، ثم قال: (إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي مسئول، وأنتم مسئولون، فما ذا أنتم قائلون؟)، فقالوا: نشهد أنّك قد بلّغت، ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا.

ثم قال لهم رسول الله ﷺ: (ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدا عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ ناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور...)، فقالوا: بلى نشهد بذلك، فقال ﷺ: (اللهمّ اشهد)

ثم قال ﷺ: (إنّي فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النّجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلّفوني في الثّقلين؟.. الثّقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عزّ وجلّ، وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا)(1)

ثمّ وضع ﷺ يده في يد الإمام علي، ثم رفعها، حتى بان بياض إبطيهما، ثم قال مخاطبا الجموع الكثيرة قائلا: (أيّها النّاس، من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟)، فأجابوا: الله ورسوله أعلم.

فقال ﷺ: (إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى

(1) صحيح مسلم (2408) والترمذي (3788) واللفظ له. وغيرهما كثير.

بالمؤمنين من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه)

وكرر ذلـك وأكـده، ثم ختمـه بقولـه: (اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخـذل من خذلـه، وأدر الحـقّ معـه حيث دار، ألا فليبلّـغ الشّاهد الغائب)(1)

وهذا الحديث واضح لكل عاقل، ذلك أن رسول اللـه ﷺ لم يوقف تلك الجموع الكثيرة، وفي ذلك الحر الشديد، إلا ليخبرهم خبرا مهما، أو يوصيهم وصية بليغة ترتبط بحياتهم ودينهم، وتلـك الوصية هي ما عبر عنه بولاية الإمام علي، وهي تشـمل كـل مـا تـدل عليـه كلمـة الولايـة من معـان، وأولهـا التبعيـة والطاعـة والنصرة، والمحبة والمودة.

أي أنــه ﷺ دعــاهم إلى التعامــل مــع الإمــام علي، بنفس المنهج الــذي يتعــاملون معــه، أي أنهم يأخــذون الــدين عنــه، ويكتفون بما يذكره لهم، ويستندون إليه في كل شيء.

لكن الحــديث مــع صــحته ووضــوحه تعــرض للكثــير من التـأويلات الـتي تصـرفه عن معنـاه، وتحـول منـه إلى كلام عـام عـاطفي لا جـدوى لـه في الحيـاة، ولا مـبرر لتجميـع كـل تلـك الجموع لأجل دعوتهم للاستماع إليه.

ومن تلك التبريرات ما عبر عنــه ابن تيميــة بقولـه: (وليس في الكلام ما يدل دلالة بينة على أن المـراد بـه الخلافـة، وذلـك أن المولى كالولي، والله تعالى قال: ﴿إِنَّمَـا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55]، فبيَّن أن الرسول ولي المؤمــنين، وأنهم مواليــه أيضًــا، كمــا بيَّن أن اللــه ولي المؤمــنين وأنهم أوليـاؤهم، وأن المؤمـنين بعضـهم أوليـاء بعض.. فـالموالاة ضـد المعـاداة، وهي تثبت من الطـرفين، وإن كـان أحـد المتوالـيين أعظم قدرًا وولايته إحسان وتفضل، وولاية الآخر طاعة وعبـادة، كما أن الله يحب المؤمنين، والمؤمنـون يحبونـه، فـإن المـوالاة ضـد المعـاداة والمحاربـة والمخادعـة، والكفـار لا يحبـون اللـه

1() الشطر الأول من الحديث ـ كما ينص المحدثون ـ: متـواتر، نص على تـواتره عـدد من الحفاظ، وأما الزيادة الواردة في الحديث، وهي قولـه ﷺ: (اللهم وال من والاه،وعـاد من عاداه) فهي صحيحة، وقد وردت عن عـدد من الصـحابة، وصـححها عـدد من الحفـاظ من رواية أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقـاص. وقـد خصص الحافظ ابن عقدة لها مصنفا مستقل، استوعب فيه طرقهـا، ومثلـه السـيد أحمـد بن الصديق الغماري في: (الإعلام بطرق المتواتر من حديثه عليه السلام)، بـل إن الإمـام أحمد نفسه ذكر في (الفضائل)، والنسائي في (الخصائص)، وابن الجزري في (المناقب)، والهيثمي في (المجمع) روايات كثيرة في الدلالة عليه وعلى معناه.

ورسوله، ويحادون الله ورسوله ويعادونـه.. وهـو ولي المؤمـنين وهو مولاهم يخرجهم من الظلمـات إلى النـور، وإذا كـان كـذلك فمعنى كون الله ولي المؤمنين ومولاهم، وكون الرسـول وليهم ومـولاهم، وكـون عليّ مـولاهم، هي المـوالاة الـتي هي ضـد المعاداة)[1]

وهكـذا راح آخـرون يضـعون الـذرائع المختلفـة، ليصـرفوا الكلام النبوي المقدس عن حقيقته، ليقصروه على المحل الـذي ورد فيـه، مـع أنهم يعرفـون أنـه لا يوجـد موقـف في الـدنيا إلا ويرتبط بسبب من الأسباب، ومـع ذلـك تهمـل الأسـباب، ويظـل الموقف؛ فكيف إذا كان الموقف لنبي، وبعـد نـزول آيـات تحثـه على البلاغ.

ومن تلك الأقـوال مـا عـبر عنـه ابن حجـر الهيتمي بقولـه: (وسبب ذلك كما نقله الحافـظ شـمس الـدين الجـزري عن ابن إسحاق أن عليًّا تكلم فيـه بعض من كـان معـه في اليمن، فلمـا قضى ﷺ حجّه خطبها تنبيهًا على قدره، وردًّا على من تكلم فيه: كبريدة؛ لما في البخاري أنه كان يبغضه)[2]

وقال البيهقي: (وأما حـديث المـوالاة فليس فيـه نص على ولاية عليٍّ بعده، فقد ذكرنا من طرقه في كتاب الفضائل ما دل على مقصود النـبي ﷺ من ذلـك، وهـو أنـه لمـا بعثـه إلى اليمن كثُرت الشـكاة عنـه وأظهـروا بغضـه، فـأراد النـبي ﷺ أن يـذكر اختصاصه به ومحبتـه إيـاه، ويحثهم بـذلك على محبتـه وموالاتـه وترك معاداته)[3]

وقال ابن كثير:)فصل في إيراد الحديث الدال على أنـه ﷺ خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الـوداع قـريب من الجحفة، يقال له: غدير خُمّ، فـبيَّن فيهـا فضـل علي بن أبي طالب وبـراءة عِرضـه ممـا كـان تكلم فيـه بعض من كـان معـه بأرض اليمن، بسبب ما كان صـدر منـه إليهم من المعدلـة الـتي ظنها بعضهم جورًا وتضييقًا وبخلًا، والصواب كان معـه في ذلـك، ولهذا لما تفرغ ﷺ من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بيَّن ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ، وكان يـوم الأحـد بغـدير خُمّ تحت شـجرة

1() منهاج السنة 7/229.

2() الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (1/109)

3() الاعتقاد (ص 354)

هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل عليٍّ وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه)[1]

وكان يمكنهم أن يتجاوزوا هذه النظرة القاصرة لحديث رسول الله ﷺ لو أنهم تخلوا عن الطائفية والصراع؛ فلو أن صاحب الفضل كان غير الإمام علي، لفسروه بما يتناسب معه، لكن لكونه خاصا به، راحوا يتلاعبون بتأويله، كما يشتهون، غير ناظرين للأحاديث الكثيرة الأخرى التي تؤيده، وتبين معناه.

[الحديث: 60] ـ ما ورد من الدلالة على اختياره للتبليغ عن رسول الله ﷺ، وهو صريح في كونه أولى الناس بالهداية والبيان بعد رسول الله ﷺ، ونص الحديث هو ما روي عن الإمام علي أنه قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبى ﷺ دعا النبى ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعانى النبى ﷺ فقال: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته، فخذ الكتاب منه، فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة، فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله نزل فى شيء، قال: (لا، ولكن جبريل جاءنى، فقال: لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك)[2]

وقد روي أن الإمام علي قال حينها لرسول الله ﷺ، يعتذر له: (يا نبي الله إني لست باللسن ولا بالخطيب)، فقال: (ما بد أن أذهب بها أنا، أو تذهب بها أنت)، فقال الإمام علي: (فإن كان ولا بد، فسأذهب أنا)، فقال ﷺ: (فانطلق، فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك)، ثم وضع يده على فمه[3].

[الحديث: 61] ـ ما يطلق عليه [حديث المنزلة]، وهو ما ورد في الحديث المتفق عليه بين المدارس الإسلامية من اعتباره بمنزلة هارون من موسى، وأنه لا فارق بينهما إلا في النبوة، لأن النبوة ختمت برسول الله ﷺ، ونص الحديث هو ما روي عن سعيد بن المسيب، قال: قلت لسعد بن مالك: إني أريد أن أسألك عن حديث، وأنا أهابك أن أسألك عنه، فقال: لا تفعل يا ابن أخي، إذا علمت أن عندي علما فسلني عنه، ولا تهبني، قال: فقلت: قول رسول الله ﷺ لعلي حين خلفه

1() البداية والنهاية 5/227.

2() رواه أحمد (1/151، رقم 1296)، وعبد الله فى زوائده على المسند، وأبو الشيخ، وابن مردويه، [كنز العمال 4400]

3() انظر الحديث في: مسند أحمد 1 ص 150.

بالمدينة في غزوة تبوك، فقال سعد: خلف النبي ﷺ عليا بالمدينة في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، أتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأدبر علي مسرعا كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع[1].

ومع وضوح الحديث في الدلالة على المكانة الخاصة للإمام علي، والتي تدل عليها سائر أحاديث المناقب إلا أن النظرة الطائفية القاصرة حالت دون تفعيل الحديث في الواقع، بل توهمته مجرد خطاب عاطفي من رسول الله ﷺ لا علاقة له بالوحي الإلهي، وكأن ذلك التشبيه لا يختلف عن تشابيه الشعراء والأدباء.. لا كلام الأنبياء الذي لا يعتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن تلك الأقوال التي صرف بها الحديث عن مفهومه الذي أراده رسول الله ﷺ، والذي تدل عليه غيره من الأحاديث ما عبر عنه ابن حزم بقوله: (وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده، لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن على نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل فصح أن كونه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضا فإنما قال له رسول الله هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ثم قد استخلف قبل تبوك، وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي، فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين)[2]

أما ابن تيمية، فقد قلبه رأسا على عقب، حيث حوله من المنقبة إلى المذمة، ومن أقواله فيه: (وقول القائل هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب

1() رواه البخاري، فتح الباري 7/71، ح3706، ومسلم، 4/1870، ح2404، وأحمد 6/438، 6/369.

2() الفصل 4/159-160.

ما دل عليه السياق، لا يقتضي المساواة في كل شيء.. وكذلك هنا هو بمنزلة هارون، فيما دل عليه السياق، وهو استخلافه في مغيبه كما استخلف موسى هارون، وهذا الاستخلاف ليس من خصائص علي، بل ولا هو مثل استخلافاته، فضلاً أن يكون أفضل منها، وقد استخلف مَنْ علي أفضل منه في كثير من الغزوات، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المُسْتخلَف على عليّ إذا قعد معه، فكيف يكون موجباً لتفضيله على عليّ.. بل قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف عليّ، بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر، فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعزّ، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو أهل الكتاب بالشام، ولم تكن المدينة تحتاج إلى من يقاتل بها العدو، ولهذا لم يدع النبي عند عليّ أحداً من المقاتلة، كما كان يدع بها في سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة كلهم معه)[1]

وهكذا راح هؤلاء ينظرون إلى ظاهر الفعل، وهو الاستخلاف، لا إلى تلك الكلمات التي قالها رسول الله ﷺ، والتي لها مدلولها العميق، وخاصة عندما تصدر من مشكاة النبوة، فرسول الله ﷺ مع كثرة من استخلفهم لم يقل لأحد منهم ما قاله للإمام علي.

[الحديث: 62] ما يطلق عليه [حديث الطير]، والذي حاول بعضهم إنكاره على الرغم من أسانيده الكثيرة[2].. ولو أن أحدها فقط كان في غيره، لطاروا به فرحا، ولحفظوه كما يحفظون السورة من القرآن، ونص الحديث هو ما حدث به أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي، فقال: (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل

1() منهاج السنة 7/330-332، وانظر: أيضاً 5/34 من الكتاب نفسه، ومجموع الفتاوى 4/416.

2() رواه من الصحابة: أنس بن مالك، وعلي، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبي رافع، ويعلى بن مرة، وسفينة. ولذلك فإنه يكاد يصير من الأحاديث من المتواترة، بل هناك من صرح بتواتره. قد ذكر ابن كثير: أنّ الحافظ الذهبي ألف جزءا في طرق الحديث، فبلغ عدد من رواه عن أنس: بضعة وتسعين نفسا [البداية والنهاية (4/416)]، وقال الذهبي: (له طرق كثيرة جدا قد أفردتُها بمصنَّف، ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل) [تذكرة الحفاظ (3/1043)]

معي من هذا الطير) قال: فقلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار فجـاء علي، فقلت: إن رسـول اللـه ﷺ على حاجـة، ثم جـاء، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء، فقال رسـول اللـه ﷺ: (افتح) فـدخل، فقـال رسـول اللـه ﷺ: (مـا حبسـك علي) فقال: (إن هـذه آخـر ثلاث كـرات يـردني أنس يـزعم إنـك على حاجة)، فقال: (مـا حملـك على مـا صـنعت؟) فقلت: يـا رسـول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكـون رجلا من قـومي، فقـال رسول الله: (إن الرجل قد يحب قومه)[1]

وفي هـذا الحـديث إشـارة واضـحة إلى الإمامـة، ذلـك أن المحبة الإلهية لا تكون إلا للأصلح والأعلم والأتقى، والذي تتـوفر فيه كل كمالات الهداية، وبذلك يكون أهلا للإمامة فيها.

[الحديث: 63] ما يطلق عليه حديث الدار، ونصه أنه بعد أن نزل قوله تعالى:﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشـعراء: ٢١٤) دعا رسول الله ﷺ بني عبـد المطلب، وبعـد أن أطعمهم، قـال: (يا بني عبد المطلب، والله ما اعلم شاباً في العرب جـاء قومـه بأفضل ممّا قد جئتكم به، انّي جئتكم بخير الـدنيا والآخـرة، وقـد أمرني اللـه تعـالى أن أدعـوكم إليـه، فـأيّكم يـؤازرني على هـذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيي وخليفتي فيكم)، قـال الإمـام علي: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت ـ وإنّي لأحدثهم سناً ـ أنـا يا نبي الله أكون وزيرك عليـه؛ فاخـذ برقبـتي ثمّ قـال: (إنّ هـذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوا) فقام القـوم يضـحكون ويقولـون لأبي طـالب: (قـد أمـرك أن تسـمع لابنـك وتطيع)[2]

ونحن لم نـورد هـذا الحـديث لصـحته المطلقـة، وإنمـا لموافقتـه لغيره من النصـوص، وتوافقـه مـع القـرآن الكـريم، وكونه يدل على السبب الـذي شُـرف بـه الإمـام علي في ذلـك الاختيار، وكونه صغيرا في ذلك الوقت لا يتنافى مع المهمة التي أخبر رسول الله ﷺ عنها، ذلك أن الله تعالى قال عن يحي عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مـريم: 12]

1() المسـتدرك على الصـحيحين للحـاكم (3/ـ 141)،وقـال: هـذا حـديث صـحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

2() تـاريخ الطـبري ٢/ ٢١٧، الكامـل في التـاريخ ٢/ ٦٢ ـ ٦٤، السـيرة الحلبيـة ١: ٤٦١ وغيرها.

بالإضافة إلى أن ذلك من مقتضيات الاختبار الإلهي، ذلك أنه ينصرف إلى من يحتقرهم الناس، ويتعجبون من كونهم أهلا لتلك المناصب، وهو ما حصل للإمام علي عند استبعاده بسبب صغر سنه.

[الحديث: 64] ما روي عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: (إن عليا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن)[1]

[الحديث: 65] ما روي عن أبي سعيد وسليمان أن رسول الله ﷺ قال: (إن وصيي، وموضع سري، وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي ديني علي بن أبي طالب)[2]

[الحديث: 66] ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (يا أم سلمة إن عليا لحمه من لحمي، ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي)[3]

[الحديث: 67] ما روي أن عمر قال: كفوا عن علي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (في علي ثلاث خصال لا يكون لي واحدة منهن: أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة نفد والنبي ﷺ متكئ على علي حتى ضرب بيده على منكبه، ثم قال: يا علي، أنت أول المؤمنين إيمانا، وأولهم إسلاما، ثم قال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[4]

[الحديث: 68] ما روي عن زيد بن أرقم، والبراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: (ألا إن الله وليي وأنا ولي كل مؤمن، من كنت مولاه فعلي مولاه)[5]

[الحديث: 69] ما روي عن الإمام علي أن رسول الله ﷺ قال لبريدة (يا بريدة، إن عليا وليكم بعدي، فأحب عليا، فإنه يفعل ما يؤمر)[6]

[الحديث: 70] ما روي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لعلي: أنت تبين للناس ما اختلفوا فيه من بعدي)[7]

1() رواه أبو داود الطيالسي والحسن بن سفيان وأبو نعيم في فضائل الصحابة، سبل الهدى والرشاد، (11/291)

2() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/291)

3() رواه العقيلي، سبل الهدى والرشاد، (11/291)

4() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/291)

5() رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة، سبل الهدى والرشاد، (11/292)

6() رواه الديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/295)

7() رواه الديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/295)

[الحديث: 71] ما روي عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال: (أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش أنت أول المؤمنين إيمانا بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم وأعدلهم بالرعية، وأقسمهم بالسوية، وأبصرهم وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزية يوم القيامة)، وفي رواية (سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد..)[1]

[الحديث: 72] ـ ما روي عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: (يا علي إن الله قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها، هي زينة الأبرار عند الله عز وجل. الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئا ولا ترزأ الدنيا منك شيئا، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما)[2]

[الحديث: 73] ـ ما روي عن الإمام علي أن رسول الله ﷺ قال له: (سألت الله فيك خمسا فأعطاني أربعا ومنعني واحدة سألته فأعطاني فيك أنك أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة وأنت معي معك لواء الحمد وأنت تحمله وأعطاني أنك ولي المؤمنين من بعدي)[3]

[الحديث: 74] ـ ما روي عن زيد بن الأرقم والبراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: (ألا إن الله وليي وأنا ولي كل مؤمن، ومن كنت مولاه فعلي مولاه)[4]

[الحديث: 75] ـ ما روي عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (علي مني وأنا منه، وعلي ولي كل مؤمن من بعدي)[5]

[الحديث: 76] ـ ما روي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم من بعدي)[6]

ب ـ ما ورد في الإشارة إلى إمامته:

وهي الأحاديث الكثيرة التي تشير إلى مزاياه وخصوصياته، وتدعو إلى رعايتها، واعتبارها، وذلك ما يشير إلى إمامته، وقد

1() رواه أبو نعيم في الحلية، سبل الهدى والرشاد، (11/296)
2() رواه أبو نعيم في الحلية،، سبل الهدى والرشاد، (11/296)
3() رواه الخطيب والرافعي، سبل الهدى والرشاد، (11/296)
4() رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة، سبل الهدى والرشاد، (11/296)
5() رواه إبن أبي شيبة، سبل الهدى والرشاد، (11/296)
6() رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

اتفق كل المحدثين على أنه لا يوجد أحد من الصحابة نال من المزايا والمناقب والخصائص ما ناله الإمام علي، كما عبر عن ذلك أحمد بن حنبل بقوله: (ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺمن الفضائل ما جاء لعلي)[1]

وحدث محمد بن منصور الطوسي قال: كنّا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أنّ علياً قال: (أنا قسيم النار)؟ فقال: وما تنكرون من ذا؟ أليس روينا أنّ النبي ﷺ قال لعلي: (لايحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق)؟ قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنة. قال: وأين المنافق؟ قلنا: في النار، قال: فعليٌّ قسيم النار)[2]

ومن الإشارات الواردة في هذا المجال:

ما ورد في بيان دوره في محاربة المحرفين للدين:

وهي من أكبر الأدلة على إمامة الإمام علي، ذلك أن أول وظائف الإمام حفظ رسالة الرسول من التغيير والتبديل، وقد خص الإمام علي من بين سائر الأئمة بقيامه بحرب المؤولة والمحرفة الذين لم يكتفوا بتحريف عقائد الدين وقيمه، وإنما راحوا يحرفون نظامه السياسي ليحولوه إلى كسروية وقيصرية، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 77] ـ ما روي عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: (لا، ولكنه خاصف النعل، وكان قد أعطى عليا نعله يخصفها)[3]

[الحديث: 78] ـ ما روي عن علي بن ربيعة قال: سمعت عليا يقول على منبركم هذا: (عهد إلي رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)[4]

ما ورد في علاقته الشديدة برسول الله ﷺ:

وهي أحاديث كثيرة، تدل على الإمامة، ذلك أن أولى

1() البزار (كشف الأستار 3/ 169)، وعبد الله في زيادات الفضائل (1086)
2() طبقات الحنابلة:1/ 320.
3() رواه أبو يعلى برجال الصحيح،، سبل الهدى والرشاد، (11/290)
4() رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد، (11/290)

الناس برسول الله ﷺ أقربهم منه، لأن علاقته به دائمة، وصحبته له متواصلة، وهي تتيح له بذلك من معرفة الدين ما لا يتوفر لغيره، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 79] ما روي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (يا علي، الناس من شجر شتى، وأنا وأنت من شجرة واحدة)[1]

[الحديث: 80] ما روي عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: (ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن عليا مني وأنا من علي، وعلي ولي كل مؤمن)[2]

[الحديث: 81] ما روي عن حبشي بن جنادة السلولي أن رسول الله ﷺ قال: (أنا من علي، وعلي مني، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي)[3]

[الحديث: 82] ما روي عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: (علي بن أبي طالب ينجز بوعدي ويقضي ديني)[4]

[الحديث: 83] ما روي أن رسول الله ﷺ قال: (علي أصلي وجعفر فرعي)[5]

[الحديث: 84] ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (علي مني بمنزلة رأسي من بدني)[6]

[الحديث: 85] ما روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (علي أخي في الدنيا والآخرة)[7]

[الحديث: 86] ما روي عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: (علي مع القرآن، والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[8]

1() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/296)

2() رواه الترمذي وقال: حسن غريب والطبراني في الكبير والحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

3() رواه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب والنسائي وابن ماجة وابن أبي عامر في السنة والبغوي والباوردي وابن قانع والطبراني في الكبير والضياء، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

4() رواه ابن مردويه والديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

5() رواه الطبراني في الكبير وابن عساكر والضياء، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

6() رواه الخطيب وابن مردويه والديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

7() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

8() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

[الحديث: 87]ـ ما روي عن الإمام علي أن رسـول اللـه ﷺ قال له: (قم يـا علي، فقـد بـرئت ومـا سـألت اللـه شـيئا إلا سألت لك مثله)[1]

[الحديث: 88]ـ ما روي عن أم سلمة قالت: قال رسـول الله ﷺ: (لا ينبغي لأحد أن يبات في المسجد إلا أنا وعلي)[2]

[الحديث: 89]ـ مـا روي عن عمـار بن ياسـر أن رسـول الله ﷺ قال: (يا علي ستقاتلك الفئة الباغيـة، وأنت على الحـق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني)[3]

[الحـديث: 90]ـ مـا روي عن زيـد بن أرقم، وغـيره من الصحابة قال: (كانت لنفـر من أصـحاب رسـول اللـه ﷺ أبـواب شارعة في المسجد، فقال ﷺ يوماً: سدّوا هذه الأبـواب الاّ بـاب عليّ قال: فتكلّم في ذلك ناس، فقام رسول الله ﷺ فحمد اللـه وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، فـاني أمـرت بسـدّ هـذه الأبـواب غير بـاب علي، فقـال فيـه قـائلكم، واللـه مـا سـددت شـيئاً ولا فتحته، ولكن أمرت بشيء فاتبعته)[4]

[الحديث: 91] وروى الحرث بن مالك، قال: (أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص، فقلت له: هل سمعت لعلّي منقبة؟ قال: كنـا مـع رسـول اللـه ﷺ في المسـجد فنـودي فينـا لسـدّه ليخرج من في المسـجد الا آل رسـول اللـه ﷺ، قـال: فخرجنـا، فلما أصبح أتاه عمّه، فقال: يـا رسـول اللـه، أخـرجت أصـحابك وأعمامك وأسـكنت هـذا الغلام؟ فقـال رسـول اللـه ﷺ: مـا أنـا أمرت بإخراجكم ولا بإسكان هذا الغلام، ان الله هو أمر به)[5]

ما ورد في اعتباره موضع اختبار للأمة:

وهـو يتناسـب مـع الآيـات الـتي تـدل على أن اللـه تعـالى سيختبر هذه الأمة مثلما اختبر غيرها من الأمم، والاختبـار عـادة

1() رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة، سبل الهدى والرشاد، (11/298)

2() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/298)

3() رواه ابن عساكر، سبل الهدى والرشاد، (11/296)

4() رواه الترمذي، وقال عقبه: هذا حديث حسن غـريب لا نعرفـه إلا من هـذا الوجـه، وقد سمع مني محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ هذا الحديث، سـنن الترمـذي ج5 ص 305، ورواه ابن المغازلي في المنـاقب ص260 الحـديث 308 وابن عسـاكر في ترجمـة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق ج1 ص258.

ومثلهم رواه أحمـد في المسـند (2/26)، وفي الفضـائل (955)، وقـال الحافـظ ابن حجر: (هو حديث مشهور له طرق متعددة كل طريق منها على انفراده لا تقصر عن رتبـة الحسن، ومجموعه مما يقطع بصحته على طريق كثير من أهل الحديث) [القول المسـدد (20)]

5() خصائص أميرالمؤمنين للنسائي، ص13.

لا يكون بالتكاليف، لأن الدين اكتمل، والنعمة به تمت.

لكن الاختبار يكون عبر أشخاص يمنع الحسد من اتباعهم، وأولى الناس بذلك هو الإمام علي، لكونه من بني هاشم، وقريش لا ترضى أن تكون النبوة والإمامة في بني هاشم دون غيرها من القبائل، ومن الأحاديث الواردة في هذا ما ورد من الأحاديث حول اعتبار محبته من الإيمان وبغضه من النفاق، ومنها:

[الحديث: 92] ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (علي بن أبي طالب باب حطة من دخل منه كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا)[1]

[الحديث: 93] ما روي عن الإمام علي أن رسول الله ﷺ قال له: (يا علي، إن فيك من عيسى مثلا أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها)[2]

[الحديث: 94] ما روي أن رجلا قال لسلمان: ما أشد حبك لعلي؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحب عليا ً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل، ومن أبغض عليا ً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل)[3]

[الحديث: 95] ما روي عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: (يا علي محبك محبي، ومبغضك مبغضي)[4]

[الحديث: 96] ما روي عن عمرو بن شاش أن رسول الله ﷺ قال: (من آذى عليا فقد آذاني)[5]

[الحديث: 97] ما روي عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب عليا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله)[6]

[الحديث: 98] عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: (من

1() رواه الدارقطني في الإفراد رواه ابن عدي، سبل الهدى والرشاد، (11/297)

2() رواه عبد الله بن أحمد وأبو نعيم في فضائل الصحابة والحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/298)

3() المستدرك (3/ 130) الطبراني في المعجم الكبير (23/ 380/901) عن أم سلمة، وقال الهيثمي في المجمع (9/ 132): (وإسناده حسن)، وقد علق عليه الشيخ ممدوح بقوله: (فهذا طريقان للحديث كلاهما حسن لذاته، فالحديث: صحيح بهما)

4() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/293)

5() رواه الصدفي وأبو يعلى والضياء وأحمد والبخاري في تاريخه وابن سعد والطبراني والحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/293)

6() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/293)

أحب عليا فقد أحبني) وفي لفظ (ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليا فقد أبغضني) وفي لفظ (ومن أبغضني فقد أبغض الله)[1]

[الحديث: 99] ما روي أن رسول الله ﷺ قال: (يا علي، من أحبك فبحبي أحبك، فإن العبد لا ينال ولايتي إلا بحبك)[2]

[الحديث: 100] ما روي عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال لعلي: (محبك محبي، ومبغضك مبغضي)[3]

[الحديث: 101] ما روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (من فارق عليا فارقني، ومن فارقني فارق الله)[4]

[الحديث: 102] ما روي عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: (يا علي، من فارقك فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقني)[5]

[الحديث: 103] ما روي عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: (من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله)[6]

[الحديث: 104] ما روي عن عمرو بن شراحيل قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم، انصر من نصر عليا، اللهم أكرم من أكرم عليا، اللهم، اخذل من خذل عليا) وفي لفظ (اللهم، أعنه، وأعن به، وارحمه وارحم به، وانصره وانصر به)[7]

[الحديث: 105] ما روي عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا عليا فإنه كان ممسوسا في ذات الله[8])

[الحديث: 106] ما روي عن الإمام علي أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)[9]

[الحديث: 107] ما روي أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحب عليا منافق، ولا يبغضه مؤمن)[10]

1() رواه الطبراني في الكبير والحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/293)
2() رواه الديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/293)
3() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/293)
4() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/293)
5() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/294)
6() رواه أحمد والطيالسي وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد، (11/294)
7() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/295)
8() رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية، سبل الهدى والرشاد، (11/295)
9() رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد، (11/295)
10() رواه الترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/295).

[الحديث: 108]ـ ما روي عن أم سلمة قالت: (لا يحب عليا إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق)[1]

[الحديث: 109] ما روي عن الحسن بن علي أن رسول الله ﷺ قال: (أن الله تعالى يحب من أصحابك ثلاثة فأحبهم: علي بن أبي طالب، وأبو ذر، والمقداد بن الأسود)[2]

[الحديث: 110] ما روي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يحب من أصحابي أربعة: وأخبرني أنه يحبهم علي منهم، وأبو ذر منهم، ومقداد وسلمان)[3]

[الحديث: 111]ـ ما روي عن الإمام علي أنه قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إِليَّ، أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق)[4]

[الحديث: 112]ـ ما روي عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: 30]، قال: (ببغضهم علي بن أبي طالب)[5]

[الحديث: 113]ـ ما روي عن ابن مسعود قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ (إلا ببغضهم علي بن أبي طالب)[6]

[الحديث: 114] ما روي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ بعث عليا مبعثا، فلما قدم، قال: (الله ورسوله وجبريل عنك راضون)[7]

ما ورد من فضائله في الآخرة:

وهي تدل على أن إمامته في الآخرة، تعني كونه إماما في الدنيا، ذلك أن مناصب الآخرة ومكارمها مرتبطة بمناصب الدنيا ومكارمها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 115]ـ ما روي عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى عليا فقال: (أنا وهذا حجة على أمتي يوم القيامة)[8]

1() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/295)

2() رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد، (11/290)

3() رواه ابن ماجه والحاكم وأبو نعيم في الحلية، والترمذي، وقال: حسن غريب والروياني والحاكم في المستدرك والضياء، سبل الهدى والرشاد، (11/291).

4() رواه مسلم 1/86.

5() رواه ابن مردويه وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد، (11/290)

6() رواه ابن مردويه، سبل الهدى والرشاد، (11/290)

7() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/292)

8() رواه الخطيب، سبل الهدى والرشاد، (11/292)

[الحديث: 116] ما روي أن رسول الله ﷺ (علي بن أبي طالب صاحب حوضي يوم القيامة)[1]

[الحديث: 117]ـ عن أنس عن رسول الله ﷺ قال: (الجنة تشتاق إلى ثلاثة، علي وعمار وأبو ذر)[2]

ما ورد في الدعوة إلى ذكره والاهتمام به:

وهو من دلائل الإمامة، لأن الإمام مبلغ عن الله بكلامه وسلوكه، ولذلك كان ذكره والتعرف عليه والدعوة إليه مرتبطة بالدين، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 118]ـ ما روي عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: (النظر إلى وجه علي عبادة)[3]

[الحديث: 119]ـ ما روي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (ذكر علي عبادة)[4]

2 ـ أهلية الإمامة:

ونقصد بالأهلية ما نص عليه قوله تعالى في حق الرسالة: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: 124]، والتي تدل على أن المناصب الإلهية الرفيعة التي ترتبط بها هداية الأمم مبنية على العدالة والرحمة الإلهية التي تراعي المؤهلات، لا الأمزجة.

ولذلك فإن اختيار الإمام علي لذلك المنصب الرفيع، ليس بسبب قرابته من رسول الله ﷺ، وإنما لأهليته لذلك، والتي مكنته منها تربيته منذ صغره الباكر في بيت رسول الله ﷺ، كما عبر عن ذلك بقوله: (وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه. وكان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. وكنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به)[5]

وهو ما يشير إليه قوله تعالى في تهيئة أصحاب المناصب

1() رواه الطبراني في الأوسط،، سبل الهدى والرشاد، (11/290)

2() رواه البزار بسند حسن والترمذي وقال حسن غريب، وأبو يعلى والحاكم والطبراني، سبل الهدى والرشاد، (11/290)

3() رواه ابن عساكر، سبل الهدى والرشاد، (11/292)

4() رواه الخطيب والديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/293)

5() نهج البلاغة، الخطبة 192.

الإلهية الرفيعة: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: 37]

ولذلك؛ فإن الإمام علي كان في علاقته مع رسول الله ﷺ لا يختلف عن علاقة البنوة والأخوة، وهو ما يتيح له فرصا كبيرة من التربية والتعليم والتهذيب لا تتاح لغيره.

ولهذا ورد في الأحاديث الكثيرة الإشارة إلى تلك المؤهلات التي تجعله أهلا للإمامة، والتي أشار إلى مجامعها قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: 55]، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]، فالله تعالى أخبر أن أهلية طالوت ويوسف لتلك المناصب لم تكن إلا بسبب العلم الذي كان لهما، ولم يكن لغيرهما.

بل إن الله تعالى عندما أراد أن ينصب آدم عليه السلام للخلافة ذكر علمه، واختبر به الملائكة، فقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 31 - 33]

وبعدها أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، كعلامة على خضوعهم لذلك المنصب الذي أتيح له، مما يدل على أن فضله في العلم هو الذي جعل له أهلية الخلافة.

وهذه المعايير القرآنية مما تتوافق عليه العقول، ذلك أن الأمة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ وهي في مهدها والذي على أساسه تكون انطلاقتها في الريادة والشهادة على الأمم، تحتاج إلى من تتوفر فيه الأهلية العلمية الكافية لأداء ذلك الدور الخطير الذي تتوقف عليه مسيرة الأمة جميعا.

وقبل أن نذكر الأحاديث الواردة في هذا الجانب، نذكر أن كل الصحابة والتابعين متفقون على كون الإمام علي هو أعلم الأمة بعد نبيها ﷺ، فقد قال سعيد بن المسيب: (ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب)[1]

وعن عبدالملك بن سليمان قال: (قلت لعطاء: أكان في

---

(1) رواه أحمد في فضائل الصحابة، 2 / 646، والحاكم في المستدرك 2 / 352.

أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا والله ! لا أعلمه)[1]

وقال مسروق: (شاممت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: إلى عمر وعلي وعبد الله ومعاذ وأبي الدرداء وزيد بن ثابت، فشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبدالله)[2]

وهكذا شهد له بذلك كل من درس حياته، مثل العقاد الذي ذكر ريادته لكل المجالات العلمية من التوحيد والقضاء والفقه وعلم النحو وفن الكتابة وغيرها، ثم قال عنه: (مما يجوز لنا أن نسميه أساساً صالحاً لموسوعة المعارف الإسلامية في جميع العصور، أو يجوز لنا أن نسميه موسوعة المعارف الإسلامية كلها في الصدر الأول من الإسلام)[3]

وقال عنه: (وليس الإمام علي أول من كتب الرسائل، وألقى العظات، وأطال الخطب على المنابر، في الأمة الإسلامية.. ولكنه ولا ريب أول من عالج هذه الفنون معالجة أديب، وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب)[4]

ومن الأحاديث التي تدل على هذا الجانب وغيره من جوانب أهليته:

[الحديث: 120]ـ ما روي عن الإمام علي في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 12] قال رسول الله ﷺ: (يا علي، أن الله تعالى أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعي وحق لك أن تعي، سألت ربي أن يجعلها أذنك)، قال مكحول: وكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا فنسيته، زاد بريدة فنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 12] [5]

[الحديث: 121]ـ ما روي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (أعلم الناس بعدي علي بن أبي طالب)[6]

[الحديث: 122]ـ ما روي عن معقل بن يسار أن رسول

1() ابن الأثير، أسد الغابة 4 / 22.
2() رواه ابن سعد، الطبقات الكبرى 2/351.
3() عبقرية الإمام علي، ص141.
4() عبقرية الإمام علي، ص144.
5() رواه سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، سبل الهدى والرشاد، (11/289)
6() رواه الديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/291)

الله ﷺ قال لفاطمة: (أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتي إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما)[1]

[الحديث: 123] ما روي عن فاطمة أن رسول الله ﷺ قال لها: (أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاما، وأعلمهم علما، فإنك سيدة نساء أمتي، كما أن مريم سيدة نساء قومها)[2]

[الحديث: 124] ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (أنا دار الحكمة) وفي لفظ (مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب) وفي لفظ (فليأته من بابه)[3]

[الحديث: 125] ما روي عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة ومودته عبادة)[4]

[الحديث: 126] ما روي عن الإمام علي قال: قال رسول الله ﷺ: (علي أعلم الناس بالله وأكثر الناس حبا وتعظيما لأهل لا إله إلا الله)[5]

[الحديث: 127] ما روي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (أيها الناس لا تشكوا عليا، فوالله، إنه لأخشن في ذات الله عز وجل وفي سبيل الله)[6]

[الحديث: 128] عن عامر بن واثلة، قال: سمعت علياً قام، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فقال: من الذين بدلوانعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار؟، قال: منافقو قريش، قال: فمن الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟، قال: منهم أهل حروراء)[7]

[الحديث: 129] ما روي من الأحاديث الدالة على ارتباط النصر به، وذلك لإخلاصه وقوته وشجاعته، ومنها ما روي عن جمع من الصحابة أنهم قالوا: كان رسول الله ﷺ تأخذه

1() رواه أحمد والطبراني، سبل الهدى والرشاد، (11/291)
2() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد، (11/291)
3() رواه الترمذي، وأبو نعيم في الحلية، وفي المعرفة والحاكم والخطيب والطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد، (11/292)
4() رواه الديلمي، سبل الهدى والرشاد، (11/293)
5() رواه أبو نعيم، سبل الهدى والرشاد، (11/298)
6() رواه أحمد وأبو داود الطيالسي والضياء والحاكم، سبل الهدى والرشاد، (11/292)
7() رواه الحاكم: (3394)، وقال: هذا حديث صحيح عال.

الشّقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذتـه الشّـقيقة فلم يخـرج إلى النـاس، فأرسـل أبـا بكـر فأخـذ رايـة رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتـالاً شـديداً، ثم رجـع، ولم يكن فتح، وقد جهد، ثم أرسل عمر فأخذ راية رسول اللـه ﷺ فقاتـل قتالا شديدا هـو أشـد من القتـال الأول، ثم رجـع، ولم يكن فتح؛ فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله عليه، ليس بفرار، يحب الله ورسـوله، يأخـذها عنـوة) وفي لفظ (يفتح الله علي يديه)

قال بريدة: فبتّنا طيّبة أنفسـنا أن يفتح غـدا، وبـات النّـاس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، قال أبـو هريـرة قـال عمـر: فمـا أحببت الإمارة قطّ حتى كان يومئذ.

قال بريدة: فما منّا رجل لـه من رسـول اللـه ﷺ منزلـة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرّجـل، حـتى تطـاولت أنالهـا، ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، وليس منّة.

وكان عليّ تخلف عن رسول الله ﷺ لرمد شديد كان بـه لا يبصر، فلما سار رسول الله ﷺ قال: لا، أنـا أتخلـف عن رسـول الله ﷺ فخرج، فلحق برسول الله ﷺ.. فما أصبح رسول الله ﷺ صلّى الغداة، ثمّ دعا باللّواء، وقام قائما، فوعظ الناس، ثم قال: (أين على)؟ قـالوا: يشـتكي عينيـه، قـال: (فأرسـلوا إليـه) قـال سلمة: فجئت به أقوده، فأتى به رسول الله ﷺ فقال له رسـول الله ﷺ: (مالك؟) قال: رمـدت حـتى لا أبصـر مـا قـدّامي. قـال: (ادن مني)، فوضع رأسه عند حجره، ثم بزق في ألية يده فدلك بها عينيـه، فـبرأ كـأن لم يكن بـه وجـع قـط، ودعـا لـه وأعطـاه الراية[1].

سادسـا ــ اعتبـار الحسـن والحسـين من أئمـة الهدى:

وهي أحـاديث كثـيرة يوصـي فيهـا رسـول اللـه ﷺ باتبـاع سبطيه الحسن والحسين، باعتبارهما إمـامين من أئمـة الهـدى، تتعلق بهما نجاة الأمة من الفتن التي تنتظرها.

وقد حصل ذلك بالفعل، فقد كانـا أول من قـاوم الاسـتبداد والتحريف الذي سنه بنـو أميـة، وحولـوه دينـا، ولكن للأسـف لم يجدا من الأنصار والأعـوان من يسـاندهما في أداء مـا كلفـا بـه،

1() البخاري 7/ 544 (4209، (4210) والبيهقي في الدلائل 4/ 205.

لأن الجماهير كانت تتصور أن تلك الأحـاديث مرتبطـة بالعاطفـة المجردة، لا بالوظـائف الدينيـة والحياتيـة المرتبطـة بهمـا، ومن تلك الأحاديث:

1 ـ ما ورد من الأحاديث الدالة على كونهمـا منـه، أو كونه منهما:

وهي تشير إلى العلاقـة الـتي تجمـع رسـول اللـه ﷺ بهمـا، وهي أنهما يمثلان رسول الله ﷺ أصدق تمثيل لأنهما منه، وبكـل أجزائه وجوانبه، وبلاغة رسول الله ﷺ أعظم من أن تريـد بـذلك النسبة الطينية، فهي نسبة معروفة، لا يحتاج رسول اللـه ﷺ أن يذكرها أو يؤكدها.

وبما أن رسول اللـه ﷺ هـو الممثـل الحقيقي للـدين، وهـو القرآن النـاطق، وهـو الـذي لا ينطـق عن الهـوى، وهـو الـذي لا يتحـرك حركـة إلا وفـق مرضـاة اللـه؛ فـإن من ضـرورات تلـك النسبة أن يكون لهما كل تلك الأوصاف، لأنه يسـتحيل أن يكونـا منـه، ثم يكونـان بعـد ذلـك مخـالفين لـه، وإلا لم يصـدق ذلـك الوصف عليهما.

وبـذلك فـإن رسـول اللـه ﷺ في هـذه الأحـاديث لم يكن يخاطبهمـا، وإنمـا كـان يخـاطب الأمـة جميعـا، ويخبرهـا أنهمـا يحملان نسخة أصلية من الدين الأقوم، وأنه في حـال غيابـه، أو في حـال الحاجـة، أو في حـال اختلاط الملـل والنحـل، يمكن العودة إليهما لتجنب الدين المزيف الأعوج الذي يريد الشـيطان أن يجر إليه هذه الأمة، مثلما فعل مع سائر الأمم.

وأما الجزء الثاني من هـذه الأحـاديث، وهـو اعتبـار رسـول الله ﷺ نفسه منهما؛ فيحمل دلالات كثيرة وعميقـة، منهـا أنهمـا امتـداد لرسـول اللـه ﷺ، فالإمامـة امتـداد للنبـوة، وللقيم الـتي تحملها، وهذا يعـني أن مـا أصـابهما من كـل أنـواع البلاء أصـاب رسول اللـه ﷺ نفسـه، بـل إن القتـل الـذي حصـل في كـربلاء، والذبح الذي حصل بعده، لم يكن للإمـام الحسـين فقـط، وإنمـا كان لرسول الله ﷺ أيضـا.. ولـذلك عظمت المصـيبة، واشـتدت الرزيـة، وكـان المصـاب أعظم من أن يُعـبر عنـه، ومن تلـك الأحاديث:

[الحديث: 130] عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله ﷺقال: (الحسن مني، والحسين مني)[1]

[1]() رواه أحمد والطبراني في (الكبير) وابن عساكر، سبل الهدي والرشاد (11/57)

[الحديث: 131]ـ عن يعلي بن مرة العـامري قـال: قـال رسول الله ﷺ: (حسـين مـني، وأنـا من حسـين، أحب اللـه من أحب حسينا، وحسين سبط من الأسباط)[1]

2 ــ مـا ورد من الأحـاديث الداعيـة إلى حبهمـا والتحذير من بغضهما وإذيتهما:

وهي لا تشير إلى تلك المشاعر العاطفية المجردة فقـط، وإنما تدعو إلى الانسياق التام وراء المحبوب، وتبعية مطلقة له، كما وضح ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللـه فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله﴾ [آل عمران: 31]، وبذلك فإنها تـدعو إلى ضـرورة التبعية المطلقة لهمـا، لأنـه لا يصـح في عـالم الحب أن يجـادل المحب محبوبه.

ولذلك فإن الذين يتحدثون عنهما بتلـك النـبرة الاسـتعلائية، والتي تجعلهم يناقشـون حركاتهمـا، ويزنونهـا بمـا يتوهمونـه من أوهـــام، ومـــا يضـــعونه من مـــوازين، لم تغب عنهم الحقـــائق الشرعية فقط، إنما غاب عنهم قبل ذلك وبعـده تلـك المشـاعر العاطفية الجياشـة الـتي دعـا رسـول اللـه ﷺ أن يُعـاملا بهـا، لا لكونهما حفيدين لرسول الله ﷺ، وإنما لكونهمـا يمثلان الحقيقـة والقيم التي أرادها الله، ولا يصح أن نناقش الله فيما أراد.

ذلـك أن الحب في حقيقتـه ــ كمـا ينص على ذلـك علمـاء النفس المسلمون وغيرهم ـ هو اعتقاد كمال المحبوب من كـل النواحي، ولـذلك يسـتحيل على من يحب شخصـا أن يـرى عيبـا من عيوبـه، بـل إنـه يـرى العيـوب نفسـها كمـالا، هـذا بالنسـبة للأشخاص العاديين؛ فكيـف بمن حظي بتلـك النسـبة الشـريفة، فكان من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ منه.

وبذلك فإن هذا الجانب العملي من هذه الأحـاديث لا يـدعو فقط إلى البحث عن القيم التي ارتبطت بهما لالتزامها والعمـل بهـا، وإنمـا يـدعو قبـل ذلـك إلى التعامـل معهمـا بالعاطفـة المشحونة بمشاعر الحب، ذلـك أن تلـك المشـاعر هي الكفيلـة بغرس كل القيم الرفيعة؛ فالحب أعظم مدرسة تربوية، ذلك أن صفات المحبـوب تنتقـل بسلاسـة وسـهولة إلى المحب، وبقـدر المحبة التي امتلأ بها قلبه، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 132]ـ عن أبي هريرة قال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضـهما فقـد

1() رواه سعيد بن منصور والترمذي وحسنه، سبل الهدي والرشاد (11/73)

أبغضني)[1]
[الحديث: 133]ـ عن زيد بن ثابت قال: قال رسول اللـه ﷺ: (من أحب هؤلاء فقـد أحبـني ومن أبغضـهم فقـد أبغضـني)، يعني الحسن والحسين وفاطمة وعليا[2].
[الحديث: 134]ـ عن سـلمان أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (الحسن والحسـين من أحبهمـا أحببتـه، ومن أحببتـه أحبـه اللـه ومن أحب الله تعالى أدخله الله جنات النعيم، ومن أبغضــهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه اللـه، ومن أبغضـه اللـه أدخله نار جهنم، وله عذاب مقيم)[3]
[الحديث: 135]ـ عن الإمام علي قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (من أحب هذين، يعـني الحسـن والحسـين وأباهمـا وأمهمـا كان معي في درجتي يوم القيامة)[4]
[الحديث: 136]ـ عن سلمان قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (من أحب الحسن والحسين أحببته ومن أحببتـه أحبـه اللـه ومن أحبـه اللـه أدخلـه جنـات النعيم، ومن أبغضـهما أو بغى عليهمـا أبغضته، ومن أبغضته أبغضه اللـه، ومن أبغضـه اللـه أدخلـه نـار جهنم وله عذاب مقيم)[5]
[الحديث: 137]ـ عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (من أحبني فليحب هذين)، يعني الحسن والحسين[6].
[الحديث: 138]ـ عن الإمام علي قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (من أحبـني وأحب هــذين وأباهمـا وأمهمـا كــان معي في درجتي يوم القيامة)[7]
[الحــديث: 139]ـ عن أسـامة بن زيـد وأبي هريـرة أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (اللهم، إني أحبهمـا فأحبهمـا، وأبغض من أبغضهما) يعني الحسن والحسين[8].
[الحديث: 140]ـ عن الحسين بن علي قـال: (من أحبنـا للدنيا، فإن صاحب الدنيا يحبه البر والفاجر، ومن أحبنا للـه، كنـا

1() رواه احمـد وابن ماجـة وابن سـعد وأبـو يعلى والطـبراني في الكبـير والحـاكم والبيهقي، سبل الهدي والرشاد (11/57)
2() رواه ابن عساكر، سبل الهدي والرشاد (11/57)
3() رواه ابن عساكر وأبو نعيم، سبل الهدي والرشاد (11/57)
4() رواه الطبراني، سبل الهدي والرشاد (11/57)
5() رواه الطبراني في (الكبير)، سبل الهدي والرشاد (11/57)
6() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدي والرشاد (11/57)
7() رواه أحمد والترمذي، سبل الهدي والرشاد (11/57)
8() رواه الترمذي وقال حسن صحيح، سبل الهدي والرشاد (11/58)

نحن وهو يوم القيامة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى)[1]

[الحديث: 141] عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: (الحسن والحسين) وكان رسول الله ﷺيقول لفاطمة: (ادعي لي ابني)، فيشمهما ويضمهما إليه[2].

[الحديث: 142] عن الإمام علي أن رسول الله ﷺأخذ بيد حسن وحسين، وقال (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة، وكان معي في الجنة)[3]

[الحديث: 143] عن الإمام علي قال: (أنا وفاطمة والحسن والحسين مجتمعون، ومن أحبنا يوم القيامة نأكل ونشرب حتى يفرق الله بين العباد)، فبلغ ذلك رجلا من الناس فسألت عنه فأخبر به فقال: كيف بالعرض والحساب؟ فقلت له: كيف لصاحب ياسين بذلك حين أدخله الجنة من ساعته؟[4].

[الحديث: 144] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم، إني أحبهما فأحبهما، وأبغض من أبغضهما)، يعني: الحسن والحسين[5].

[الحديث: 145] عن أسامة بن زيد قال: إن رسول الله ﷺ كان يأخذني والحسن، ويقول: (اللهم، إني أحبهما فأحبهما)[6]

[الحديث: 146] عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ حامل الحسين بن علي على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال رسول الله ﷺ: (نعم الراكب هو)[7]

[الحديث: 147] عن زهير بن الأقمر رجل من الأزد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي: (من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب، ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدثتكم)[8]

1() رواه الطبراني، سبل الهدي والرشاد (11/58)
2() رواه العقيلي والترمذي وقال حسن غريب، سبل الهدي والرشاد (11/58)
3() رواه أحمد في (المناقب)، سبل الهدي والرشاد (11/58)
4() رواه الطبراني وابن عساكر، سبل الهدي والرشاد (11/58)
5() رواه ابن أبي شيبة والطبراني، سبل الهدي والرشاد (11/56)
6() رواه البخاري، سبل الهدي والرشاد (11/65)
7() رواه الترمذي، سبل الهدي والرشاد (11/65)
8() رواه أحمد في (المناقب)، سبل الهدي والرشاد (11/65)

[الحديث: 148]ـ عن أنس أن رسول اللـه ﷺ قـال: (أن الحسن والحسين هما ريحنتاي من الدنيا)[1]

[الحديث: 149]ـ عن أبي أيوب قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه أو في حجره فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: (وكيف لا أحبهمـا وهمـا ريحانتـاي من الدنيا أشمهما)، يعني الحسن والحسين[2].

3 ـ ما ورد من الأحـاديث الدالـة على كونهمـا من الأسباط:

وهي تشير إلى أن الأمة ستنقسم إلى أسباط وفرق ونحل كثيرة، كما أشار إلى ذلك قوله ﷺ: (تفرقت اليهـود على إحـدى وسـبعين فرقـة، أو اثنـتين وسـبعين، والنصـارى مثـل ذلـك، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقـة)[3]، ويشـير في نفس الـوقت إلى أنهمـا سـيكونان سـبطا من الأسـباط، وفرقـة من الفرق، ولـذلك من أراد الـدين الأصـيل، وقيمـه الرفيعـة؛ فعليـه باتباعهما، وسلوك سبيلهما.

وهي في ذلـك تشـبه قولـه تعـالى في حـق إبـراهيم: ﴿إِنَّ إِبْـرَاهِيمَ كَـانَ أُمَّةً قَانِتًـا للـه حَنِيفًـا وَلَمْ يَـكُ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ﴾ [النحـل: 120]؛ فلم يكن رسـول اللـه ﷺ يقصـد تلـك النظـرة السطحية التي فسر بهـا الحـديث، والـتي تقصـره على كونهمـا سبطا نسبيا، ذلك أن هذا النوع من السبطية لا يحوي أي ثناء أو مدح، لأنـه متحقـق لكـل النـاس، فـالكثير منهم يمكن أن يصـير سبطا، وليس عليه لأجل تحقيق ذلك سوى الإكثار من الذرية.

وربما يكون رسول الله ﷺ ذكر السبطية بدل الأمة، لأنهمـا تابعان لرسول اللـه ﷺ، ومتمثلان بالهـدي الـذي جـاء بـه، وهمـا بـذلك يكونـان كـالمرآة الصـافية الـتي تعكس هديـه ﷺ، أو كالصراط المستقيم الـذي يوضـح منهجـه النظـري، ليحولـه إلى واقع عملي، ومن تلك الأحاديث:

[الحـديث: 150]ـ عن يعلى بن مـرة أن رسـول اللـه ﷺقال: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط)[4]

1() رواه الترمذي والنسائي، سبل الهدي والرشاد (11/58)

2() رواه الطبراني في (الكبير) والضياء، سبل الهدي والرشاد (11/59)

3() رواه أحمـد (2/332)، وأبـو داود، (4596)، وابن ماجـه، (3991)، والترمـذي (2640)

4() رواه الطـبراني في (الكبـير) وأبـو نعيم وابن عسـاكر، سـبل الهـدي والرشـاد (11/57)

[الحديث: 151]ـ عن يعلى العامري أنه خرج مع رسـول الله ﷺ إلى طعام دعي إليه، فـإذا حسـين مـع غلمـان يلعب في طريـق فاستهوى رسـول اللـه ﷺ أمـام القـوم، ثم بسـط يـده، وانطلق الصبي بعدها هنا مرة، وها هنا مرة، وجعل رسـول اللـه ﷺ يضاحكه، حتى أخذه رسول اللـه ﷺفجعـل إحـدى يديـه تحت ذقنه، والأخرى تحت قفاه، ثم أقام رأسه فقبله فقـال: (حسـين مني وأنا من حسين، رحم الله من أحب حسـينا، حسـين سـبط من الأسباط)[1]

4 ــ مـا ورد من الأحـاديث الدالـة على كونهما سيدي شباب أهل الجنة:

وهي تتجاوز البشارة الغيبية المرتبطة بـالآخرة، لتـدل على بشـارة أخـرى ترتبـط بالـدنيا، وهي مضـمنة في كلمـة [السـيد] والتي تعني في اللغـة العربيـة الاتبـاع [2]، أي أنهمـا سـيدان أي مُتبعان، يتبعهما شباب أهل الجنة.. وهو بشارة من رسـول اللـه ﷺ لمن يتخذ هذين الإمـامين الجليلين سـيدين لـه بالجنـة، وهـو يدل على صوابية ذلك الاتباع، وكونه أشرف وأرقى أنواع الاتباع، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 152]ـ عن ابن عباس أن رسول اللـه ﷺقـال: (الحسـن والحسـين سـيدا شـباب أهـل الجنـة من أحبهمـا فقـد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني)[3]

[الحـديث: 153]ـ عن أسـامة بن زيـد أن رسـول اللـه ﷺقال: (الحسن والحسين سيدا شـباب أهـل الجنـة، اللهم، إني أحبهما فأحبهما)[4]

[الحـديث: 154]ـ عن حذيفـة أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (أتاني جبريل، فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شـباب أهـل الجنة)[5]

[الحـديث: 155]ـ عن حذيفـة أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (أتاني ملك فسـلم علي نـزل من السـماء نزلـة لم يـنزل قبلهـا فبشـرني أن الحسـن والحسـين سـيدا شـباب أهـل الجنـة، وأن

1() رواه أبو بكر بن أبي شيبة، سبل الهدي والرشاد (11/71)
2() انظر في معنى كلمة السيد: لسان العرب، (3/ 228)
3() رواه ابن عساكر، سبل الهدي والرشاد (11/57)
4() رواه الطبراني في (الكبير)، سبل الهدي والرشاد (11/57)
5() رواه ابن سعد والحاكم، سبل الهدي والرشاد (11/60)

فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)[1]

[الحديث: 156]ـ عن حذيفة قال: رأينا في وجه رسول الله ﷺالسرور يوما من الأيام فقلنا: يا رسول الله، لقد رأينا في وجهك تباشير السرور، فقال رسول الله ﷺ: (وكيف لا أسر وقد أتاني جبريل فبشرني أن حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة، وأبو هما أفضل منهما)[2]

[الحديث: 157]ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[3]

[الحديث: 158]ـ عن حذيفة أن أمه بعثته يستغفر لها رسول الله ﷺ فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل ﷺ فتبعته فسمع صوتي فقال: (من هذا، حذيفة؟) قلت نعم، قال: (ما حاجتك، غفر الله لك ولأمك؟ إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه ـ عز وجل ـ أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة. وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[4]

5 ـ ما ورد من الأحاديث الدالة على وظائف كل منهما:

وهي تشير إلى أن الإمام يتصرف بما تقتضيه الحكمة؛ وأن لكل ظرف أحكامه الخاصة به، ولذلك، فإن من يرجح ما فعله الإمام الحسن من الهدنة التي اضطر إليها على ما فعله الإمام الحسين من الخروج لا يعرف الإمامة، وحاله في ذلك حال من يرجع ما فعله رسول الله ﷺ في صلح الحديبية على ما فعله في غزوة بدر، مع أن لكل وقت أحكامه الخاصة به، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 159]ـ قوله ﷺ في حق الإمام الحسن: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[5]

[الحديث: 160]ـ عن عائشة أن رسول الله ﷺقال: (أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بأرض الطف، وجاءني

[1] رواه ابن عساكر، سبل الهدي والرشاد (11/60)
[2] رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدي والرشاد (11/61)
[3] رواه الترمذي وقال حسن صحيح، سبل الهدي والرشاد (11/61)
[4] رواه الترمذي وحسنه والنسائي، سبل الهدي والرشاد (11/61)
[5] البخاري، 2704.

بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه)[1]

[الحديث: 161]ـ عن ثابت عن أنس قال: استأذن ملك المطر أن يأتي النبي ﷺ فأذن له، فقال لأم سلمة: (احفظي علينا الباب لا يدخل أحد) فجاء حسين فوثب حتى دخل فجعل يصعد على منكب رسول الله ﷺ فقال الملك: أتحبه، فقال النبي ﷺ:(نعم) قال: إن أمتك تقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه قال: فضرب بيده، فأراه ترابا أحمر، فأخذت أم سلمه ذلك التراب فصرته في طرف ثوبها قال: فكنا نسمع بقتله بكربلاء[2].

[الحديث: 162]ـ عن وهب بن ربيعة قال: أخبرتني أم سلمة أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خاثر ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو خاثر، دون ما رأيت منه في المرة الأولى، ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء وهو يقبلها فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: (أخبرني جبريل أن ابني هذا يقتل بأرض العراق)، قال: قلت له: يا جبريل، أرني تربة الأرض، فقال: هذه تربتها[3].

[الحديث: 163]ـ عن ابن عباس قال: كان الحسين جالسا في حجر النبي ﷺفقال له جبريل: أتحبه؟ فقال: (وكيف لا أحبه، وهو ثمرة فؤادي؟)، فقال: أما إن أمتك ستقتله، ألا أريك من موضع قبره، فقبض قبضة، فإذا تربة حمراء[4].

[الحديث: 164]ـ عن عبد الله بن يحيى عن أبيه أنه سار مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلما حاذى شط الفرات قال: خيرا يا عبد الله، قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: دخلت على النبي ﷺ وعيناه تفيضان، فقلت: مم ذاك يا رسول الله؟ قال: (قام من عندي جبريل وأخبرني أن الحسين يقتل بشط الفرات)، وقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ فقلت: نعم، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا[5].

[الحديث: 165]ـ عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تبكوا هذا الصبي) يعني حسينا فكان يوم أم سلمة

1() رواه الطبراني في (الكبير) وابن سعد، سبل الهدي والرشاد (11/73)
2() رواه أحمد، سبل الهدي والرشاد (11/74)
3() رواه البيهقي، سبل الهدي والرشاد (11/74)
4() رواه البزار، سبل الهدي والرشاد (11/74)
5() رواه أحمد، سبل الهدي والرشاد (11/74)

فنزل جبريل فقال رسول الله ﷺ لأم سلمة: (لا تدعي أحدا يدخل)، فجاء الحسين فأخذته واحتضنته، فبكى فخلته يدخل حتى قعد في حجر النبي ﷺ فقال جبريل: إن أمتك ستقتله، قال (يقتلونه وهم مؤمنون؟) قال: نعم، وأراه من تربته[1].

[الحديث: 166] عن عائشة أو أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: (لقد دخل على البيت ملك لم يدخل علي قبلها)، فقال: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء[2].

[الحديث: 167] عن أنس بن الحارث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن ابني هذا يعني الحسين، يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك فلينصره) قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء، فقاتل مع الحسين فقتل[3].

[الحديث: 168] عن الإمام علي أنه مر بكربلاء، وهو ذاهب إلى صفين، فسأل عن اسمها، فقيل: كربلاء، فنزل فصلى عند شجرة هنالك، فقال: يقتل ها هنا شهداء وهم خير الشهداء، يدخلون الجنة بغير حساب، وأشار إلى مكان فعلموه بشيء، فقتل فيه الحسين[4].

[الحديث: 169] عن الإمام علي بن زيد بن جدعان، قال: استيقظ ابن عباس من نومه، فاسترجع، فقال: قتل الحسين، والله، فقال له أصحابه: كلا يا ابن عباس، قال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم، فقال: ألا ترى ما صنعت أمتي من بعدي قتلوا ابني الحسين، وهذا دمه ودم أصحابه، أرفعه إلى الله ـ عز وجل ـ فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه، وتلك الساعة، فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة[5].

[الحديث: 170] عن سلمى، قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺفي المنام، وعلى رأسه ولحيته التراب، قلت: ما لك يا رسول الله عليك؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفا[6].

1() رواه أحمد، سبل الهدي والرشاد (11/74)
2() رواه أحمد، سبل الهدي والرشاد (11/74)
3() رواه البغوي، سبل الهدي والرشاد (11/75)
4() رواه ابن سعد وغيره، سبل الهدي والرشاد (11/75)
5() رواه ابن أبي الدنيا، سبل الهدي والرشاد (11/75)
6() رواه الترمذي، سبل الهدي والرشاد (11/75)

[الحديث: 171] ـ عن شهر بن حوشب قال: إنا لعند أم سلمة فسمعتها صارخة فأقبلت حتى انتهيت إلى أم سلمة، فقالت: قتل الحسين، فقالت: قد فعلوها، ملأ الله قبورهم أو بيوتهم نارا، ووقعت مغشيا عليها وقمنا[7].

سابعا ـ أحاديث البشارة بالإمام المهدي:

وهي أحاديث لا يمكن رفضها، كما فعل بعض المتجرئين على السنة المطهرة، لسببين:

أولهما ـ دلالة القرآن الكريم عليها، وتبشيره بها، ذلك أن كل النصوص التي تدل على انتصار المشروع الإلهي على المشروع الشيطاني، وأن دولة الحق ستقوم، وأن نور الله لن ينطفئ كلها تدل عليها.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 105، 106]، وهو صريح ينطبق تماما على الإمام المهدي ومن بعده من الصالحين الذين يرثون الأرض بعد أن ينهار مشروع الشيطان، ويقوم مشروع الرحمن.

وفي إخباره تعالى عن كون هذه القضية مذكورة في الزبور إشارة صريحة إلى أن البشارة بالإمام المهدي ليست خاصة بهذه الأمة فقط، بل هو مبشر به في سائر الديانات.. فكلها يذكر وجود مخلص في آخر الزمان، وإن كانوا يختلفون في اسمه.

وثانيهما ـ اتفاق الأحاديث في المصادر الحديثية للأمة جميعا عليها، بل إنها وردت بطرق كثيرة متواترة، وألفت فيها الكتب والرسائل التي تدل على أن الأحاديث المرتبطة بها بلغت مبلغا لا يمكن للعاقل أن يرفضه، خاصة مع عدم ما يدعو إلى ذلك من العقل والنقل.

فمن المؤلفات التي ألفت في ذلك قديما وحديثا من علماء المدرسة السنية:

1. كتاب (ذكر المهدي ونعوته وحقيقة مخرجه وثبوته)، للحافظ أبى نعيم الأصبهاني المتوفى سنة 430هـ.
2. كتاب (الأربعون حديثا في المهدي) للحافظ أبي نعيم الاصبهاني، وهو الذي لخصه الحافظ السيوطي في كتابه (العرف

---

[7] رواه ابن سعد، سبل الهدي والرشاد (11/75)

الوردي في أخبار المهدي)
3. كتـاب: (جـزء في المهـدي) للحافـظ أبى الحسـين ابن المنـادى الحنبلي المتوفى سنة 336 هـ.
4. كتاب (البيان في أخبـار صـاحب الزمـان) للشـيخ أبى عبـد اللـه محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى سنة 658هـ.
5. كتاب (عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر) لبدر الدين يوسف بن يحيى الشافعي المشهور بالزكي أو ابن الـزكي المتـوفى سنة685 هـ.
6. كتاب (في أخبار المهدي) للشيخ بـدر الـدين الحسـن بن محمـد القرشي المطلبي النابلسي الحنبلي المتوفى سنة 772هـ.
7. كتاب (جـزء في ذكـر المهـدي) للحافـظ عمـاد الـدين ابن كثـير الدمشقي المتوفى سنة 774هـ، أشار إليه في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم)
8. كتاب (العرف الوردي في أخبـار المهـدي) للحافـظ جلال الـدين السيوطي، وقد طبع ضمن (الحاوي للفتاوي)
9. كتاب (تلخيص البيان في علامـات مهـدي آخـر الزمـان) للشـيخ أحمد بن سليمان الرومي الحنفي المشهور بابن كمال باشـا المتوفى سنة 940 هـ.
10. كتاب (القول المختصـر في علامـات المهـدي المنتظـر) للفقيـه ابن حجـر الهيثمي الشـافعي المكي المتـوفى سـنة 973 هـ واختصـره حفيـده رضـي الـدين بن عبـدالرحمن بن أحمـد الهيثمي المتوفى سنة1014 هـ.
11. كتاب (تلخيص البيان في أخبار مهـدي الزمـان) للشـيخ علي بن حسام المتقي الهندي صاحب كتاب (كـنز العمـال) المتـوفى سنة 975 هـ، وله أيضا كتـاب (البرهـان في علامـات مهـدي آخر الزمان)
12. كتاب (الـرد على من حكم وقضـى بـأن المهـدي الموعـود جـاء ومضـى) للشـيخ علي بن سـلطان القـاري الحنفي المتـوفى 1014 هـ، وله كتاب (المشرب الوردي في مذهب المهدي)، وقـد ألفهـا ردا على بعض الحنفيـة الـذين زعمـوا أن (المهدي)سيقلد مذهب أبي حنيفة.
13. كتاب (مرآة الفكـر في المهـدي المنتظـر)، و(فرائـد الفكـر في المهدي المنتظر) كلاهما للشيخ مـرعي بن يوسـف الكـرمي الحنبلي المتوفى سنة 1033 هـ.

14. كتـاب (تنبيـه الوسـنان إلى أخبـار مهـدي أخـر الزمـان) لأحمـد النوبي المتوفى سنة 1037هـ.
15. كتـاب (جـواب عن سـؤال في المهـدي) لمحمـد بن إسـماعيل الأمير الصنعاني اليماني المتوفى سنة1182 هـ.
16. كتاب (العرف الوردي في دلائـل المهـدي) للشـيخ وجيـه الـدين أبى الفضل عبدالرحمن بن مصطفى العيـدروس الحضـرمي اليمني نزيل مصر 1192هـ.
17. كتــاب (التوضــيح في تــواتر مــا جــاء في المنتظــر والــدجال والمسيح) لمحمد بن علي الشوكاني اليماني المتـوفى سـنة 1250 هـ.
18. كتاب (الدر المنضود في ذكر المهدي الموعود) للعلامـة صـديق حسن خان القنوجي الهندي المتوفى سنة 1307هـ.
19. كتاب (القطر الشهدي في أوصاف المهدي) لشهاب الدين احمد بن احمـد الحلـواني المصـري المتـوفى سـنة1308 هــ وهي (منظومة)، شرحت في كتاب (العطر الوردي)
20. كتاب (الهداية الندية للامة المحمدية في فضل الـذات المهديـة) للشيخ مصطفى البكري.
21. كتاب (إبراز الوهم المكنـون من كلام ابن خلـدون) أو (المرشـد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي) للشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المغربي المتوفى سـنة 1380هــ، وقـد تعقب فيـه كلام المـؤرخ ابن خلـدون الـذي ضعف فيه أحاديث (المهدي)
22. كتاب (الجواب المقنع المحـرر في الـرد على متن طغى وتجـبر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر) للشـيخ محمـد حـبيب الله الشنقيطي المتوفى سنة1363 هـ.
23. كتـاب (تنـوير الرجـال في ظهـور المهـدي والـدجال) لرشـيد الرشيد.
24. كتاب (المهدي المنتظر) للشيخ أبى الفضل عبد اللـه بن محمـد بن الصديق الغماري المغربي.
25. كتـاب (تحـديق النظـر في أخبـار المهـدي المنتظـر) لمحمـد بن عبدالعزيز بن مانع النجدي.
26. كتـاب (الـرد على من كـذب بالأحـاديث الصـحيحة الـواردة في المهدي)، و(عقيدة أهل السنة والأثـر في المهـدي المنتظـر) كلاهما للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد.

27. كتاب (الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر)، و(إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح آخر الزمان) وهو رد على مقال لعبد الكريم الخطيب، وكلاهما للشيخ حمود بن عبدالله التويجري المتوفى سنة 1413هـ.
28. كتاب (مختصر الأخبار المشاعة في أشراط الساعة وأخبار المهدي) للشيخ عبدالله بن سليمان المشعل.

وغيرها كثير، وقد ذكرناها ردا على أولئك الذين ينشرون بين الناس، ومن خلال ما أتيح لهم من وسائل إعلام أن التبشير بالإمام المهدي خاص بالشيعة، مع أن كل المصادر الحديثية لكبار علماء المدرسة السنية يذكرونه، بل يؤلفون فيه الكتب والرسائل.

بناء على هذا سنحاول في هذا المبحث ذكر ما ورد من أحاديث مقبولة في المصادر الحديثية، والتي نجدها بألفاظها تقريبا في المصادر الشيعية، وبذلك تكون هذه المسألة من المسائل المتفق عليها بين الأمة جميعا، وإن اختلفوا في بعض مصاديقها.

وقد رأينا أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

1. أحاديث تبشر بالإمام المهدي، وتشير إلى كونه من آل بيت النبوة، وفي ذلك تأكيد لما سبق ذكره من الأدلة على اعتبار العترة الطاهرة هي محل الإمامة والهداية.

2. أحاديث تنبئ بتلك التمهيدات والتمحيصات التي تحصل للأمة حتى تصبح أهلا لظهوره وخروجه لأداء دوره الإصلاحي الكبير.

وننبه إلى أن الغرض من ذكر الروايات الكثيرة هنا ليس تصديق كل ما فيها من أوصاف أو أخبار، وإنما بيان تواتر ما ورد في ذلك من الروايات، واستخلاص الكثير من الأوصاف والأحداث المشتركة، والتي نرى مثلها في المصادر الشيعية.

1 ـ الأحاديث الواردة في التبشير به وذكر صفاته:

وقد تعمدنا ذكر ما ورد في تخريجها بتفصيل من خلال المصادر السابقة، خاصة ما ورد في كتاب (العرف الوردي في أخبار المهدي) للحافظ جلال الدين السيوطي، مع تحقيقه، باعتباره من أكثر الكتب التي جمعت هذه الأحاديث.

[الحديث: 172]ـ عن الإمام علي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة)[1]

[الحديث: 173]ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، يملك سبع سنين)[2]

[الحديث: 174]ـ عن أبى سعيد عن النبي ﷺ قال: (المهدي منا أهل البيت، رجل من أمتي أشم الأنف، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)[3]

[الحديث: 175]ـ عن أم سلمة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (المهدي من عترتي، من ولد فاطمة)[4]

[الحديث: 176]ـ عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا، وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي)[5]

[الحديث: 177]ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (أبشركم بالمهدي، رجل من قريش من عترتي، يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحا)، فقال له رجل: ما صحاحا؟، قال: بالسوية بين الناس، قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى، ويسعهم عدله، حتى يأمر مناديا فينادي فيقول:من له حاجة إلي؟ فما يأتيه أحد، إلا رجل واحد، فيقول: ائت السادن حتى يعطيك، فيأتيه فيقول:أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالا، فيقول:أحث فيحثى ولا يستطيع أن يحمله، فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله، فيخرج به فيندم فيقول: أنا كنت أجشع أمة محمد نفسا، كلهم دعي على هذا المال

1() رواه أحمد (1/84/645)، وابن أبى شيبة (37644)، وابن ماجة (4085)، ونعيم بن حماد في (الفتن)(1053)

2() رواه أبو داود (4285)، ونعيم بن حماد (1065)، والحاكم (4/558/8714)

3() رواه أبو نعيم (11)

4() رواه أبو داود (4284)، وابن ماجة (4086)، والحاكم (4/600/8714 و8715)، وقال الألباني:صحيح، (صحيح أبى داود)(3603)، وقال في (الضعيفة)(1/108/80): هذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وله شواهد كثيرة،و قال في (المشكاة، (5453): إسناده جيد، وقال الشيخ أحمد الغماري في (إبراز الوهم المكنون)(ص70): هو حديث صحيح أو حسن كما حكم به الحفاظ، رجاله كلهم عدول أثبات.

5() رواه ابن ماجة (4087)، وأبو نعيم (30)، وأبو نعيم في (تاريخ أصفهان)(2/130)، والخطيب في (تاريخ بغداد)(9/434)

فتركه غيري فيرده عليه، فيقول: إنا لا نقبل شيئا أعطيناه، فيلبث في ذلك ستا، أو سبعا، أو ثمانيا، أو تسع سنين، ولا خير في العيش بعده)[1]

[الحديث: 178]ـ عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي[2].. فيملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا)[3]

[الحديث: 179] عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، اسمه يواطي اسمي)[4]

[الحديث: 180]ـ عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي.. فيملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت ظلما وجورا)[5]

[الحديث: 181]ـ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي)[6]

[الحديث: 182]ـ عن الإمام علي عن النبي ﷺ قال: (لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلا من أهل بيتي، يملاها عدلا كما ملئت جورا)[7]

[الحديث: 183]ـ عن أبى سعيد الخدري قال: (خشينا أن

1() رواه أحمد (3/37و52/11346/11504/11505)، والباوردي في (المعرفة)، وأبو نعيم (18)، قال الهيثمي في (المجمع)(7/314/12393): رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات.

2() حذفنا ما ورد من كون اسم أبيه مشابها لاسم أبي رسول الله ﷺ لعدم وروده في أكثر الأحاديث الصحيحة.

3() رواه أبو داود (4282)، قال الألباني: حسن صحيح، (صحيح أبى داود)(3601، (صحيح الجامع)(5304)

4() رواه أحمد (1/376/3572)، وأبو داود (4282)، والترمذي (3230)، وقال: حسن صحيح.

5() رواه ابن أبى شيبة (37648)، والدراقطني في (الأفراد)(3643 ترتيب ابن طاهر)، وأبو نعيم (19)، والحاكم (4/442/8413)

6() رواه الطبراني [في الكبير] (10/133/10216)

7() رواه أحمد (1/99/773)، وابن أبى شيبة(37648)، وأبو داود(4283)، قال الألباني:صحيح،(صحيح ابي داود)(3603) وقال الشيخ أحمد الغماري في (إبراز الوهم المكنون)(ص60): صحيح على شرط البخاري ومسلم ولا علة له ولا مطعن في رجاله وقال أيضا (ص65): الحديث ليس فيه ما ينزل رتبته إلى درجة الحسن فضلا عن أن يحط قدره إلى مرتبة الضعيف بل هو صحيح بلا شك ولا شبهة وقال أخوه عبد الله في كتابه (29): إسناده صحيح.

يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله ﷺ فقال: (إن في أمتي المهدي، يخرج، يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا ــ الشك من الراوي ـ)، قلنا: وما ذاك، قال: سنين قال: فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني، أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله)(1)

[الحديث: 184]ـ عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فتسع، فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتى أكلها ولا تدخر منهم شيئا، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ)(2)

[الحديث: 185]ـ عن جابر قال: قال رسول الله: (سيكون في أمتي خليفة يحثو المال في الناس حثيا، لا يعده عدا)، ثم قال: (والذي نفسي بيده لتعدون)(3)

[الحديث: 186]ـ عن ابن عمرو قال رسول الله ﷺ: (يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة، فيأتي مناد ينادي:هذا المهدي خليفة الله، فاتبعوه)(4)

[الحديث: 187] عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: إن هذا المهدي فاتبعوه)(5)

[الحديث: 188]ـ عن عاصم بن عمرو البجلي أن أبا أمامة قال: (لينادين باسم رجل من السماء، لا ينكره الذليل، ولا يمتنع منها العزيز)(6)

[الحديث: 189]ـ عن علي: أنه قال للنبي ﷺ: أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: بل منا، بنا يختم الله كما بنا فتح، وبنا يستنقذون من الشرك، وبنا يؤلف الله بين

1() رواه الترمذي (2239)

2() رواه نعيم بن حماد (1127)، وابن ماجة (4083)، قال الألباني: حسن،(صحيح ابن ماجة)(3299)

3() رواه البزار (3327)، قال في (المجمع، (7/316/12407): رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ في (مختصر زوائد البزار)(1652): صحيح.

4() رواه أبو نعيم (16) والطبراني في (مسند الشاميين، (937) وابن عدي في (الكامل)(5/295/1933) والكنجي في (البيان)(ص92 رقم 37)، قال الشيخ عبدالله الغماري في كتابه (60): إسناده حسن.

5() رواه أبو نعيم (17)، والخطيب في (تلخيص المتشابه)(1/417)، والكنجي في (البيان، (ص93 رقم 38)

6() رواه ابن أبى شيبة (37755)

قلوبهم بعد عـداوة بينـة، كمـا بنـا ألـف بين قلـوبهم بعـد عـداوة الشرك، قال علي: أمؤمنون أم كافرون؟، قال: (مفتون وكافر) [1]

[الحـديث: 190]ـ عن الإمـام علي بن أبي طـالب قـال: قلت: يا رسول الله أمنا آل محمد المهـدي،أم من غيرنـا؟ قـال: (لا بل منا، يختم اللـه بـه الـدين كمـا فتح بنـا، وبنـا ينقـذون من الفتنة، كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف اللـه بين قلـوبهم بعـد عداوة الفتنة، كمـا ألـف بين قلـوبهم بعـد عـداوة الشـرك، وبنـا يصـبحون بعـد عـداوة الفتنـة إخوانـا، كمـا أصـبحوا بعـد عـداوة الشرك إخوانا في دينهم)[2]

[الحديث: 191]ـ عن أبي سـعيد الخـدري قـال سـمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي، يـنزل اللـه عـز وجـل لـه القطـر من السـماء، وتخـرج لـه الأرض من بركتها تملأ الأرض منه قسطا وعـدلا، كما ملئت جـورا وظلمـا، يعمل على هذه الأمة سبع سنين، وينزل بيت المقـدس)[3]

[الحـديث: 192]ـ عن أبي هريـرة عن النـبي ﷺ قـال: (يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسـع، تنعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها، يرسل الله عليهم السـماء مـدرارا، ولا تـدخر الأرض بشـيء من النبـات، والمـال كـدوس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول:خذ)[4]

[الحديث: 193]ـ عن أبى سعيد قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (يكون في آخر الزمان عند تظاهــر من الفتن وانقطـاع من الزمن أمير أول ما يكون عطاؤه للناس أن يأتيه الرجـل فيحـثي له في حجره،يهمه من يقبل منه صدقة ذلك المال، لمـا يصـيب الناس من الفرج)[5]

[الحديث: 194]ـ عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال: (يكون في آخر أمتي خليفة، يحثي المال حثيا ولا يعده عدا)[6]

[الحديث: 195] عن أبي سعيد وجابر عن رسول الله ﷺ

1() رواه الطبراني [في الأوسط] (157)

2() رواه نعيم بن حماد (1089)، وأبو نعيم (34)، وأخرجـه الكنجي في (البيـان، (ص 86 رقم 32)

3() رواه الطبراني في (الأوسط)(1079)، وأبو نعيم (25)

4() رواه الدراقطني في (الأفراد، (5312) والطبراني في (الأوسط)(5406)

5() رواه أبو يعلى (1100)، وابن عساكر(64/267)

6() رواه أحمد (3/317/14459)، ومسلم (2913/67)

قال: (يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال ولا يعده)[1]

[الحديث: 196]ـ عن أبى سعيد عن النبي ﷺ قال: (يكون في أمتي المهدي، إن قصر عمره فسبع سنين، وإلا فثمان، وإلا فتسع سنين، تنعم أمتي في زمانه نعيما لم يتنعموا مثله قط، البر والفاجر، يرسل الله السماء عليهم مدرارا، ولا تدخر الأرض شيئا من نباتها)[2]

[الحديث: 197]ـ عن أبى سعيد عن النبي ﷺ: (تملأ الأرض ظلما وجورا، فيقوم رجل من عترتي، فيملؤها قسطا وعدلا، يملك سبعا، أو تسعا)[3]

[الحديث: 198]ـ عن أبى سعيد قال: قال النبي ﷺ: (لا تنقضي الدنيا حتى يملك الأرض رجل من أهل بيتي، يملا الأرض عدلا، كما ملئت قبله جورا، يملك سبع سنين)[4]

[الحديث: 199]ـ عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج المهدي في أمتي، يبعثه الله غياثا للناس، تنعم الأمة، وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحا)[5]

[الحديث: 222]ـ عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: (ليبعثن الله من عترتي رجلا أفرق الثنايا، أعلى الجبهة، يملأ الأرض عدلا، يفيض المال فيضا)[6]

[الحديث: 201]ـ عن حذيفة قال:قال رسول الله ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لبعث الله رجلا اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يكنى أبا عبدالله، يبايع له الناس بين الركن والمقام، يرد الله به الدين، ويفتح له فتوحا، فلا يبقى على ظهر الأرض إلا من يقول لا اله إلا الله)، فقام سلمان فقال: يا رسول الله من أي ولدك هو؟ قال: (من ولد ابني هذا)، وضرب بيده على الحسين[7].

[الحديث: 202]ـ عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول

1() رواه أحمد (3/38/11359)، ومسلم (2913 و2914/69)

2() رواه أبو نعيم (1)

3() رواه أبو نعيم (2)

4() رواه أحمد (1/377/3573) وأبو نعيم (3)

5() رواه أبو نعيم (15)، والحاكم (4/556/8716)، قال الحاكم:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي،وقال الشيخ أحمد الغماري في (إبراز الوهم)(ص 87):وهو كما قال لأن رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم، وقال الشيخ الألباني: هو إسناد صحيح، (الصحيحة)(1529)

6() رواه أبو نعيم (13)، والكنجي في (البيان) من طريق أبي نعيم (ص 96 رقم 42)

7() رواه أبو نعيم (20)، والكنجي في (البيان)(ص90 رقم 35)

اللـه ﷺ: (لتملأن الأرض ظلمـا وعـدوانا، ثم ليخـرجن رجـل من أهل بيتي حتى يملاهـا قسطا وعدلا، كمـا ملئت ظلمـا وعـدوانا) (1)

[الحديث: 203]ـ عن ابن مسعود قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (يخرج رجل من أهـل بيـتي يـواطئ اسـمه اسـمي، وخلقـه خلقي، يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا)(2)

[الحديث: 204]ـ عن أبى سعيد قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (يكـون عنـد انقطـاع من الزمـان، وظهـور من الفتن، رجـل يقال له: المهدي، يكون عطاؤه هنيئا)(3)

[الحديث: 205]ـ عن ابن مسعود قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطـول اللـه تلـك الليلـة، حـتى يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي.. يملؤها قسـطا وعدلا،كما ملئت ظلما وجورا، ويقسـم المـال بالسـوية، ويجعـل الله الغنى في قلوب هـذه الأمـة، فيمكث سـبعا أو تسـعا، ثم لا خير في الحياة بعد المهدي)(4)

[الحديث: 206]ـ عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قـال: (لـو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوله الله حتى يملك رجـل من أهـل بيـتي، يفتح القسـطنطينية وجبـل الـديلم، ولـو لم يبـق إلا يـوم لطول الله ذلك اليوم حتى يفتحها)(5)

[الحديث: 207]ـ عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده أن رسول اللـه ﷺ قـال: (سـيكون بعـدي خلفـاء،ومن بعـد الخلفـاء أمراء، ومن بعـد الأمـراء ملـوك، ومن بعـد الملـوك جبـابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)(6)

[الحديث: 208]ـ عن أبى سعيد قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه)(7)

[الحديث: 209]ـ عن أبى سعيد قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (ينزل عيسى بن مـريم ﷺ، فيقـول أمـيرهم المهـدي: تعـال

1() رواه أبو نعيم (21)
2() رواه الطبراني في (الكبير)(10/136/10229) وأبو نعيم (23)
3() رواه نعيم (1056و1213و1213)، وأبو نعيم (24)
4() رواه أبو نعيم (35)
5() رواه ابن ماجة (2779)، وأبو نعيم (36)
6() رواه الطـبراني في (الكبـير)(22/374/936) وأبـو نعيم (37)، وابن عسـاكر (14/282)
7() رواه أبو نعيم (38)، قال الألباني: صحيح، (الصـحيحة)(2293)، قلت: ويشـهد لـه الحديث رقم (71) و(188)

صل بنا، فيقول: ألا وإن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة)[1]

[الحديث: 210]ـ وهو يدل على طول مدة مكوث المهدي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (لن تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها، والمهدي في وسطها)[2]

[الحديث: 211]ـ عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: (يخرج في آخر الزمان خليفة، يعطي الحق بغير عدد)[3]

[الحديث: 212]ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن، يكون عطاؤه حثيا)[4]

[الحديث: 213]ـ عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدري)[5]

[الحديث: 214]ـ عن الحسين: (أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: المهدي من ولدك)[6]

[الحديث: 215]ـ عن الوليد بن محمد الموقري قال: كنا على باب الزهري،إذ سمع جلبة، فقال: ما هذا يا وليد؟، فنظرت فإذا رأس زيد بن علي يطاف به بيد اللعابين، فأخبرته، فبكى الزهري ثم قال:أهلك أهل هذا البيت العجلة، قلت: ويملكون قال: نعم حدثني علي بن الحسين عن أبيه الحسين أن رسول الله ﷺ قال: (أبشري يا فاطمة المهدي منك)[7]

[الحديث: 216]ـ عن علي بن علي الهلالي، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة عند رأسه، قال: فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها، فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة بعدك، فقال، يا حبيبتي أما علمت أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض إطلاعة، فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها

---

[1] رواه أبو نعيم (39)، وعزاه ابن القيم في (المنار المنيف)(ص134) لابن أبي أسامة في (مسنده)، وساق سنده ثم قال: هذا إسناد جيد، قال الألباني في (الصحيحة)(2236): وهو كما قال ابن القيم فإن رجاله كلهم ثقات من رجال أبي داود.

[2] رواه أبو نعيم (40)

[3] رواه ابن أبى شيبة (37640)

[4] رواه ابن أبى شيبة (37639)

[5] رواه الروياني في مسنده، وأبو نعيم (8)

[6] رواه أبو نعيم (7)

[7] رواه ابن عساكر(19/457)

بعلك، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال، لم تعط لأحد قبلنا، ولا تعطى أحدا بعدنا، أنا خاتم النبيين، وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل، وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله،وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله، وهو عمك حمزة بن عبدالمطلب، وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذا الأمة، وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما، يا فاطمة، والذي بعثني بالحق إن منهما ـ يعني من الحسن والحسين ـ مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجا ومرجا وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيرا،ولا صغير يوقر كبيرا، بعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوبا غلفا، يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا.. يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي فإن الله عز جل أرحم بك، وأرأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجا وهو أشرف أهل بيتك حسبا، وأكرمهم منصبا، وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي)، قال علي: فلما قبض النبيﷺ لم تبق فاطمة بعده إلا خمسة وسبعين يوما حتى ألحقها الله عز وجل به ﷺ)[1]

[الحديث: 217] عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر بلاء يلقاه أهل بيته، حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله، حتى يأتوا رجلا اسمه كاسمي، فيوليه أمرهم، فيؤيده الله وينصره)[2]

[الحديث: 218] عن عائشة عن النبي ﷺ قال: (هو رجل من عترتي، يقاتل على سنتي، كما قاتلت أنا على الوحي)[3]

[الحديث: 219] عن جابر بن عبدالله قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي تقاتل عن الحق، حتى ينزل

1() رواه الطبراني في (الكبير)(3/57/2675)، وفي (الأوسط)(6540) ومن طريقه الكنجي (ص55 رقم 1)، وأبو نعيم (5)

2() رواه نعيم(904)

3() رواه نعيم (1092)

عيسى بن مريم عند طلـوع الفجـر بـبيت المقـدس، يـنزل على المهدي، فيقال له: تقدم يا نبي الله فصل لنـا، فيقـول: إن هـذه الأمة أمين بعضهم على بعض، لكرامتهم على الله عز وجل)[1]

2 ـــ الأحــاديث الــواردة في التمهيــد والتمحيص المرتبط بظهوره:

وهي أحاديث كثيرة، تشابه نظيراتها في المصادر الشيعية، وكلها تشير إلى أن الإمام المهدي لا يظهر إلا بعـد أن يتم تهيئـة وتوطئة القابلية لأداء دوره الرسـالي، وتشـير كـذلك إلى حركـة المعارضة التي يجدها، ومن المسلمين أنفسهم، كما وجدها قبل ذلـك أجـداده من العـترة الطـاهرة، وقـد ذكرنـا بعض الأحـاديث الموقوفة هنا، باعتبارها مما لا يمكن الاجتهاد فيه، بالإضـافة إلى موافقتهـا لمـا ورد في الأحـاديث المرفوعـة، وبنـاء على ذلـك قسـمنا هــذا المبحث إلى قسـمين: أولهمـا يحـوي الأحـاديث المرفوعة، والثاني الأحاديث الموقوفة.

أ ـ الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ:

وهي كثيرة حاولنا جمع أكثرها، مع التنبيـه إلى أنـا لا نجـزم بكل التفاصيل الواردة فيها، لأن الغرض هو بيان اهتمـام رسـول الله ﷺ بدعوة أمته للحـرص على اتبـاع الإمـام المهـدي، وعـدم الوقوع في فخ أعدائه:

[الحديث: 220] عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخـرج رجـل من أهـل المدينـة هاربـا إلى مكـة، فيأتيـه نـاس من أهـل مكـة، فيخرجونـه وهـو كـاره، فيبايعونــه بين الــركن والمقــام، ويبعث إليــه بعث من الشــام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينـة، فـإذا رأى النـاس ذلـك أتاه أبدال الشام وعصـائب أهـل العـراق، فيبايعونـه بين الـركن والمقام، ثم ينشـأ رجـل من قـريش أخوالـه كلب، فيبعث إليهم بعثنا، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبـة لمن لم يشـهد غنيمة كلب، فيقسم المـال، ويعمـل في النـاس بسـنة نـبيهم ﷺ ويلقي الإسـلام بجرانــه إلى الأرض، فيلبث سـبع سـنين[2]، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون)[3]

1() رواه الداني (686)

2() قال أبو داود قال: بعضهم عن هشام تسع سنين وقال بعضهم سبع سنين.

3() رواه ابن أبى شـيبة (37223)، وأحمـد (6/316/27224)، وأبـو داود (4286)، وأبو يعلى (6901)، والطـبراني [في الكبـير](23/390/931) و(1153 الأوسـط)، قـال ابن القيم في (المنـار المـنيف)(ص132): الحـديث حسـن ومثلـه ممـا يجـوز أن يقـال

[الحديث: 221]ـ عن الإمام علي قال: قال النبي ﷺ: (يخرج رجل من وراء النهر، يقال له الحارث بن حراث، على مقدمته رجل يقال له منصور، يوطئ ـ أو يمكن ـ لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ، وجب على كل مؤمن نصره وإجابته)(1)

[الحديث: 222]ـ عن ابن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه، قال: فقلت:ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه، فقال: (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الحق، فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم، ولو حبوا على الثلج، فإنه المهدي)(2)

[الحديث: 223]ـ عن ثوبان قال:قال رسول الله ﷺ: (يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم،ثم يجيء خليفة الله المهدي، فإذا سمعتم به فأتوه، فبايعوه، ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي)(3)

[الحديث: 224]ـ عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال:قال رسول اللهﷺ: (يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي سلطانه)(4)

[الحديث: 225]ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (تخرج من خراسان رايات سود، لا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء)(5)

[الحديث: 226]ـ عن قرة بن إياس المزني قال:قال

فيه:صحيح.

(1) رواه أبو داود (4290)

(2) رواه ابن أبي شيبة (37727) ونعيم بن حماد في الفتن (895) وابن ماجة (4082) وأبو نعيم (27)

(3) رواه ابن ماجة (4184) والحاكم (1/463/4882) وأبو نعيم (32)، قال ابن كثير في (النهاية، ص26): تفرد به ابن ماجة وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في (زوائده)(1442): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات

(4) رواه ابن ماجة (4088)، والطبراني (287 الأوسط)

(5) رواه أحمد (2/365/8760) والترمذي (2276) ونعيم بن حماد (569)

رسول الله ﷺ: (لتملأن الأرض جورا وظلما، فإذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا مني، اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، فلا تمنع السماء شيئا من قطرها، ولا الأرض شيئا من نباتها، يمكث سبعا أو ثمانيا، فإن أكثر فتسعا)[1]

[الحديث: 227]ـ عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان نائما في بيت أم سلمة، فانتبه وهو يسترجع، فقلت: يا رسول الله مم تسترجع؟ قال: من قبل جيش يجيء من قبل العراق في طلب رجل من المدينة، يمنعه الله منهم، فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم، فلا يدرك أعلاهم أسفلهم، ولا يدرك أسفلهم أعلاهم إلى يوم القيامة، قيل: يارسول الله يخسف بهم ومصادرهم شتى؟ قال:إن منهم أو فيهم من جبر)[2]

[الحديث: 228]ـ عن طلحة بن عبيد الله عن النبي ﷺ قال: (ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب، إلا جاش منها جانب، حتى ينادي مناد من السماء: أن أميركم فلان)[3]

[الحديث: 229]ـ عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: (يبايع لرجل بين الركن والمقام عدة أهل بدر، فيأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشام، فيغزوهم جيش من أهل الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فيغزوهم رجل من قريش، أخواله من كلب، فيلتقون فيهزمهم الله، فالخائب من خاب من غنيمة كلب)[4]

[الحديث: 230]ـ عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: (يسير ملك المغرب إلى ملك المشرق فيقتله، فيبعث جيشا إلى المدينة فيخسف بهم، ثم يبعث جيشا فينشأ ناس من أهل المدينة فيعود عائد بالحرم، فيجتمع الناس إليه كالطير الواردة المتفرقة، حتى يجتمع إليه ثلثمائة وأربعة عشر رجلا منهم نسوة، فيظهر على كل جبار وابن جبار، ويظهر من العدل ما يتمنى له الأحياء أمواتهم فيحيا سبع سنين، ثم ما تحت الأرض خير مما فوقها)[5]

1() رواه البزار (3325 كشف)، والحارث بن أبى أسامة (789)، والطبراني (68 /19/32)
2() رواه البزار (3338 كشف)
3() رواه الطبراني في (الأوسط)(4666)
4() رواه الطبراني في (الأوسط)(9459)، والحاكم (4/430/8377)
5() رواه الطبراني في (الأوسط)(5473)

[الحـديث: 231]ـ عن ابن عمـر: كـان رسـول اللـه ﷺ جالسا في نفـر من المهـاجرين والأنصـار، وعلي بن أبي طـالب عن يسـاره والعبـاس عن يمينـه، إذ تلاحى العبـاس ورجـل من الأنصار، فأغلظ الأنصاري للعباس، فأخـذ النـبي ﷺ بيـد العبـاس ويد علي، فقال: (سيخرج من صـلب هـذا حي يملأ الأرض جـورا وظلما، وسيخرج من صلب هـذا حي يملا الأرض قسـطا وعـدلا، فـإذا رأيتم ذلـك فعليكم بـالفتى التميمي، فإنـه يقبـل من قبـل المشرق، وهو صاحب راية المهدي)[1]

[الحديث: 232]ـ عن أم حبيبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: (يـأتي نـاس من قبـل المشـرق، يريـدون رجلا عنـد البيت، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسـف بهم، فيلحـق بهم من تخلف فيصيبهم ما أصابهم)، قلت: يا رسول اللـه كيـف بمن كان أخرج مستكرها؟ قال: (يصيبهم ما أصـاب النـاس، ثم يبعث الله كل امرئ على نيته)[2]

[الحـديث: 233]ـ عن الإمـام علي بن أبي طـالب أن رسول الله ﷺ قال: (يكون في آخر الزمان فتنة، تحصل النـاس كما يحصل الـذهب في المعـدن، فلا تسـبوا أهـل الشـام، ولكن سبوا أشرارهم، فإن فيهم الأبدال، يوشـك أن يرسـل على أهـل الشام سيب فيفرق جماعتهم، حتى لو قاتلتهم الثعـالب غلبتهم، فعند ذلك يخرج خارج من أهـل بيـتي، في ثلاث رايـات، المكـثر يقول:هم خمسة عشر ألفـا والمقـل يقـول:هم اثنـا عشـر ألفـا، أماراتهم (أمت أمت)، يلقون سـبع رايـات، تحت كـل رايـة منهـا رجــل يطلب الملــك، فيقتلهم اللــه جميعــا، ويــرد اللــه إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيهم ودانيهم)[3]

[الحديث: 234]ـ عن ثوبان قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (إذا رأيتم الرايات السود قـد أقبلت من خراسـان، فائتوهـا ولـو حبوا على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي)[4]

[الحديث: 235]ـ عن حذيفة، قال: سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (ويح هـذه الأمـة من ملـوك جبـابرة، كيـف يقتلـون ويخيفـون المطيعين، إلا من أظهـر طـاعتهم، فـالمؤمن التقي

---

[1] رواه الطبراني في (الأوسط)(4130)
[2] رواه الطبراني في (الأوسط)(4030)
[3] رواه الطبراني في (الأوسط، (3905) ونعيم (94) وابن عساكر (1/335)
[4] رواه أحمد (5/277/22746)، ونعيم بن حماد (896)، والحاكم (4/502/8578)، وأبو نعيم (26)

يصانعهم بلسانه، ويقومهم بقلبه، فإذا أراد الله أن يعيد الإسلام عزيزا قصم كل جبار عنيد، وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها، يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم، حتى يملك رجل من أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام،لا يخلف وعده وهو سريع الحساب)[1]

[الحديث: 236]ـ عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (تجئ الرايات السود من قبل المشرق، كأن قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم، فليأتهم فليبايعهم، ولو حبوا على الثلج)[2]

[الحديث: 237]ـ عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ: (يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها، حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة، فيبلغ السفياني فيبعث إليه جندا من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه، حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم)[3]

[الحديث: 238]ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة، وحتى يملأ الأرض جورا وظلما، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجلا من عترتي، فيملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئا إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئا إلا صبه الله عليهم مدرارا، يعيش فيهم سبع سنين أو ثمان أو تسعا، تتمنى الأحياء الأموات، مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره)[4]

[الحديث: 239]ـ عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا

1() رواه أبو نعيم (28)

2() رواه أبو نعيم (33)

3() رواه الحاكم (4/520/8633)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

4() رواه الحاكم (4/465/8486)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الشيخ عبدالله الغماري في كتابه(المهدي المنتظر)(ص20):وذكر تصحيح الحاكم ثم قال:كذا قال مع أن إسناده ضعيف ولكن الحاكم صححه بالنظر إلى كثرة الطرق وهو كذلك والزيادات في المتن من المستدرك.

رسول الله ﷺ . وذكر الدجال ـ وقال: فتنفي المدينة الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص، فقالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم المهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى بن مريم، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم)[1]

[الحديث: 240]ـ مجاهد قال حدثني فلان رجل من أصحاب النبي ﷺ: (أن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء، ومن في الأرض، فأتى الناس المهدي فزفوه، كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها، وهو يملأ الأرض قسطا وعدلا، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء مطرها، وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط)[2]

[الحديث: 241]ـ عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (سيكون بينكم وبين الروم أربع هدن، يوم الرابعة على يدي رجل من أهل هرقل، يدوم سبع سنين، فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستورد بن خيلان: يا رسول الله من إمام المسلمين يومئذ؟ قال: المهدي من ولدي، كأن وجهه كوكب دري، في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان، يملك عشرين سنة، يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك)[3]

[الحديث: 242]ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (في ذي القعدة تجادب القبائل، وعامئذ ينهب الحاج فتكون ملحمة بمنى، فيكثر فيها القتلى، وتسفك فيها الدماء، حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة، حتى يهرب صاحبهم، فيؤتى به، بين الركن والمقام، فيبايع وهو كاره، ويقال له: إن أبيت ضربنا عنقك، فيبايعه مثل عدة أهل

1() رواه ابن ماجة (4077)، والروياني (1269)، والحاكم (4/536/8664) وأبو نعيم (14) ونعيم بن حماد في (الفتن، (1446 و1516 و1589) والطبراني في (الكبير)(8/146/7844) وابن أبى عاصم في (السنة)(391) والكنجي في (البيان)(ص99رقم 47)

2() رواه ابن أبى شيبة (37653)

3() رواه أبو نعيم (12)، والطبراني في الكبير(8/101/7495) ومسند الشاميين (1600) ومن طريقه الكنجي في البيان (ص95 رقم 41)

بدر، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض)[1]

[الحديث: 243]ـ عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال: (كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وسائرهن في النار؟)، قلت: ومتى ذاك يا رسول الله؟ قال: (إذا الغرماء الشرط، وملكت الإماء، وقعدت الحملان على المنابر، واتخذوا القرآن مزامير، وزخرفت المساجد، ورفعت المنابر، واتخذ الفيء دولا، والزكاة مغرما، والأمانة مغنما، وتفقه في الدين لغير الله، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأقصى أباه، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل اتقاء شره، فيومئذ يكون ذلك ويفزع الناس يومئذ إلى الشام، نعصمهم من عدوهم)، قلت: وهل يفتح الشام؟ قال: نعم وشيكا، ثم تقع الفتن بعد فتحها، ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة،ثم يتبع الفتن بعضها بعضا، حتى يخرج رجل من أهل بيتي، يقال له المهدي، فإن أدركته فاتبعه، وكن من المهتدين)[2]

ب ـ الأحاديث الموقوفة على غيره:

وقد اعتبرنا أن لها حكم الأحاديث المرفوعة، لأنه لا يمكن أن تقال بالرأي المجرد، وقد ذكرناها بناء على كونها وردت في المصادر السنية، ولها نظيراتها في المصادر الشيعية:

[الحديث: 244]ـ عن الإمام علي بن أبي طالب قال: (ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام، وسبوا ظلمتهم، فإن فيهم الأبدال، وسيرسل الله إليهم سيبا من السماء فيغرقهم، حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم، ثم يبعث الله عند ذلك رجلا من عترة الرسول ﷺ، في اثني عشر ألفا إن قلوا، وخمسة عشرة ألفا إن كثروا، إمارتهم أي علامتهم (أمت أمت)، على ثلاث رايات، يقاتلهم أهل سبع رايات، ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك، فيقتتلون ويهزمون، ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى الناس ألفتهم ونعمتهم، فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال) [3]

1() رواه نعيم بن حماد (986)، والحاكم (4/503/8584)، قال الشيخ عبد الله الغماري في كتابه(ص55):إسناد حسن.

2() رواه الطبراني (18/51/91)، قال الهيثمي في (المجمع، (7/323/12435): روى ابن ماجة (3992)طرفا من أوله،وفيه عبدالحميد بن إبراهيم وثقه ابن حبان.

3() رواه نعيم بن حماد (1013)، والحاكم (4/ 553/ 8701)، قال الحاكم: هذا حديث

[الحديث: 245] عن الإمام علي قال: (الفتن أربع فتنة، السراء وفتنة الضراء وفتنة كذا - فذكر معدن الذهب- ثم يخـرج رجل من عترة النبي ﷺ يصلح الله على يديه أمرهم)[1]

[الحديث: 246] عن الإمام علي قال: (لا يخرج المهدي حتى يبصق بعضكم في وجه بعض)[2]

[الحديث: 247] عن الإمام علي قال: (إذا نادى مناد من السماء إن الحق في آل محمد، فعند ذلـك يظهـر المهـدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره)[3]

[الحديث: 248] عن أبي الجلد قال: (تكون فتنـة بعـدها فتنة، الأولى في الآخرة كثمرة السوط يتبعها ذبـاب السـيف، ثم تكون بعد ذلك فتنة تستحل فيها المحارم كلها، ثم تأتي الخلافـة خير أهل الأرض، وهو قاعد في بيته)[4]

[الحديث: 249] عن عبد الله بن عمـرو قـال: (يـا أهـل الكوفة، أنتم أسعد الناس بالمهدي)[5]، وفي رواية عن سالم بن أبى الجعد قال:خرجنا حجاجـا فجئت إلى عبداللـه بن عمـرو بن العاص فقـال:ممن أنت يـا رجـل؟ قـال:قلت:من أهـل العـراق، قال:فكن إذا من أهل الكوفة، قال: قلت:أنا منهم قـال: (فـإنهم أسعد الناس بالمهدي)[6]

[الحـديث: 250] عن أرطـاة قـال: يـدخل السـفياني الكوفة، فيستبيحها ثلاثة أيـام، ويقتـل من أهلهـا سـتين ألفـا، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها، ودخوله مكـة بعـدما يقاتل الترك والروم بقرقيسيا، ثم ينفتق عليهم من خلفهم فتق، فترجع طائفة منهم إلى خراسان، فيقتل خيل السـفياني ويهـدم الحصـون، حـتى يـدخل الكوفـة ويطلب أهـل خراسـان، ويظهـر بخراسـان قـوم يـدعون إلى المهـدي، ثم يبعث السـفياني إلى المدينة، فيأخذ قوما من آل محمد ﷺ حتى يـرد بهم الكوفـة، ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين، ويبعث السفياني في طلبهما، فإذا بلـغ المهـدي ومنصـور مكـة نـزل جيش السـفياني

صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وقال الشيخ أحمد الغماري في(إبـراز الـوهم المكنون)(ص 108): هو إسناد صحيح

1() رواه نعيم بن حماد (94)

2() رواه نعيم (960)

3() رواه نعيم (965)

4() رواه ابن أبى شيبة (37754)

5() رواه ابن سعد (6/10)، وابن أبى شيبة (37643)

6()ابن سعد في (طبقاته)(6/10) والداني في (سننه)(578)

البيداء فيخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة، فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم، فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة، يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفياني، فيستنفذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي)[1]

[الحديث: 251] عن أبي جعفر قال: (ثم يظهر المهدي بمكة عند العشاء، ومعه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته، يقول: أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم فقد اتخذ الحجة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب وأمركم أن لا تشركوا به شيئا وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله ﷺ،وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعوانا على الهدى، ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها وأذنت بالوداع، فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه وإماتة الباطل وإحياء سنته، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، عدة أهل بدر على غير ميعاد، قزعا كقزع الخريف، رهبان بالليل أسد بالنهار، فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز، ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم، وتنزل الرايات السود الكوفة فيبعث بالبيعة إلى المهدي، ويبعث المهدي جنوده في الآفاق، ويميت الجور وأهله، وتستقيم له البلدان)[2]

[الحديث: 252] عن عبد الله بن مسعود قال: (إذا انقطعت التجارات والطرق، وكثرت الفتن، خرج سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، يبايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا،حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة، فيقول بعضهم لبعض:ما جاء بكم؟ فيقولون:جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وحليته، فيتفق السبعة على ذلك، فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون له:أنت فلان بن فلان؟ فيقول:لا بل أنا رجل من الأنصار، حتى يفلت منهم فيصفونه

1() رواه نعيم بن حماد (893)

2() رواه نعيم(999).

لأهل الخبرة والمعرفة به، فيقال:هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكـة، فيطلبونـه بمكة فيصـيبونه، فيقولـون:أنت فلان بن فلان وأمـك فلانـة بنت فلان وفيك آية كذا وكذا وقـد أفلت منـا مـرة فمـد يـدك نبايعـك فيقول: لسـت بصـاحبكم أنـا فلان بن فلان الأنصـاري مـروا بنـا أدلكم على صـاحبكم، حـتى يفلت منهم، فيطلبونـه بالمدينـة فيخالفهم إلى مكة، فيصيبونه بمكة عند الـركن فيقولـون: إثمنـا عليك، ودماؤنا في عنقك إن لم تمـد يـدك نبايعـك، هـذا عسـكر السفياني قـد توجـه في طلبنـا، عليهم رجـل من جـرم، فيجلس بين الركن والمقام، فيمد يده، فيبايع له، ويلقي اللـه محبتـه في صدور الناس، فيسير مع قوم أسد بالنهار، رهبان بالليل)[1]

1() رواه نعيم(1000)

الفصل الثاني

أئمة الهدى وأوصافهم في المصادر الشيعية

وهي أحاديث كثيرة جدا يوضح فيها أئمة الهدى المعاني والمصاديق المرتبطة بما ورد في المصادر السنية من الحديث عن العترة الطاهرة وأدوارها في حفظ دين الأمة ووحدتها، وسلامتها من الفتن والتحريف، والمستقبل المشرق الذي ينتظرها، والأدوار التي عليها القيام بها تمهيدا لذلك.

ويمكننا أن نقول جازمين، أن هذه الأحاديث التي سنوردها، والتي لا نرى مثلها في تراث أي مذهب من المذاهب هي وحدها من يعطي التفسير الواقعي لتلك الأحاديث النبوية، وإلا كانت مجرد نبوءات ووصايا ليس لها أي سند واقعي.

فكل هذه الأحاديث التي سنوردها تؤكد أن أئمة الهدى من العترة النبوية الطاهرة، وكلهم يدعون إلى تحكيم الإسلام في كل شؤون الحياة، ابتداء من الجانب السياسي، وكلهم قدموا التضحيات في سبيل ذلك، وكلهم واجهوا التحريف بمختلف أشكاله، وكلهم واجهوا ما واجهه الأنبياء من التشويه والمنحرفين والغلاة.

وهم بذلك ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]؛ والتي تجمع بين العلم والتضحية التي تدعو إلى الصبر.

وعندما نطبق تلك المقاييس على أئمة الفقه والعقائد والتفسير والحديث وغيرها، والذين كان لهم أتباع كثيرون، لا نجد تلك المصاديق تنطبق عليهم، وبأي صورة من الصور، لأن أكثرهم، أو كلهم كانوا مداهنين لحكامهم، ولم يكونوا يفكرون أبدا في حاكمية الإسلام على جميع شؤون الحياة، بالإضافة إلى أنهم كانوا منشغلين بتلاميذهم عن أداء الأدوار الدعوية التي قام بها الأئمة، والتي وفرت لهم عداوة الحكام، حتى حصل لهم ما عبر عنه الإمام الحسن بقوله عند استشهاد والده الإمام علي: (والله لقد عهد إلينا رسول الله ﷺ أنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر

إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منا إلا مسمومٌ أو مقتولٌ[1])[2]

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مازلت أنا ومن كان قبلي من النبيين والمؤمنين مبتلين بمن يؤذينا، ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيّض الله عزّ وجلّ له مَن يؤذيه ليأجره على ذلك)[3]

بناء على هذا نحاول في هذا المبحث جمع ما نراه مقبولا من الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ أو الموقوفة على أئمة الهدى، والتي تشير إلى النواحي التالية:

الأولى: الأدلة النقلية والعقلية على كون أئمة الهدى هم المصاديق الذين أوصى بهم رسول الله ﷺ.

الثانية: وظائف الأئمة وأدوارهم في الأمة.

الثالثة: صفات الأئمة التي أتاحت لهم أن يكونوا أهلا للإمامة.

الرابعة: الإمام المهدي ووظائفه في تصحيح مسار الأمة، وسر تأخر ظهوره.

أولا ــ الأدلة النقلية والعقلية على إمامة أئمة الهدى:

من خلال استقراء ما ورد في الأحاديث المنقولة عن أئمة الهدى، نجد استعمالهم لنوعين من الأدلة:

الأول: الأدلة النقلية، باعتبار الإمامة أمرا دينيا محضا، لا يمكن التعرف عليه من دون وروده في النصوص المقدسة القرآنية أو النبوية؛ ولهذا نرى اهتمام أئمة الهدى ببيان أدلتها وبراهينها من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم، أو ما روي عن رسول الله ﷺ إما مباشرة، أو موقوفا عليهم.

الثاني: الأدلة العقلية، وهي محاولة تقريب معاني الإمامة

1() قال الصدوق في اعتقاداته: (اعتقادنا في النبي ﷺ أنه سُمّ في غزاة خيبر، فما زالت هذه الأكلة تعاوده حتى قطّعت أبهره فمات منها، والإمام علي قتله عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، ودفن بالغري، والحسن بن علي سمّته امرأته جعدة بنت، والحسين بن علي قُتل بكربلاء، وعلي بن الحسين سيد العابدين (ع) سمّه الوليد بن عبد الملك فقتله، والباقر محمد بن الإمام علي سمّه إبراهيم بن الوليد فقتله، والصادق جعفر بن محمد سمّه أبو جعفر المنصور فقتله، وموسى بن جعفر سمّه هارون الرشيد فقتله، والرضا علي بن موسى قتله المأمون بالسمّ، وأبو جعفر محمد بن علي الثاني قتله المعتصم بالسمّ، وعلي بن محمد قتله المتوكّل بالسمّ، والحسن بن الإمام علي قتله المعتضد بالسمّ)، نقلا عن: بحار الأنوار: 27/215.

2() بحار الأنوار: 27/217، والكفاية.

3() بحار الأنوار: 27/209، والعلل.

من خلال ما تقر به الفطرة السليمة، أو مـا تسـلم لـه العقـول، وقد استعملوا هذا النـوع من الأدلـة خصوصـا في الـوقت الـذي ابتـدأ فيـه علم الكلام، وأسـاليب المتكلمين في طـرح القضـايا العقدية.

بناء على هذا سنورد هنا ما روي عنهم من ذلك:

1 ـ الأدلة النقلية:

ويمكن تصنيفها إلى صنفين: القـرآن الكـريم، ومـا ورد في الأحاديث النبوية، والروايات الواردة عن أئمة الهدى، وسنورد ما ورد فيهما من الأحاديث فيما يلي:

أ ـ الأدلة المستنبطة من القرآن الكريم.

اهتم أئمة الهدى بالاستدلال بـالقرآن الكـريم بنـاء على مـا يذكرونـه من أن المصـاديق القرآنيـة أعظم من أن تنحصـر في بيئة محددة، أو زمان محـدد، وأنهـا شـاملة لكـل زمـان ومكـان، ولهذا نراهم يستخرجون من القصـص القـرآني وغـيره المعـاني الواقعية الكثيرة.

ومن هذا البـاب مـا روي عنهم من الأحـاديث الـتي تـبرهن على الإمامة من خلال القرآن الكريم، سواء كانت مرفوعـة إلى رسـول اللـه ﷺ، أو كـانت موقوفـة عليهم، وهـو مـا لم يفهمـه المخالفون لهم، حيث أنهم يتوهمون أن الأدلة القرآنيـة للإمامـة تعني أن ينص القـرآن الكـريم على أسـماء الأئمـة، ووظـائفهم، وهذا ما لا يمكن أن يكون، ولو أنـه حصـل لمـا وقـع الخلاف في الإمامة، ولا في مصاديقها.

ذلــك أن الاختبــار الإلهي للبشــر إنمــا يكــون في تقريــر الحقائق، وبيان أدلتها وحججها، دون التفاصيل المرتبطة بها، لأن ذلك مجال البيان النبوي، فمن أقر به، وسلم له، وصل إلى تلك التفاصيل، ومن جحده، أو نفر منه، لم يصل إليها.

ومثـال ذلـك الصـلاة وكـل الشـعائر التعبديـة؛ فمن طلب علمهـا وكيفيتهـا من خلال القـرآن الكـريم لم يصـل إلى شـيء، ولم يصل في حياته ركعة واحـدة، لكنـه إن سـلم للنبـوة، وعـاد إليها في معرفـة كيفيـة الصـلاة اسـتطاع أن يطبـق ذلـك الأمـر الإلهي بشأنها.

ولهذا؛ فإن أخطر مقولة وقعت في الإسـلام تلـك المقولـة التي تقول: (حسبنا كتاب الله)، والتي حذر منها رسول اللـه ﷺ، وبين عواقب المعرضين عنه وعن سنته، كمـا أوردنـا أدلـة ذلـك

في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

بناء على هذا سنذكر هنا بعض الأحاديث الدالة على ما يمكن استنباطه من القرآن الكريم بشأن الإمامة، فمنها:

[الحديث: 253]ـ ما روي أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]، قام النبي ﷺ فتوضأ وضوءه، ثم قام وصلّى فأحسن صلاته، ثم سأل الله سبحانه أن لا يبعث على أمته عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم، ولا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فنزل جبرائيل عليه السلام، فقال: (يا محمد، إنّ الله تعالى سمع مقالتك، وأنه قد أجارهم من خصلتين، ولم يجرهم من خصلتين: أجارهم من أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم، ولم يجرهم من الخصلتين الأخريين، فقال ﷺ: يا جبريل، فما بقاء أمتي مع قتل بعضهم بعضا؟، فقام وعاد إلى الدعاء، فنزل: ﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: 1 ـ 3]، فقال: (لا بدّ من فتنة تبتلي بها الأمة بعد نبيها، ليتبين الصادق من الكاذب، لأنّ الوحي انقطع، وبقي السيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة)[1]

[الحديث: 254]ـ قال الإمام الباقر: دعا رسول الله ﷺ بطهور، فلما فرغ أخذ بيد الإمام علي فألزمها يده ثم قال: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾، ثم ضمّ يده إلى صدره وقال: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾، ثم قال: (يا علي، أنت أصل الدين، ومنار الإيمان، وغاية الهدى، وقائد الغرّ المحجّلين، أشهدُ لك بذلك)[2]

[الحديث: 255]ـ عن الإمام الباقر عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: 7]: (رسول الله ﷺ المنذر، وعلي الهادي)، قال الإمام الباقر: (والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة) [3]

[الحديث: 256]ـ قال النبي ﷺ: (في كلّ خلف من أمتي

1() بحار الأنوار: 9 /88، وتفسير الكلبي.
2() بحار الأنوار: 23/3، وبصائر الدرجات ص10.
3() بصائر الدرجات: 10.

عــدلٌ من أهــل بيــتي، ينفي عن هــذا الــدين تحريــف الغــالين، وانتحــال المبطلين، وتأويــل الجــاهلين، وإنّ أئمتكم وفــدكم إلى الله، فانظروا من توفدون في دينكم وصــلاتكم)[1]، قــال الإمــام الصــادق بعــد روايتــه الحــديث: (وإنّ أئمتكم قــادتكم إلى اللــه، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم)[2]

[الحــديث: 257]ـ قال الإمام الباقر في قول الله تعــالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: 7]: (المنــذر في كــل زمان منا هاد يهــديهم إلى مــا جــاء بــه نــبي اللــه، ثم الهــداة من بعده علي، ثم الأوصياء واحدا بعد واحد) [3]

[الحــديث: 258]ـ سـئل الإمـام الصـادق عن قــول اللــه تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُــلِّ قَــوْمٍ هَــادٍ ﴾ [الرعــد: 7]، فقال: (كل إمام هاد للقرن الذي هو فيهم)[4]

[الحــديث: 259]ـ سـئل الإمـام الصـادق عن قــول اللــه تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُــلِّ قَــوْمٍ هَــادٍ ﴾ [الرعــد: 7]، فقال: (رسول الله المنذر، وعلي الهادي، يا أبا محمــد فهــل منــا هاد اليوم؟ قلت: بلى جعلت فــداك، مــا زال فيكم هــاد من بعــد هاد حتى رفعت إليك، فقال: (رحمك الله يا أبا محمد، ولو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلــك الرجــل مــاتت الآيــة مــات الكتاب، ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى) [5]

[الحديث: 260]ـ قال الإمام الباقر في قول الله تعــالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَــا أُمَّةٌ يَهْــدُونَ بِــالْحَقِّ وَبِــهِ يَعْــدِلُونَ ﴾ [الأعــراف: 181]: (هم الائمة عليهم السلام) [6]

[الحديث: 261]ـ قال الإمــام الصــادق: (لم تخلــو الارض منذ كانت من حجة عالم يحيي فيها ما يميتون من الحــق) ثم تلا هذه الآية: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِــأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُــورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: 8]) [7]

[الحديث: 262]ـ سـئل الإمــام البــاقر: لاي شــئ يحتــاج الناس إلى النــبي والامــام؟ فقــال: (لبقــاء العــالم على صــلاحه،

1() بحار الأنوار: 23/30، وقرب الإسناد ص37.
2() بحار الأنوار: 23/30، وإكمال الدين ص128.
3() بصائر الدرجات: 9 و10.
4() بصائر الدرجات: 10.
5() بصائر الدرجات: 10.
6() بصائر الدرجات: 11.
7() اكمال الدين: 128.

وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الارض إذا كان فيها نبي أو إمام، قال الله عزوجل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: 33]، وقال النبي ﷺ: (النجوم أمان لاهل السماء، وأهل بيتي أمان لاهل الارض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السمآء ما يكرهون وإذا ذهب أهل بيتى أتى أهل الارض ما يكرهون)، يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله عزوجل طاعتهم بطاعته فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ولا يعصون، وهم المؤيدون الموفقون المسددون، بهم يرزق الله عباده، وبهم يعمر بلاده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم تخرج بركات الارض، وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب، لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه، ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين) [1]

[الحديث: 263]ـ سأل الإمام علي رسول الله ﷺ: يا رسول الله أمنا الهداة أم من غيرنا؟ قال: (لا، بل منا الهداة إلى يوم القيامة بنا استنقذهم الله من ضلالة الشرك، وبنا يستنقذهم الله من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون إخوانا بعد الضلالة، كما بنا اصبحوا اخوانا بعد ضلالة الشرك، وبنا يختم الله كما بنا يفتح)[2]

[الحديث: 264]ـ قال الإمام الصادق: (إن جبرئيل نزل على محمد ﷺ يخبر عن ربه عزوجل فقال له: (يا محمد لم أترك الارض إلا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي، ويكون نجاة فيما بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر، ولم أكن أترك إبليس يضل الناس، وليس في الارض حجة وداع إلي، وهاد إلى سبيلي، وعارف بأمري، وإني قد قضيت لكل قوم هاديا أهدي به السعداء، ويكون حجة على الاشقياء) [3]

[الحديث: 265] قيل للإمام الصادق: يا ابن رسول الله.. كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن، وهما جميعاً ولدا رسول الله ﷺ وسبطاه، وسيدا شباب أهل الجنة؟.. فقال: (إنّ موسى وهارون عليهما السلام كانا نبيين مرسلين أخوين،

1() علل الشرائع: 52.
2() اكمال الدين: 134.
3() علل الشرايع: 76.

فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لِمَ فعل الله ذلك؟.. وإنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ، ليس لأحد أن يقول: لِمَ جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن، لأنّ الله هو الحكيم في أفعاله، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون)[1]

ب ـ الأدلة من الحديث والروايات:

وهي كثيرة، وكلها تدل على ضرورة وجود الأئمة، وفي كل العصور، سواء كانوا من الظاهرين الذين يمكن التواصل الحسي معهم، أو من الغائبين، والذين يكتفى بالتواصل الروحي، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 266]ـ ما يدل على أن الإمامة بالنص، ونص الحديث هو أنه لما كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل، جاء إلى بني كلاب فقالوا: (نبايعك على أن يكون لنا الأمر بعدك، فقال: (الأمر لله فإن شاء كان فيكم، وكان في غيركم، فمضوا ولم يبايعوه وقالوا: (لا نضرب لحربك بأسيافنا، ثم تحكّم علينا غيرنا !.)[2]

[الحديث: 267]ـ قال النبي ﷺ: (مَن استعمل غلاماً في عصابة فيها من هو أرضى لله منه فقد خان الله)[3]

[الحديث: 268] قال رسول الله ﷺ: (إنما مثل أهل بيتي في هذه الامة كمثل نجوم السماء، كلما غاب نجم طلع نجم)[4]

[الحديث: 269]ـ قال الإمام علي: (اللهم إنك لا تخلي الارض من قائم بحجة، إما ظاهر، أو خائف مغمور، لئلا تبطل حججك وبيناتك) [5]

[الحديث: 270] قال الإمام علي في خطبة له على منبر الكوفة: (اللهم إنه لابد لارضك من حجة لك على خلقك، يهديهم إلى دينك، ويعلمهم علمك، لئلا تبطل حجتك ولا يضل تبع أوليائك بعد إذ هديتهم به إما ظاهر ليس بالمطاع، أو مكتتم، أو مترقب إن غاب من الناس شخصه في حال هدنتم فإن علمه

1() بحار الأنوار: 23/70، والخصال 1/146.
2() بحار الأنوار: 23/75، والمناقب 1/221.
3() بحار الأنوار: 23/75، والمناقب 1/221.
4() اكمال الدين: 164.
5() اكمال الدين: 171.

وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون) [1]

[الحديث: 271]ـ قال الإمام علي في خطبة خطبها بالكوفة: (اللهم لابد لك من حجج في أرضك، حجة بعد حجة على خلقك يهدونهم إلى دينك، ويعلمونهم علمك، لئلا يتفرق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم خائف يترقب. إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم في دولة الباطل فلن يغيب عنهم مبثوث علمهم وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة وهم بها عاملون، يأنسون بما يستوحش منه المكذبون، ويأباه المسرفون بالله، كلام يكال بلا ثمن، من كان يسمعه يعقله فيعرفه ويؤمن به ويتبعه وينهج نهجه فيصلح به)، ثم قال: (فمن هذا ولهذا يأرز العلم إذ لم يوجد حملة يحفظونه ويؤدونه كما يسمعونه من العالم)، ثم قال بعد كلام طويل في هذه الخطبة: (اللهم وإني لأعلم أن العلم لا يأرز كله ولا ينقطع مواده، فإنك لا تخلي أرضك من حجة على خلقك، إما ظاهر مطاع أو خائف مغمور ليس بمطاع، لكيلا تبطل حجتك، ويضل أولياؤك بعد إذ هديتهم) [2]

[الحديث: 272]ـ قال الإمام الصادق: (إن الله عزوجل أجل وأعظم من أن يترك الارض بغير إمام)[3]

[الحديث: 273]ـ عن نعمان الرازي قال: كنت أنا وبشير الدهان عند الإمام الصادق، فقال: (لما انقضت نبوة آدم وانقطع أكله أوحى الله عزوجل إليه: أن يا آدم قد انقضت نبوتك، وانقطع أكلك فانظر إلى ما عندك من العلم والايمان وميراث النبوة وأثرة العلم والاسم الاعظم فاجعله في العقب من ذريتك عند هبة الله، فإني لم أدع الارض بغير عالم يعرف به طاعتي وديني، ويكون نجاة لمن أطاعه) [4]

[الحديث: 274]ـ قال الإمام الصادق: (المنذر رسول الله ﷺ، والهادي أمير المؤمنين بعده والائمة عليهم السلام، وهو قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7] في كل زمان إمام هاد مبين، وهو رد على من ينكر أن في كل عصر وزمان إماما، وأنه لا يخلو الارض من حجة، كما قال أمير المؤمنين: لا يخلو الارض

1() اكمال الدين: 176.
2() غيبة النعمانى، 67 و68.
3() بصائر الدرجات: 143.
4() المحاسن: 235.

من قائم بحجة الله، إما ظاهر مشهور، وإما خـائف مغمـور، لئلا تبطل حجج الله وبيناته)[1]

[الحديث: 275]ـ قال الإمام علي: (اللهم لا تخلـو الارض من حجـة لـك على خلقـك ظـاهر أو خـافي مغمـور لئلا تبطـل حججك وبيناتك)[2]

[الحديث: 276]ـ سـئل الإمـام الصـادق: تبقى الارض بلا عالم حي ظاهر يفرغ إليه الناس في حلالهم وحـرامهم؟ فقـال: (إذا لا يعبد الله) [3]

[الحديث: 277]ـ سئل الإمام الصادق: تبقى الارض بغير إمام؟ قال: (لو بقيت الارض بغير إمام ساعة لساخت)[4]

[الحديث: 278]ـ قـال الإمـام الصـادق: (إن اللـه لا يـدع الارض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان؛ فإذا زاد المؤمنون شيئا ردهم، وإذا نقصـوا أكملـه لهم، فقـال: خـذوه كـاملا، ولـولا ذلـــك لالتبس على المؤمـــنين أمـــرهم ولم يفـــرق بين الحـــق والباطل)[5]

[الحديث: 279]ـ قال الإمـام الصـادق: (لـو كـان النـاس رجلين لكان أحدهما الإمام)، وقال: (إن آخـر من يمـوت الإمـام لئلا يحتج أحدهم على الله عزوجل تركه بغير حجة)[6]

[الحديث: 280] قال الإمام الباقر: (والله ما ترك الارض منذ قبض الله آدم إلا وفيها إمام يهتدى له إلى اللـه، وهـو حجـة الله على عباده، ولا تبقى الارض بغير حجة لله على عباده) [7]

[الحديث: 281] قال الإمام الباقر: (لا تبقى الارض بغير إمام ظاهر أو باطن) [8]

[الحديث: 282] قال الإمام الصادق: (والله ما ترك الله الارض منذ قبض آدم إلا وفيها إمام يهتدى بـه إلى اللـه عزوجـل وهو حجة الله عزوجل على العبـاد، من تركـه هلـك، ومن لزمـه

1() تفسير القمى: 336.
2() علل الشرائع: 76.
3() علل الشرايع، 76.
4() علل الشرايع، 76.
5() علل الشرايع، 76.
6() علل الشرايع، 76.
7() علل الشرايع: 76.
8() علل الشرايع: 76.

نجا حقا على الله عزوجل) [1]

[الحديث: 283]ـ قال الإمام الصادق: (إن اللـه عزوجـل لم يدع الارض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان في الارض، وإذا زاد المؤمنـون شـيئا ردهم، وإذا نقصـوا أكملـه لهم، فقـال: خـذوه كـاملا، ولـولا ذلـك لالتبس على المؤمـنين امـورهم، ولم يفرقوا بين الحق والباطل) [2]

[الحديث: 284]ـ قال الإمام الباقر: (إن عليا عـالم هـذه الامة، والعلم يتوارث وليس يهلك منا أحد إلا ترك من أهل بيـتي من يعلم مثل علمه. أو ما شاء الله) [3]

[الحديث: 285] قال الإمام الباقر: (إن العلم الذي اهبط مـع آدم لم يرفـع، والعلم يتـوارث، وكـل شـئ من العلم وآثـار الرسل والانبياء لم يكن من أهل هذا البيت وهو باطل، وإن عليا عالم هذه الامة وإنه لن يموت منا عـالم إلا خلـف من بعـده من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله) [4]

[الحديث: 286]ـ قـال الإمـام الصـادق: (إن العلم الـذي انزل مـع آدم لم يرفـع، ومـا مـات منـا عـالم إلا ورث علمـه إن الارض لا تبقى بغير عالم) [5]

[الحـــديث: 287]ــ عن أبي عبيـدة قــال: قلت للإمــام الصادق: جعلت فـداك إن سـالم بن أبي حفصـة يلقـاني فيقـول لي: ألستم تروون أنـه من مـات وليس لـه إمـام فموتتـه موتـة جاهلية؟ فأقول له: بلى، فيقول" قد مضـى الإمـام البـاقر، فمن إمامكم اليـوم؟ فـأكره ــ جعلت فـداك ــ أن أقـول لـه: جعفـر، فأقول: أئمتي آل محمد ﷺ، فيقول لي: مـا أراك صـنعت شـيئا، فقال: ويح سالم بن أبي حفصة، لعنه الله، وهل يدري سالم مـا منزلة الامـام؟ إن منزلـة الامـام أعظم ممـا يـذهب إليـه سـالم والناس أجمعون، فانه لن يهلك منا إمام قـط إلا تـرك من بعـده من يعلم مثل علمه، ويسير مثل سيرته، ويـدعو إلى مثـل الـذي دعا إليه فإنـه لم يمنـع اللـه مـا أعطى داود أن أعطى سـليمان أفضل منه)[6]

1() علل الشرايع: 76 و77، اكمال الدين: 133.
2() علل الشرايع: 77.
3() اكمال الدين: 129.
4() اكمال الدين: 129.
5() اكمال الدين: 129.
6() اكمال الدين: 129.

[الحديث: 288] قال الإمام الصادق: (ما زالت الارض إلا ولله تعالى ذكره فيها حجة يعـرف الحلال والحـرام، ويـدعو إلى سبيل الله، ولا تنقطع الحجة من الارض إلا أربعين يوما قبل يوم القيامـة، فـإذا رفعت الحجـة أغلـق بـاب التوبـة ولا ينفـع نفسـا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة، اولئـك شـرار من خلق الله، وهم الذين يقوم عليهم القيامة)[1]

[الحـديث: 289]ـ قـال الإمـام السـجاد: (نحن أئمـة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسـادة المؤمـنين وقـادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهـل الارض كمـا أن النجـوم أمـان لاهـل السـماء، ونحن الـذين بنـا يمسـك اللـه السماء أن تقع على الارض إلا باذنه، وبنا يمسك الارض أن تميد بأهلهـا، وبنـا يـنزل الغيث، وبنـا ينشـر الرحمـة، ويخـرج بركـات الارض، ولولا ما في الارض منا لساخت بأهلهـا)، ثم قـال: (ولم تخل الارض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشـهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقـوم السـاعة من حجـة اللـه فيها، ولولا ذلـك لم يعبـد اللـه)، قـال سـليمان: فقلت للصـادق: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: (كما يتفعـون بالشمس إذا سترها السحاب) [2]

2 ـ الأدلة العقلية:

مع إن الإمامة قضية دينية محضة، والأدلة عليها نصية نقلية إلا أن أئمة الهدى، كانوا يدعون أتباعهم إلى استعمال الأسـاليب العقلية والكلامية لتقريبها للعقول، خاصة في الأزمنة التي وجـد فيها هذا النوع من البراهين، ومن الأحاديث الواردة في هذا:

[الحديث: 290] سئل الإمام الرضا: لم جعل اولي الامر، وأمر بطاعتهم؟ فقال: (لعلل كثيرة، منها أن الخلق ممـا وقفـوا على حد محـدود، وأمـروا أن لا يتعـدوا ذلـك الحـد لمـا فيـه من فسادهم لم يكن يثبت ذلـك ولا يقـوم إلا بـأن يجعـل عليهم فيـه أمينـا، يأخـذهم بـالوقف عنـدما أبيح لهم ويمنعهم من التعـدى والدخول فيما خطر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليه قيما يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والاحكـام.. ومنهـا أنـا لا نجـد فرقـة من الفرق ولا ملة من الملل بقـوا وعاشـوا إلا بقيم ورئيس لمـا

1() اكمال الدين: 129.

2() اكمال الدين: 119 و120، أمالى الصدوق: 112.

لابد لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لابد لهم منه، ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فيئهم، ويقيم لهم جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.. ومنها أنه لو لم يجعل لهم إماما قيما أمينا حافظا مستودعا لدرست الملة، وذهب الدين وغيرت السنة والاحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين، لانا قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم، وتشتت أنحائهم، فلو لم يجعل لهم قيما حافظا لما جاء به الرسول فسدوا على ما بينا، وغيرت الشرائع والسنن والاحكام والايمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين) [1]

[الحديث: 291]ـ وهو حديث طويل يدل على ضرورة الإمامة من الناحية العقلية الواقعية، ونص الحديث هو أنه كان عند الإمام الصادق جماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم، وحمران بن أعين، ومؤمن الطاق، وهشام بن سالم، والطيار وجماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم، وهو شاب، فقال الإمام الصادق: يا هشام، قال: لبيك يا بن رسول الله، قال: ألا تحدّثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد؟، وكيف سألته؟، قال هشام: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أُجلّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال الإمام الصادق: يا هشام، إذا أمرتكم بشيء فافعلوه، قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظُم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملةٌ سوداء متّزرٌ بها من صوف وشملةٌ مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فافرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم، أنا رجلٌ غريبٌ تأذن لي فأسألك عن مسألة؟، فقال: نعم، قلت له: ألك عين؟، قال: يا بني، أي شيء هذا من السؤال؟، فقلت: هكذا مسألتي.

فقال: يا بني، سل وإن كانت مسألتك حمقا، فقلت: أجبني فيها، فقال لي: سل.

1() عيون الاخبار: 249: علل الشرائع 95.

فقلت: ألك عين؟، قال: نعم، قلت: فما ترى بها؟، قال: الألوان والأشخاص.

فقلت: ألك أنف؟، قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟، قال: أتشمم بها الرائحة.

قلت: ألك فم؟، قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟، قال: أعرف به طعم الأشياء.

قلت: ألك لسان؟، قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟، قال: أتكلّم به. قلت: ألك أذن؟، قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟، قال: أسمع بها الأصوات.

قلت: ألك يد؟، قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟، قال: أبطش بها، وأعرف بها اللين من الخشن.

قلت: ألك رجلان؟، قال: نعم، قلت: ما تصنع بهما؟، قال: أنتقل بهما من مكان إلى مكان.

قلت: ألك قلب؟، قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟، قال: أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح.

قلت: أفليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟، قال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يا بني إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردته إلى القلب، فيستيقن اليقين ويبطل الشك، فقلت: إنما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟، قال: نعم، قلت: فلابدّ من القلب وإلا لم يستقم الجوارح؟، قال: نعم.

فقلت: يا أبا مروان، إنّ الله تعالى ذكره لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح، وينفي ما شككت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليهم شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكك؟، فسكت ولم يقل شيئاً.

ثم التفت إليّ فقال: أنت هشام؟، فقلت: لا، فقال لي: أجالسته؟، فقلت: لا، فقال: فمن أين أنت؟، قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذاً هو، ثم ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه، وما نطق حتى قمت.

فضحك الإمام الصادق ثم قال: يا هشام، مَن علّمك هـذا؟، فقلت: يا بن رسول الله، جرى على لساني، قال: يا هشام، هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[1]

[الحديث: 292]ـ عن يونس بن يعقـوب قـال: كنت عنـد الإمام الصادق فورد عليه رجـلٌ من الشـام فقـال: إني صـاحب كلامٍ وفقـهٍ وفـرائضٍ، وقـد جئت لمنـاظرة أصحابك، فقـال لـه الإمـام الصـادق: كلامـك هـذا من كلام رسـول اللـه ﷺ أو من عندك؟، فقال: من كلام رسول الله بعضـه، ومن عنـدي بعضـه، فقال له الإمام الصادق: فأنت إذاً شريك رسول الله ﷺ؟، قـال: لا.

قال: فسمعتَ الوحي عن الله؟، قال: لا.

قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ﷺ؟، قال: لا.

فالتفت إليّ الإمـام الصـادق فقـال: يـا يـونس، هـذا خَصَـم نفسه قبل أن يتكلم.

ثم قال: يا يونس، لو كنت تحسن الكلام كلمته.

قـال يـونس: فيـا لهـا من حسـرة، فقلت: جعلت فـداك، سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويـلٌ لأصـحاب الكلام يقولـون: هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقلـه وهذا لا نعقله، فقال الإمام الصادق: إنما قُلت: ويلٌ لقوم تركـوا قولي بـالكلام وذهبـوا إلى مـا يريـدون بـه، ثم قـال: اخـرج إلى الباب من ترى من المتكلمين فأدخْله.

فخـــرجت فوجـــدت [جماعـــة من المتكلمين ســـماهم]، فأدخلتهم عليه، فلما استقرّ بنا المجلس، أخـرج الإمـام الصـادق رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخبّ، قال: هشام وربّ الكعبـة، وكنا ظننا أنّ هشـاما رجـل من ولـد عقيـل كـان شـديد المحبـة للإمـام الصـادق، فـإذا هشـام بن الحكم قـد ورد وهـو أول مـا اختطت لحيته، وليس فينا إلا من هو أكـبر سـنا منـه، فوسّـع لـه الإمام الصادق وقال له: ناصرنا بقلبه ويده ولسانه.

ثم قال الشامي لهشـام: يـا غلام، سـلني في إمامـة هـذا ـ يعني الإمام الصادق ـ فغضـب هشـام حـتى ارتعـد، ثم قـال لـه:

1() بحار الأنـوار: 23/8، وإكمـال الـدين ص120، العلـل ص75، أمـالي الصـدوق ص 351.

أخبرني يـا هـذا، أربُّك أنظـر لخلقـه أم خلُقـه لأنفسـهم؟، فقـال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه.

قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟، قال: كلّفهم وأقام لهم حجةً ودليلاً على ما كلّفهم، وأزاح في ذلك عللهم، فقال لـه هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟

قال الشامي: هو رسول الله، قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ مَن؟

قال: الكتاب والسنّة، فقال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيمـا اختلفنـا فيـه، حـتى رفَـع عنـا الاختلاف ومكنّنـا من الاتفـاق؟، فقـال الشـامي: نعم، قـال هشـام: فلِمَ اختلفنـا نحن وأنت، جئتنا من الشام فخالفتنا وتزعم أنّ الرأي طريـق الـدين، وأنت مقرٌّ بأن الـرأي لا يجمـع على القـول الواحـد المختلفين؟، فسكت الشامي كالمفكّر.

فقال الإمام الصادق: ما لـك لا تتكلم؟، قـال: إن قلتَ: إنـا ما اختلفنـا كـابرت، وإن قلتَ: إنّ الكتـاب والسـنّة يرفعـان عنـا الاختلاف أبطلتَ، لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلتَ: قـد اختلفنـا وكلّ واحد منا يدّعي الحقّ، فلمْ ينفعنا إذاً الكتاب والسنّة، ولكن لي عليه مثل ذلك.

فقال له الإمام الصادق: سـله تجـده مليّـاً، فقـال الشـامي لهشـام: مَن أنظـر للخلـق ربهم أم أنفسـهم؟، فقـال: بـل ربهم أنظـرُ لهم، فقـال الشـامي: فهـل أقـام لهم من يجمـع كلمتهم، ويرفع اختلافهم، ويـبيّن لهم حقهم من بـاطلهم؟، فقـال هشـام: نعم.

قال الشامي: مَن هو؟، قال هشام: أما في ابتداء الشريعة فرسول الله ﷺ، وأما بعد النبي ﷺ فغيره، قال الشامي: مَن هو غير النبي القائم مقامه في حجّته؟، قال هشـام: في وقتنـا هـذا أم قبله؟

قال الشامي: بل في وقتنا هذا، قال هشـام: هـذا الجـالس يعني الإمـام الصـادق الـذي نشـدّ إليـه الرحـال، ويخبرنـا بأخبـار السماء وراثة عن أبّ عن جدّ.

قال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟

فقال هشام: سله ما بـدا لـك، قـال: قطعت عـذري، فعليّ السؤال.

فقال الإمام الصادق: أنا أكفيك المسألة يا شامي، أُخبركَ عن مسيرك وسفرك خرجت يوم كذا، وكان طريقك كذا، ومررت على كذا، ومرّ بك كذا، فأقبل الشامي كلما وصف له شيئاً من أمره يقول: صدقت والله[1].

[الحديث: 293] ـ عن ابن حازم قال: قلت للإمام الصادق: إني ناظرت قوما فقلت: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ هو الحجة من الله على الخلق؟ فحين ذهب رسول الله ﷺ من كان الحجة من بعده؟ فقالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم فيه المرجى والحروري والزنديق الذي لا يؤمن حتى يغلب الرجل خصمه، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، ما قال فيه من شئ كان حقا، قلت: فمن قيم القرآن؟ قالوا: قد كان عبدالله بن مسعود وفلان وفلان يعلم، قلت: كله؟ قالوا: لا فلم أجد أحدا يقال: إنه يعرف ذلك كله إلا علي بن أبي طالب، وإذا كان الشئ بين القوم وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري؛ فأشهد أن علي بن أبي طالب كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفروضة، وكان حجة بعد رسول الله ﷺ على الناس كلهم، وإنه ما قال في القرآن فهو حق، فقال: رحمك الله، فقبلت رأسه، وقلت: إن علي بن أبي طالب لم يذهب حيث ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله ﷺ حجة من بعده، وإن الحجة من بعد علي الحسن بن علي، وأشهد على الحسن بن علي أنه كان الحجة وأن طاعته مفترضة، فقال: رحمك الله فقبلت رأسه وقلت: أشهد على الحسن بن علي انه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله ﷺ وأبوه، وأن الحجة بعد الحسن الحسين بن علي، وكانت طاعته مفترضة، فقال: رحمك الله، فقبلت رأسه، وقلت، وأشهد على الحسين بن علي أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده وأن الحجة من بعده علي بن الحسين، وكانت طاعته مفترضة، فقال: رحمك الله فقبلت رأسه وقلت: وأشهد على علي بن الحسين أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده، وأن الحجة من بعده محمد بن علي أبوجعفر، وكانت طاعته مفترضة فقال: رحمك الله، قلت: أصلحك الله أعطني رأسك، فقبلت رأسه، فضحك، فقلت:

---

[1] () بحار الأنوار: 23/13، والاحتجاج ص198.

أصلحك الله قد علمت أن أباك لم يـذهب حـتى تـرك حجـة من بعده كما ترك أبوه، فأشهد بالله أنك أنت الحجة من بعـده، وأن طاعتك مفترضة، فقال: كف رحمك الله، قلت: أعطـني رأسـك أقبله، فضحك قال: سلني عما شئت فلا أنكرك بعد اليـوم أبـدا)[1]

[الحديث: 294]ـ قـال الإمـام البـاقر: (إنّ مَن دان اللـه بعبادة يجهد فيهـا نفسـه بلا إمـام عـادل من اللـه ضـالٌّ متحـير، ومَثَله كمَثَل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها فتاهت ذاهبة وجائية يومها، فلما أن جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها فجـاءت إليها، فباتت معهـا في ربضـها.. فلمـا أن سـاق الـراعي قطيعـه أنكـــرت راعيهـــا وقطيعهـــا، فهجمت متحـــيرة تطلب راعيهـــا وقطيعها، فبصرت بسرح قطيع غنم آخر فعمـدت نحوهـا وحنّت إليها، فصاح بها الراعي: إلحقي بقطيعـكِ، فإنـك تائهـة متحـيرة، قد ضللتِ عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرةً متحيرةً، لا راعي لهـا يرشـدها إلى مرعاهـا أو يردّهـا.. فبينـا هي كـذلك إذا اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وهكذا يا محمد بن مسلم.. مَن أصـبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عادل، أصبح تائهاً متحيراً)[2]

ثانيا ـ وظائف الأئمة:

مـع كـثرة النصـوص الـواردة في المصـادر الحديثيـة عن ضـرورة الإمامـة، وأدوارهـا المختلفـة إلا أن التـدليس والتأويـل الـذي مارسـته الفئـة الباغيـة، حـول منهـا إلى مجـرد أحـاديث عاطفية، لا جدوى ولا أثر لها في الواقع؛ بل ربما كان أثرها فيـه سلبيا باستغلال بعض أدعياء الانتساب إلى رسـول اللـه ﷺ تلـك النسبة الشريفة لأجل مصالحه الشخصية في الجاه والمال.

ولهذا اضطر أئمة الهدى إلى توضيح معاني تلك النصـوص، وأن المراد منها أعمق من أن يكون محصورا في تلك الجوانب، بل إن رسول الله ﷺ يدعو من خلالها إلى حفـظ الـدين والأمـة، وذلك عـبر اتبـاع الهـداة الـذين يرثونـه ويخلفونـه، لا لانتسـابهم لرسـول اللـه ﷺ فقـط، وإنمـا لتـوفرهم على كـل مـا تقتضـيه الإمامة لذلك.

ومن خلال استقراء ما ورد حول وظـائف الأئمـة من أدوار، نجد ثلاثة أدوار كبرى مهمة، هي:

1() علل الشرايع: 75.

2() بحار الأنوار: 23/87، والمحاسن ص92.

أولا ـ حفظ الدين من التحريف والتبديل والتغيير، حتى لا يقع له ما وقع لسائر الأديان، وهو ما سنختصر الحديث عنه هنا، لأن كل أجزاء السلسلة تحاول أن تبين أدوار أئمة الهدى في ذلك.

ثانيا ـ حفظ وحدة الأمة من التصدع، لأن الإمام يتولى كل شؤون الأمة، ويمثل وحدتها السياسية كأمة واحدة، مثلما كان في عهد رسول الله ﷺ.

ثالثا ـ تحقيق الحاكمية الإلهية.. فأئمة الهدى لا يكتفون ببيان حقائق الدين، وإنما يسعون إلى تنفيذها في الواقع، عبر تحقيق الحاكمية الإلهية في جميع الشؤون.

وسنذكر في هذا المبحث ما يتعلق بالأحاديث الواردة في هذه الجوانب:

1 ـ حفظ الدين من التحريف:

وهو أول الأدوار وأهمها، ذلك أن الدين هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة بكل جوانبها، وتحريفه يعني تحريف كل شيء، ابتداء من المعارف العقدية، وانتهاء بالقيم السلوكية التي لا ترتبط بحياة الفرد فقط، وإنما ترتبط بحياة المجتمعات والأمة جميعا.

ولذلك ورد التعبير في القرآن الكريم عن الدين المحفوظ من التغيير والتبديل بكونه الصراط المستقيم، والذي أخبر رسول الله ﷺ أنه سراط واحد، وتمثله فئة واحدة، وهي التي نص عليها قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: 6، 7]

وهي تشير إلى أن من انحرف عن ذلك السراط المستقيم سيقع في سراط المغضوب عليهم أو الضالين.. أما المغضوب عليهم؛ فأولئك الذين عرفوا وصايا رسول الله ﷺ لكنهم أعرضوا عنها بالكتمان والتأويل، وأما الضالون؛ فأولئك الذين تاهوا عنها بسبب الشغب الذي قام به المغضوب عليهم ليحرموا الأمة من الهداية في صورتها الناصعة الجميلة.

وقد فسر الإمام الصادق ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6] بقوله: (أرشدنا للصراط المستقيم، للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع أن نتبع أهواء نا فنعطب، ونأخذ بآرائنا فنهلك)، ثم قال: (طوبى للذين هم كما

قال رسول الله ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين) (1)

بناء على هذا شاءت حكمة الله تعالى أن يخلف أئمة الهدى الرسل عليهم السلام، ذلك أن التحريف يعرض ويستشري بعد النبوة، مثلما حصل لبني إسرائيل عند غياب موسى عليه السلام عنهم، ولذلك كان دور الإمامة هو حفظ الدين من التحريف الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 144]

ولذلك أيضا كان من نعم الله تعالى على هذه الأمة ــ كما أخبر رسول الله ﷺ ـ أن تمتد أجيال هؤلاء الهداة إلي اثني عشر إماما، حتى تواجه كل أصناف التحريفات، والتي يتأسس من خلالها الدين على أسس صحيحة قوية، لا يؤثر فيه بعدها أي تحريف.

بناء على هذا، وبناء على أننا سنعرض لأصناف ردود الأئمة على التحريفات المختلفة في الجوانب العقدية والسلوكية وغيرها في سائر الأجزاء؛ فسنكتفي هنا بذكر ردودهم ومواجهتهم لأخطر الظواهر التي حاولت تشويه الإمامة، وتحويلها عن مقاصدها في الهداية، إلى مقاصد أخرى لا علاقة لها بالدين، ولا بالدنيا، بل إنها قد تصب في الشرك والضلالة التي حذر منها القرآن الكريم، وأخبر عن وقوع أصحاب الملل والنحل فيها.

وذلك الانحراف الخطير هو ظاهرة [الغلو في الأئمة]، والتي لجأ إليها أصحاب الفئة الباغية، ليشوهوا الأئمة، ويبعدوا جماهير المؤمنين عنهم، مثلما يفعلون مع أعدائهم لتشويههم، ولتنفير النفوس عنهم.

ومن الأحاديث الواردة في هذا المعنى:

[الحديث: 295] قوله ﷺ: (يا علي، مَثَلك في أمتي مَثَل المسيح عيسى بن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقةٌ مؤمنون وهم الحواريون، وفرقةٌ عادوه وهم اليهود، وفرقةٌ غَلَوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإنّ أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق:

(1) بحار الأنوار (92/ 254)

ففرقةٌ شيعتك وهم المؤمنون، وفرقةٌ عدوك وهم الشاكّون، وفرقةٌ تغلو فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنة يا علي، وشيعتك ومحبّ شيعتك، وعدوك والغالي في النار)[1]

[الحديث: 296]ـ قوله ﷺ: (لا ترفعوني فوق حقي، فإنّ الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً)[2]

[الحديث: 297]ـ قال الإمام علي في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]: (أمر الله عزوجل عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وأن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60]، وأن يستعيذوا من طريق الضالين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وهم النصارى)، ثم قال: (كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله)، ثم قال: (لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فاني برئ من الغالين)[3]

[الحديث: 298]ـ قال الإمام السجاد: (لعن الله مَن كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كلّ شعرة في جسدي، لقد ادّعى أمراً عظيماً، ما له لعنه الله؟، كان الإمام علي والله عبداً لله صالحاً، أخو رسول الله ﷺ، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله ﷺ الكرامة من الله إلا بطاعته لله)[4]

[الحديث: 299]ـ قال الإمام الصادق: (اتقوا الله وعظّموا الله وعظّموا رسوله ﷺ، ولا تفضّلوا على رسول الله ﷺ أحداً، فإنّ الله تبارك وتعالى قد فضّله، وأحبّوا أهل بيت نبيكم حبّاً مقتصداً، ولا تغلوا ولا تفرّقوا ولا تقولوا ما لا نقول، فإنكم إن

1() بحار الأنوار: 25/265، وإيضاح دفائن النواصب ص33.
2() بحار الأنوار: 25/265، ونوادر الراوندي ص16.
3() بحار الأنوار (25/ 274)
4() بحار الأنوار: 25/287، والكشي ص71.

قلتم وقلنا متّم ومتّنا، ثم بعثكم الله وبعثنا فكنا حيث يشاء الله وكنتم)[1]

[الحديث: 300]ـ عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال لي الإمام الصادق: يا إسماعيل ضع لي في المتوضأ ماء، فقمت له، قال: فدخل، فقلت في نفسي أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضأ يتوضأ، فلم يلبث أن خرج فقال: (يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا) [2]

[الحديث: 301]ـ قال الإمام الصادق عن بغض الغلاة: (لعن الله أبا الخطاب ولعن الله من قتل معه ولعن الله من بقي منهم ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم)[3]

[الحديث: 302]ـ قيل للإمام الصادق: جعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم، قال: ومن هم؟ قيل: أبوالخطاب وأصحابه، وكان متكئا فجلس فرفع أصبعه إلى السماء ثم قال: (على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك، وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدوا وعشيا)، ثم قال: (أما والله إني لأنفس على أجساد صليت معه النار)[4]

[الحديث: 303]ـ عن زرارة قال: قال الإمام الصادق: أخبرني عن حمزة أيزعم أن أبي آتيه؟!، قلت: نعم، قال: (كذب والله ما يأتيه إلا المتكوّن، إنّ إبليس سلّط شيطاناً يقال له المتكوّن يأتي الناس في أي صورة شاء، إنْ شاء في صورة كبيرة، وإن شاء في صورة صغيرة، ولا والله ما يستطيع أن يجيء في صورة أبي)[5]

[الحديث: 304]ـ قال الإمام الصادق: (تراءى والله إبليس لأبي الخطاب على سور المدينة أو المسجد، فكأني أنظر إليه وهو يقول: إيهاً تظفر الآن، إيهاً تظفر الآن)[6]

[الحديث: 305]ـ عن حفص بن عمرو النخعي قال:كنت

1() بحار الأنوار: 25/269، وقرب الإسناد ص61.
2() بصائر الدرجات: 64 ـ و65.
3() رجال الكشي: 190 ـ 191.
4() رجال الكشي: 190 ـ 191.
5() بحار الأنوار: 25/281، والكشي ص193.
6() بحار الأنوار: 25/281، والكشي ص195.

جالساً عند الإمام الصادق فقال لـه رجـل: جعلت فـداك، إنّ أبـا منصور حدّثني أنه رُفع إلى ربـه وتمسـح على رأسـه، وقـال لـه بالفارسية يا بسـر، فقـال لـه الإمـام الصـادق: (حـدثني أبي عن جدي أنّ رسول اللـه ﷺ قـال: إنّ إبليس اتخـذ عرشـاً فيمـا بين السـماء والأرض، واتخـذ زبانيـة بعـدد الملائكـة، فـإذا دعـا رجلاً فأجابه وُطئ عقبُه وتخطت إليه الأقدام، تراءى له إبليس ورُفـع إليه، وإنّ أبا منصور كـان رسـول إبليس، لعن اللـه أبـا منصـور، لعن الله أبا منصور، ثلاثاً)[1]

[الحـديث: 306]ـ قـال الإمـام الصـادق:(إنـا أهـل بيت صدّيقون، لا نخلو من كذّاب يكذب علينا ويُسـقط صـدقنا بكذبـه علينـا عنـد النـاس.. كـان رسـول اللـه ﷺ أصـدق النـاس لهجـةً وأصدق البرية كلها، وكـان مسـيلمة يكـذب عليـه، وكـان الإمـام علي أصدق مَن برأ الله بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على الله الكذب عبـدُ اللـه بن سبأ)[2]

[الحديث: 307] عن مصادف قال: لما لبّى القوم الذين لبّوا بالكوفة، دخلت على الإمـام الصـادق فأخبرتـه بـذلك، فخـرّ ساجداً وألزق جؤجؤه بالأرض، وبكى وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: بل عبدٌ لله قنّ داخر ــ مـراراً كثـيرةً ــ ثم رفـع رأسـه ودموعـه تسـيل على لحيتـه، فنـدمت ُعلى إخبـاري إيـاه فقلت: جعلت فداك، وما عليك أنت من ذا؟، فقال: يا مصادف، إنّ عيسـى لـو سكتَ عمّا قالت النصـارى فيـه، لكـان حقّـاً على اللـه أن يُصـمّ سمعه ويُعمي بصره، ولو سكتُّ عمّـا قـال أبـو الخطـاب، لكـان حقّاً على الله أن يُصمّ سمعي ويُعمي بصري)[3]

[الحديث: 308]ـ قال الإمام الصادق: (إنّ بنانا والسـريّ وبزيعا ـ لعنهم الله ـ تراءى لهم الشيطان في أحسـن مـا يكـون صورة آدمي من قرنه إلى سرّته)، فقيل له: إنّ بنانا يتأول هـذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـهٌ﴾ [الزخـرف: 84]، أن الذي في الأرض غير إله السماء وإلهَ السماء غـير إلـه الأرض، وأنّ إله السماء أعظم من إلـه الأرض، وأنّ أهـل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظّمونـه، فقـال: (واللـه مـا هـو إلا

1() بحار الأنوار: 25/282، والكشي ص195.
2() بحار الأنوار: 25/287، والكشي ص71.
3() بحار الأنوار: 25/293، والكشي ص192.

الله وحده لا شريك له، إلـهٌ في السـماوات وإلـهٌ في الأرضـين، كذب بنـان ــ عليـه لعنـة اللـه ــ صـغّر اللـه جـلّ جلالـه، وصـغّر عظمته)[1]

[الحــديث: 309]ــ عن أبي بصــير قــال: قلت للإمــام الصادق: إنهم يقولون، قال: ومـا يقولـون؟ قلت: يقولـون: يعلم قطر المطـر وعـدد النجـوم وورق الشـجر ووزن مـا في البحـر وعـدد الـتراب، فرفـع يـده إلى السـماء وقـال: (سـبحان اللـه سبحان الله لا والله ما يعلم هذا إلا الله) [2]

[الحــديث: 310]ــ ذكــر الإمــام الصــادق أصــحاب أبي الخطاب والغلاة فقال: يا مفضّـل، لا تقاعـدوهم، ولا تؤاكلـوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم، ولا توارثوهم)[3]

[الحديث: 311]ــ ذكـر الإمـام الصـادق الغلاة وقـال: إنّ فيهم مَن يكذب حتى أنّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه)[4]

[الحديث: 312]ــ قيل للإمام الصـادق: جُعلنـا فـداك، إنّ المفضّل بن عمر يقول إنكم تقدّرون أرزاق العباد، فقال: (والله ما يقدّر أرزاقنا إلا الله، ولقد احتجت إلى طعـامٍ لعيـالي فضـاق صـدري، وأبلغت إليّ الفكـرة في ذلـك حـتى أحـرزت قـوتهم، فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه)، قيل: أفنلعنـه ونتـبرأ منه؟، قال: نعم، فلعناه وبرئنا منه، برئ الله ورسوله منه[5].

[الحديث: 313]ــ قال بعضهم: خرج إلينا الإمـام الصـادق وهو مغضـب، فقـال: (إني خـرجت آنفـاً في حاجـة فتعـرّض لي بعض سودان المدينـة فهتـف بي: لبيـك جعفـر بن محمـد لبيـك، فرجعت عَودي على بـدئي إلى مـنزلي، خائفـاً ذعـراً ممـا قـال، حتى سجدت في مسجدي لربي، وعفّرت لـه وجهي، وذلّلت لـه نفسي، وبرئت إليه مما هتف بي،، ولو أن عيسى بن مريم عليه السلام جاوز ما قال الله فيـه لصـم صـمما لا يسـمع بعـده أبـدا وعمي عمى لا يبصـر بعـده أبـدا، وخـرس خرسـا لا يتكلم بعـده أبدا)[6]

[الحديث: 314]ــ عن أبي هاشم الجعفـري قـال: سـألت

1() بحار الأنوار: 25/296، والكشي ص196.
2() بحار الأنوار (25/ 294)، رجال الكشى: 193.
3() بحار الأنوار: 25/296، والكشي.
4() بحار الأنوار: 25/296، والكشي ص191.
5() بحار الأنوار: 25/301، والكشي ص207.
6() بحار الأنوار: 25/321، وروضة الكافي ص225.

الإمـــام الرضـــا عن الغلاة والمفوضـــة، فقـــال: (الغلاة كفـــار، والمفوضـــة مشـــركون، من جالســـهم أو خـــالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أوزوجهم أو تــزوج إليهم أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صـدق حـديثهم أو أعـانهم بشـطر كلمـة خـرج من ولاية الله عزوجل وولاية الرسول ﷺ وولايتنا أهل البيت)[1]

[الحديث: 315]ـ عن أبي الصلت أنه قال للإمام الرضـا: يا ابن رسول اللـه، مـا شـيء يحكيـه عنكم النـاس؟، قـال: ومـا هو؟، قلت: يقولـون: إنكم تـدّعون أنّ النـاس لكم عبيـد، فقـال: (اللهم فـاطر السـماوات والأرض عـالم الغيب والشـهادة، أنت شاهدٌ بأني لم أقل ذلك قـطّ، ولا سـمعت أحـداً من آبـائي قـال قطّ، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمـة، وإنّ هـذه منها)، ثم أقبل عليّ فقال: (يا عبد السلام، إذا كان النـاس كلّهم عبيدنا على ما حكوه عنا فممّن نبيعهم؟)، فقلت: يـا بن رسـول الله صدقتَ، ثم قال: (يا عبد السلام، أمنكرٌ أنت لما أوجب الله عزّ وجلّ لنا من الولاية كما ينكره غيرك؟)، قلت: معاذ اللـه بـل أنا مقرٌّ بولايتكم[2].

[الحديث: 316]ـ عن محمد بن زيـد الطـبري قـال: كنت قائما على رأس الإمام الرضا بخراسان وعنده جماعـة من بـنى هاشم منهم إسحاق بن العباس بن موسى فقال له: (يا إسحاق بلغني أنكم تقولون: إن الناس عبيد لنـا، لا وقرابـتي من رسـول الله ﷺ ما قلته قط ولا سمعته من أحد من آبائي ولا بلغـني عن أحد منهم قاله، لكنا نقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب)[3]

[الحديث: 317]ـ كـان الإمـام الرضـا يقـول في دعائـه: (اللهم، إني بريءٌ من الحول والقوة، ولا حول ولا قـوة إلا بـك.. اللهم، إني أعوذ بك، وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا مـا ليس لنـا بحق.. اللهم، إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا مـا لم نقلـه في أنفسـنا.. اللهم، لـك الخلـق ومنـك الـرزق، وإيـاك نعبـد وإيـاك نســتعين.. اللهم، أنت خالقنـــا وخـــالق آبائنـــا الأولين وآبائنـــا الآخرين.. اللهم، لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لـك، فـالعن النصـارى الـذين صـغّروا عظمتـك، والعن المضـاهئين

1() بحار الأنوار (25/ 273)، عيون الاخبار: 326.
2() بحار الأنوار: 25/268، والعيون ص311.
3() امالى المفيد: 148، امالى ابن الشيخ: 14.

لقولهم من بريّتك.. اللهم، إنا عبيدك وأبناء عبيدك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.. اللهم، مَن زعم أنّا أرباب فنحن منه براءٌ، ومَن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براءٌ منه، كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى.. اللهم، إنّا لم ندعُهُم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدّعون، ولا تدع على الأرض منهم ديارا، إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفّاراً)[1]

[الحديث: 318] وهو حديث طويل[2] للإمام الرضا مع بعض أصحابه ردا على الغلو والمغالين، ومما جاء فيه قوله: (ومن تجاوز بالإمام علي العبودية، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين، وقال الإمام علي: لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني بريءٌ من الغالين)

فقام إليه رجل فقال له: يابن رسول الله صف لنا ربك فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا، فقال الإمام الرضا: (إنه من يصف ربه بالقياس فانه لا يزال الدهر في الالتباس، مائلا عن المنهاج طاعنا في الاعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل) ثم قال: (اعرفه بما عرف به نفسه، اعرفه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه أصفه من غير صورة، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، معروف بالايات، بعيد بغير تشبيه، ومتدان في بعده بلا نظير، لا يتوهم ديمومته، ولا يمثل بخليقته ولا يجور في قضيته، الخلق إلى ما علم منهم منقادون، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، لا يعملون بخلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقص، يحقق ولا يمثل، ويوحد ولا يبعض، يعرف بالآيات، ويثبت بالعلامات ولا إله غيره الكبير المتعال)

فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله فإن معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أن هذه كلها صفات الإمام علي، وأنه هو الله رب العالمين؛ فلما سمعها الإمام الرضا ارتعدت فرائصه وتصبب عرقا، وقال: (سبحان الله سبحان الله عما يقول الظالمون والكافرون علوا كبيرا، أو ليس كان الإمام علي آكلا في الاكلين، وشاربا في الشاربين، وناكحا في الناكحين،

1() بحار الأنوار: 25/343، واعتقادات الصدوق ص109.

2() بحار الأنوار: 25/278، والاحتجاج ص242، تفسير الإمام ص18.

ومحدثا في المحدثين؟ وكان مـع ذلـك مصـليا خاضـعا بين يـدي الله ذليلا، وإليه أواها منيبا، أفمن كان هذه صـفته يكـون إلهـاء؟ فإن كان هذا إلها فليس منكم أحد إلا وهو إله لمشاركته لـه في هذه الصفات الدالات على حدث كل موصوف بها)

فقال الرجل: يابن رسول اللـه إنهم يزعمـون أن عليـا لمـا أظهر من نفسه المعجزات التي لا يقدر عليها غير اللـه دل على أنه إله، ولما ظهر لهم بصـفات المحـدثين العـاجزين لبس ذلـك عليهم وامتحنهم ليعرفــوه وليكــون إيمــانهم بــه اختيــارا من أنفسهم.

فقال الإمـام الرضـا: (أول مـا ههنـا أنهم لا ينفصـلون ممن قلب هذا عليهم.. لما ظهر منـه الفقـر والفاقـة دل على أن من هــذه صــفاته وشــاركه فيهــا الضــعفاء المحتــاجون لا تكــون المعجزات فعله فعلم بهـذا أن الـذي ظهـر منـه من المعجـزات إنما كانت فعل القادر الذي لا يشبه المخلوقين، لا فعل المحدث المحتاج المشارك للضعفاء في صفات الضعف)

ثم قـال: (إن هـؤلاء الضـلال الكفـرة مـا أتـوا إلا من قبـل جهلهم بمقدار أنفسهم حتى اشتد إعجـابهم وكـثر تعظيمهم لمـا يكون منها فاستبدوا بـآرائهم الفاسـدة واقتصـروا على عقـولهم المسـلوك بهـا غـير سـبيل الـواجب حـتى استصـغروا قـدر اللـه واحتقروا أمره وتهـاونوا بعظيم شـأنه، إذ لم يعلمـوا أنـه القـادر بنفســه الغـني بذاتــه الـتي ليســت قدرتــه مســتعارة ولا غنــاه مستفادا، والـذي من شـاء أفقـره، ومن شـاء أغنـاه، ومن شـاء أعجزه بعد القـدرة، وأفقـره بعـد الغـنى؛ فنظـروا إلى عبـد قـد اختصه الله بقدرته ليبين بها فضله عنده، وآثره بكرامته ليـوجب بها حجته على خلقه، وليجعل ما آتاه من ذلك ثوابا على طاعته، وباعثا على اتبـاع أمـره، ومؤمنـا عبـاده المكلفين من غلـط من نصبه عليهم حجة، ولهم قـدوة، وكـانوا كطلاب ملـك من ملـوك الـدنيا ينتجعـون فضـله، ويـأملون نائلـه، ويرجـون التفيـؤ بظللـه والانتعاش بمعروفـه، والانقلاب إلى أهلهم بجزيـل عطائـه الـذي يعينهم على كلب الدنيا، وينقذهم من التعـرض لـدني المكاسـب وخســيس المطــالب، فبينــا هم يســألون عن طريــق الملــك ليترصدوه وقد وجهـوا الرغبـة نحـوه وتعلقت قلـوبهم برؤيتـه إذ قيل: سـيطلع عليكم في جيوشـه ومواكبـه وخيلـه ورجلـه، فـإذا رأيتمــوه فــأعطوه من التعظيم حقــه، ومن الاقــرار بالمملكــة

واجبه، وإياكم أن تسموا باسمه غيره، وتعظموا سواه كتعظيمـه فتكونوا قد بخستم الملك حقه، وأزريتم عليه واستحققتم بـذلك منه عظيم عقوبته، فقالوا: نحن كذلك فـاعلون جهـدنا وطاقتنـا، فما لبثوا أن طلع عليهم بعض عبيـد الملـك في خيـل قـد ضـمها إليه سيده ورجـل قـد جعلهم في جملتـه وأمـوال قـد حبـاه بهـا فنظر هؤلاء وهم للملك طالبون، واستكبروا ما رأوه بهـذا العبـد من نعم سيده ورفعـوه عن أن يكـون من هـو المنعم عليـه بمـا وجدوا معه عبدا فأقبلوا يحيونه تحيـة الملـك ويسـمونه باسـمه، ويجحدون أن يكون فوقه ملك أو له مالـك؛ فأقبـل عليهم العبـد المنعم عليه وسائر جنوده بالزجر والنهي عن ذلك والبراءة ممـا يسـمونه بـه ويخـبرونهم بـأن الملـك هـو الـذي أنعم عليـه بهـذا واختصه به، وإن قولكم ما تقولون يـوجب عليكم سـخط الملـك وعذابه ويفيتكم كل ما أملتمـوه من جهتـه وأقبـل هـؤلاء القـوم يكذبونهم ويـردون عليهم قـولهم؛ فمـا زال كـذلك حـتى غضـب عليهم الملك لما وجد هؤلاء قد ساووا به عبده وأزروا عليـه في مملكته وبخسـوه حـق تعظيمـه، فحشـرهم أجمعين إلى حبسـه ووكل بهم من يسومهم سوء العذاب.. فكذلك هؤلاء وجدوا أمير المؤمـنين عبـدا أكرمـه اللـه ليـبين فضـله ويقيم حجتـه فصـغر عندهم خالقهم أن يكون جعل عليا له عبدا، وأكبروا عليا عن أن يكون الله عز وجـل لـه ربـا، فسـموه بغـير اسـمه، فنهـاهم هـو وأتباعـه من أهـل ملتـه وشـيعته، وقـالوا لهم: يـاهؤلاء إن عليـا وولده عباد مكرمون مخلوقون مـدبرون لا يقـدرون إلا على مـا أقدرهم عليـه اللـه رب العـالمين، ولا يملكـون إلا مـا ملكهم، لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشـورا ولا قبضـا ولا بسـطا ولا حركـة ولا سكونا إلا ما أقدرهم عليه وطوقهم وإن ربهم وخالقهم يجـل عن صفات المحدثين، ويتعالى عن نعوت المحـدودين، فـإن من اتخذهم أو واحـدا منهم أربابـا من دون اللـه فهـو من الكـافرين وقـد ضـل سـواء السـبيل. فـأبى القـوم إلا جماحـا وامتـدوا في طغيانهم يعمهون، فبطلت أمـانيهم وخـابت مطـالبهم وبقـوا في العذاب الأليم)[1]

[الحديث: 319]ـ عن إبـراهيم بن أبي محمـود أنـه قـال للإمام الرضا: يـا بن رسـول اللـه، إنّ عنـدنا أخبـاراً في فضـائل الإمام علي، وفضلكم أهل البيت، وهي من رواية مخـالفيكم ولا

1() بحار الأنوار (25/ 274)

نعرف مثلها عنكم، أفندين بها؟، فقال: (يا ابن أبي محمود، لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده أنّ رسول الله ﷺ قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عزّ وجلّ فقد عبدَ الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس)، ثم قال: (يا ابن أبي محمود، إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108].. يا بن أبي محمود، إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا، فإنه من لزمَنا لزمْناه، ومن فارقَنا فارقْناه، إنّ أدنى ما يُخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة، ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه.. يا بن أبي محمود، احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة)[1]

[الحديث: 320] قال الإمام الحسن العسكري: (لعن الله القاسم اليقطيني، ولعن الله علي بن حسكة القمي، إنّ شيطاناً تراءى للقاسم، فيوحي إليه زخرف القول غرورا)[2]

[الحديث: 321] ما روي عن الإمام الحجة ردّاً على الغلاة جواباً لكتاب كُتب إليه من طرف محمد بن علي بن هلال الكرخي: (يا محمد بن علي، تعالى الله عزّ وجلّ عمّا يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: 65]، وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين: محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وغيرهم ممن مضى من الأئمة، إلى مبْلغ أيامي ومنتهى عصري عبيدُ الله عزّ وجلّ، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا

(1) بحار الأنوار: 25/278، والاحتجاج ص242، تفسير الإمام ص18.
(2) بحار الأنوار: 25/316، والكشي ص321.

وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: 124 ـ 126].. يا محمد بن علي، قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناحُ البعوضة أرجحُ منه، وأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً، ومحمداً رسوله وملائكته وأنبياءه وأولياءه، وأشهِدك وأشهِد كل مَن سمع كتابي هذا، أني بريءٌ إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إنا نعلم الغيب، أو نشارك الله في مُلكه، أو يُحلّنا محلاً سوى المحل الذي نصبه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدّى بنا عمّا قد فسرتُه لك وبينتهُ في صدر كتابي.. وأشهدكم أنّ كل من نتبرأ منه، فإنّ الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأولياؤه، وجعلتُ هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانةً في عنقك وعنق مَن سمعه، أن لا يكتمه من أحد من مواليّ وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي، لعلّ الله عزّ وجلّ يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحقّ، وينتهوا عمّا لا يعلمون منتهى أمره ولا يبلغ منتهاه، فكلّ مَن فهم كتابي ولم يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته، فلقد حلّت عليه اللعنة من الله، وممن ذكرت من عباده الصالحين)[1]

2 ـ حفظ وحدة الأمة:

وهو مما يقر به أصحاب المدرسة السنية أنفسهم؛ فهم يذكرون من أدلة اعتبار الخلافة في قريش اجتماع كلمة المسلمين على أفراد محدودين، بخلاف ما لو وزعت على كل القبائل العربية أو العجمية، ذلك أن الأمة تتفرق بسبب ذلك.

وقد كان يمكنهم استخدام هذا الدليل مع العترة الطاهرة، لأنه حينها سيكون أكثر مقبولية؛ فالعترة أقل عددا من القرشيين، وهي مقبولة عند كل المسلمين عربهم وعجمهم، تعظيما لرسول الله ﷺ.

ولهذا نجد أحاديث أئمة الهدى تذكر الأمة بهذا ا لجانب، حتى تتوحد عليها، ويمكن تقسيم ما ورد في ذلك إلى قسمين:

أ ـ حفظ الوحدة السياسية:

ومن الأحاديث التي يمكن الاستدلال بها لهذا الجانب:

[الحديث: 322]ـ ما روي أنه لما انتهت إلى الإمام علي أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ، قال: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير، فقال الإمام علي: (فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله ﷺ وصى بأن يحسن إلى

1() بحار الأنوار: 25/268، والاحتجاج ص265.

محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟) قالوا: وما في هـذا من الحجـة عليهم؟ قال: (لو كـانت الإمـارة فيهم لم تكن الوصـية بهم)، ثم قال: فما ذا قالت قريش؟!. قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول ﷺ، فقال: (احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة!) [1]

[الحديث: 323] ما روي عن الإمام علي، وأنه قال لمن احتج للخلافة بالصحبة: (وا عجباه أتكـون الخلافـة بالصـحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة؟!)[2]

[الحديث: 324] ويروى عنه في هذا المعنى قوله[3]:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم... فكيف بهذا والمشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم... فغيرك أولى بالنبي وأقرب

[الحديث: 325] قال الإمام الصادق: (كـان علي بن أبي طالب عالم هذه الامة، والعلم يتـوارث، وليس يمضـي منـا أحـد حتى يرى من ولـده من يعلم علمـه ولا تبقى الارض يومـا بغـير إمام منا تفزع إليه الامة)، قيل لـه: يكـون إمامـان؟ قـال: (لا إلا وأحدهما صامت لا يتكلم حتى يمضي الأول) [4]

ب ـ حفظ وحدة الولاء:

فالأمة الـتي لم تسـتطع أن تـوفر لنفسـها وحـدة سياسـية يمكنها أن توفرها عبر وحدة الولاء، ولهـذا ذكـر أئمـة الهـدى أن من أدوار الإمام حفظ وحدتها عبر بيعة ومعاهدة الإمام إما أثنـاء حضوره وتواجده، أو عند غيابه.

ولذلك؛ فإن غيبة الإمام مـع بقـاء الـولاء والبيعـة والتمهيـد، تجعله حاضرا، يؤدي دوره كاملا في الأمة، لأنهـا تشـعر بأنـه هـو المحرك الروحي لها، ومن خلال ذلك الـولاء يمكنهـا أن تمـارس دورها التصحيحي والإصلاحي.

ولعل أقـرب الأمثلـة الدالـة على هـذا وأحسـنها مـا يـذكره المؤرخون من أن قائـد الـدعوة العباسـية السـرية للثـورة على الدولـة الأمويـة، وهـو محمـد بن علي بن عبـد اللـه بن عبـاس، صاحب (الحميمة)، كان يطلب من مبعوثـه السـري إلى النقبـاء

1() بحار الأنوار (29/ 611)

2() نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ 4 ـ 179.

3() بحار الأنوار (29/ 609)

4() بصائر الدرجات: 150.

في العـراق وخراسـان عـدم ذكـر اسـمه الصـريح في الـدعوة، وكـان يسـتعمل بـدل ذلـك اسـم [الرضـا من آل محمـد]، وقـد استطاع من خلال هذا الاسم الوهمي أن يجمع أنصاره، ويقضي على الدولة الأموية.. وبذلك كان للاسم المرتبط بآل بيت النبوة وحده تأثيره الكبير في تهديم دولة، وإنشاء دولة أخرى.

ولهذا نرى الأحاديث تدعو إلى البحث عن الإمـام والتعـرف عليه وبيعته والارتباط الروحي به، سـواء كـان حاضـرا أو غائبـا، لأن أثره في كلا الحالين متحقق، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 326]ـ قال رسـول اللـه ﷺ: (في الجنـة ثلاث درجـات، وفي النـار ثلاث دركـات: فـأعلى درجـات الجنـة: لمن أحبنا بقلبه، ونصرنا بلسانه ويده، وفي الدرجة الثانية: مَن أحبنـا بقلبه، ونصرنا بلسانه، وفي الدرجة الثالثة: من أحبنا بقلبه، وفي أسفل الدرك من النار: مَن أبغضنا بقلبـه، وأعـان علينـا بلسـانه ويده، وفي الـدرك الثانيـة من النـار: مَن أبغضـنا بقلبـه، وأعـان علينا بلسانه، وفي الدرك الثالثة من النار: مَن أبغضنا بقلبه)[1]

[الحديث: 327]ـ قام ثوبان مولى رسـول اللـه ﷺ قـال: (بـأبي أنت وأمي يـا رسـول اللـه، مـتى قيـام السـاعة؟، فقـال رسول الله ﷺ: (ما أعددتَ لها إذ تسأل عنها؟)، قال: (يا رسول الله، ما أعددتُ لها كثير عمل إلا أني أحبّ الله ورسـوله، فقـال رسول الله ﷺ: (وإلى ماذا بلـغ حبـك لرسـول اللـه ﷺ؟)، قـال: والذي بعثك بالحقّ نبياً، إنّ في قلبي من محبتـك مـا لـو قُطّعتُ بالسيوف، ونُشرتُ بالمناشـير، وقُرّضـتُ بالمقـاريض، وأُحـرقتُ بالنيران، وطُحنتُ بأرحاء الحجارة، كـان أحبّ إليّ وأسـهل عليّ من أن أجد لك في قلبي غشّاً أو غلاً أو بغضاً لأحد من أهل بيتك وأصحابك، وأحبّ الخلق إليّ بعدك أحبّهم لك، وأبغضهم إليّ من لا يحبك ويبغضك أو يبغض أحداً من أصحابك، يا رسول الله، هذا مـا عنـدي من حبّـك، وحبّ مَن يحبّـك، وبغض مَن يبغضـك، أو يبغض أحداً ممن تحبّه، فإن قُبل هذا مني فقد سعدتُ، وإن أُريدَ مني عمل غيره فما أعلم لي عملاً أعتمده وأعتـدّ بـه غـير هـذا، أحبكم جميعاً أنت وأصحابك وإن كنت لا أطيقهم في أعمـالهم)، فقال ﷺ: (أبشر فإنّ المرء يوم القيامة مع مَن أحبه، يـا ثوبـان، لـو كـان عليـك من الـذنوب ملء مـا بين الـثرى إلى العـرش، لانحسرت وزالت عنك بهذه المـوالاة، أسـرع من انحـدار الظـلّ

[1] () بحار الأنوار: 27/93، والمحاسن ص153.

عن الصخرة الملساء المستوية إذا طلعت عليه الشمس، ومن انحسار الشمس إذا غابت عنها الشمس)[1]

[الحديث: 328]ـ قال بعضهم: كنت أرى رأي الخوارج لا رأي لي غيره، حتى جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعته يقول: (أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة)، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ما هذه الأربع التي عملوا بها؟، قال: (الصلاة والزكاة والحجّ وصوم شهر رمضان)، قال: فما الواحدة التي تركوها؟، قال: (ولاية علي بن أبي طالب)، قال الرجل: وإنها المفترضة معهن؟، قال أبو سعيد: (نعم وربّ الكعبة)[2]

[الحديث: 329] قال بعضهم: كنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد، فقال له النبي ﷺ: (ما تشاء؟)، فقال: المرء يحبّ القوم ولا يعمل بأعمالهم، فقال النبي ﷺ: (المرء مع مَن أحبّ)، فقال: يا محمد، اعرض عليّ الإسلام، فقال: (اشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحجّ البيت)، فقال: يا محمد، تأخذ على هذا أجراً؟، فقال: (لا، إلا المودة في القربى قال: قرباي أو قرباك؟، قال: (بل قرباي، قال: (هلمّ يدك حتى أبايعك، لا خير فيمن يودّك ولا يودّ قرباك)[3]

[الحديث: 330] قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه ذات يوم: (يا عبد الله.. أحبّ في الله، وأبغضْ في الله، ووال في الله، وعادِ في الله، فإنه لا تُنال ولاية الله إلا بذلك.. ولا يجد رجلٌ طعم الإيمان ـ وإن كثُرت صلاته وصيامه ـ حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادّون وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً)، فقال له: وكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله عزّ وجل؟.. ومَن وليّ الله عزّ وجلّ حتى أواليه؟.. ومَن عدوّه حتى أعاديه؟.. فأشار له رسول الله ﷺ إلى الإمام علي، فقال: (أترى هذا؟).. فقال: بلى، قال: (وليّ هذا ولي الله فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده)، ثم قال: (والِ وليّ هذا ولو

1() بحار الأنوار: 27/101، وتفسير الإمام العسكري.
2() بحار الأنوار: 27/102، ومجالس المفيد ص89.
3() بحار الأنوار: 27/103، ومجالس المفيد ص89.

أنه قاتل أبيك وولدك، وعادِ عدوّ هذا ولو أنه أبوك أو ولدك)[1]

[الحديث: 331]ـ قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحبّ إليه من نفسه، وأهلي أحبّ إليـه من أهلـه، وعـترتي أحبّ إليه من عترته، وذاتي أحبّ إليه من ذاته، فقـال رجـلٌ من القوم: (يا أبا عبد الرحمن.. ما تزال تجيئ بالحـديث يحـيي اللـه به القلوب)[2]

[الحديث: 332]ـ قال رسـول اللـه ﷺ: (أحبّـوا اللـه لمـا يغذوكم به من نعمه، وأحبّوني لحبّ الله عزّ وجلّ، وأحبّـوا أهـل بيتي لحبّي)[3]

[الحديث: 333]ـ قـال رسـول اللـه ﷺ للإمـام علي: (يـا عليّ.. ما ثبت حبّك في قلب امرئ مؤمنٍ فـزلّت بـه قـدمٌ على الصراط، إلا ثبتت له قدمٌ حتى يُدخله اللهُ عزّ وجلّ بحبك الجنة)[4]

[الحديث: 334]ـ قـال رسـول اللـه ﷺ: (مَن رزقـه اللـه حبّ الأئمة من أهل بيـتي فقـد أصـاب خـير الـدنيا والآخـرة، فلا يشـكّنّ أحـدٌ أنـه في الجنـة، فـإنّ في حبّ أهـل بيـتي عشـرين خصلة، عشر منها في الدنيا، وعشر في الآخرة: أمـا في الـدنيا: فالزهد، والحرص على العمل، والـورع في الـدين، والرغبـة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيـام الليـل، واليـأس ممـا في أيـدي النـاس، والحفـظ لأمـر اللـه ونهيـه عـزّ وجـلّ، والتاسعة بغض الدنيا، والعاشرة السخاء.. وأمـا في الآخـرة: فلا يُنشـر لـه ديـوانٌ، ولا يُنصـب لـه مـيزانٌ، ويُعطى كتابـه بيمينـه، ويُكتب لـه بـراءةٌ من النـار، ويـبيض وجهـه، ويُكسـى من حلـل الجنة، ويُشفّع في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجـلّ إليـه بالرحمة، ويُتوّج من تيجان الجنـة، والعاشـرة يـدخل الجنـة بغـير حسـاب، فطـوبى لمحبّي أهـل بيـتي)[5]، فقـال الإمـام علي: يـا رسول الله.. ما لنا ولقريش، إذا تلاقوا تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغـير ذلـك، فغضـب النـبي ﷺ ثم قـال: (والـذي نفسـي بيـده لا يـدخل قلب رجـل الإيمـان حـتى يحبكم للـه

1() بحار الأنوار: 27/55، وتفسير الإمـام العسـكري ص18، معـاني الأخبـار ص113، العيون ص161.
2() بحار الأنوار: 27/76، وأمالي الصدوق ص201.
3() بحار الأنوار: 27/76، وأمالي الصدوق ص219.
4() بحار الأنوار: 27/77، وأمالي الصدوق ص348.
5() بحار الأنوار: 27/79، والخصال 2/99.

ولرسوله)[1]

[الحديث: 335] قال رسول الله ﷺ: (قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7]، ثم التفت إلى الإمام علي فقال: (نعم أنت يا علي وشيعتك، وميعادك وميعادهم الحوض غرّاً محجّلين مكحّلين متوَّجين)[2]

[الحديث: 336] قال رسول الله ﷺ: (أثبتكم على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتي ولأصحابي)[3]

[الحديث: 337] قال رسول الله ﷺ: (لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: (عن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت)[4]

[الحديث: 338] قال رسول الله ﷺ: (عنوان صحيفة المؤمن: (حبّ علي بن أبي طالب)[5]

[الحديث: 339] عن أنس بن مالك قال: رجعنا مع رسول الله ﷺ قافلين من تبوك، فقال لي في بعض الطريق: (ألقوا لي الأحلاس والأقتاب، ففعلوا)، فصعد رسول الله ﷺ فخطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (معاشر الناس، ما لي إذا ذُكر آل إبراهيم عليه السلام تهلّلت وجوهكم، وإذا ذُكر آل محمد كأنما يُفقأ في وجوهكم حبّ الرمان؟.. فو الذي بعثني بالحقّ نبياً، لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال، ولم يجيء بولاية علي بن أبي طالب لأكبّه الله عزّ وجلّ في النار)[6]

[الحديث: 340] قال رسول الله ﷺ: (حُرّمت الجنة على مَن ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن صنع صنيعةً إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها، فإني أجازيه غدا إذا لقيني يوم القيامة)[7]

[الحديث: 341] قال رسول الله ﷺ: (مَن أراد التوسل

1() بحار الأنوار: 27/81، وأمالي الطوسي ص30.
2() بحار الأنوار: 27/131، والمحتضر ص126.
3() بحار الأنوار: 27/133، ونوادر الراوندي.
4() بحار الأنوار: 27/135، وأمالي الطوسي ص25.
5() بحار الأنوار: 27/142، والعمدة ص193.
6() بحار الأنوار: 27/171، وأمالي الطوسي ص17.
7() بحار الأنوار: 26/229، والعمدة ص26.

إليّ، وأن يكون له عندي يدٌ أشفع له بها يـوم القيامـة، فليصلْ أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم)[1]

[الحديث: 342]ـ قال رسول الله ﷺ: (يا سلمان.. مَن أحبّ فاطمة ابنتي فهـو في الجنـة معي، ومَن أبغضـها فهـو في النار.. يا سلمان.. حبّ فاطمة ينفع في مائة موطن، أيسر تلـك المـواطن: (المـوت والقـبر والمـيزان والمحشـر والصـراط والمحاسبة، فمَن رضيتْ عنه ابنتي فاطمة رضيت عنه، ومَن رضيت عنه رضي الله عنه، ومَن غضبتْ عليه فاطمة غضبت عليه، ومَن غضبتُ عليه غضبَ الله عليه.. يا سلمان.. ويـلٌ لمن يظلمها ويظلم ذريتها وشيعتها)[2]

[الحديث: 343]ـ كان النبي ﷺ كلما أصبح أقبل على أصحابه بوجهه فقال: (هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟.. وإن النبي ﷺ أصبح ذات يوم فقال: (رأيت في المنام عمي حمـزة وابن عمي جعفراً جالسَين، وبين يديهما طبق تين وهما يأكلان منه، فما لبثا أن تحـوّل رطبـاً فـأكلا منـه، فقلت لهمـا: (فمـا وجـدتما أفضـل الأعمال في الآخرة؟).. قالا: (الصلاة، وحبّ علي بن أبي طالب، وإخفاء الصدقة)[3]

[الحـديث: 344]ـ روي أنّ رجلاً قـدم على الإمـام علي فقال: يا أمير المؤمنين.. إني أحبّـك وأحبّ فلانـاً، وسـمّى بعض أعدائـه، فقـال: (أمـا الآن فـأنت أعـور، فإمـا أن تَعمى وإمـا أن تُبصر)[4]

[الحديث: 345]ـ قال الإمام علي: (مازلت مظلوماً منـذ ولدتني أمي، حتى أنّ عقيلاً كان يصيبه رمـدٌ فقـال: (لا تـذّروني حتى تذرّوا علياً، فيذرّوني وما بي رمد)[5]

[الحديث: 346]ـ قـال الإمـام علي: (ذكرنـا أهـل الـبيت شفاءٌ من الوعك والأسقام ووسواس الريب، وحبنا رضى الـرب تبارك وتعالى)[6]

[الحديث: 347]ـ قال الإمام علي: (ما خلق الله عزّ وجلّ

---

(1) بحار الأنوار: 26/227، وأمالي الصدوق ص228.
(2) بحار الأنوار: 27/117، وإيضاح دفائن النواصب ص39.
(3) بحار الأنوار: 27/117، ومدينة المعاجز 3/43.
(4) بحار الأنوار: 27/58، والسرائر.
(5) بحار الأنوار: 27/62، واعتقادات الصدوق ص111.
(6) بحار الأنوار: 26/227، والمحاسن ص62.

شيئاً أشرّ من الكلب، والناصب أشرّ منه)[1]

[الحديث: 348]ـ عن عمرو بن قيس المشرقي قال: دخلت على الإمام الحسين أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل، فسلّمنا عليه فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله.. هذا الذي أرى خضابٌ أو شعرك؟.. فقال: (خضابٌ والشيب إلينا بني هاشم يعجل)، ثم أقبل علينا فقال: (جئتما لنصرتي؟.. فقلت: (إني رجلٌ كبير السن، كثير الدَّين، كثير العيال، وفي يدي بضايع للناس ولا أدري ما يكون، وأكره أن أضيّع أمانتي، وقال له ابن عمي مثل ذلك، قال لنا: (فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً، فإنه مَن سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يغثنا، كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يكبّه على منخريه في النار)[2]

[الحديث: 349]ـ قال الإمام الباقر عن آبائه: لما قضى رسول الله ﷺ مناسكه من حجة الوداع ركب راحلته وأنشأ يقول: (لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً)، فقام إليه أبو ذر الغفاري فقال: يا رسول الله وما الإسلام؟!.. فقال: (الإسلام عريان: ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وملاكه الورع، وكماله الدين وثمرته العمل.. ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت)[3]

[الحديث: 350]ـ دخل بعضهم على الإمام الباقر فقال: (بأبي أنت.. ربما خلا بي الشيطان فخبثتْ نفسي، ثم ذكرت حبي إياكم وانقطاعي إليكم فطابتْ نفسي، فقال: (يا زياد ويحك.. وما الدين إلا الحبّ، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 31])[4]

[الحديث: 351]ـ قال بعضهم: كنت عند الإمام الباقر وعنده في الفسطاط نحو من خمسين رجلاً، فجلس بعد سكوت منا طويل فقال: (ما لكم؟.. لعلكم ترون أني نبي الله؟.. والله ما أنا كذلك، ولكن لي قرابة من رسول الله ﷺ وولادة، فمَن وصلنا وصله الله، ومن أحبّنا أحبّه الله عزّ وجلّ،

1() بحار الأنوار: 27/221، وأمالي الطوسي ص171.
2() بحار الأنوار: 27/204، وثواب الأعمال ص250.
3() بحار الأنوار: 27/82، وأمالي الطوسي ص52.
4() بحار الأنوار: 27/94، وتفسير العياشي 1/167.

ومَن حرمنا حرمه الله.. أفتدرون أي البقاع أفضل عند الله منزلةً؟).. فلم يتكلّم أحدٌ منا، فكان هو الرادّ على نفسه قال: (ذلك مكة الحرام التي رضيها الله لنفسه حرماً وجعل بيته فيها)، ثم قال: (أتدرون أي البقاع أفضل فيها عند الله حرمةً؟).. فلم يتكلّم أحدٌ منا فكان هو الرادّ على نفسه فقال: (ذلك المسجد الحرام)، ثم قال: (أتدرون أي بقعة في المسجد الحرام أفضل عند الله حرمةً؟).. فلم يتكلّم أحدٌ منا فكان هو الرادّ على نفسه فقال: (ذاك بين الركن والمقام وباب الكعبة، وذلك حطيم إسماعيل عليه السلام ذاكِ الذي كان يزوّد فيه غنيماته ويصلّي فيه، ووالله لو أنّ عبداً صفّ قدميه في ذلك المكان، قام الليل مصليّاً حتى يجيئه النهار، وصام النهار حتى يجيئه الليل، ولم يعرف حقّنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً)[1]

[الحديث: 352] قال الإمام الباقر: (إنّ أحبّ أصحابي إليّ أفقههم وأورعهم وأكتمهم لحديثنا، وإنّ أسوأهم عندي حالاً، وأمقتهم إليّ الذي إذا سمع الحديث يُنسب إلينا ويُروى عنا، فلم يحتمله قلبُه واشمأزّ منه، جحده وأكفر مَن دان به، ولا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند)[2]

[الحديث: 353] قال الإمام الباقر: (إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فينادي منادٍ: (مَن كانت له عند رسول الله ﷺ يدٌ فليقم، فيقوم عنقٌ من الناس فيقول: ما كانت أياديكم عند رسول الله ﷺ؟.. فيقولون: كنا نفضّل أهل بيته من بعده، فيُقال لهم: (اذهبوا فطوفوا في الناس، فمن كانت له عندكم يدٌ فخذوا بيده فأدخلوه الجنة)[3]

[الحديث: 354] قيل للإمام الصادق: إنّ فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: (هيهات..كذب مَن ادّعى محبتنا، ولم يتبرأ من عدونا)[4]

[الحديث: 355] قال الإمام الصادق: (من قال فينا بيتَ شعر، بنى الله له بيتا في الجنة)[5]

[الحديث: 356] قال الإمام الصادق: (ما قال فينا قائلٌ

1() بحار الأنوار: 27/178، وثواب الأعمال ص197.
2() بحار الأنوار: 25/366، ومختصر بصائر الدرجات ص98.
3() بحار الأنوار: 26/228، وتفسير القمي.
4() بحار الأنوار: 27/58، والسرائر 3/640.
5() بحار الأنوار: 26/231، والعيون ص5.

بيت شعر حتى يُؤيَّد بروح القدس)[1]

[الحديث: 357] قال الإمام الصادق لشاعر: (إنّ ملَكاً يُلقي عليه الشعر، وإني لأعرف ذلك الملك)[2]

[الحديث: 358] قلت للإمام الصادق: (إنّ لنا خادمةً لا تعرف ما نحن عليه، فإن أذنبتْ ذنباً وأرادت أن تحلف بيمين قالت: لا وحقّ الذي إذا ذكرتموه بكيتم، فقال: (رحمكم الله من أهل بيت)[3]

[الحديث: 359] قيل للإمام الصادق: (إني ألمّ بالذنوب فأخاف الهلكة، ثم أذكر حبكم فأرجو النجاة، فقال: (وهل الدين إلا الحبّ؟).. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 7]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] وقال رجل لرسول الله ﷺ: إني أحبّك، فقال: (إنك لتحبني؟).. فقال الرجل: إي والله، فقال النبي ﷺ: (أنت مع مَن أحببت)[4]

[الحديث: 360] قال بعضهم: دخلنا على الإمام الصادق فقال: (مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً، والله إنا لنستأنس برؤيتكم، إنكم ما أحببتمونا لقرابة بيننا وبينكم، ولكن لقرابتنا من رسول الله ﷺ، فالحبّ لرسول الله ﷺ، على غير دنيا أصبتموها منا، ولا مالٍ أعطيتم عليه، أجبتمونا في توحيد الله وحده لا شريك له، إنّ الله قضى على أهل السماوات وأهل الأرض فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، وليس يبقى إلا الله وحده لا شريك له.. اللهم كما كانوا مع آل محمد في الدنيا، فاجعلهم معهم في الآخرة.. اللهم كما كان سرّهم على سرّهم وعلانيتهم على علانيتهم، فاجعلهم في ثقل محمد يوم القيامة)[5]

[الحديث: 361] قال بعضهم: كنا عند الإمام الصادق أنا وابن أبي يعفور وعبد الله بن طلحة فقال ابتداء منه: (يا بن أبي يعفور.. ستّ خصال مَن كنّ فيه كان بين يدي الله عزّ وجلّ وعن يمين الله)، قال ابن أبي يعفور: وما هي جعلت فداك؟!.. قال: (يحبّ المرء المسلم لأخيه ما يحبّ لأعزّ أهله، ويكره

1() بحار الأنوار: 26/231، والعيون ص5.
2() بحار الأنوار: 26/232، والكشي ص217.
3() بحار الأنوار: 27/104، والكشي ص220.
4() بحار الأنوار: 27/122، ودعائم الإسلام 1/71 باختلاف.
5() بحار الأنوار: 27/126، وبحار الانوارج27/ص126.

المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعزّ أهله عليه، ويناصحه الولايـة)، فبكى ابن أبي يعفور وقال: كيف يناصحه الولاية؟.. قال: (يـا بن أبي يعفور.. إذا كان منه بتلك المنزلة فهمّه همّه، وفرحه فرحـه إن هو فرح، حزنه لحزنه إن هو حزن، فإن كان عنـده مـا يفـرّج عنه فرّج عنه وإلا دعا لـه)، ثم قـال الإمـام الصـادق: (ثلاث لكم وثلاث لنـا: أن تعرفـوا فضـلنا، وأن تطـأوا أعقابنـا، وتنتظـروا عاقبتنا)[1]

[الحـديث: 362]ـ قـال بعضـهم: قلت للإمـام الصـادق: جعلت فداك.. قـد كـبر سـني ودقّ عظمي واقـترب أجلي، وقـد خفت أن يـدركني قبـل هـذا الأمـر المـوت، فقـال لي: (يـا أبـا حمـزة.. أوَ مـا تـرى الشـهيد إلا من قُتـل؟).. قلت: نعم، جعلت فـداك.. فقـال لي: (يـا أبـا حمـزة.. مَن آمن بنـا وصـدّق حـديثنا وانتظرنا، كان كمن قُتل تحت راية القائم، بـل واللـه تحت رايـة رسول الله ﷺ)[2]

[الحديث: 363]ـ قيـل للإمـام الصـادق: إنّ أبـا الخطـاب يذكر عنـك أنـك قلت لـه: إذا عـرفت الحـقّ فاعمـل مـا شـئت، فقال: (لعن الله أبا الخطاب والله ما قلت له هكذا، ولكني قلت له: إذا عرفت الحقّ، فاعمل ما شـئت من خـير يُقبـل منـك، إنّ الله عزّ وجـلّ يقـول: ﴿ وَمَنْ يَعْمَـلْ مِنَ الصَّـالِحَاتِ مِنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُــوَ مُــؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَـدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُــونَ نَقِـيرًا﴾ [النساء: 124]، ويقـول تبـارك وتعـالى: ﴿مَنْ عَمِـلَ صَـالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97])[3]

[الحديث: 364]ـ قـال الإمـام الصـادق: (إنّ اللـه تبـارك وتعالى انتجبنا لنفسه، فجعلنـا صـفوته من خلقـه، وأمنـاءه على وحيه، وخزّانه في أرضه، وموضع سرّه، وعيبة علمه، ثم أعطانـا الشفاعة فنحن أذنهُ السامعة، وعينه النـاظرة، ولسـانه النـاطق بإذنه، وأمناؤه على ما نزل من عذر ونُذُر وحجة)[4]

[الحديث: 365]ـ قـال الإمـام الصـادق: (نحن بـاب اللـه وحجته وأمناؤه على خلقه، وخزّانه في سمائه وأرضه، حلّلنا عن الله وحرّمنا عن الله، لا نحتجب عن الله إذا شئنا، وهو قوله ﷺ:

1() بحار الأنوار: 27/133، والمحتضر.
2() بحار الأنوار: 27/138، وكنز جامع الفوائد ص332.
3() بحار الأنوار: 27/174، ومعاني الأخبار ص388.
4() بحار الأنوار: 26/247، وبصائر الدرجات.

(إنّ الله جعل قلب وليّه وكراً لإرادته، فإذا شاء الله شئنا)[1]

[الحديث: 366]ـ قال الإمام الرضا: (ما قال فينا مؤمنٌ شعراً يمدحنا به، إلا بنى الله تعالى له مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات، يزوره فيها كل ملَك مقرّب، وكلّ نبي مرسل)[2]

[الحديث: 367]ـ قال بعضهم: كنت مع الإمام الرضا لما دخل نيسابور، وهو راكبٌ بغلة شهباء وقد خرج علماء نيسابور في استقباله، فلما سار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته وقالوا: يا بن رسول الله.. حدثنا بحقّ آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين.. فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خز فقال: (حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين سيد شباب أهل الجنة عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ قال: (أخبرني جبرائيل الروح الأمين عن الله تقدّست أسماؤه وجلّ وجهه قال: (إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي عبادي فاعبدوني، وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً بها أنه قد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي)، قالوا: يا بن رسول الله.. وما إخلاص الشهادة لله؟.. قال: (طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته)[3]

3 ـ تحقيق الحاكمية الإلهية:

وهي الغاية التي سعى إليها كل الأئمة، والتي أخبر رسول الله ﷺ أنها ستتحقق عبر الإمام المهدي الذي تتشكل على يديه الحكومة الإلهية على منهاج النبوة، والتي تنقذ البشر جميعا من حكومات الأهواء والضلالة.

أما غيره من الأئمة، ابتداء من الإمام علي؛ فقد سعوا إلى تحقيق ذلك، لكن الظروف لم تسمح لهم، وهذا لا يعني فشلهم، وإنما يعني عدم توفر القابلية الكافية في الأمة لتنال ذلك الشرف.

ومن الأحاديث الدالة على اعتبار أئمة الهدى كل حكم بغير شريعة الله ضلالة، ودعوتهم إلى السعي لتغييره، لتحقيق الحاكمية الإلهية:

1() بحار الأنوار: 26/256، وتفسير الفرات ص201.

2() بحار الأنوار: 26/231، والعيون ص5.

3() بحار الأنوار: 27/134، وأمالي الطوسي ص24.

[الحديث: 368]ـ خطبة الامـام الحسـين في مـنى حـول وظائف الفقيه ومسؤولياته، وأسباب جهاده وثورته الداخلية ضد الحكم الأموي، فقد ورد فيها: (اعتبروا أيّها الناس بما وعظ اللـه به أولياءه من سوء ثنائـه على الأحبـار إذ يقـول: ﴿ لَـوْلَا يَنْهَـاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَـارُ عَنْ قَـوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَـا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 63]، وقال:﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَـى ابْنِ مَـرْيَمَ ذَلِـكَ بِمَـا عَصَـوْا وَكَانُوا يَعْتَـدُونَ ﴾ [المائـدة: 78]، وإنّمـا عـاب اللـه ذلـك عليهم لأنّهم كـانوا يـرون من الظلَمـة الّـذين بين أظهـرهم المنكـر والفسـاد فلا ينهـونهم عن ذلـك رغبـة فيمـا كـانوا ينـالون منهم، ورهبة ممّا يحذرون والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَـوْنِ ﴾ [المائدة: 44]، وقـال: ﴿وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ يَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ ﴾ [التوبـة: 71]؛ فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضةً منه لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأُقيمت، استقامت الفرائض كلّهـا هيّنهـا وصـعبها. وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعـاء إلى الإسـلام مع ردّ المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها.ثُمّ أنتم أيّتها العصـابة، عصابة بالعِلم مشهورة، وبالخير مـذكورة، وبالنصـيحة معروفـة، وباللـه في أنفس النـاس مُهابـة، يهـابكم الشـريف، ويُكـرمكم الضـعيف، ويُـؤثركم من لا فضـل لكم عليـه، ولا يـد لكم عنـده، تشـفعون في الحـوائج إذا امتنعت من طلّابهـا، وتمشـون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر. أليس كلّ ذلك إنّما نلتموه بما يُرجى عندكم من القيام بحقّ الله، وإن كنتم عن أكـثر حقّـه تُقصِّرون؟ فاستخففتم بحقّ الأمّة، فأمّا حـقّ الضـعفاء فضـيّعتم، وأمّا حقّكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالاً بـذلتم، ولا نفسـاً خـاطرتم بها للّذي خلقها، ولا عشيرة عـاديتم في ذات اللـه. أنتم تتمنّـون على الله جنّته ومجاورة رسـله وأمانـاً من عذابـه، لقـد خشـيت عليكم أيّها المتمنّون على الله أن تحـلّ نقمـة من نقماتـه لأنّكم بلغتم من كرامـة اللـه منزلـةً فضّـلتم بهـا، ومن يعـرف باللـه لا تُكرمون، وأنتم بالله في عباده تُكرمون. وقـد تـرون عهـود اللـه منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبـائكم تفزعـون، وذمّـة رسـول اللـه ﷺ محقـورة، والعمي والبكم والـزمن في المـدائن مهملـة لا ترحمـون، ولا في مـنزلتكم تعملـون، ولا من فيهـا

تُعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون. كلّ ذلك ممّـا أمـركم اللـه بـه من النهي والتنـاهي وأنتم عنـه غـافلون. وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلمـاء لـو كنتم تسمعون. ذلك بأنّ مجاري الأمور والأحكـام على أيـدي العلمـاء بالله الأمناء على حلاله وحرامه. فأنتم المسلوبون تلك المنزلـة، ما سُلبتم ذلك إلّا بتفرّقكم عن الحقّ واختلافكم في السـنّة بعـد البيّنة الواضـحة. ولـو صـبرتم على الأذى، وتحمّلتم المؤونـة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصـدر وإليكم ترجـع ولكنّكم مكّنتم الظّلمـة من مـنزلتكم وأسـلمتم أمـور اللـه في أيديهم، يعملـون بالشـبهات ويسـيرون في الشـهوات. سـلّطهم على ذلـك فـراركم من المـوت وإعجـابكم بالحيـاة الّـتي هي مفـارقتكم، فأسـلمتم الضـعفاء في أيـديهم، فمن بين مسـتعبد مقهـور وبين مستضـعَف على معيشـته مغلـوب، يتقلّبـون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخـزي بـأهوائهم اقتـداءً بالأشـرار وجرأةً على الجبّار، في كلّ بلدٍ منهم على منبره خطيب يصـقع، فالأرض شاغرة وأيـديهم فيهـا مبسـوطة، والنـاس لهم خـول، لا يـدفعون يـد لامس، فمن بين جبّـارٍ عنيـد وذي سـطوةٍ على الضعفة شديد مطاع لا يعرف المبدئ والمعيد، فيا عجبـاً ومـالي لا أعجب والأرض من غـاش غشـوم ومتصـدّق ظلـوم، وعامـل على المؤمنين بهم غير رحيم. فالله الحـاكم فيمـا فيـه تنازعنـا، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا.. اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافسـاً في سـلطان ولا التماسـاً من فُضـول الحطـام، ولكن لنُري المعالم من دينك ونُظهـر الإصـلاح في بلادك ويـأمن المظلومـون من عبـادك، ويُعمـل بفرائضـك وسـننك وأحكامـك. فـإن لم تنصـرونا وتُنصـفونا، قـوي الظلمـة عليكم وعملـوا في إطفاء نور نبيّكم، وحسـبنا اللـه وعليـه توكّلنـا وإليـه أنبنـا وإليـه المصير)[1]

ومما ذكره الخميني من استدلالات بالحديث[2]:

1 ـ من البديهي أن هذا الـذم والتقـبيح الـذي ذكـره الإمـام الحسين لا يختص بعلماء اليهود، ولا بعلماء النصارى، بل يشـمل علماء المجتمع الإسلامي أيضاً، وجميع علماء الدين بشكل عـام؛ وبناءاً عليه، فعلماء الدين الإسـلامي مشـمولون للـذم والتقـبيح

1() تحف العقول، ص237.

2() الحكومة الإسلامية، ص105، فما بعدها.

الإلهي أيضاً فيما لو ظلوا ساكتين أمام سياسة الظلمة ونهجهم، وهذا الامر لا يخص السلف والاجيال الماضية، بـل تتسـاوى فيـه الاجيال الماضية مع أجيال المستقبل.

2 ـ أن تساهل العلماء في وظائفهم ضرره أكثر من تقصير الآخرين في القيـام بنفس تلـك الوظـائف المشـتركة، إذ عنـدما يرتكب التاجر مخالفة ما، فإن ضررها يعود عليه، لكن إذا قصـر العلماء في وظائفهم، فسـكتوا مثلا أمـام الظلمـة، فـإن الضـرر يعود على الإسـلام. وإذا عملـوا بـوظيفتهم، وتكلمـوا حيث يجب أن يتكلموا، فإن النفع سيعود على الإسلام أيضاً.

3 ـ لقد ذكر قول الاثم وأكـل السـحت مـع أنـه يجب النهي عن جميع الأمور التي تخـالف الشـرع، وذلـك من أجـل بيـان أن هـذين المنكـرين أخطـر من جميـع المنكـرات، ويجب أن يعمـل على إنكارهما ومحاربتهما بشكل أكثر جدية، إذ أنه أحيانـا يكـون لأقاويــل الأنظمــة الظالمــة ودعايــاتهم ضــرر على الإســلام والمسلمين أكثر من عملهم في سياستهم، وغالبـا مـا يعرّضـون كرامة واعتبار الإسلام والمسلمين للهتك؛ فالله تعالى يؤاخـذهم على عدم التصدي لأقاويـل الباطـل، ودعايـات السـوء للظلمـة، وعلى عدم تكـذيبهم لمن يـدعي أنـه خليفـة اللـه، وأن الأحكـام الإلهيـة هي تلـك الـتي يطبقهـا هـو، والعدالـة الإسـلامية هي مـا يقوله وينفذه مع كونه لا يخضع للعدالة أصلا.

4 ـ لو قام شخص ما بتفسير الأحكام بنحو لا يرضـي اللـه، أو بإحداث بدعـة بذريعـة أن العـدل الإسـلامي يقتضـي ذلـك، أو بتنفيـذ أحكـام مخالفـة للإسـلام، فيجب على العلمـاء أن يبـدوا معارضتهم له؛ فإذا لم يفعلوا، فإنهم ملعونـون من اللـه تعـالى، وهذا واضح من خلال الآية التي استدل بها الإمام الحسين، وفي الحديث: (إذا ظهرت البدع، فللعالم أن يظهر علمـه، وإلا فعليـه لعنة الله)[1]، فإبداء المعارضة، وبيان الأحكـام والتعـاليم الإلهيـة المخالفة للبدع والظلم والمعاصي مفيد في حد ذاته، لأنه يـؤدي إلى إطلاع النـاس على الفسـاد الاجتمـاعي، ومظـالم الحكـام الخونة والفسقة، أو الذين لا دين لهم؛ فإبداء المعارضة من قبل علماء الدين في موارد كهذه هو نهي عن المنكر من قبل القادة الدينيين للمجتمع، ويستتبع موجة من النهي عن المنكر، ونهضـة معارضة وناهية عن المنكـر، يشـارك فيهـا جميـع أبنـاء الشـعب

1() اصول الكافي، ج1، ص54.

المتدينين والغيورين.

5 ـ حاول الخميني أن يعيد صياغة الخطبة السابقة، بشكل يتناسب مع العصر، ومن ذلك قوله مخاطبا العلماء والمراجع: (إذا لم تكونوا قادرين حاليا على منع بدع الحكام، وإزالة هذه المفاسد، فعلى الاقل لا تبقوا ساكتين. إنهم يحاربونكم، فضجوا واصرخوا واعترضوا، ولا تستسلموا للظلم. فالاستسلام للظلم أسوأ من الظلم. استنكروا واعترضوا واصرخوا، وانفوا اكاذيبهم، يجب عليكم أن تؤسسوا أجهزة اعلامية مقابل أجهزتهم، لتفضح وتنفي جميع أكاذيبهم، وتظهر للملأ أنهم يكذبون، وأن العدالة الإسلامية ليست ما يدّعون، ويجب أن تُعلَن هذه الأمور لينتبه الناس، ولا تجعل الاجيال القادمة سكوت هذه الجماعة حجة، وتحسب أن أعمال ومناهج الظلمة كانت مطابقة للشرع، وأن الدين الإسلامي المبين قد اقتضى أن يقوم بأكل السحت وسرقة اموال الشعب)[1]

وقال: (لقد أحرقوا المسجد الاقصى، ونحن نصرخ: دعوا المسجد الاقصى على حاله نصف المحترق هذا ولا تزيلوا آثار الجرم بينما نظام الشاه يفتتح الحسابات ويجمع المال من الناس باسم بناء المسجد الاقصى، ليتمكن من جني الفوائد، وملأ جيوبه عبر هذا السبيل، ومن خلال ذلك يزيل آثار جرم إسرائيل)[2]

وقال: (إن الاسباب الأساسية لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي هذه الأمور. بينما نحن قد جعلنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن دائرة صغيرة وحصرنا ذلك في الموارد التي يترتب فيها الضرر على الفاعل للمنكر، أو التارك للمعروف، وقد غرس في أذهاننا أن المنكرات هي تلك الأمور التي نراها ونسمع بها بشكل يومي في حياتنا الاعتيادية فحسب، كسماع الموسيقى في الباصات، أو ارتكاب بعض المخالفات في المقاهي، أو تجاهر بعض الناس بالافطار، وأن هذه الأمور هي التي يجب أن ننهي عنها فقط، ولا نلتفت إلى تلك المنكرات الكبيرة، إلى أولئك الذين يقومون بضرب الإسلام معنوياً، وسحق حقوق الضعفاء وما شابه من الموارد التي يجب أن ينهى فيها عن المنكر. لو صير إلى الاعتراض

1() الحكومة الإسلامية، ص107.
2() المرجع السابق، ص108.

بشكل جماعي على الظلمة، وعلى المخالفات التي يقومون بها، أو الجرائم التي يرتكبونها، ولو أرسلت اليهم آلاف برقيات الاستنكار من جميع البلاد الإسلامية، فمن المتيقن أنهم سوف يتخلون عما يقومون به)[1]

وقال: (إني أستوضحكم الآن: هل الأمور التي ذكرها الإمام في هذا الحديث كانت خاصة بأصحابه المحيطين به، والذين يستمعون إلى كلامه؟ أليس خطاب [اعتبروا أيها الناس] موجَّهاً لنا؟ ألسنا مصداق الناس وجزءً منهم؟ ألا يجب أن نأخذ العبرة من هذا الخطاب؟ وكما ذكرت في أول البحث، فإن هذه المطالب ليست مختصة بجماعة معينة، وانما هي إعلان من الإمام إلى كل أمير ووزير وحاكم وفقيه، وإلى كل الدنيا، وجميع البشر. فوصاياه قرينة للقرآن ومثله، إذ وجوب اتباعها مستمرة إلى يوم القيامة. والآية التي استدل بها أيضاً لولا ينهاهم الربانيون وإن كانت خطاباً للربانيين والأحبار، لكن الخطاب موجَّه للجميع. ولقد ذمَّ الله تعالى الربانيين والأحبار، واستنكر عليهم لسكوتهم أمام ظلم الظلمة خوفاً أو طمعاً، مع كونهم قادرين على القيام بما يمنع الظلم من خلال المعارضة ورفع الصوت والكلام، فعلماء الإسلام أيضاً إذا سكتوا، ولم يقوموا بوجه الظالمين؛ فإنهم سوف يقعون محلاً لاستنكار الله عز وجل)[2]

[الحديث: 369]ـ ما روي عن عمر بن حنظلة، أنه سأل الإمام الصادق عن رجلين حصلت بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة؛ فقال له الإمام الصادق: من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطاغوت، وما يُحكم له فإنّما يأخذه سحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يُكفر به، قال الله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ [النساء: 60]، فقال له عمر: فكيف يصنعان؟ فأجابه الإمام الصادق: (ينظران من كان منكم قد روى حديثنا،

1() المرجع السابق، ص111.
2() المرجع السابق، ص113.

ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا؛ فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً؛ فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حد الشرك بالله)[1]

وقد اهتم الخميني بهذه الرواية، وأشار إليها كثيرا عند استدلالاته على ولاية الفقيه، وقد قال عنها: (هذه الرواية من الواضحات، وليس ثمة وسوسة في سندها ودلالتها، فلا ترديد في أن الإمام الصادق قد عين الفقهاء لأجل الحكومة والقضاء، وعلى جميع المسلمين طاعة أمر الإمام)[2]

ومع كون الرواية واضحة في الدعوة لتحكيم الفقهاء والعلماء، بدل القضاة والسلاطين، إلا أننا سنقتبس بعض ما ذكره الخميني من وجوه الاستدلال بها[3]:

1ـ كما يتحصل من صدر وذيل هذه الرواية، ومن استشهاد الإمام الصادق بالآية الشريفة، فإن موضوع السؤال كان حكماً عاماً، كما أن الإمام قد بين التكليف العام، وقد ذكرت الرجوع في الدعاوى الحقوقية والجزائية إلى القضاة، وإلى المسؤولين التنفيذيين والحكوميين بشكل عام، فالرجوع إلى القضاة يكون لأجل اثبات الحق، وفصل الخصومات، وتعيين العقوبة، والرجوع إلى السلطة لأجل إلزام الطرف الآخر في الدعوى بقبول النتيجة، أو لتنفيذ الحكم الحقوقي أو الجزائي.

2 ـ في هذه الرواية يُسأل الإمام عن جواز الرجوع إلى سلاطين الجور وقضاتهم، ويجيب الإمام بالنهي عن الرجوع إلى دوائر الحكومات غير الشرعية، سواء التنفيذية أو القضائية، ويقول بأنه على الشعب المسلم ألا يرجع في أموره إلى سلاطين وحكام الجور والقضاة العاملين لديهم، حتى لو كان حق الشخص المراجع ثابتاً، ويريد الرجوع لإحقاقه وتحصيله.. ومن رجع إليهم في موارد كهذه فقد رجع إلى الطاغوت، أي السلطات غير الشرعية، وما يأخذه من حق بواسطتهم فإنما يأخذه سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً له، فهو حرام، ولا حق له في التصرف فيه.

3 ـ بين الخميني بعض الأسرار الثورية التي يحملها قول

1() الكافي، ج7، ص412، رقم5.
2() الحكومة الإسلامية، ص88.
3() المرجع السابق، ص86.

الإمام الصادق؛ فقال: (هـذا حكم سياسـي للإسـلام، حكم يبعث على امتناع المسلمين عن الرجوع إلى السلطات غير الشـرعية والقضـاة التـابعين لهم، وذلـك لكي تتوقـف الأجهـزة الحكوميـة الجائرة وغير الإسلامية، وتتعطل هذه المحاكم الطويلة العريضة التي لا يعود للناس منها سوى التعب والمشـقة، وتفتح الطريـق إلى أئمــة الهــدى وإلى الأشــخاص الموكــل اليهم حــق الحكم والقضــاة من قبلهم، والهــدف الأساســي هــو عــدم الســماح للسلاطين والقضاة التابعين لهم بأن يكونوا مرجعاً للأمور، وبأن يتبعهم النـاس في ذلـك. فقـد أعلن الأئمـة للأمـة الإسـلامية أن هـؤلاء ليسـوا بمرجـع، واللـه تعـالى أمـر النـاس بـالكفر بهم وعصـيانهم، والرجـوع اليهم يتنـافى مـع الكفـر بهم، فـإذا كنت كافراً بهم وتراهم ظـالمين وغـير لائقين، فيجب ألا ترجـع إليهم)[1]

4 ــ بنــاء على هــذا، وبنــاء على حاجــة النــاس للقضــاة والحكام؛ فإن قول الإمام الصـادق، ليس سـوى دعـوة لتحقيـق ولاية الفقيـه في الواقـع، كمـا ينص الخميـني على ذلـك بقولـه: (بناءاً على هذا، فمـا هـو تكليـف الأمـة؟ ومـا الـذي يجب عليهم عمله في الحوادث والمنازعات؟ وإلى من يرجعـون؟.. فالإمـام لم يـترك شـيئاً مبهمـاً ليقـول البعض إذن فـرواة الحـديث هم المرجع والحاكم، بل ذكـر كـل الجهـات وقيـد (الـرواة) بكـونهم ممن نظــر في الحلال والحــرام وفقــا للقواعــد، ولــه معرفــة بالأحكام، ويمتلك الموازين لتمييز الروايات الصادرة على خلاف الواقع.. ومن الواضح أن معرفة الأحكام ومعرفـة الحـديث أمـر آخر غير نقل الحديث)[2]

5 ـ يقول تعليقا على قول الإمام الصادق: (فإني قد جعلته عليكم حاكماً): (أي منصـباً من قبلي للحكم والامـارة، وللقضـاء بين المسلمين. ولا يحق للمسلمين أن يرجعوا إلى غيره، وبناءاً عليه، فلو اعتدى أحدهم على مال لكم، فـالمرجع في الشـكوى هي السلطة التي عينها الإمام، وإذا تنازعتم مـع أحـد على دَين، واحتجتم إلى اثبات ذلك، فالمرجع هو ذلك القاضـي الـذي عينـه أيضاً، ولا حق لكم في الرجـوع إلى غـيره. وهـذه وظيفـة جميـع المسلمين، وليس تكليفاً خاصاً بعمر بن حنظلة حين يواجه تلــك

1() المرجع السابق، ص87.
2() المرجع السابق، ص87.

المشكلة، فأمر الإمام هذا عام وكلي، فكما كان أمير المؤمـنين في زمـان حكومتـه يعين الحكـام والـولاة والقضـاة، وكـان على جميع المسلمين أن يطيعوهم، فالإمام الصادق أيضاً بما أنه ولي الامر المطلق، وله الولاية على جميع العلماء والفقهاء والنـاس، فهو يستطيع أن يعيّن الحكام والقضاة لزمـان حياتـه، ولمـا بعـد مماته. وقد قام بذلك وجعل هذا المنصـب للفقهـاء، وإنمـا قـال [حاكماً] لكيلا يتوهم البعض أن الأمر مختص بالمسائل القضائية، ولا يشمل سائر أمور الحكم والدولة)[1]

[الحديث: 370]ـ مـا روي عن سـالم بن مكـرم المكـنى بأبي خديجة[2]، أنه قال: (بعثني أبو عبد اللـه إلى أحـد أصـحابنا، فقـال: قـل لهم: إيّـاكم إذا وقعت بينكم خصـومة أو تـدارى في شـيء من الأخـذ والعطـاء، أن تُحـاكموا إلى أحـدٍ من هـؤلاء الفسّاق، اجعلوا بينكم رجلاً قد عـرف حلالنا وحرامنـا فـإنّي قـد جعلتـه عليكم قاضـياً، وإيّـاكم أن يُخاصـم بعضـكم بعضـاً إلى السلطان الجائر)[3]

وقد ذكرها الخميني في كتابه [الحكومة الإسـلامية]، وذكـر وجوه الاستدلال بها بتفصيل نختصره فيما يلي [4]:

1. المـراد من التـداري المـذكور في الروايـة هـو الاختلاف الحقـوقي؛ فـالمعنى أن لا ترجعـوا إلى هـؤلاء الفسـاق في الاختلافـات الحقوقيـة والمنازعـات والـدعاوي. ومن قولـه بعـد ذلـك: (إني قـد جعلتـه عليكم قاضـياً) يتضـح أن المقصـود من [الفساق] هم القضاة المعينون من قبل سلاطين ذلـك الـوقت، والحكام غير الشرعيين. ويقـول في ذيـل الحـديث: (وإيـاكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السـلطان الجـائر)، أي لا ترجعـوا في الأمـور ذات العلاقـة بالسـلطة التنفيذيـة هـؤلاء الحكـام غـير الشرعيين.

2. أن السلطان الجائر هو كـل حـاكم جـائر وغـير شـرعي بشكل عام، ويشمل جميع الحكام غير الإسـلاميين، والسـلطات الثلاث القضـائية والتشـريعية والتنفيذيـة جميعـاً، لكن بالالتفـات إلى أنه قد نهى قبل ذلك عن الرجوع إلى قضـاة الجـور، يتضـح

1() المرجع السابق، ص88.

2() كان من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم وروى عن كليهمـا، وثَّقـه ابن قولويـه، وعليّ بن فضّال، وعبَّر عنه الرجاليّ الكبير النجاشيّ بالثقة.

3() وسائل الشيعة، ج18، ص100.

4() الحكومة الإسلامية، ص89.

أن المراد بهذا النهي فريق آخر، وهم السلطة التنفيذية.

3 ــ أن قوله: (إيّاكم أن يُخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر) ليست تكراراً للكلام السابق، أي النهي عن الرجوع إلى الفساق، وذلك لأنه قد نهى أولاً عن الرجوع إلى القاضي الفاسق في الأمور المتعلقة به من التحقيق، وإقامة البيّنة، وأمثال ذلك، وأوضح وظيفة اتباع القاضي الذي عينه، ثم منع بعد ذلك من الرجوع إلى السلاطين أيضاً، مما يدل على أن باب القضاء غير باب الرجوع إلى السلاطين، وأنهما صنفان. وفي رواية عمر بن حنظلة حيث نهى عن التحاكم إلى السلاطين والقضاة أشار إلى كلا الصنفين، غاية الأمر أنه هنا إنما عين القاضي فقط، بينما في رواية عمر بن حنظلة عين الحاكم المنفذ والقاضي كلاهما.

4 ــ أن الإمام الصادق جعل منصب القضاء في حياته للفقهاء ـ وفقاً لهذه الرواية ــ بينما جعل لهم منصب القضاء والرئاسة وفقاً لرواية عمر بن حنظلة.

5 ــ لا يمكن لأحد أن يقول باعتزال الفقهاء عن هذه المناصب بموت الإمام؛ ففي انظمة الدنيا جميعا لا تلغي المناصب والمراكز العسكرية والتنظيمية بمجرد وفاة رئيس الجمهورية أو السلطان، أو تبديل الأوضاع وتغيير النظام.

6 ـ بناء على ما سبق؛ فإن مناصب العلماء باقية مستمرة، وكذلك مقام الرئاسة والقضاء الذي عيَّنه الائمة لفقهاء الإسلام، فهو مستمر وباق؛ فالإمام يعرف أنه في حكومات الدنيا تبقى المناصب مستمرة حتى لو مات الرئيس؛ فلو كان يريد سلب حق الرئاسة والقضاء من الفقهاء بعد وفاته لكان يجب أن يعلن أن ذلك المنصب للفقهاء إنما كان فترة حياته فحسب، وأنهم بعد رحيله معزولون؛ فظهر إذن أن الفقهاء منصوبون من قبل الإمام لمنصب الحكومة والقضاء، وأن هذا المنصب لهم باق دائماً، واحتمال كون الإمام المتأخر قد نقض هذا الحكم، وعزلهم عن ذلك المنصب، احتمال باطل. إذ عندما ينهى الإمام عن الرجوع إلى سلاطين الجور وقضاتهم، ويقول أن الرجوع اليهم رجوع إلى الطاغوت، ويتمسك بالآية الشريفة التي تأمر بالكفر بالطاغوت، ومن ثمَّ ينصب (الفقهاء) قضاة وحكاماً للناس، فلو ألغي الإمام المتأخر هذا الحكم، ولم ينصب حاكماً وقاضياً آخر، فما هو تكليف المسلمين؟ ولمن يجب عليهم

الرجوع في الاختلافات والمنازعات؟ هل يرجعـون إلى الفسـاق والظلمة، والذي هو رجوع إلى الطاغوت، ومخـالف لأمـر اللـه؟ أم يبقون دون مرجع وملجأ، وتعمّ الفوضى؟ وليفعل كـل امـرئ ما يريد من اكل حق، أو سرقة أو سواها؟

ثالثا ـ صفات الأئمة:

بناء على العدالة والحكمة الإلهية التي تضع كـل شـيء في موضعه المناسب، وتوفر له من المزايا والخصـائص والكمـالات ما يحتاجه لأداء وظيفته، كما قال تعالى: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: 50]؛ فقد شاءت حكمة الله تعالى أن يتوفر أئمة الهدى على الكثير من الصفات التي تؤهلهم لأداء تلك الوظائف الخطيرة المناطة بهم في هدايـة الخلـق، وحفـظ الدين.

وقد جمع الله تعالى تلك الصفات في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَـا يُوقِنُـونَ﴾ [السـجدة: 24]، وهي تعني توفر وصفين كـبيرين تجتمـع فيهمـا الكثـير من الصفات والخصائص:

أولهما: القـدرة على الصـبر والتضـحية، وذلـك يعـني أن هؤلاء الأئمة يبذلون جهودا مضاعفة في أداء تكاليفهم الشرعية، وبصورتها الكاملة، خلافا لسائر الناس.

ثانيهما: اليقين بآيـات اللـه، وذلـك يعـني أن معـارفهم الإيمانية ليست مجرد معارف مكتسـبة، وإنمـا هي ثمـرة لليقين الذي رزقهم الله تعالى إياه بسبب إخلاصهم وصدقهم، كما قـال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْـرَاهِيمَ مَلَكُـوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75]

وهذا يعني أن العلوم التي يتحدث بهـا أئمـة الهـدى ليسـت تلـك العلـوم الموروثـة عن جـدهم ﷺ فقـط، وإنمـا هي علـوم وهبيــة، اكتســبوها بنــاء على صــدقهم وإخلاصــهم وتجــردهم وصحبتهم الدائمة لكلام ربهم، وبعدهم عن الفتن وكـل أسـبابها، وعدم خلـط دينهم باليهوديـة أو غيرهـا، مثلمـا حصـل لكثـير من علماء الأمة.

بناء على هذا سنذكر هنا نـوعين من الصـفات الـواردة في الأحــاديث: أولهــا يرتبــط بــالعلم وثانيهــا يرتبــط بالمجاهــدات والتضحيات والسلوك.

1 ـ أئمة الهدى والعلم اليقيني:

بما أن أئمة الهدى يعتبرون كالأساتذة بالنسبة لسائر الأمة، وذلك لأنهم يوضحون لها ما جاء به الرسل عليهم السلام، بعيـدا عن كـل التـأثيرات؛ فقـد اقتضـى ذلـك أن تكـون لهم علـومهم الخاصة، والتي عبر عنها القرآن الكريم بكونها عميقة، لا تتعلـق بالقشور، وإنما تتعلق باللباب.

فقد قال تعـالى في وصـف الـذين يعلمـون تأويـل القـرآن الكريم، ويبتعدون عن الفتن التي تجرها المتشابهات، ويحـذرون منها: ﴿وَمَـا يَعْلَمُ تَأْوِيلَـهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُـونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَـابِ﴾ [آل عمـران: 7]

فقد جمع الله تعالى في هـذه الآيـة الكريمـة بين الرسـوخ في العلم، والذي يعني التعمق فيـه، وبين كـونهم أولي الألبـاب، أي أصحاب العقول الخالصة الـتي لم تكـدر بالاهتمـام بالقشـور والشوائب.

بناء على هذا سنذكر هنا ما ورد من أحـاديث حـول رسـوخ أئمة الهدى في العلم، ومصادر علومهم، وأنواعها:

[الحـديث: 371]ـ قـال الإمـام علي: (سـلوني قبـل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبـة وبـرأ النسـمة إني لاعلم بـالتوراة من أهـل التـوراة وإني لاعلم بالانجيـل من أهـل الانجيـل وإني لاعلم بالقرآن من أهل القرآن، والذي فلق الحبـة وبـرأ النسـمة ما من فئة تبلغ مائة رجل إلى يوم القيامة إلا وأنا عارف بقائدها وسائقها.. وسلوني عن القرآن فإن في القـرآن بيـان كـل شـئ فيه علم الاولين والآخرين وإن القرآن لم يدع لقائل مقـالا، ومـا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، ليس بواحـد، رسـول الله ﷺ منهم، أعلمه الله إياه فعلمنيه رسول الله ﷺ ثم لا تـزال في عقبنا إلى يوم القيامة)، ثم قرأ ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَـى وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة: 248]، وأنا من رسول الله بمنزلة هـارون من موسى والعلم في عقبنا إلى أن تقوم الساعة)[1]

[الحديث: 372]ـ قال الإمام علي: (يا طلحة إن كـل آيـة أنزلها الله على محمد ﷺ عنـدي بـاملاء رسـول اللـه ﷺ وخطي بيـدي، وتأويـل كـل آيـة أنزلهـا اللـه على محمـد ﷺ وكـل حلال وحرام أو حد أو حكم تحتاج إليه الامـة إلى يـوم القيامـة عنـدي مكتوب باملاء رسول الله ﷺ وخطي بيدي حتى أرش الخـدش)،

1() بحار الأنوار (26/ 64)، تفسير فرات: 47.

قال طلحة: كل شئ من صغير أو كبير أو خاص أو عـام أو كـان أو يكون إلى يوم القيامة فهو مكتوب عندك؟ قال: (نعم وسـوى ذلك أن رسول الله ﷺ أسر إلي في مرضه مفتاح ألف بـاب في العلم يفتح كل باب ألف باب، ولوأن الامة بعد قبض رسول الله ﷺ اتبعوني وأطاعوني لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)[1]

[الحديث: 373]ـ قال الإمام الباقر: (ما بعث الله نبيـا إلا أعطاه من العلم بعضه مـا خلا النـبي ﷺ فانـه أعطـاه من العلم كله فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ تِبْيَانًـا لِكُـلِّ شَـيْءٍ ﴾ [النحـل: 89]، وقال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْـوَاحِ مِنْ كُـلِّ شَـيْءٍ﴾ [الأعـراف: 145]، وقال: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمـل: 40]، ولم يخـبر أن عنـده علم الكتـاب، ومن لا يقـع من اللـه على الجميع، وقال لمحمد ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْـطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32]، فهذا الكل ونحن المصطفون، وقال النـبي ﷺ فيما سأل ربـه ﴿ وَقُـلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًـا﴾ [طـه: 114]، فهي الزيادة التي عندنا من العلم الذي لم يكن عند أحـد من أوصـياء الانبياء ولا ذرية الانبياء غيرنا، فبهـذا العلم علمنـا البلايـا والمنايـا وفصل الخطاب)[2]

[الحديث: 374]ـ قال أبو بصير للإمـام البـاقر: بمـا يعلم عالمُكم جعلت فداك؟!.. قال: (يا أبا محمـد.. إنّ عالمنـا لا يعلم الغيب، ولو وكـل اللـه عالمنـا إلى نفسـه كـان كبعضـكم، ولكن يُحدّث إليه ساعة بعد ساعة)[3]

[الحديث: 375]ـ قال الإمام الباقر: (فلمـا قضـى محمـد ﷺ نبوتـه، واسـتكملت أيامـه، أوحى اللـه إليـه: (يـا محمـد.. قـد قضـيتَ نبوتـك واسـتكملتَ أيامـك، فاجعـل العلم الـذي عنـدك، والإيمان، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار النبـوة في العقب من ذريتك، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء)[4]

[الحـديث: 376]ـ قيـل للإمـام البـاقر: لـو تعلمـون الغيب..فقال: (يُبسط لنا فنعلم، ويُقبض عنا فلا نعلم)[5]

[الحـديث: 377]ـ قيـل للإمـام البـاقر: ﴿وَكَـذَلِكَ نُـرِي إِبْـرَاهِيمَ مَلَكُـوتَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُـونَ مِنَ الْمُـوقِنِينَ ﴾

1() كتاب سليم: 109.
2() بحار الأنوار (26/ 64)
3() بحار الأنوار: 26/60، وبصائر الدرجات ص94.
4() بحار الأنوار: 26/63، وبصائر الدرجات ص138.
5() بحار الأنوار: 26/96، وبصائر الدرجات ص151.

[الأنعام: 75]، قال: (كُشفتْ له السماوات والأرض حـتى رآهـا، ورأى ما فيها، قيل: (فأوتي محمد ﷺ مثل ما أوتي إبراهيم عليه السلام؟)، قال: (نعم، وصاحبكم هذا أيضاً)[1]

[الحديث: 378]ـ قال الإمام الباقر: (إنّ لله علمـاً خاصّاً وعلمـاً عامّـاً: فأما العلم الخـاصّ فـالعلم الـذي لم يطّلـع عليـه ملائكته المقـرّبين وأنبيـاءه المرسـلين، وأمّـا علمـه العـام فإنـه علمه الذي أطّلع عليه ملائكته المقرّبين وأنبياءه المرسلين، وقد وقع إلينا من رسول الله ﷺ)[2]

[الحديث: 379]ـ سئل الإمـام الصـادق عن الإمـام يعلم الغيب؟.. قـال: (لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشـيء أعلَمـه اللـه ذلك)[3]

[الحديث: 380]ـ قيل للإمام الصادق: (إنا نسألك أحيانـاً فتسرع في الجواب، وأحيانـاً تطـرق ثم تجيبنـا، قـال: (نعم، إنـه يُنكت في آذاننـا وقلوبنـا، فـإذا نُكت نطقنـا وإذا أمسـك عنـا أمسكنا)[4]

[الحديث: 381]ـ قيل للإمام الصـادق: (هـذا العلم الـذي يعلمــه عــالمُكم: أشــيء يُلقى في قلبــه أو يُنكت في أذنــه؟.. فسكت حتى غفل القوم ثم قال: (ذاك وذاك)[5]

[الحديث: 382]ـ قال زرارة للإمام الصـادق: كيـف يُعلم أنه كان الملَك ولا يخاف أن يكون من الشيطان إذا كان لا يــرى الشخص؟.. قال: (إنه يُلقى عليه السكينة فيعلم أنه من الملَـك، ولو كـان من الشـيطان اعـتراه فـزعٌ، وإن كـان الشـيطان ــ يـا زرارة ـ لا يتعرض لصاحب هذا الأمر)[6]

[الحديث: 383]ـ قيـل للإمـام الصـادق: (جعلت فـداك.. يفــرض اللــه طاعــة عبــدٍ على العبــاد، ثم يحجب عنــه خــبر السماء؟).. قال: (الله أكرم وأرأف بعباده من أن يفـرض عليهم طاعة عبدٍ يحجب عنه خبر السماء صباحاً أو مساءً)[7]

[الحديث: 384]ـ خرج الإمام الصادق وهو مغضب، فلمـا

1() بحار الأنوار: 26/115، وبصائر الدرجات ص30.
2() بحار الأنوار: 26/160، والتوحيد ص128.
3() بحار الأنوار: 26/57، والاختصاص ص285، بصائر الدرجات ص91.
4() بحار الأنوار: 26/57، وبصائر الدرجات ص91.
5() بحار الأنوار: 26/58، وبصائر الدرجات ص91.
6() بحار الأنوار: 26/60، وبصائر الدرجات ص92.
7() بحار الأنوار: 26/109، وبصائر الدرجات ص34.

أخذ مجلسه قال: (يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، وما يعلم الغيب إلا الله، لقد كنت أبحث عن خادمتي فلانة، فما عرفتها في أي البيوت من الدار هي)، فقيل له: (جعلنا فداك، سمعناك تقول كذا وكذا في أمر خادمتك، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً لا يُنسب إلى علم الغيب، فقال: (يا سدير.. ما تقرأ القرآن؟)، قال: قرأناه جعلت فداك.. قال: (فهل وجدتَ فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: 40]، قال: جعلت فداك.. قد قرأته، قال: (فهل عرفتَ الرجل، وعلمت ما كان عنده من علم الكتاب؟)، قال: فأخبرني حتى أعلم، قال: (قدر قطرة من المطر الجود، في البحر الأخضر ما يكون ذلك من علم الكتاب؟) قال: جعلت فداك ما أقلّ هذا !.. قال: (يا سدير.. ما أكثره لمن لم ينسبه إلى العلم الذي أخبرك به.. يا سدير.. فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43] كله؟.. وأومأ بيده إلى صدره فقال: (علم الكتاب كلّه والله عندنا، ثلاثاً)[1]

2 ـ أئمة الهدى والمواقف العملية:

من الأخطاء التي يقع فيها بعض الدارسين لتاريخ أئمة الهدى ومواقفهم هو إجراء المقارنات بينها بغية تفضيل بعضها على بعض، مثلما يقارنون بين موقف الإمامين الحسن والحسين؛ فيتصورون أن الإمام الحسن كان مسالما صابرا، والإمام الحسين كان ثائرا محاربا.

وهذا وهم كبير؛ فكلا الإمامين إمامي هدى، وهذا يعني أنهما لا يتصرفان بمزاجهما، ولا بهواهما، وإنما بما يرينه مناسبا للوقت والبيئة والظروف، ولذلك لو أن الإمام الحسن عاش إلى أن رأى معاوية يترك الحكم ليزيد لقام ثائرا عليه، مثلما فعل أخوه تماما.

وهكذا كان لكل إمام ظروفه الخاصة به، والتي تجعل منه مدرسة قائمة بذاتها يمكن أن تستفيد منها في ظروفها المختلفة، وذلك ما يتيح لها البعد عن الفتن مهما كان نوعها، لأن لديها من الهدي المرتبط بها ما يحفظها منها.

ومن الأحاديث الدالة على هذا:

[الحديث: 385] قيل للإمام الصادق: أيما أفضل الحسن

1() بحار الأنوار: 26/171، وبصائر الدرجات ص58.

أم الحسين؟ فقال: (إنّ فضل أولنا يُلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يُلحق بفضل أولنا، وكلٌّ له فضل)، قيل له: جعلت فداك، وسّع عليّ في الجواب، فإني والله ما سألتك إلا مرتادا، فقال: (نحن من شجرة طيبّة، برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله وعلمنا من عند الله، ونحن أمناؤه على خلقه والدعاة إلى دينه، أزيدك يا زيد؟!)، قيل: نعم، فقال: (خلْقنا واحدٌ وعلمنا واحدٌ وفضلنا واحدٌ وكلنا واحدٌ عند الله تعالى)، فقال: أخبرني بعدتكم، فقال: (نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربنا عزّ وجلّ في مبتدأ خلقنا، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد)[1]

[الحديث: 386]ـ قال الإمام الباقر: (لا يستكمل عبدٌ الإيمان، حتى يعرف أنه يجري لآخرهم ما يجري لأولهم في الحجّة والطاعة، والحلال والحرام سواء، ولمحمد ﷺ والإمام علي فضلهما)[2]

[الحديث: 387]ـ قال الإمام الكاظم: (نحن في العلم والشجاعة سواء، وفي العطايا على قدر ما نؤمر)[3]

[الحديث: 388]ـ قال الإمام الصادق: (اعلم أنّ أمير المؤمنين الإمام علي أفضل عند الله من الأئمة كلهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضّلوا)[4]، وهذا التفضيل الخاص للإمام علي، بناء على ورود النص بذلك، وليس من باب المقارنة بين أعماله وأعمال غيره من الأئمة؛ فلو كانوا في عهده لفعلوا ما فعل.

رابعا ـ الإمام المهدي ووظائفه في تصحيح مسار الأمة، وسر تأخر ظهوره:

وهي أحاديث كثيرة جدا، وكلها تتوافق مع ما ورد في المصادر السنية، وتختلف عنها في أمرين:

أولهما: في تحديد الإمام المهدي، وكونه الإمام الثاني عشر من العترة الطاهرة.

ثانيهما: ذكر غيابه الطويل، وتفسير سبب ذلك، ودعوة الأمة إلى الارتباط الروحي به، في تلك الفترة باعتباره إمام المسلمين، مع الدعوة لتهيئة الأجواء لظهوره.

1() بحار الأنوار: 25/363، والمحتضر ص159.
2() بحار الأنوار: 25/353، وقرب الإسناد ص152.
3() بحار الأنوار: 25/357، وبصائر الدرجات ص141.
4() بحار الأنوار: 25/361، والمحتضر ص89.

ولا نرى في كلا الأمـرين أي حـرج، لا من الناحيـة العقليـة، ولا من الناحية الشرعية، بل نرى في ذلـك الكثـير من المصـالح التي لا تتحقق من دون ذلك.

وأولها قطع الطريق على أولئك الـذين يـدعون المهدويـة كـل حين، ويغـرون السـذج من النـاس، ويسـتعملون البشـارات النبوية مطية لذلك.

والثاني التخلص من التبعية المطلقة للحكـام المسـتبدين الذين يحكمون بغير شـريعة اللـه؛ فـالمؤمن يعتقـد بـأن حاكمـه الحقيقي هو الإمـام المهـدي، وأن غـيره من المسـتبدين أخـذوا حق غيرهم، واسـتولوا عليـه ظلمـا؛ وأمـا العـادلون منهم؛ فإنـه يعتبرهم نواب مؤقتين له إلى حين ظهوره.

والثالث الارتباط الروحي بـه، والـذي يحـدث آثـارا كثـيرة في النفس، لا تختلف عن آثار الحاضرين لعصـره، مثلمـا حصـل لأويس القرني والذي لم يتشرف بجلوسـه مـع رسـول اللـه ﷺ، ولكن أشواقه الروحية أوصلته إلى المحال الـتي لم يصـل إليهـا الذين تشرفوا بذلك.

والرابع، ما يطلق عليـه إيجابيـة الانتظـار، وذلـك بتحضـير النفس والمجتمـع لظهـوره، وهـو مـا يجعـل كـل فـرد من المنتظرين جنديا لإمامه الغائب.

وغيرها من المصالح التي أشارت إليها أحاديث أئمة الهدى، أمـا توافـق ذلـك مـع العقـل؛ فنحن لا نتحـدث مـع عقـل غـير المسلم، أو غير المؤمن بالله، ذلك أنه عقل ينكر النبوة نفسـها، بل ينكر كل الخـوارق، ولـذلك لا يسـتطيع أن يعقـل هـذا، حـتى يتعرف أولا على قدرة الله المطلقة، والتي لا تعجز عن شيء.

وأما عقل المسلم؛ فإنه لا يسأل مثل هذه الأسـئلة، لتـوفر إجابتها في القرآن الكريم؛ فالله تعـالى حـدثنا عن أهـل الكهـف وأعمارهم الطويلة، وحدثنا عن عزيز، وحدثنا عن المسـيح عليـه السلام، والأحاديث تذكر طول عمره، وأنـه سـيظهر مـع الإمـام المهدي في وقت واحد على الرغم من أنه رفع قبل ذلك بقرون كثيرة.

وهكذا؛ فإن الذي يستغرب مثل هذا، ويرده باسم العقل، لا علاقة له بعقـل المـؤمن، وإنمـا بعقـل الملحـد والكـافر الـذي لا يؤمن بالمعجزات والخوارق، ولا بقدرة الله المطلقة.

ولهذا، فإن عقل المـؤمن الـذي ينطلـق من ثقتـه في تلـك

الأخبار الكثيرة التي تذكر ذلك، وهي متواترة عن أئمة أهل البيت، ابتداء من الإمام علي.. لا حرج عليه في ذلك الإيمان، ولا يستطيع أحد من الناس أن ينكر عليه، باسم العقل إلا إذا كان ملحدا أو كافرا..

ولذلك نرى أن تلك النصوص وحدها كافية لمن يريد أن يسلم لها من دون حاجة للبحث في ميلاده، أو عدم ميلاده.. فيكفيه أن يعلم أنه لا تخلو الأرض من إمام إما ظاهر، أو غائب.. وما دام لا يوجد إمام ظاهر؛ فإن ذلك يعني أنه غائب.

انطلاقا من هذا نورد هنا الأحاديث الدالة على ذلك، وفق الشروط التي ذكرناها في مقدمة السلسلة:

[الحديث: 389]ـ وهو قوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحقّ منا، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له، ومَن تبعه نجا ومَن تخلّف عنه هلك، الله الله عباد الله!، فأتوه ولو على الثلج، فإنه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي)[1]

[الحديث: 390]ـ وهو قوله ﷺ: (والذي بعثني بالحق بشيراً، ليغيبنّ القائم من ولدي بعهدٍ معهودٍ إليه مني، حتى يقول أكثر الناس:ما لله في آل محمد حاجة، ويشكّ آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه، فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني، فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل، وإن الله عزّ وجلّ جعل الشياطين أولياء الذين لا يؤمنون)[2]

[الحديث: 391]ـ قوله ﷺ: (إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر أولهم أخي وآخرهم ولدي)، قيل: يارسول الله ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب، قيل فمن ولدك؟ قال: (المهدي يملاها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما والذي بعثني بالحق نبيا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لاطال الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه وتشرق الارض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب) [3]

[الحديث: 392]ـ قوله ﷺ: (طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو يأتم به في غيبته قبل قيامه ويتولى أولياءه ويعادي

1() بحار الأنوار: 51/65، والعيون.

2() بحار الأنوار: 51/68، وإكمال الدين.

3() بحار الأنوار (51/ 71)

أعداءه ذاك من رفقائي وذوي مودتي وأكرم امتي علي يوم القيامة) (1)

[الحديث: 393]ـ قوله ﷺ: (المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقا وخلقا تكونه له غيبة وحيرة حتى يضل الخلق عن أديانهم فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملاها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا) (2)

[الحديث: 394]ـ قوله ﷺ: (المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الامم يأتي بذخيرة الانبياء فيملاها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما) (3)

[الحديث: 395]ـ قوله ﷺ: (علي بن أبي طالب إمام امتي وخليفتي عليهم بعدي ومن ولده القائم المنتظر الذي يملا الله عزوجل به الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما والذي بعثني بالحق بشيرا إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لاعز من الكبريت الأحمر)، فقام إليه جابر بن عبدالله الانصاري فقال: يارسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ فقال: (إي وربي ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: 141]، يا جابر إن هذا لامر من أمر الله وسر من سر الله، مطوي عن عباده، فاياك والشك في أمر الله فهو كفر) (4)

[الحديث: 396]ـ قوله ﷺ: (القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي وشمائله شمائلي وسنته سنتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي ويدعوهم إلى كتاب الله عزوجل من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني ومن كذبه فقد كذبني ومن صدقه فقد صدقني إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره والجاحدين لقولي في شأنه والمضلين لامتي عن طريقته) وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (5)

[الحديث: 397]ـ عن جبير بن نوف أبي الوداك قال: قلت لأبي سعيد الخدري: والله مايأتي علينا عام إلا وهو شر من الماضي ولا أمير إلا وهو شر ممن كان قبله، فقال أبوسعيد: سمعته من رسول الله ﷺ يقول ما تقول، ولكن

1() بحار الأنوار (51/ 71)
2() بحار الأنوار (51/ 71)
3() بحار الأنوار (51/ 71)
4() بحار الأنوار (51/ 73)
5() بحار الأنوار (51/ 73)

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال بكم الامر حتى يولد في الفتنة والجور من لايعرف غيرها حتى تملأ الارض جورا فلا يقدر أحد يقول: الله، ثم يبعث الله عزوجل رجلا مني ومن عترتي فيملا الارض عدلا كما ملاها من كان قبله جورا، ويخرج له الارض أفلاذ كبدها ويحثو المال حثوا ولا يعده عدا وذلك حتى يضرب الاسلام بجرانه)(1)

[الحديث: 398] عن عبدالرحمان بن أبي ليلى عن أبيه، قال: بكى النبي ﷺ فقيل: مم بكاؤك يارسول الله قال: أخبرني جبريل عليه السلام أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه ويقاتلونه ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده، وأخبرني عن ربه عز وجل أن ذلك يزول إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم وأجمعت الامة على محبتهم، وكان الشانئ لهم قليلا والكاره لهم ذليلا وكثر المادح لهم وذلك حين تغير البلاد وتضعف العباد والاياس من الفرج وعند ذلك يظهر القائم فيهم.. اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم ابني وهو من ولد ابنتي يظهر الله الحق بهم ويخمد الباطل بأسيافهم ويتبعهم الناس بين راغب إليهم وخائف لهم)، ثم قال: (معاشر المؤمنين ابشروا بالفرج فإن وعد الله لايخلف وقضاؤه لايرد، وهو الحكيم الخبير فان فتح الله قريب اللهم إنهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اللهم اكلأهم واحفظهم وارعهم وكن لهم وانصرهم وأعنهم وأعزهم ولا تذلهم واخلفني فيهم إنك على كل شئ قدير) (2)

[الحديث: 399] عن جابر أنه سأل رسول الله ﷺ: فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟. فقال ﷺ: (إي والذي بعثني بالنبوّة إنهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كا نتفاع النّاس بالشمس وإن جلّلها سحاب)(3)

[الحديث: 400] وهو ما روي عن أصبغ بن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فوجدته مفكّراً ينكت في الأرض، فقلت:يا أمير المؤمنين، ما لي أراك مفكّراً تنكت في الأرض أرغبة فيها؟، قال:لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قطّ، ولكني فكّرتُ في مولودٍ يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي، يملأها عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً،

1() بحار الأنوار (51/ 68)
2() بحار الأنوار (51/ 67)
3() بحار الأنوار (36/ 250)

تكون له حيرة وغيبة، يضلّ فيها أقوامٌ ويهتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين، وإن هذا لكائنٌ؟، فقال:نعم، كما أنه مخلوقٌ، وأنى لك بالعلم بهذا الأمر يا أصبغ؟!، أولئك خيار هذه الأمة مع أبرار هذه العترة، قلت:وما يكون بعد ذلك؟، قال:ثم يفعل الله ما يشاء، فإنّ له إراداتٍ وغاياتٍ ونهاياتٍ)[1]

[الحديث: 401] قال الإمام علي: (صاحب هذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد)[2]

[الحديث: 402] قال الإمام علي يصف حكومة الإمام المهدي: (يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرّأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرّأي، حتّى تقوم الحرب بكم على ساق، باديا نواجذها، مملوءة أخلافها، حلوا رضاعها، علقما عاقبتها، ألا وفي غد ـ وسيأتي غد بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوئ أعمالها، وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلما مقاليدها، فيريكم كيف عدل السّيرة، ويحيي ميّت الكتاب والسّنّة)

ثم قال: (كأنّي به قد نعق بالشّام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فعطف عليها عطف الضّروس، وفرش الأرض بالرّؤوس، قد فغرت فاغرته، وثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصّولة، والله ليشرّدنّكم في أطراف الأرض، حتّى لا يبقى منكم إلّا قليل كالكحل في العين، فلا تزالون كذلك حتّى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها.. فالزموا السّنن القائمة، والآثار البيّنة، والعهد القريب الّذي عليه باقي النّبوّة، واعلموا أنّ الشّيطان إنّما يسنّي لكم طرقه لتتّبعوا عقبه)[3]

[الحديث: 403] روي أنه لما صالح الإمام الحسن معاوية، دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال: (ويحكم، ما تدرون ما عملت؟، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترَض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله ﷺ؟)، قالوا: بلى، قال: (أما علمتم أنّ الخضر لما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، كان ذلك سخطاً

1() بحار الأنوار: 51/118، وإكمال الدين.
2() بحار الأنوار: 51/120، وإكمال الدين.
3() نهج البلاغة: الخطبة رقم(138)

لموسى بن عمران، إذٍ خفي عليه وجه الحكمة فيه، وكـان ذلـك عند الله حكمةً وصواباً، أما علمتم أنه مـا منـا أحـدٌ إلا ويقـع في عنقه بيعةٌ لطاغية زمانه، إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإنّ الله عزّ وجلّ يُخفي ولادته ويُغيّب شخصـه، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعةٌ، إذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسـين ابن سـيدة الإمـاء، يطيـل اللـه عمـره في غيبتـه، ثم يظهـره بقدرتـه في صـورة شـاب ابن دون أربعين سـنة، ذلـك ليعلم أنّ الله على كل شيء قدير)[1]

[الحـديث: 404]ـ روي أن بعضـهم دخـل على الإمـام الكاظم فقال له: يا ابن رسول الله، أنت القائم بالحق؟، فقـال: (أنا القائم بـالحق، ولكن القـائم الـذي يطهّـر الأرض من أعـداء الله ويملأها عدلاً كما مُلئت جـوراً، هـو الخـامس من ولـدي، لـه غيبةٌ يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيهـا آخرون)، ثم قال: (طـوبى لشـيعتنا المتمسـكين بحبنـا في غيبـة قائمنـا، الثـابتين على موالاتنـا والـبراءة من أعـدائنا، أولئـك منّـا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضـينا بهم شـيعة وطـوبى لهم، هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة)[2]

[الحديث: 405]ـ قول الإمام الصادق في بعض مصاديق قوله تعـالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْـطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكْشِـفُ السُّـوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَـاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمـل: 62]: (نـزلت في القـائم، هـو والله المضطر إذا صلّى في المقام ركعـتين ودعـا اللـه فأجابـه، ويكشف السوء ويجعله خليفةً في الأرض)[3]

[الحديث: 406]ـ قول الإمـام البـاقر في بعض مصـاديق قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَـاءٍ مَعِينٍ ﴾ [الملك: 30]: (هذه نزلت في القـائم، يقـول: إن أصـبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هـو، فمن يـأتيكم بإمـام ظـاهر يأتيكم بأخبار السماء والأرض، وحلال اللـه عـزّ وجـلّ وحرامـه؟، ثم قال:والله ما جاء تأويل الآية، ولا بدّ أن يجيء تأويلها)[4]

[الحديث: 407]ـ قول الإمام الصادق في بعض مصاديق قولـه تعـالى: ﴿وَتِلْـكَ الْأَيَّامُ نُـدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمـران:

---

[1] بحار الأنوار: 51/132، وإكمال الدين.
[2] بحار الأنوار: 51/151، وإكمال الدين.
[3] بحار الأنوار: 51/48، وتفسير القمي.
[4] بحار الأنوار: 51/52، وإكمال الدين.

140]: (ما زال منذ خلق الله آدم دولة لله ودولة لإبليس، فـأين دولة الله؟، أما هو قائمٌ واحد)[1]

[الحديث: 408]ـ قول الإمام الصادق في بعض مصاديق قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَـانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود: 8]: (يعني عدة كعدة بدر، يُجمعون له في ساعة واحدة قزعاً كقزع الخريف)[2]

[الحديث: 409]ـ قول الإمـام البـاقر في بعض مصـاديق قولـه تعـالى: ﴿ يُرِيـدُونَ لِيُطْفِئُوا نُـورَ اللَّهِ بِـأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8]: (لو تركتم هذا الأمـر، مـا تركه الله)[3]

[الحديث: 410]ـ قول الإمام علي: (لتعطفن الدنيا علينـا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها)، ثم تلا قولـه تعـالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5])[4]

[الحديث: 411]ـ قال الإمام السجاد: (تمتدُّ الغيبـة بـوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله ﷺ، والأئمة بعده. يا أبـا خالد: إنّ أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهــوره أفضل أهل كلِّ زمان، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقـول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف؛ أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدّعاة إلى دين الله سرّاً، وجهراً)[5]

[الحديث: 412]ـ قيل للإمام الرضا: إنـا نرجـو أن تكـون صاحب هذا الأمر، وأن يسوقه الله إليك عفوا بغـير سـيف، فقـد بويع لك وضُربت الدراهم باسمك، فقـال: (مـا منـا أحـدٌ اختلـف الكتب إليه، وأُشير إليه بالأصابع، وسُـئل عن المسـائل، وحُملت إليه الأموال، إلا اغتيل أو مات على فراشه، حتى يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منا خفي المولد والمنشأ غير خفي في نفسه)[6]

1() بحار الأنوار: 51/54، وتفسير العياشي.
2() بحار الأنوار: 51/55.
3() بحار الأنوار: 51/59.
4() بحار الأنوار: 51/64.
5() بحار الأنوار (52/ 122)
6() بحار الأنوار: 51/37، وغيبة النعماني.

[الحديث: 413]ـ قيل للإمام الصادق: جعلتٍ فداك، قد طال هذا الأمر علينا حتى ضاقت قلوبنا ومتنا كمداً، فقال: (إنّ هذا الأمر آيس ما يكون وأشدّ غمّاً، ينادي مناد من السماء باسم القائم واسم أبيه)، قيل: ما اسمه؟!، قال: (اسمه اسم نبي، واسم أبيه اسم وصي)[1]

[الحديث: 414]ـ عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب، على مولانا الإمام الصادق، فرأيناه جالساً على التراب، وعليه مسحٌ خيبريٌّ مطوّقٌ بلا جيب، مقصّر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات الكبد الحرّى، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغير في عارضيه، وأبلى الدموع محجريه، وهو يقول: (سيدي، غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وأسرت مني راحة فؤادي.. سيدي، غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد، يفني الجمع والعدد، فما أحسّ بدمعةٍ ترقى من عيني، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا، وسوالف البلايا، إلا مُثّل لعيني عن مصائب أعظمها وأفظعها، وتراقي أشدّها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك)، قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهاً، وتصدّعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل، وظننا أنه سمة لمكروهة قارعة، أو حلّت به من الدهر بائقةٌ، فقلنا:لا أبكى الله يا بن خير الورى عينيك، من أي حادثة تستنزف دمعتك، وتستمطر عبرتك؟، وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم؟، فزفر الإمام الصادق زفرةً انتفخ منها جوفه، واشتدّ منها خوفه، وقال: (ويحكم، إني نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ــ وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، الذي خصّ الله به محمداً ﷺ والأئمة من بعده ـ وتأملت فيه مولد قائمنا وغيبته، وإبطاؤه وطول عمره، وبلوى المؤمنين به من بعده في ذلك الزمان، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم، التي قال الله تقدّس ذكره: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: 13] يعني الولاية، فأخذتني الرقة، واستولت عليّ الأحزان)[2]

1() بحار الأنوار: 51/38، وغيبة النعماني.
2() بحار الأنوار: 51/220، وإكمال الدين.

[الحديث: 415] عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد يقول: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها يرتاب فيها كل مبطل. فقلت ولِمَ، جعلت فداك؟ قال: لأمرٍ لم يؤذن لنا في كشفه لكم. قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: (وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غياب من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره كما لو لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما.. يا ابن الفضل: إنّ هذا الأمر أمر من (أمر) الله تعالى، وسرٌّ من سرِّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف)(3)

[الحديث: 416] قول الإمام الصادق: (وكذلك القائم تمتد أيام غيبته ليصرِّح الحقُّ عن محضه، ويصفو الإيمان من الكدر، بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف، والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم)، فقيل له: يا ابن رسول الله، إنّ النواصب تزعم أن هذه الآية ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: 55]، نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي قال: لا يهدي الله قلوب الناصبة، متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكناً بانتشار الأمن في الأمة وذهاب الخوف من قلوبها، وارتفاع الشكّ من صدورها في عهد أحد من هؤلاء؟، وفي عهد الإمام علي مع ارتداد المسلمين والفتن التي كانت تثور في أيامهم، والحروب التي كانت تنشب بين الكفار وبينهم، ثم تلا الإمام الصادق: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110]، وأما العبد الصالح الخضر فإنّ الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوةٍ قدّرها له، ولا لكتابٍ ينزله عليه، ولا لشريعةٍ ينسخ بها شريعة من كان قبلها من الأنبياء، ولا لإمامةٍ يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعةٍ

---

(3) بحار الأنوار (52/ 91)

يفرضها له، بلى، إنّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم في أيام غيبته ما يقدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح من غير سببٍ أوجب ذلك، إلا لعلة الاستدلال به على عمر القائم، وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة)[1]

[الحديث: 417] وعن المفضّل بن عمر أنه قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام هل المأمول المنتظر المهدي عليه السلام مِنْ وقت موقّت يعلمه الناس؟ فقال: حاشا لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا. فقلت: يا سيدي! ولم ذاك؟ قال: لأنه هو الساعة التي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: 187]، وهو الساعة التي قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: 42]، وقال عنده علم الساعة ولم يقل أنها عند أحد، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ [محمد: 18]، وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]، وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: 17، 18]، قلت فما معنى يمارون؟ قال: يقولون متى ولد، ومن رآه، وأين يكون، ومتى يظهر؛ وكلّ ذلك استعجالاً لأمر الله، وشكّاً في قضائه، ودخولاً في قدرته، أولئك الذين خسروا الدنيا، وان للكافرين لشر مآب.. قلت: أفلا يوقّت له وقت؟ فقال: (يا مفضّل! لا أوقّت له وقتاً، ولا يوقّت له وقت؛ إنّ مَنْ وقّت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله تعالى في علمه، وادعى إنّه ظهر على سرِّه، وما لله من سرٍّ إلاّ وقد وقع إلى هذا الخلق المعكوس، الضال عن الله، الراغب عن أولياء الله، وما لله من خبر إلاّ وهم أخص به لسرِّه وهو عندهم، وقد أصين من جهلهم، وإنّما ألقى الله إليهم ليكون حجة عليهم)[2]

[الحديث: 418] سئل الإمام محمد التقي عن الحجّة

1() بحار الأنوار: 51/223، وإكمال الدين.

2() بحار الأنوار (53/ 1)

الإمام المهدي، فقيل له: يـا بن رسـول اللـه لِمَ سـمّي القـائم؟ قال: (لأنّه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامتـه)، قيـل: ولِم سـمّي المنتظـر؟ فقـال: (لأنّ لـه غيبـة يكـثر أيامهـا، ويطول أمدها فينتظر خروجـه المخلصـون، وينكـره المرتـابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقّاتون، ويهلـك فيهـا المستعجلون، وينجو فيها المسلمون)[1]

[الحديث: 419]ـ سئل الإمام العسـكري: يـا ابن رسـول الله! فمَنْ الحجة، والإمام بعدك؟ قال: (ابني هو الإمام، والحجّة من بعدي؛ مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانـه مـات ميتـة جاهليـة، أما إنّ له غيبةً يحار فيهـا الجـاهلون، ويهلـك المبطلـون ويكـذب فيها الوقّاتون، ثمّ يخرج كأنّي أنظر إلى الأعلام التي تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة)[2]

[الحديث: 420]ـ مـا روي عن الإمـام الحجـة أنـه قـال: (وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عـز وجـل يقـول: (يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تَسْـأَلوا عَنْ أَشْـيَاءَ إِنْ تُبْـدَ لَكُمْ تَسُـؤْكُمْ)؛ إنـه لم يكن لأحد من آبائي عليهم السلام إلاّ وقد وقعت في عنقـه بيعـة لطاغيــة زمانــه، وإنّي أخــرج حين أخــرج ولا بيعــة لأحــدٍ من الطــواغيت في عنقي.. وأمّــا وجــه الإنتفــاع بي في غيبــتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السُّحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمـان لأهـل السـماء؛ فـأغلقوا بـاب السؤال عمّا لا يعـنيكم، ولا تتكلفـوا علم مـا قـد كفيتم، وأكـثروا الدّعاء بتعجيل الفرج، فإنّ في ذلك فرجكم، والسـلام عليـك يـا اسحاق بن يعقوب، وعلى مَن اتّبع الهدى)[3]

---

[1] بحار الأنوار (51/ 30)
[2] بحار الأنوار (51/ 160)
[3] بحار الأنوار (52/ 92)

الفصل الثالث

الامتداد الرسالي والفتن التي تعرض له في المصادر السنية

من خلال استقرائنا للمضامين الواردة في المصادر السنية يمكننا تقسيمها إلى قسمين، هما:

1. ما ورد في بيان مـدى أهميـة هـذا النـوع من الأحـاديث، وكونهـا امتـدادا للرسـالة، وليسـت مجـرد أحـاديث للتسـلية، أو لإقامة الحجة على النبوة، وقد نذكر هنا من أحاديث الصحابة ما يدل على فهمهم لذلك.
2. ما ورد في بيان أنواع الفتن، وكيفية التعامل معها.

وسنورد هذه الأحاديث في هـذا المبحث بحسـب أصـنافها، مع بيان صعوبة التصنيف الـدقيق، ذلـك أن الحـديث الواحـد قـد ترد فيه جميع أنواع التصنيف أو بعضها.

أولا ـ أحاديث الفتن وعلاقتها بالامتداد الرسالي:

ورد في الكثير من أحـاديث الفتن والملاحم مـا يـدل دلالـة صريحة على أن المقصد منهـا ليس مجـرد التنبـؤ بـالواقع، ممـا يـدخل في دلائـل النبـوة، وإنمـا المقصـد الأكـبر هـو اسـتعمالها والاستفادة منها في مواجهة الفتن، وذلك ما يعني امتداد النبـوة ونصحها لكل الأجيال.

وسنورد هنا مـا ورد في ذلـك من الأحـاديث مقسـمين لهـا بحسب وجوه الاستدلال لها على هذا المعنى:

1. مـا ورد صـريحا في الدلالـة على الامتـداد الرسالي:

وهي الأحاديث التي يصرح فيها رسول الله ﷺ أو الصحابي الراوي للحـديث بـأن المقصـد من تلـك الأحـاديث، ليس مجـرد التنبـؤ بمـا سيحصـل في المسـتقبل، وإنمـا الاسـتفادة منـه في الحذر والحيطة واتخاذ الموقف المناسب، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 421] قوله ﷺ: (إنه لم يكن قبلي نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر مـا يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعـل عافيتهـا في أولهـا، وسيصـيب آخرها بلاء وأمـورٌ تنكرونهـا، وتجيء فتنـةٌ فـيزلق بعضـها بعضـا،

وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتي إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)[1]

[الحديث: 422]ـ قوله ﷺ: (إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها)، قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: (تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم)[2]

[الحديث: 423]ـ قول حذيفة: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم)، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم وفيه دخنٌ)، قلت: وما دخنه ؟ قال: (قومٌ يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها)، فقلت يا رسول الله: فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[3]

[الحديث: 424]ـ سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 105] فقال:(ائتمروا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم)، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال:(بل أجر خمسين منكم)[4]

1() مسلم (1844) والنسائي (4191)
2() رواه البخاري ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/141)
3() البخاري (3606) ومسلم (1847) وأبو داود (4244)
4() أبو داود (4341)، والترمذي (3058)، وقال: حديث حسن غريب.

وهو يشير إلى الامتداد الرسالي، حيث أن النبي ﷺ ذكر أن تطبيق الآية الكريمة مرتبط بالزمن التي تنتشـر فيـه تلـك القيم التي وصفها.

[الحديث: 425] قوله ﷺ: (إنكم في زمان من ترك فيـه عشر ما أمر هلك، ثم يأتي زمانٌ من عمل فيه بعشر ما أمر بـه نجا)[1]

[الحديث: 426] قوله ﷺ: (ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشـي، والماشـي فيهـا خـيرٌ من الساعي، من تشـرف إليهـا تستشـرفه، ومن وجـد ملجـأ أو معاذا فليعذ به)[2]

[الحديث: 427] قوله ﷺ: (يوشـك أن يكـون خـير مـال المسلم غنمٌ يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)[3]

2. ما ذكره الصحابة من اشتمال النبوءات النبويـة لكل الوقائع:

وهي الأحاديث التي يصرح فيها الصحابة بأن رسول الله ﷺ كان يهتم بهذا النوع من الحديث، ويبينه لهم مفصلا، وأنهم كانوا يـرون كـل مـا ذكـره محققـا في الواقـع، إلا أن منهم من نسـي بعض ذلـك، أو كلـه، ولهـذا وقـع التقصـير في التعامـل مـع تلـك التنبيهات النبوية بسبب نسيانها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 428] قول حذيفة: (قام فينـا رسـول اللـه ﷺ مقاما فما ترك شيئا يكون بين يدي الساعة إلا ذكره في مقامـه ذلك، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وقـد علمـه أصـحابي هؤلاء، وإنه ليكون منـه الشـيء قـد نسـيته، فـأراه فـأذكره كمـا يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه)[4]

[الحديث: 429] قول حذيفة: (أخـبرني رسـول اللـه ﷺ بما هو كائن إلا أن تقوم الساعة، فما منه شيء، إلا وقـد سـألته إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة؟)[5]

[الحديث: 430] قـول حذيفـة: (واللـه مـا أدري أنسـي

1() الترمذي (2267)
2() البخاري (3601) ومسلم (2886)
3() البخاري (19)
4() رواه أحمـد والبخـاري ومسـلم وأبـو داود والنسـائي، سـبل الهـدى والرشـاد (10/139)
5() رواه أحمد ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/139)

أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته)[1]

[الحديث: 431]ـ قول المغيرة: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فأخبرنا بما هو كائن في أمته إلى يوم القيامة، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه)[2]

[الحديث: 432]ـ قول عمرو بن أخطب الأنصاري: (صلى بنا رسول الله ﷺ يوما الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطب حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة فما علمنا احتفظناه فأعلمنا أحفظنا)[3]

[الحديث: 433]ـ قول أبي ذر: (لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحين في السماء إلا ذكر لنا منه علما)[4]

[الحديث: 434]ـ قول أبي سعيد: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فحدثنا بما هو كائن إلى يوم القيامة)[5]

3 ـ ما ورد في بيان دور الفتن في تمحيص الأمة:

وهو ما يتوافق مع الآيات القرآنية الكثيرة التي تخبر بأن كل الأمم تتعرض للفتن والابتلاء والاختبار، حتي يميز طيبها من خبيثها، وصالحها من فاسدها، كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142]

وأخبر عن الفتن التي ستحصل للأمة، واعتبرها من الاختبارات اللازمة للأمم، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: 94، 95]

ومن الأحاديث الواردة في هذا المعنى:

[الحديث: 435]ـ عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة، وتبقى

1() أبو داود (4243) وقال الألباني: ضعيف (913)
2() رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد (10/139)
3() رواه أحمد ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/139)
4() رواه أحمد وابن سعد، سبل الهدى والرشاد (10/140)
5() رواه عبد بن حميد، سبل الهدى والرشاد (10/140)

حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا هكذا وهكذا، وشبك بين أصابعه)، قالوا: يا رسول الله، فكيف تأمرنا؟ قال: (تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على الأمر خاصتكم، وتدعون أمر عامتكم)[1]

[الحديث: 436] عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم، وخرجت أماناتهم)، فقال قائل: فكيف بنا يا رسول الله؟ قال: (تعملون بما تعرفون، وتنكرون ما تنكرونه بقلوبكم)[2]

[الحديث: 437] عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (ستغربلون حتي تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخربت أماناتهم)، فقال قائل: فكيف بنا يا رسول الله؟ فقال: (تقولون بما تعرفون، وتتركون ما تنكرونه بقلوبكم)[3]

[الحديث: 438] عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا، ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)[4]

ومما يدل على حصول ذلك في ذلك الجيل ما علق به راوي الحديث عليه، فقد قال: (ولقد رأيناهم صورا ولا عقولا، جسام ولا أحلام، فراش بار وذباب يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن العير)

[الحديث: 439] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (لتفتنن أمتي بعدي فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع أقوام دينهم لعرض من الدنيا قليل)[5]

[الحديث: 440] قال ابن مسعود: (لا يقول أحدكم (اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحدٌ إلا يشتمل

---

[1] رواه الحاكم واللفظ له والحارث وأحمد وأبو داود وابن ماجه، سبل الهدى والرشاد (10/160)

[2] رواه أبو نعيم في الحلية، سبل الهدى والرشاد (10/160)

[3] رواه الدارقطني في الإفراد والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية، سبل الهدى والرشاد (10/160)

[4] رواه مسلم والترمذي، سبل الهدى والرشاد (10/142)

[5] رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/142)

على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاتها)، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: 28])[1]

[الحديث: 441] ما روي أنه لما صار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عمار بن ياسر وحسنا، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر وكان حسن بن علي في أعلاه وعمار أسفل منه، فاجتمعنا إليهما، فقال عمار: (إن عائشة قد صارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي)[2]

[الحديث: 442] ما روي أنه دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار حيث أتى الكوفة ليستنفر الناس، فقالا: ما رأينا منك أمرا منذ أسلمت أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر، فقال: (ما رأيت منكما أمرا منذ أسلمتما أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر)[3]

ثانيا ــ ما ورد في بيان أنواع الفتن، وكيفية التعامل معها:

لم يكتف رسول الله ﷺ بالإشارة إلى الفتن والتحذير منها، ومن أسبابها، وإنما كان يذكر أنواعها، وكيفية التعامل مع كل نوع منها، ويخبر عن أسبابه ومواطنه ومن تكون له اليد الطولى فيه.

ومن التصنيفات التي وردت حولها ما ورد في الأحاديث التالية:

[الحديث: 443] قوله ﷺ: (أربع فتن تكون بعدي: الأولى تسفك فيها الدماء، والثانية تستحل فيها الدماء والأموال، والثالثة تستحل فيها الدماء والأموال والفروج، والرابعة صماء عمياء مطبقة تمور مور الموج في البحر حتى لا يجد أحد من الناس منها ملجأ تطيف بالشام، وتغشى العراق، وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها، تعدل الأمة فيها بالبلاء عدل الأديم، ثم لا يستطيع أحد من الناس أن يقول فيها: مه مه، لا يدفعونها من ناحية إلا انفقعت من ناحية أخرى)[4]

---

[1] () الطبراني (8931) وقال الهيثمي (7/223) وإسناده منقطع وفيه المسعودي وقد اختلط.

[2] () البخاري (7100)

[3] () البخاري (7104)

[4] () رواه نعيم بن حماد في الفتن بسند جيد رجاله ثقات، سبل الهدى والرشاد (

[الحديث: 444]ـ قول حذيفة: (والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنةٌ فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئا ما لم يحدثه غيري، ولكنه قال يوما وهو في مجلس يتحدث فيه عن الفتن ويعدهن: منهن ثلاثٌ لا يكدن يذرن شيئا، ومنهن فتنٌ كرياح الصيف، ومنها صغارٌ، ومنها كبارٌ، فذهب أولئك الرهط الذين سمعوه معي كلهم غيري[1]

[الحديث: 445]ـ قول حذيفة: كنا عند عمر، فقال: أيكم يحفظ من حديث النبي ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه، فقال: هات إنك لجريءٌ، وكيف قال؟ قلت: سمعته يقول: (فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر، قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق أبدا، قال فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد ليلة، إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط، قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب؟ فقلنا لمسروق سله، فسأله فقال: عمر[2].

وقد أسيء فهم هذا الحديث؛ حيث توهم البعض أن الجيل الذي نشأ في عهد الخليفة الأول والثاني كانا بمنجاة من الفتن، وهذا غير صحيح، ذلك أن الأحاديث تشير إلى أن الفتن والاختبارات الإلهية لا تعفي أي جيل من الأجيال، حتى الجيل الذي كان فيه رسول الله ﷺ، وعاش معه؛ فقد ذكر الله تعالى تلك الاختبارات الكثيرة التي سقط فيها من زعموا اتباعهم لرسول الله ﷺ، لكنهم تخلفوا عنه أحوج ما يكون إليهم، كما ذكر ذلك في سورة التوبة.

ولهذا؛ فإن هذا الحديث يخبر فيه حذيفة بأن الفتنة الثانية، والتي هي أشد من الأولى، ستبدأ بعد عمر، ولا يعني ذلك أن عمر ومن قبله لم يكونوا يعيشون في ظلال فتنة أخرى.

[الحديث: 446]ـ قول حذيفة: سمعت النبي ﷺ يقول:

(10/164

1() مسلم (2891)

2() البخاري (1435) واللفظ له،ومسلم (144)،والترمذي (2258)

(تعـرض الفتن على القلـوب كالحصـير عـودا عـودا، فـأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتـة بيضاء، حتى تصير على قلبين على أبيض مثـل الصـفا فلا تضـره فتنةٌ ما دامت السـموات والأرض، والآخـر أسـود مربـادٌ كـالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هــواه)، وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقـا يوشـك أن يكسـر، قـال عمـر: أكسرا لا أبا لك، فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قـال: لا بـل يكسـر، وحدثته أن ذلك الباب رجلٌ يقتل أو يموت حديثا ليس بالأغاليط، قـال أبـو خالـد: فقلت لسعد: يـا أبـا مالـك! مـا أسـود مربـادٌ؟ قــال:شـــدة البيــاض في ســـواد، قلت: فمـــا الكـــوز مجخيـــا؟ قال:منكوسا[1]

[الحديث: 447]ـ وهـو مـا يشـير إلى أنـواع الفتن الـتي ستمر بها الأمة ونص الحديث هو ما حدث به ابن عمر قال: كنـا قعودا عند النـبي ﷺ، فـذكر الفتن فـأكثر في ذكرهـا، حـتى ذكـر فتنة الأحلاس، قال: (هي هربٌ وحـربٌ، ثم فتنـة السـراء دخنهـا من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مـني وليس مـني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنـة الـدهيماء لا تـدع أحـدا من هـذه الأمـة إلا لطمتـه لطمـة، فـإذا قيـل انقضـت تمـادت، يصـبح الرجـل فيهـا مؤمنـا ويمسي كـافرا، حـتى يصـير النـاس إلى فسـطاطين، فسـطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كـان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو غده)[2]

[الحديث: 448]ـ ما روي عن الإمام علي قـال: قـال لي رســول اللــه ﷺ: (ســتكون فتن وســتحاج قومــك) قلت فمــا تأمرني؟ قال: (أحكم بالكتاب)[3]

[الحديث: 449]ـ ما روي عن ابن مسعود قال: قـال لنـا رسول الله ﷺ: (أحذركم سبع فتن فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنـة تقبـل من المشرق، وفتنة تقبل من المغرب، وفتنة من بطن الشــام وهي السفياني)، قـال ابن مسـعود منكم من يـدرك أولهـا ومن هـذه الأمـة من يـدرك آخرهـا. قـال الوليـد بن عيـاش: فكـانت فتنـة

1() أخرجها مسلم (144)
2() أبو داود (4242) وأحمد (2/133) وقال الألباني: صحيح (3568)
3() رواه أبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/151)

المدينة من قبل طلحة والزبير، وفتنة مكة فتنة ابن الزبير وفتنة الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء[1].

بناء على هذه الأحاديث وغيرها، رأينا أنه يمكن تقسيم الفتن إلى خمسة أنواع كبرى، وذلك بحسب الموقف من وصايا رسول الله ﷺ المرتبطة بالعترة، ذلك أنه ﷺ أخبر أن الأمة لو تمسكت بهم، لأمنت من الفتن، وهو ما يدل على أن كثرة الفتن وأنواعها مرتبطة بمدى ذلك التمسك؛ فكلما كان العزل لهم أكثر، والتفريط فيهم أعظم، كانت الفتن أشد، وهذه الأنواع هي:

الفتنة الأولى: وهي التي يمكن تسميتها فتنة [عزل العترة]، وهي مع كونها أخف الفتن من حيث مظاهرها، لكنها كانت الأساس الذي قامت عليه كل الفتن بعدها.

الفتنة الثانية: وهي تطورت فيها المواجهة مع العترة إلى إعلان الحرب عليها، وقد حصل بسبب ذلك تسلط المستبدين الظلمة، لينحرفوا بقيم الدين إلى ما يتناسب مع طبيعتهم.

الفتنة الثالثة: وهي التي استعملها أصحاب الملك العضوض في قتل العترة والموالين لها، وعدم الاكتفاء بالتضييق الحسي عليها.

الفتنة الرابعة: وهي الفتن المرتبطة بوهن الأمة وضعفها وارتدادها عن قيم دينها.

الفتنة الخامسة: وهي الفتن الكثيرة المرتبطة بآخر الزمان، والتي تنتهي بقيام الساعة.

وسنذكر في هذا المبحث ما ورد من أحاديث حول الفتن الأربعة الأولى، أما ما يرتبط بعلامات الساعة؛ فسنذكرها في محلها من هذه السلسلة.

الفتنة الأولى: فتنة عزل العترة:

وهي الفتنة التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]

ويشير إليها من قصص الأنبياء عليهم السلام ما حصل من قوم موسى عليه السلام، والذين تركوا وصيته بمجرد أن غاب

[1] رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/151)

عنهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ [طه: 83 - 85]

ولهذا كان رسول الله ﷺ يشير إلى هذه الفتنة، ويحذر منها في الكثير من الأحاديث، والتي يمكن تصنيفها إلى:

أ ـ ما ورد في بيان قرب الفتن وكثرتها:

وهي أحاديث يخاطب فيها رسول الله ﷺ أصحابه، ليحذرهم من الفتن التي تنتظرهم، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 450]ـ عن أسامة أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة، فقال:(هل تدرون ما أرى؟) قال: لا، قال:(فإني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع المطر)[1]

[الحديث: 451]ـ عن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[2]

[الحديث: 452]ـ عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ استيقظ ليلة فزعا، يقول: (سبحان الله! ماذا فتح الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن)[3]

[الحديث: 453]ـ عن كرز بن علقمة الخزاعي أن رجلا سأل رسول الله ﷺ هل للإسلام منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ: (أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام)، قال: ثم ماذا؟ قال: (ثم تقع الفتن كالظلل)، فقال الرجل كلا، والله إن شاء الله قال: (بلى والذي نفسي بيده ثم تعودون فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض)[4]

[الحديث: 454]ـ عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: (أحصوا لي كم يلفظ الإسلام؟) فقلنا يا رسول الله: أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: (إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا)، فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرا[5].

ب ـ ما ورد من تحذير المبدلين والمغيرين:

1() البخاري (2467) ومسلم (2885)

2() البخاري (7077) ومسلم (66) وأبو داود (4686) والنسائي (7/126- 127)

3() رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد (10/143)

4() رواه الطيالسي والبيهقي وأحمد والطبراني في الكبير والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/142)

5() البخاري (3060) ومسلم (149)

وهي أحاديث كثيرة، يحذر فيها رسول الله ﷺ أصحابه المقربين من التبديل والتغيير وترك ما أمروا به من وصايا، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 455]ـ عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (إلا إنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: 117]، فيقال: (إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)[1]

[الحديث: 456]ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا ليذادن رجال من حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم، ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا فأقول: فسحقا فسحقا)[2]

ج ـ ما ورد في بيان الموقف من الوصايا النبوية:

وهو ما يعرف بحديث [رزية الخميس]، والذي كان يذكره ابن عباس متأسفا متألما، لكونه السبب في كل ما حصل للأمة من فتن.

[الحديث: 457]ـ ونص الحديث هو ما روي عن ابن عباس أنه قال: لما حضر رسول الله ﷺ، وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: (هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)، فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله؛ فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو، والاختلاف عند النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (قوموا)، قال عبيد الله: (راوي الحديث عن ابن عباس، وهو ابنه): فكان ابن عباس يقول: (إن الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم، ولغطهم)[3]

ولا يعنينا هنا البحث عمن رمى رسول الله ﷺ بالهجر الذي يعني الخرف والهذيان وعدم العقل، وإنما يعنينا البحث عن

1() رواه البخاري 6/ 69، مسلم 4/ 2195.
2() رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد (10/95)
3() رواه البخاري (6932) ومسلم (1637)

الوصية التي كان رسول اللـه ﷺ يـود أن يبلغهـا أمتـه، لأن ذلـك في كل الأحوال يبقى غيبـا مخزونـا نتأسـف عليـه ونحـزن حزنـا شـديدا، لأن رسـول اللـه ﷺ أخـبر أنهم لـو طبقـوا مـا في ذلـك الكتاب لم يضلوا أبدا.

وقد كان سببها هو النظر إلى رسول الله ﷺ باعتباره بشرا عاديا يمكنه أن يهجر ويصيبه الخرف، وبذلك لا يُترك له المجال، ليذكر وصيته الأخيرة للأمة، والتي تحفظها من كل انحـراف قـد يقع لها.

بل إن الهجر ليس خاصا بالسنة المطهرة، والاكتفـاء بـدلها بالكتاب عبر تلك المقولة الخطيرة (حسـبنا كتـاب اللـه)، والـتي تعـني الاكتفـاء بالكتـاب عن السـنة، وهـو مـا أشـار إليـه ﷺ في قوله: (ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحـديث عـني وهـو متكئٌ على أريكتـه فيقـول: بيننـا وبينكم كتـاب اللـه، فمـا وجـدنا فيـه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله)[1]

وإنما كان الهجر للقرآن الكريم نفسه، ذلك أنه يذكر وصية الأنبياء عليهم السلام، وهو مـا يـدل على أنـه من سـنن الأنبيـاء، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَى لَكُمُ الـدِّينَ فَلَا تَمُـوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْـلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُـدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 132، 133]

وللأسف؛ فـإن الأمـة في أجيـال كثـيرة بـدل أن تبحث في الأحـاديث الأخـرى عن تلـك الوصـية في مظـان أخـرى ــ لأنـه يستحيل على رسول الله ﷺ ألا يذكر مـا يريـده إلا في لحظـات موته ـ بدل ذلك راحت تبرر ما فعله الصـحابة الـذين حـالوا بين رسول الله ﷺ والإدلاء بوصيته.

ومن أمثلة ذلك مـا قالـه المـازري عن هـذه الحادثـة؛ فقـد قال: (إنما جـاز للصـحابة الاختلاف في هـذا الكتـاب مـع صـريح أمره لهم بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها مـا ينقلهـا من الوجـوب، فكأنه ظهرت منه أي من كلام الرسـول ﷺ قرينـة دلت على أن الأمر ليس على التحتم، بـل على الاختيـار، فـاختلف اجتهـادهم،

---

[1]() رواه الترمذي (2664) وقـال: هـذا الحـديث حسـن غـريب من هـذا الوجـه، وابن ماجة (12)، والدارمي (586)

وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم، وعزمه ﷺ كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضاً..)[1]

وما قاله عجيب جدا، فكيف يقال لأمر رسول الله ﷺ أنه لم يكن على سبيل الحتم واللزوم، وقد ورد في القرآن الكريم التشديد على إجابة رسول الله ﷺ مطلقا، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]، بل حذر بعدها من الفتنة التي قد تنجر من عدم إجابته، فقال: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 25]

ثم كيف يقال بأن ذلك الأمر لم يكن على سبيل الحتم واللزوم، وقد قال ﷺ مبينا أهميته وخطره: (هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)، فهل هناك شيء أهم من عدم الضلال.. بل عدم الضلال الأبدي؟

وقريب مما ذكره المازري ما ذكره البيهقي في (دلائل النبوة) عندما قال: (إنما قصد عمر التخفيف على رسول الله ﷺ حين غلبه الوجع، ولو كان مراده ﷺ أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 67] كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه، وكما أمر في ذلك الحال بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك مما ذكره في الحديث)[2]

وما ذكره البيهقي لا يقل غرابة عما ذكره المازري، لأنه يتنافى مع ما ورد في الحديث من الاهتمام بالوصية، أما ترك رسول الله ﷺ للكتابة، فليس تقصيرا منه ﷺ، وإنما يفسر الأمر فيها كما يفسر سكوته عن تحديد ليلة القدر بعدما حصل التنازع.

فعن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا ليلة القدر فتلاحى (أي تخاصم وتنازع) رجلان من المسلمين، فقال: (خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرُفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة

1() كما نقله ابن حجر في الفتح (7/740)
2() نقله عنه النووي في شرح مسلم (11/132)

والخامسة)[1]

وهكـذا كـان التنـازع سـببا في الحرمـان من تحديـد ليلـة القدر.. لأنها نعمة كبرى.. فلما لم يقـدروها حـق قـدرها حرمـوا من ذلك.. وهكذا كان حرمانهم من تلك الوصية العظيمة بسـبب التنازع.. لأنه حصـل لـه علم ﷺ بـأن هـؤلاء الـذين اجـترأوا على التنازع بين يديه لن يصعب عليهم أن يمزقوا وصـيته أو يؤولوهـا أو يفعلوا بها أي شيء.

ولا يقل عما ذكره المازري والبيهقي من التأويل مـا ذكـره القرطبي حين قال: (ائتوني أمـر، وكـان حـق المـأمور أن يبـادر للامتثال، لكن ظهر لعمر مع طائفة أنه ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد للأصلح، فكرهوا أن يكلفوه من ذلـك مـا يشـق عليه في تلك الحالة مع استحضارهم لقوله تعـالى: ﴿مَـا فَرَّطْنَـا فِي الْكِتَـابِ مِنْ شَـيْءٍ﴾ [الأنعـام: 38]، وقولـه تعـالى: ﴿وَنَزَّلْنَـا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: 89]، ولهذا قـال عمـر: حسبنا كتاب الله، وظهر لطائفة أخـرى أن الأولى أن يكتب لمـا فيـه من زيـادة الإيضـاح، ودل أمـره لهم بالقيـام على أن أمـره الأول كان على الاختيار، ولهذا عاش ﷺ بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك، ولو كان واجباً لم يتركـه لاختلافهم، لأنـه لم يـترك التبليـغ لمخالفـة من خـالف، وقـد كـان الصـحابة يراجعونـه في بعض الأمور ما لم يجزم بالأمر فإذا عزم امتثلوا)[2]

أما النووي فقد نقل إجماع الشراح على أن الحكمة كـانت مع عمر وغيره من الصحابة الذين منعـوا النـبي ﷺ من الكتابـة، فقال: (أما كلام عمر فقـد اتفـق العلمـاء المتكلمـون في شـرح الحديث على أنه من دلائل فقـه عمـر وفضـائله ودقيـق نظـره، لأنــه خشــي أن يكتب ﷺ أمـوراً ربمـا عجـزوا عنهـا واسـتحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا محالة للاجتهاد فيها، فقال عمـر: حسـبنا كتـاب اللـه لقولـه تعـالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَـابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]وقولـه تعـالى: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]، فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلالة على الأمة وأراد الترفيه على رسـول اللـه ﷺ، فكـان عمـر أفقـه من ابن عباس وموافقيه)[3]

1() رواه البخاري [2/64]
2() نقله ابن حجر في الفتح (1/252)
3() النووي في شرح مسلم (11/132)

أما ابن تيمية، فقد استطاع بذكائه اللامحدود، وبحكمته اللانهائية أن يكتشف ما في ذلك الكتاب الذي لم يمله ﷺ، فقال ـ بكل جرأة ـ: (الذي وقع في مرضه كان من أهون الأشياء وأبينها، وقد ثبت في الصحيح أنّه قال لعائشة في مرضه: (ادعي لي أباك وأخاك حتّى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من بعدي)، ثم قال: يأبى الله والمؤمنون إلّا أبا بكر، فلمّا كان يوم الخميس همَّ أن يكتب كتاباً فقال عمر: ماله أهجر؟ فشّك عمر هل هذا القول من هجر الحمى؟ أو هو ممّا يقول على عادته؟ فخاف عمر أن يكون من هجر الحمى، فكان هذا ممّا خفى على عمر، كما خفى عليه موت النبي ﷺ بل أنكره، ثمّ قال بعضهم: هاتوا كتاباً، وقال بعضهم: لا تأتوا بكتاب، فرأى النبي ﷺ أنّ الكتاب في هذا الوقت لم يبق فيه فائدة؛ لأنّهم يشكون هل أملاه مع تغيره بالمرض أم مع سلامته من ذلك، فلا يرفع النزاع، فتركه، ولم تكن كتابة الكتاب ممّا أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت؛ إذ لو كان كذلك لما ترك ﷺ ما أمره الله به، لكن ذلك ممّا رآه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لا بدّ أن يقع، وقد سأل ربّه لأمّته ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ومنعه واحدة، سأله أن لا يهلكهم بسنة عامة، فأعطاه إياها، وسأله أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم، فأعطاه إياها، وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعه إياها، وهذا ثبت في الصحيح)[1]

ثم قال معقبا على قول ابن عباس: (الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب الكتاب): (فإنّها رزية أي مصيبة في حقّ الذين شكوا في خلافة أبي بكر، وطعنوا فيها، وابن عباس قال ذلك لمّا ظهر أهل الأهواء من الخوارج والروافض ونحوهم، وإلّا فابن عباس كان يفتي بما في كتاب الله، فإن لم يجد في كتاب الله فبما في سنّة رسول الله، فإن لم يجد في سنّة رسول الله ﷺ فبما أفتى أبو بكر وعمر، ثمّ إنّ النبي ﷺ ترك كتابة الكتاب باختياره، فلم يكن في ذلك نزاع، ولو استّمر على إرادة الكتاب ما قدر أحد أن يمنعه)[2]

وللأسف؛ فإن هؤلاء الذين وقفوا هذا الموقف من كتابة رسول الله ﷺ لوصيته في مرض موته، اختلف موقفهم تماما

1() منهاج السنة (6/315-318)
2() منهاج السنة (6/315-318)

مع أصحابه الذين أحلوهم من المنزلة ما لم يحلوا رسول الله ﷺ، بل أجازوا لهم ما لم يجيزوا له، ولهذا نراهم يذكرون بإعجاب شديد موقف أبي بكر في مرض موته عند وصيته لعمر، ويعتبرون ذلك من حرص أبي بكر على الأمة من بعده، ورحمته بها، مع أن الحالة التي أملى فيها أبو بكر وصيته أخطر من الحالة التي كان فيها رسول الله ﷺ.

فقد روى الطبري في تاريخه، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن سعد في الطبقات، وابن حبّان في الثقات: (دعا أبو بكر عثمان خالياً فقال له: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين: أمّا بعد.. قال: ثمّ أغمي عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أمّا بعد: فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيراً منه. ثمّ أفاق أبو بكر فقال: أقرأ عليَّ. فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أفتتلت نفسي في غشيتي! قال: نعم! قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع)[1]

وهكذا نجدهم يروون عن أم المؤمنين عائشة قولها مخاطبه عبدالله بن عمر: (يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة)[2]

د ـ ما ورد في شأن أبي ذر والبلاء الذي يقع له:

والذي أخبر رسول الله ﷺ أنه يمثل الهدى والصدق، وأخبر في نفس الوقت أنه من الناجين من الفتنة الأولى، وأنه سيتعرض بسبب ذلك للبلاء والنفي، حتى يموت وحيدا، وفي كل ذلك يدعو رسول الله ﷺ إلى البحث عن أسباب ما حصل لأبي ذر، ولماذا حل به ذلك البلاء، حتى تفرق بين أئمة الهدى وغيرهم.

ومن الأحاديث الواردة في هذا:

[الحديث: 458]ـ ما ورد عن رسول الله ﷺ من اعتباره لسانا من ألسنة الحق، التي إن اختلفنا عدنا إليها[3].. فقد قال

1() تاريخ الطبري 2: 618. تاريخ مدينة دمشق 3: 411. الطبقات الكبرى 3: 200. الثقات 2: 192.

2() الإمامة والسياسة: 1 / 28.

3() يمكن اعتبار حديث صدق أبي ذر وزهده من أظهر مصاديق التواتر المعنوي، إذ أخرجه جملة الحفاظ على اختلاف ألفاظه كابن سعد والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن

في حقه: (ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، من رجل أصدق لهجة من أبي ذر)[1]، وقال: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، شبيه عيسى ابن مريم)، فقال عمر: يا رسول الله، أفنعرف ذلك له؟. قال: (نعم، فاعرفوه)[2]

[الحديث: 459]ـ ما ورد من الدلالة على كون بلائه كان جهادا في سبيل الله، فقد روي عنه قوله: بينا أنا واقف مع رسول الله ﷺ، فقال لي: (يا أبا ذر أنت رجل صالح، وسيصيبك بلاء بعدي)، قلت: في الله؟ قال: (في الله)، قلت: مرحبا بأمر الله[3].

[الحديث: 460]ـ ما ورد في تشبيهه بالمسيح عليه السلام ووقوفه في وجه التحريف، فقد قال ﷺ: (أبو ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى ابن مريم)[4]، وقد روي عنه قوله: (أوصاني خليلي ﷺ بست: حب المساكين، وأن أنظر إلى من هو تحتي، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أقول الحق وإن كان مرا، وأن لا تأخذني في الله لومة لائم)[5]

[الحديث: 461]ـ ما ورد في نفيه بسبب مواجهته للفتنة الأولى، فعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: (يا أبا ذر، كيف تصنع، إن أخرجت من المدينة؟) قال: للسعة والدعة إلى مكة فأكون حمامة من حمام مكة، قال: (فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة؟) قال: للسعة والدعة، إلى الشام والأرض المقدسة، قال: (فكيف تصنع إذا أخرجت من الشام؟) قال: قلت: والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي وأقاتل حتى أموت قال: (أو خير من ذلك؟ تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا)[6]

أبي شيبة وابن جرير وأبي عمر وأبي نعيم والبغوي والحاكم وابن عساكر والطبراني وابن الجوزي وغيرهم. انظر: الطبقات 4 ـ 167 و168، سنن ابن ماجة 1 ـ 68، مسند أحمد 2 ـ 163 و175 و223، و5 ـ 197، و6 ـ 442، مستدرك الحاكم 3 ـ 342، و4 ـ 480 وقد صححه وأقره عليه الذهبي، مصابيح السنة 2 ـ 228، صفة الصفوة 1 ـ 340، الاستيعاب 1 ـ 84، مجمع الزوائد 9 ـ 329، الإصابة لابن حجر 3 ـ 622 و4 ـ 62، كنز العمال 6 ـ 169 و8 ـ 15 ـ 17، وجملة كتب الحديث والرجال والتراجم.

1() رواه الترمذي وابن ماجة (156)

2() الترمذي 2 ـ 221.

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 162)

4() الاستيعاب 1 ـ 83، وأسد الغابة 5 ـ 188، والإصابة 4 ـ 164.

5() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 159)

6() رواه أحمد بن منيع وابن حبان، والنسائي في الكبرى وابن ماجه مختصرا، سبل الهدى والرشاد (10/102)

[الحـديث: 462]ـ وعن أبي ذر قـال: بينـا أنـا نـائم في المسجد خرج رسول اللـه ﷺ فضـربني برجلـه وقـال: (ألا أراك نائما فيه؟) قلت: يا نبي الله، غلبتني عيـني. قـال: (كيـف تصـنع إذا أخـرجت منـه)، قـال: آتي الشـام والأرض المقدسـة. قـال: (فكيف تصنع إذا أخرجت منه) قال: ما أصنع يا نبي الله أضـرب بسيفي. فقال النبي ﷺ: (ألا أدلك على ما هو خير لـك من ذلـك وأقرب رشدا تسمع وتطيع وتنساق لهم حيث ساقوك) قـال أبـو ذر: والله، لألقين الله، وأنا سامع مطيع لعثمان[1].

[الحديث: 463]ـ وعن القـرظي قـال: خـرج أبـو ذر إلى الربـذة فأصـابه قـدره، فأوصـاهم أن غسـلوني وكفنـوني، ثم ضعوني على قارعة الطريـق، فـأول ركب يمـرون بكم فقولـوا: هذا أبو ذر صاحب رسـول اللـه ﷺ فأعينونـا على غسـله ودفنـه ففعلوا، فأقبل عبد الله بن مسـعود في ركب من العـراق، وقـد وضعت الجنازة على قارعـة الطريـق، فقـام عليـه غلام، فقـال: هـذا أبـو ذر صـاحب رسـول اللـه ﷺ قـال: فبكى عبـد اللـه بن مسعود قـال: سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (تمشـي وحـدك، وتموت وحدك وتبعث وحدك)[2]

[الحديث: 464]ـ وعن إبراهيم بن الأشتر عن أبيـه قـال: أن أبا ذر حضره الموت، وهو بالربـذة، فبكت امرأتـه، قـال: مـا يبكيـك؟ قـالت: ومـا لي لا أبكي وأنت تمـوت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسع لك كفنـا فقـال: لا تبكي، فـإني سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (ليمـوتن رجـل منكم بفلاة من الأرض فيشـهده عصـابة من المؤمـنين)، فكـل من كـان معي في المجلس مـات في جماعـة وقريـة فلم يبـق منهم غـيري، وقـد أصبحت بفلاة أمـوت فراقـبي الطريـق، فإنـك سـوف تـرين مـا أقول، فإني والله ما كذبت، ولا كـذبت، قـالت: أنى وقـد انقطـع الحاج، قال: راقبي الطريق، قال: فبينا هي كذلك، إذا هي بقـوم تخب بهم رواحلهم كـأنهم الـرخم على رحـالهم، فأقبـل القـوم حتى وقفوا عليها، فقـالوا: مالـك؟ قـالت: امـرؤ من المسـلمين تكفنونه وتؤجرون فيه قـالوا: ومن هـو؟ قـالت: أبـو ذر، فغـدوه بـإبلهم ووضـعوا السـياط في نحورهـا يبتدرونـه، قـال: أبشـروا، فأنتم الذين قال رسول الله ﷺ فيكم ما قال: ثم أصبحت اليـوم

1() رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد (10/102)

2() رواه أحمد وإسحاق، سبل الهدى والرشاد (10/102)

حيث ترون، ولو أن لي ثوبا من ثيابي يسعني لم أكفن إلا فيه، فأنشدكم الله لا يكفنني رجل منكم كان عريفا أو أميرا أو بريدا، فكل القوم قد نال من ذلك إلا فتى من الأنصار، وكان مع القوم، قال: أنا أكفنك في ردائي هذا الذي علي وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي، قال: أنت فكفني[1].

[الحديث: 465]ـ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر، إني أراك منفيا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم)[2]

[الحديث: 466]ـ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)[3]

[الحديث: 467]ـ ما روي عنه من أن كل ما كان يدعو إليه هو نفس ما كان يدعو إليه رسول الله ﷺ، وهو ما يدل على كون أحاديثه في حكم المرفوع، فقد روي عنه قوله: (ما قلت إلا شيئا قد سمعته من نبيهم ﷺ)[4]

[الحديث: 468]ـ من قوله في بعض خطبة في مواجهة الفتنة الأولى: (أمّا بعد، فإنّا كنّا في جاهليّتنا، قبل أن ينزل علينا الكتاب، ويبعث فينا الرسول، ونحن نوفي بالعهد، ونصدق الحديث، ونحسن الجوار، ونقري الضيف، ونواسي الفقير. فلمّا بعث الله تعالى فينا رسول الله، وأنزل علينا كتابه، كانت تلك الأخلاق يرضاها الله ورسوله، وكان أحقّ بها أهل الإسلام، وأولى أن يحفظوها، فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا.. ثمّ إن الولاة، قد أحدثوا أعمالاً قِباحاً لا نعرفها. من سنَّة تطفى ! وبدعة تحيى ! وقائل بحق مكذَّب، وأثرة لغير تقى، وأمين ـ مُستأثر عليه ـ من الصالحين)[5]

[الحديث: 469]ـ من أقواله في ذكر التهديدات التي كان يتعرض لها بسبب مواقفه من الفتنة: (إن بني أمية تهددني بالفقر والقتل، ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها، وللفقر

---

[1] () رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد (10/102)

[2] () رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/103)

[3] () رواه أبو داود والطيالسي وابن أبي شيبة ومسلم وابن سعد وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/103)

[4] () رواه مسلم: 34 - (992)

[5] () أعيان الشيعة: ١٦ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

أحب إلي من الغنى)، فسأله بعضهم عن سر تلك التهديدات، وقال له: يا أبا ذر ما لك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك؟ فقال: (إني أنهاهم عن الكنوز)[1]

[الحديث: 470]ـ وروي أن رجلا أتاه فقال: إن مصدقي عثمان ازدادوا علينا، أنغيب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا؟ فقال: (لا، قف مالك، وقل ما كان لكم من حق فخذوه، وما كان باطلا فذروه، فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة)، فسمعه بعض القرشيين، فقال: (أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا؟)، فقال: (أرقيب أنت علي؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة ههنا، ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تحتزوا لأنفذتها)[2]

[الحديث: 471]ـ وروي أنه دخل مجلسا، فوجدهم يقتسمون مالا لبعض الأثرياء، وكان في المجلس كعب الأحبار، وبدل أن يسألوا أبا ذر، وهو صاحب رسول الله ﷺ، وتلميذه، راحوا يسألون كعبا، فقالوا: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويعطي في السبل ويفعل ويفعل؟ فقال كعب: إني لأرجو له خيرا، فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب، وقال: (وما يدريك يا ابن اليهودية؟ ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه)[3]

[الحديث: 472]ـ وروى الأحنف بن قيس بعض مواقفه في مواجهة الفتنة الأولى، فقال: جلست إلى ملإ من قريش، فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه، يتزلزل، ثم ولى، فجلس إلى سارية، وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو؟ فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئا، قال لي خليلي، قال: قلت: من خليلك؟ قال النبي ﷺ: (يا أبا ذر أتبصر أحدا؟) قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم، قال: (ما أحب أن لي مثل أحد ذهبا، أنفقه كله،

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 163)
2() المرجع السابق(1/ 160)
3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 160)

إلا ثلاثة دنانير) وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا، لا والله، لا أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألقى الله)(1)

[الحديث: 473] وروي أن بعضهم قال له: (ما لك ولإخوتك من قريش، لا تعتريهم وتصيب منهم)، قلت له بكل قوة: (لا، وربك، لا أسألهم عن دنيا، ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألحق بالله ورسوله)(2)

[الحديث: 474] قال فيه الإمام علي يثني عليه، ويعتبره من صحابة رسول الله ﷺ المنتجبين الصادقين: (وعى علما، شحيحا حريصا؛ شحيحا على دينه، حريصا على العلم، وكان يكثر السؤال، فيعطى ويمنع، أما أن قد ملئ له في وعائه حتى امتلأ)(3)، وذكر نصرته للحق، فقال: (لم يبق اليوم أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر) ثم ضرب بيده إلى صدره(4).

الفتنة الثانية: فتنة حرب العترة:

وهي الفتنة التي لم يكتف الواقعون فيها بعزل الإمام علي عن اعتباره إمام الهدى الذي ترجع إليه الأمة في كل شؤونها، مثلما كانت ترجع إلى رسول الله ﷺ، وإنما راحوا يعلنون الحرب عليه، مع أنهم كانوا من أكثر المسالمين لمن سبقه من الخلفاء.

ولم تكن تلك الحرب خاصة بشخصه، وإنما كانت مرتبطة بالدين نفسه، ولهذا أخبر رسول الله ﷺ أن حرب الإمام علي ليست حربا لأجل مناصب سياسية، وإنما هي حرب في مواجهة تأويل القرآن وتحريفه عن القيم النبيلة التي جاء بها.

ولهذا ورد في الأحاديث الكثيرة ما يدعو الأمة إلى الوقوف في صفه حين تُعلن عليه تلك الحرب، مع ذكر العلامات الدالة على ذلك، وسنذكر هنا ما ورد من إشارات إلى ذلك من خلال المصادر السنية:

أ. ما ورد في الدلالة على دور الإمام علي في مقاتلة المبدلين للدين:

وهي أحاديث كثيرة سبق ذكرها في فضل الإمام علي، ومنها:

1() رواه البخاري، 1407، 1408.
2() رواه مسلم: 34 - (992)
3() رواه الضياء في المختارة (2/ 123)
4() رواه ابن سعد الطبقات الكبرى، (4/231)

[الحديث: 475]ـ ما روي عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: (لا، ولكنه خاصف النعل، وكان قد أعطى عليا نعله يخصفها)[1]

[الحديث: 476]ـ ومنها ما روي عن علي بن ربيعة قال: سمعت عليا يقول على منبركم هذا: (عهد إلي رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)[2]

ب. ما ورد في مناقب أصحاب الإمام علي:

وهي إشارات واضحة من رسول الله ﷺ على أن هؤلاء الأصحاب الصادقين الذين لم يغيروا ولم يبدلوا عبارة عن رايات تمثل الحقيقة والهدى؛ فمن اتبعهم اهتدى، ومن خالفهم ضل، وسنذكر بعض ما ورد في ذلك فيما يلي:

ما ورد في شأن عمار بن ياسر:

وهي أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر، ولهذا كان الكثير من الصحابة يتبعون عمارا أيام الفتنة، ليروا الجهة التي يكون فيها، ليكونوا معه فيها.

وما ذكره رسول الله ﷺ في هذا الشأن ليس خاصا بذلك الجيل، بل هو لكل الأجيال؛ فلذلك كان على الأمة أن تبحث في مواقف عمار بن ياسر، وتعتبرها ممثلة لموقف رسول الله ﷺ، ذلك أن كل الأحاديث تشير إلى ذلك.

وقبل أن نذكر أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة حول دور عمار في بيان الموقف من تلك الفتنة، نذكر بعض أحاديثه فيها، فقد روي عنه أنه كان يقول: (يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، فلما أراد الله أن ينصر دينه وينصر رسوله أتى النبي ﷺ فأسلم، وهو والله فيما يُرى راهب غير راغب، وقبض رسول الله ﷺ وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم! ألا وإنه معاوية فالعنوه لعنه الله، وقاتلوه فإنه ممن يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله)[3]

وكان يقول: (اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في

1() رواه أبو يعلى برجال الصحيح،، سبل الهدى والرشاد، (11/290)
2() رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد، (11/290)
3() وقعة صفين (ص 213)، تاريخ الطبري: 3/ 82.

أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته)[1]

وحدث عبد الله بن سلمة عنه، قال: كنا عند عمار بصفين وعنده شاعر ينشده هجاء في معاوية وعمرو؛ وعمار يقول له: الصق بالعجوزين، فقال له رجل: أيقال الشعر عندكم ويسب أصحاب رسول الله ﷺ ويسب أصحاب بدر؟! فقال: (إن شئت فاسمع، وإن شئت فاذهب، فإن معاوية وعمراً قعدا بسبيل الله يصدان عنه، فالله سابهما وكل مسلم، وإنه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: (قولوا لهم كما يقولون لكم فإن كنا لنعلمه الإماء بالمدينة)[2]

وعنه قال: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً أخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: (والذي نفسي بيده لقد قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة)[3]

ومن تلك الأحاديث المرتبطة بدور عمار في تحديد الفئة الباغية:

[الحديث: 477]ـ ما روي عن حذيفة بن اليمان ـ مع أنه لم يحضر تلك الفتنة، ولكن رسول الله ﷺ أخبره عنها كما أخبر الأمة جميعا ـ فقد روي أنه جاءه نفر يسألونه عن الفتنة وكيفية التعامل معها، وقالوا له: يا أبا عبد الله، إن رسول الله ﷺ استجار من أن تصطلم أمته، فأجير من ذلك، واستجار من أن يذوق بعضها بأس بعض فمنع من ذلك، فقال حذيفة: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن ابن سمية لم يخير بين أمرين قط إلا اختار أرشدهما ـ يعنى عمارا فالزموا ـ سمته)[4]

1() تاريخ الطبري: ج 3 / ص 96.

2() أنساب الأشراف: 1/ 328.

3() قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج 7 / ص 175): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة وهو ثقة، وقال البوصيري في كتابه: (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، (ج 8 / ص 5): رواه أبوداود الطيالسي وأبو يعلى وأحمد بن حنبل بسند صحيح.

4() وقعة صفين (ص: 342)

[الحديث: 478]ـ روي أن بني عبس قالوا لحذيفة: إن أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال: آمركم أن تلزموا عمارا، قالوا: إن عمارا لا يفارق عليا، قال: إن الحسد هو أهلك الجسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من علي، فوالله لعليٌ أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإن عمارا لمن الأخيار، وهو يعلم أنهم إن لزموا عمارا كانوا مع علي.[1]

للكبير بمبهم.

[الحديث: 479]ـ روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال لرجلين اختصما في رأس عمار، يقول: كل واحد منهما أنا قتلته، فقال عبد الله: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (تقتله الفئة الباغية)، فقال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى النبي ﷺ، فقال: (أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل أحدا)[2].

[الحديث: 480]ـ قوله ﷺ: (إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم.. فاهتدوا بهدي عمار)[3]

[الحديث: 481]ـ عن علقمة، قال: (قدمت الشام، فقلت: من ها هنا؟، قالوا أبو الدرداء، قال: أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ؟)[4]، وهو يقصد عمار بن ياسر.

[الحديث: 482]ـ عن مولاة لعمار بن ياسر قالت: اشتكى عمار بن ياسر شكوى ثقل منها، فغشي عليه فأفاق، ونحن نبكي حوله قال: ما يبكيكم؟ أتحسبون أني أموت على فراشي، أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية، وأنا آخر زادي مذقة من لبن، وفي رواية ضياح لبن وفي لفظ: (أن آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن)[5]

[الحديث: 483]ـ عن أم سلمة وعمار بن ياسر وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال، وهو يبني المسجد لعمار بن ياسر:

---

[1] قال الهيثمي (7/243) الطبراني رجاله ثقات إلا أني لم أعرف الرجل المبهم. ويقصد بالرجل المبهم هو (سيار أبي الحكم) الراوي عن حذيفة)

[2] أحمد (2/164- 165) وقال الهيثمي (7/244): رجاله ثقات.

[3] رواه الترمذي (3799)

[4] رواه البخاري (3287)

[5] رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن، سبل الهدى والرشاد (10/151)

(تقتلك الفئة الباغية)[1]

[الحديث: 484] عن إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: (أبشر، عمار، تقتلك الفئة الباغية)[2]

[الحديث: 485] قوله ﷺ في الحديث الذي روي بطرق متواترة كثيرة[3]: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار)[4]

وقد تعرض هذا الحديث وغيره للتلاعب والتأويل من المدافعين عن الفئة الباغية، بل إنهم حولوه إلى مدح معاوية بدل ثلبه.

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن كثير في شرحه للحديث: (وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر ﷺ عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية، وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين، وعمار مع علي وأهل العراق.. وقد كان علي أحق بالأمر من معاوية.. ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم، كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم، لأنهم، وإن كانوا بغاة في نفس الأمر، فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال،

1() رواه مسلم وابن عساكر وابن أبي شيبة، سبل الهدى والرشاد (10/152)

2() رواه الترمذي، سبل الهدى والرشاد (10/152)

3() فقد رواه مسلم وابن عساكر وابن أبي شيبة عن أم سلمة، والإمام أحمد وابن عساكر والطبراني في الكبير، وأبو يعلى، والخطيب عن عثمان، والإمام أحمد وابن سعد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني في الكبير والحاكم عن عمرو بن العاص، وابن عساكر وابن أبي شيبة وأبو يعلى وأبو عوانة والطبراني في الكبير عن أبي رافع، وأبو يعلى وابن سعد في كتاب الموالاة والطبراني في الكبير والدار قطني في الأفراد عن عمار بن ياسر وابن عساكر عن ابن عباس وعن حذيفة وعن أبي هريرة وعن جابر بن عبد الله وعن جابر بن سمرة وعن أنس عن أبي أمامة وعن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه وعن عمرو بن العاص، وابن أبي شيبة، والإمام احمد وابن سعد والبغوي وأبو نعيم والطبراني في الكبير، والحاكم عن عمرو بن حرام، والإمام احمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وابن عساكر عن ابن عمرو وأبو يعلى والطبراني في الكبير عن معاوية بن عتبة، والطبراني عن أبي رافع والطبراني عن أبي أيوب، والطبراني في الكبير، والباوردي وابن قانع، والدار قطني في الأفراد عن أبي البشير بن عمرو عن زياد بن الجرد، والبزار برجال الصحيح عن أبي سعيد الخدري، وأبو يعلى برجال الصحيح عن أبي هريرة والطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن عمرو وأبيه عمرو ومعاوية والبزار عن أبي مسعود، وحذيفة والطبراني بإسناد حسن. انظر: معجزات حسية (ص: 240)

4() رواه أحمد [5/ 306]، والبخاري (2812)، ومسلم [9/ 226]، [70/ 71/ 2915]، والنسائي في الكبرى [5/ 156]، كتاب الخصائص: حديث [8548]، وابن سعد [3/ 191] وغيرهم

وليس كل مجتهد مصيبا، بل المصيب لـه أجـران، والمخطئ لـه أجر)[1]

وقال في تأويـل قولـه ﷺ: (يـدعوهم إلى الجنـة، ويدعونـه إلى النار): (فإن عمارا وأصحابه يدعون أهـل الشـام إلى الألفـة واجتماع الكلمة، وأهل الشام يريـدون أن يسـتأثروا بـالأمر دون من هو أحق به، وأن يكون النـاس أوزاعـا على كـل قطـر إمـام برأسه، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة، واختلاف الأمة، فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم، وإن كانوا لا يقصدونه)[2]

ولست أدري كيف عـرف أنهم لا يقصـدونه، وأن كـل تلـك الدماء التي سـالت والتحريـف الـذي حصـل كـان مجـرد اجتهـاد مأجور عليه، يؤدي إلى الجنة بدل أدائه إلى النار.

[الحديث: 486]ـ مـا روي في صـدقه وإيمانـه وتبشـيره بالجنـة، ومنهـا قولـه ﷺ: (ملئ عمـار إيمانـا إلى مشاشـه)[3]، وقوله: (دم عمار ولحمه؛ حـرام على النـار أن تأكلـه أو تمسـه)[4]، وقوله: (إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وأبي ذر)[5]

[الحديث: 487]ـ عن جابر بن عبد الله:(مر رسـول اللـه ﷺ بعمـار وأهلـه وهم يعـذبون، فقـال: (أبشـروا آل عمـار، وآل ياسر، فإن موعـدكم الجنـة)[6] وفي روايـة: (عـذب المشـركون عمارا بالنار، فكان النبي ﷺ يمر به فيمر يده على رأسه ويقول: (يا نار كـوني بـردا وسـلاما على عمـار كمـا كنت على إبـراهيم، تقتلك الفئة الباغية)[7]

ما ورد في شأن المقداد بن الأسود:

وهو من أصحاب الإمـام علي المخلصـين، والـذين ورد في حقهم من الأحاديث ما يـدل على اعتبـارهم من العلامـات الـتي يُمـيز بهـا بين الحـق والباطـل عنـدما تختلـط الأمـور، فهـو أحـد الأربعة الذين أخبر رسول الله ﷺ عن شوق الجنة لهم، وهو أحد الذين أمر رسول الله ﷺ بحبهم، والتأسي به في ذلك.

1() البداية والنهاية، (4/ 538)
2() البداية والنهاية، (4/ 538)
3() رواه النسائي (5007)
4() رواه البزار (3/ 51)، وابن عساكر (12/ 314/ 1)
5() الهيثمي في مجمع الزوائد 9 ـ 39
6() رواه الحاكم (5666)، وقال: (صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.
7() سير أعلام النبلاء (3/ 247)

ففي الحديث، قال رسول الله ﷺ: (إن الجنة تشتاق إلى أربعة: إلى عمار، وعلي وسلمان، والمقداد)[1]، وقال: (إن الله تعالى أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم، وإنك يا علي منهم، والمقداد وأبو ذر وسلمان)[2]

وهو صاحب ذلك المشهد الذي تمنى عبد الله بن مسعود ـ على جلالة قدره ــ أن يكون صاحبه، فقال: (لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما في الأرض من شيء، وكان رجلا فارسا، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال فقال: (أبشر يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، أو يفتح الله عز وجل لك)[3]

وهو من الذين آتاهم الله البصيرة؛ الذين ميزوا بين الجاهلية والإسلام، والقيم التي تمثلهما، ولم يغتر بالصحبة المجردة عن القيم، وقد رد على من قال له: (طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت)، بقوله: (ما يحمل الرجل أن يتمنى محضرا غيبة الله عنه لا يدري كيف يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه، ألا يحمد الله تعالى أحدكم أن لا تعرفوا إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم، فقد كفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية لم يروا أن دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافرا، وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان ليعلم أنه قد هلك من دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه في النار، وأنها التي قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74])[4]

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 142)
2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 172)
3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 172)
4() رواه مسلم (4/ 3154) 250

وهــو من رواة أحــاديث الفتن، والمخــبر بوقوعهــا، الــذين أدركوا بـأن الاختبـارات الإلهيـة ليسـت متوقفـة على فـترة دون فترة، وأن ادعاء الإسلام والصحبة ليسـا كـافيين، وقـد قـال في ذلك: (العجب من قــوم مــررت بهم آنفــا، يتمنــون الفتنــة، ويزعمــون ليبتلينهم اللــه فيهــا بمــا ابتلى بــه رســول اللــه ﷺ وأصـحابه، وأيم اللـه لقـد سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (إن السعيد لمن جنب الفتن ـ يرددها ثلاثا ــ وإن ابتلي فصـبر)، وأيم الله لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنة حتى أعلم بما يمـوت عليـه بعد حديث سمعته من رسول اللـه ﷺ، سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (لقلب ابن آدم أسـرع انقلابـا من القـدر إذا اسـتجمعت غليا)[1]

وروي من دفاعه عن آل بيت النبوة، وتنفيذه لوصايا رسول الله ﷺ في ذلك أنه قال: (ما رأيت مثـل مـا أوذي بـه أهـل هـذا البيت بعد نـبيهم)، فقـال لـه عبـد الـرحمن بن عـوف: ومـا أنت وذاك يا مقداد، فقـال: (إني واللـه لأحبهم لحب رسـول اللـه ﷺ إيــاهم، وإن الحــق معهم وفيهم، يــا عبــد الــرحمن أعجب من قريش وإنما تطولهم على النـاس بفضـل أهـل هـذا الـبيت، قـد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيـديهم، أمـا وأيم الله يا عبد الرحمن لـو أجـد على قـريش أنصـارا لقـاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي ﷺ يوم بدر)[2]

ويــدل لهــذا مــا ورد في المصـادر الشـيعية من أن الإمـام الصادق ذكره في جملة الذين طالبوا بعد وفـاة رسـول اللـه ﷺ بتطـبيق وصـيته، وحكم الإمـام علي، ولم يرجعـوا عن ذلـك إلا خشية من تفرق صف المسلمين، فقـد قـال: (كـان الـذي أنكـر على أبي بكر اثنى عشر رجلا من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية وسلمان الفارسي وأبــو ذر الغفـاري والمقـداد بن الأسـود وعمـار بن ياسـر وبريـدة الأسـلمي ومن الأنصــار أبــو الهشـيم بن التيهـان وسـهل وعثمـان ابنـا حـنيف وخزيمــة بن ثــابت ذو الشــهادتين وأبي بن كعب وأبــو أيــوب الأنصاري)، وقال: (إنما منزلـة المقـداد في هـذه الأمـة كمنزلـة

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 175)
2() مروج الذهب ج 2، ص 352.

ألف في القرآن، لا يلزق بها شيء)[1]

ومما كتبه الإمام الرضا للمأمون في محض الإسلام، وشرائع الدين قوله: (والذين مضوا على منهاج نبيهم ﷺ ولم يغيروا، ولم يبدِّلوا، مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمِقداد بن الأسود)[2]

وقد روي من نصائحه التي أسداها للخليفة الأول منكرا عليه قوله: (يا أبا بكر تب إلى ربك والزم بيتك، وابك على خطيئتك، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته، وألزمك من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد وهو مولاه، ونبه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنان والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3]، فلا اختلاف بين أهل العلم أنها نزلت في عمرو، وهو كان أميرا عليكما في الوقت الذي أنفذه رسول الله ﷺ في غزاة ذات السلاسل، وأن عمرا قلد كما حرس عسكره، فأين الحرس إلى الخلافة، اتق الله وبادر بالاستقالة قبل فوتها، فإن ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركن إلى دنياك ولا تغرنك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحل عنك دنياك ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقنت أن علي ابن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فسلمه إليه بما جعله الله له فإنه أتم لسترك واخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور)[3]

ما ورد في شأن أويس القرني:

وهو من أصحاب الإمام علي المخلصين الذين استشهدوا معه في صفين، وهو من الذين اتفقت الأمة على كونه من الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ مع كونه من التابعين، ولم يكتف رسول الله ﷺ بالثناء عليه، وإنما دعا إلى البحث عنه، وطلب الاستغفار منه، وفي ذلك إشارة إلى كونه علما من أعلام الهداية عندما تتنزل الفتن، ومما ورد في حقه من الأحاديث في المصادر السنية:

1() الاختصاص:10.
2() عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق 134:2
3() الاحتجاج، ص102.

[الحـديث: 488]ـ عن عبـد الـرحمن بن أبي ليلى قـال: نـادى رجـل من أهـل الشـام يـوم صـفين، فقـال: فيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من خير التابعين أويس القرني)، ثم ضرب دابته فدخل فيهم[1].

[الحديث: 489]ـ عن الإمام علي أن رسول الله ﷺ قال: (خير التابعين أويس القرني)[2]

[الحديث: 490]ـ عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (يأتي عليكم أويس بن عـامر مـع أمـداد أهـل اليمن من مـراد ثم من قرن، وكان به برص فبرأ منه إلا موضـع درهم، لـه والـدة، وهـو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يسـتغفر لـك فافعل)[3]

وفي رواية: (إن رجلا من أهل اليمن يقـدم عليكم، ولا يـدع باليمن غير أم له قـد كـان بـه بيـاض فـدعا اللـه أن يذهبـه عنـه فأذهبــه عنــه إلا موضــع الــدينار أو الــدرهم فمن لقيــه منكم فليستغفر لكم)

وفي رواية: (إن خير التـابعين رجـل يقـال لـه: أويس، ولـه والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم)

[الحديث: 491]ـ عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (إنه سيكون في التابعين رجـل من قـرن يقـال لـه: أويس بن عـامر يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهبه عنه، فيذهب، فيقـول: اللهم دع لي في جسدي منه ما أذكر به نعمتك علي، فيدع له منه مـا يذكر به نعمته عليه، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يسـتغفر لـه فليستغفر له)[4]

[الحديث: 492]ـ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قـال: (سيكون في أمتي رجل يقال له أويس بن عبد الله القرني وإن شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر)[5]

[الحديث: 493]ـ عن أسيد بن جـابر عن عمـر أنـه قـال لأويس القــرني: اسـتغفر لي، قــال: كيـف أسـتغفر لــك وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: (إن

1() رواه ابن سعد والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/101)
2() رواه الحاكم والبيهقي وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/101)
3() رواه أحمد ومسلم والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/101)
4() رواه أبو يعلى والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/101)
5() رواه ابن عدي، وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/101)

خير التابعين رجل يقال له أويس القرني)[1]

ومما ورد في حقه في المصادر الشيعية:

[الحديث: 494] قال الإمام علي: (أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أنّي أدرك رجلاً من أمّته يُقال له أويس القَرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر)[2]

[الحديث: 495]ـ وقال الإمام الباقر: (شهد مع علي بن أبي طالب من التابعين ثلاثة نفر بصفّين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة ولم يرهم: أويس القَرني وزيد بن صوحان العبدي وجُندب الخير الأزدي رحمة الله عليهم)[3]

[الحديث: 496]ـ وقال الإمام الكاظم: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواري محمّد بن عبد الله رسول الله ﷺ، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.. ثمّ ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب، وصيّ محمّد بن عبد الله رسول الله؟ فيقوم... وأويس القَرني... فهؤلاء المتحوّرة أوّل السابقين، وأوّل المقرّبين، وأوّل المتحوّرين من التابعين)[4]

ج. ما ورد في مثالب أعداء الإمام علي:

وهي إشارات واضحة من رسول الله ﷺ إلى أئمة الفتنة ورؤوسها، والذين تنحرف بسببهم الأمة عن سراطها المستقيم إلى تلك المسالك التي وقعت فيها الأمم الأخرى.

وللأسف؛ فإن الأحاديث الواردة في ذلك، مع وضوحها الشديد، وصحتها، واتفاق الأمة عليها، ودلالة الواقع والتاريخ على مقتضياتها إلا أن هناك من لا يزال يكتمها أو يؤولها أو يحاول التلاعب بها، كما شرحنا ذلك بتفصيل في كتاب (معاوية بن أبي سفيان في الميزان)

وسنذكر هنا ما ورد في شأن معاوية خصوصا، باعتباره رأس الفتنة الأكبر، ومثله ما ورد في شأن يزيد وبني أمية، والذين حولوا الإسلام إلى كسروية وقيصرية، ومكنوا لليهود

1() رواه ابن سعد والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/101)

2() الإرشاد ١ /٣١4.

3() الاختصاص: ٨١.

4() رجال الكشّي١ /43.

وتلاميذ اليهود من تحريف الدين وتفسير القرآن وتأسيس الكثير من القيم البعيدة عن الدين الأصيل.

وقبل أن نذكر ذلك ننبه إلى الآيات القرآنية المشيرة إليهـا، وهي تلك الآيات التي تشير إلى النفاق الذي لجأ إليه أئمة الفتنة بعد أن انتصر رسول اللـه ﷺ عليهم بفتح مكـة، ولهـذا تظـاهروا بالإسلام، وانتظروا الفرص للانقضاض عليه من جديد.

كما أشار إلى ذلك عمار بن ياسر يوم صـفين، عنـدما ذكـر أمرهم وأمر الصلح فقال: (والله مـا أسـلموا، ولكن استسـلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعواناً أظهروه) [1]

وقال في حديث آخر: (يا أهل الإسلام أتريـدون أن تنظـروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهـدهما فلمـا أراد اللـه أن ينصـر دينه وينصر رسـوله أتى النـبي ﷺ فأسـلم وهـو اللـه فيمـا يُـرى راهب غير راغب وقبض رسول الله ﷺ وإنا والله لنعرفه بعداوة المسـلم ومـودة المجـرم! ألا وإنـه معاويـة فـالعنوه لعنـه اللـه وقاتلوه فإنه ممن يطفي نور الله ويظاهر أعداء الله)[2]

وعن عبد الله بن سلمة قال: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طـوالاً أخـذ الحربـة بيـده ويـده ترعـد فقـال: (والـذي نفسي بيده لقد قاتلت صاحب هـذه الرايـة مـع رسـول اللـه ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيـده لـو ضـربونا حـتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحـق وأنهم على الضلالة)[3]

وعن عبد الله بن سلمة، قال: كنا عند عمار بصفين وعنـده شاعر ينشده هجاء في معاوية وعمرو؛ وعمار يقول لـه: الصـق

1() رواه الطبراني في الكبير، ورواه ابن أبي خيثمـة في تاريخـه المسـمى تـاريخ ابن أبي خيثمة: 2 / 991)، وانظر: الهيثمي في مجمع الزوائد (1/118)

وقد علق الشيخ حسن بن فرحان على هـذا الحـديث الخطـير بقولـه: (السـند صـحيح على شرط الشيخين إلا سعد بن حذيفة بن اليمان وهو تابعي كبير ثقة، بل يحتمـل أن لـه صحبة. فالسند صحيح ورجاله كلهم ثقـات سـمع بعضـهم من بعض. وعنعنـة الأعمش في الصحيحين، وهذا القول قاله عمار بن ياسر يوم صفين، ومعنـاه واضـح؛ فعمـار بن ياسـر ميزان تلك الحروب يقسم بالله أن معاوية وأمثاله من رموز أهل الشـام لم يسـلموا يـوم فتح مكة، وإنما استسلموا وخضعوا حتى يجدوا على الحق أعوانـاً، ولـه شـاهد من حـديث ابن عمر في قصة التحكيم: (أولى بهذا الأمر من ضربك وأباك على الإسـلام حـتى دخلتم فيه كرهاً) واصله في صحيح البخاري) [بحث في إسلام معاوية، ص67]

2() نصر (ص213)، تاريخ الطبري: 3 / 82)

3() قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج 7 / ص 175): رواه أحمـد والطـبراني ورجـال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة وهو ثقة، وقال البوصيري في كتابـه: (إتحـاف الخيرة المهـرة بزوائـد المسـانيد العشـرة، (ج 8 / ص 5): رواه أبـوداود الطيالسـي وأبـو يعلى وأحمد بن حنبل بسند صحيح.

بالعجوزين فقال له رجل: أيقال الشعر عندكم ويسب أصحاب رسول الله ﷺ ويسب أصحاب بدر؟! فقال: (إن شئت فاسمع، وإن شئت فاذهب، فإن معاوية وعمراً قعدا بسبيل الله يصدان عنه، فالله سابهما وكل مسلم، وإنه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: قولوا لهم كما يقولون لكم فإن كنا لنعلمه الإماء بالمدينة)[1]

ومن الآيات التي تشير إلى هذا، بل تكاد تصرح به قوله تعالى:﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 7 - 10]

فهذه الآيات ـ باتفاق جميع المفسرين ـ نزلت في كفار قريش، وهي تقصد ـ أول ما تقصد ـ رؤساءهم الكبار الذين حولهم السلفية إلى مؤمنين صادقين، بل صحابة أجلاء، مع أن القرآن الكريم أخبر أنه سواء أنذروا أولم ينذروا، فإنهم لا يؤمنون..

ونحن في ذلك بين أن نصدق القرآن الكريم، وإخباراته الغيبية، وإما أن نصدق تلك المقولات التي خالفت القرآن مخالفة شديدة حين لم تكتف بإثبات الإيمان لأولئك الذين أخبر الله تعالى أنهم لن يؤمنوا، وإنما أضافت إليه الدفاع عنهم، واعتبارهم من أركان الدين وأعمدته، بل أخرجت من الملة من لم يؤمن بذلك.

ومن الآيات الكريمة الدالة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ [السجدة: 28 - 30]

فمن مصاديق الفتح في هذه الآية ـ وبحسب التفسير القرآني الذي هو أهم التفاسير وأدقها وأصحها ـ فتح مكة، أو الفتح الذي حصل بعد صلح الحديبية، حيث أسرع الكثير إلى الإسلام لا قناعة به، وإنما بسبب انتصاراته، فأسلموا رغبة أو رهبة، ولم يسلموا قناعة وإذعانا.

وللأسف فإن الكثير من الأمة تبنى أولئك الذين أسلموا

1() أنساب الأشراف: 1 / 328)

بعـد الفتح، أو بعـد صـلح الحديبيـة أكـثر ممـا تتبـنى غـيرهم من السابقين، مع أن الله تعالى أشار في القرآن الكريم إلى الفرق الكبير بينهما.

وبناء على هـذا يجتهدون في نفي ارتبـاط الآيـات الكريمـة بفتح مكـة مـع ورود الكثـير من الروايـات عن السـلف الـذين يعتمدونهم في الدلالة على ذلك، وقد قـال ابن كثـير معـبرا عن هذا: (.. ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكـة فقـد أبعـد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسـول اللـه ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبا من ألفين، ولو كـان المـراد فتح مكة لما قبل إسلامهم)[1]

وهذا تبرير عجيب، فرسـول اللـه ﷺ كـان يقبـل إسـلام أي كان من غـير بحث في باطنـه، ولـذلك قبـل إسـلام المنـافقين، وتعامل معهم كمـا يتعامـل مـع المسـلمين أنفسـهم، مـع علمـه بباطنهم، وبكفرهم، بل بكونهم أشد كفـرا من الكفـار الصـرحاء أنفسهم.

ومشكلة هـؤلاء هي أنهم يتصـورون أن قريشـا لا يمكن أن تنافق.. وأن النفاق خاص بالأوس والخزرج، فلـذلك يـذكرون أن عبد اللـه بن أبي بن سـلول نـافق عنـدما دخـل رسـول اللـه ﷺ المدينـة حرصـا على نفسـه ومصـالحه.. ولا يتصـورون أن أبـا سـفيان أو معاويـة أو غيرهمـا من صـناديد قـريش نـافقوا بعـد دخول رسول الله ﷺ مكة.. ولست أدري الدليل الذي خصوا بـه النفاق في أهل المدينة، وعصموا منه أهـل مكـة، مـع أن الأدلـة الواقعية الكثيرة تدل على أن صـناديد قـريش كـانوا أكـثر عتـوا وطغيانا من صناديد المدينة.

ومن الآيـات القرآنيـة الواضـحة والصـريحة في شـدة كفـر كبار كفار قريش، وأنهم لا يختلفون عن كبـار قـوم عـاد وثمـود، تلـك الآيـات الـتي تـذكر شـروطهم للإيمـان، باعتبارهـا شـروطا تعجيزيـة لا يمكن تحققهـا، ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ صَـرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَـا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًـا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَـا تَفْجِـيرًا (91) أَوْ تُسْـقِطَ السَّـمَاءَ كَمَـا زَعَمْتَ عَلَيْنَـا كِسَـفًا أَوْ تَـأْتِيَ بِاللَّهِ

[1]() تفسير ابن كثير: ج 6 / ص 374.

وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: 89 - 94]

ويؤيد هذا تلك الوقائع التاريخية المسجلة في كتب الحديث والسيرة، والتي تبين تعنت رؤوس الشرك ــ بمن فيهم البيت السفياني نفسه ـ أمام المعجزات والخوارق التي كان يظهرها الله على يدي نبيه ﷺ.

فهل يمكن لمن رأى القمر منشقا في السماء ــ كما دلت على ذلك الروايات الكثيرة ـ ثم لا يؤمن، بل يزداد كفرا وعتوا، بل يضيف إلى ذلك كل أنواع الصد عن سبيل الله.. هل يمكن لمن كان هذا حاله أن يؤمن، ويحسن إيمانه عندما يرى جيش المسلمين داخلا إلى بلده، وليس له أي حيلة في صده؟

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن مستقبل كفار قريش الذين واجهوا رسول الله ﷺ بالمحاربة والصد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج: 55]

وهي إخبار من الله تعالى بأن أولئك المشركين ختم على قلوبهم، وأنهم لا يؤمنون حتى تأتيهم الساعة.

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن موقف كفار قريش من القرآن الكريم، وسعيهم الدؤوب لمعارضته ومحاربته قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 26 - 28]

وهي في تطبيقها التاريخي لا تنحصر في مكة المكرمة، ولا في أولئك الصناديد من المشركين، وإنما تمتد إلى الفترة التي قام فيها أولئك الصناديد وأبناؤهم بالانقلاب على الإسلام المحمدي الأصيل، فقد استمر معاوية في صد المسلمين عن كتاب الله وشغلهم بالإسرائيليات وغيرها، ولا يزال تأثير ذلك إلى اليوم.

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن طبع الله على قلوب

المحاربين لرسول الله ﷺ من كفار قريش، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110) ﴾ [النحل: 107 - 110]

فهذه الآيات لم تستثن إلا المهاجرين، وبذلك فإن الطلقاء قسم ثالث، ليسوا مهاجرين ولا أنصارا، وهم واقعون بذلك تحت الوعيد وخاصة رؤساؤهم وكبارهم.

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن طبع الله على قلوب المحاربين لرسول الله ﷺ من كفار قريش، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: 6، 7]

وأول المقصودين بالآية ــ باعتبارها من أوائل ما نزل بالمدينة المنورة ـ هم كفار قريش الذين أخرجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين معه من مكة المكرمة، والآيات واضحة في كون الله طبع على قلوبهم، وختم عليها، فلذلك يستحيل أن يؤمنوا.

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن مستقبل المحاربين لرسول الله ﷺ من كفار قريش، الآيات الكريمة التي تشبههم بكفار الأمم من قبلهم، لأن سنة الله فيهم جميعا واحدة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 10 - 12]

والآية الأخيرة واضحة الدلالة في بيان مستقبل أولئك المشركين، سواء في الدنيا أو في الآخرة.

هذه مجرد نماذج عن الآيات القرآنية الكثيرة الدالة على موقف قريش من الإسلام، والتي لم تكتف باستعمال كل الوسائل لحربه، وإنما امتد ذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ بعد أن مكن الطلقاء من المناصب بحجة كونهم قرشيين، وعُزل الأنصار وغيرهم إلى أن تم لهم ما يريدون؛ فأعادوا الكسروية

والقيصرية إلى الأمة.

بناء على هذا سنذكر هنا ما ورد من الأحاديث في ذلك، والتي لا تزال محل ريبة عند الكثيرين من أبناء المدرسة السنية رغم وجودها في مصادرهم.

ما ورد في شأن معاوية بن أبي سفيان:

وهي أحاديث كثيرة جدا، يدعمها الواقع والصحابة الكبار الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ، وسنذكر هنا ما ورد من تلك الأحاديث، وما يدعمها من مواقف الصحابة المتفق على جلالتهم، والذين أثنت الأحاديث الصحيحة على مواقفهم ودينهم.

وننبه إلى أن النواصب لم يكتفوا بكتمان تلك الأحاديث، أو تكذيبها، وإنما راحوا يضعون الأحاديث التي تعظم معاوية وتذكر فضله، والتي سنتعرض لها عند الحديث عن الأحاديث المردودة.

[الحديث: 497] عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال أمر هذه الأمة قائما بالقسط، حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية)[1]

[الحديث: 498] قال ﷺ: (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية)[2]

وقد صححه الألباني، ولا شك في انطباقه على معاوية.. لأن يزيد كان تابعا لأبيه، ولم يأت بجديد، وأوليات معاوية في تغيير السنن كثيرة جدا، وأولها وأعظمها تغيير نظام الحكم الإسلامي.

[الحديث: 499] قوله ﷺ: (الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون الملك العضوض)[3]

وقد تلاعب بعضهم بهذا الحديث بما شاءت لهم أهواؤهم، فرووا في نقضه أحاديث أخرى أقل منه درجة، لكنهم قدموها عليه، كما هو شأنهم في التلاعب بالنصوص، منها هذه الرواية العجيبة التي تنطق ألفاظها بكذبها: (أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكا ورحمة، ثم يتكادمون

1() رواه الحارث وابن منيع ونعيم بن حماد في الفتن وابن عساكر وأبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/89)

2() رواه ابن أبي شيبة في المصنف (35866)، وابن أبي عاصم (63)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (1/132)، وابن عدي في الكامل (3/164)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (18/160)

3() سنن الترمذي: 4/436 ـ سنن أبي داوود: 5/36، فضائل الصحابة- للامام أحمد بن حنبل ص 17، مسند احمد ج 5 ص 221.

عليها تكادم الحمير، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان)[1]

[الحديث: 500] ما حدث به عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال: (يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتى)، قال: وكنت تركت أبي قد وضع له وضوءا، فكنت كحابس البول مخافة أن يجىء، قال: فطلع معاوية، فقال النبي ﷺ: (هذا هو)[2]

قال الشيخ حسن بن فرحان معلقا عليه: (وهو صحيح الإسناد وفق منهج أهل الحديث، إلا أن بعضهم إذا لم يلتزم بمنهجه الذي ارتضاه فهذا شأنه، كأي جماعة أو دولة، فإذا وضعت دولة لها قانوناً فيه معايير الفساد، ثم لا تطبقه على الفاسدين فهذا شأنها، ولا يعني أنهم غير فاسدين، والحديث قد روي بأسانيد على شرط الصحيح، في قوة الرجال والاتصال في السند، ورجاله كلهم رجال الشيخين، وأشهر طرقه طريق عبد الله بن عمرو بن العاص (وأرجح أنه أذاعه بعد موت معاوية وبعد توبته على يد الحسين بن علي بمكة في أواخر عهد معاوية)، وقد روي بأسانيد أقل صحة عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر، وله شواهد من طريق آخر عن ابن عمر (وبسبب ذلك هدد معاوية بقتل عمر)، ولو كان هناك إنصاف لكان من علامات النبوة)[3]

[الحديث: 501] عن البراء بن عازب، قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيعس)، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية[4].

قال الشيخ حسن بن فرحان المالكي تعليقا عليه: (ورد في معاوية وأبيه وأخيه، وله طرق كثيرة جداً، أغلبها صحيح لذاته، وفق منهج أهل الحديث، بل قد يصل هذا الحديث للتواتر، فهو مروي من طرق سفينة والحسن بن علي والبراء بن عازب وعاصم الليثي وابن عمر والمهاجر بن قنفذ، وكل هذه الطرق صحيحة الأسانيد مع أقرار بعض أصحاب معاوية كعمرو بن

1() رواه الطبراني
2() البلاذري في كتابه جمل من أنساب الأشراف (5 / 1978) وغيره.
3() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/17.
4() وقعة صفين:217.

العاص والمغيرة بن شعبة، فالحديث يقترب من التواتر لأن الطرق كلها بين الصحيح والحسن، وسيتفاجأ هؤلاء الغلاة قطعاً بصحة الأسانيد، وإذا ضعفوها فأنا معهم بشرط أن نطرد ذلك، ثم ينظرون هل يبقى لنا حديث كثير بعد هذا التشدد)[1]

[الحديث: 502] عن أبي نضرة عن قيس قال: قلتُ لعمار أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي: أرأياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم: الدبيلة، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم)[2]

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ: (في أمتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم: الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم)

وقد روي بروايات أخرى سبب ورود الحديث، وكون معاوية من المنافقين الذين هموا بقتل رسول الله ﷺ، فعن حذيفة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ أقود وعمار يسوق أو عمار يقود وأنا أسوق به إذ استقبلنا اثنا عشر رجلاً متلثمين قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، قلتُ: يا رسول الله ألا تبعث إلي كل رجل منهم فتقتله؟ فقال: أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وعسى يكفينيهم الدبيلة، قلنا: وما الدبيلة؟ قال: شهاب من نار يوضع على نياط قلب أحدهم فيقتله)[3]

وقد ثبت تاريخيا ومن خلال مصادر السنة أن معاوية أصيب بالدبيلة، ومات بها، ومن تلك الروايات ما روي عن أبي بردة بن أبي موسى قال: دخلت على معاوية بن أبي سفيان وبه قرحة بظهره وهو يتأوه منها تأوهاً شديداً فقلت: أكل هذا من هذه؟ فقال: ما يسرني أن هذا التأوه لم يكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم يصيبه أذى في جسده إلا كان كفارة

1() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/18.

2() صحيح مسلم4/2143

3() رواه الطبراني في (الأوسط)، (مجمع الزوائد)1/109-111

لخطاياه) وهذا أشد الأذى)[1]

والمحدثون يذكرون بفخر عظيم ما ذكره معاوية من الأجر المرتبط بالمرض، وينسون حديث حذيفة وعمار، وأصحاب الدبلية الذين أخبر رسول الله ﷺ بنفاقهم.

بالإضافة إلى ذلك كله فإن في الحديث (إشارة واضحة لنفاق معاوية، ولا يعرف هذا إلا من تدبر الحديث بهدوء، فقد قاله عمار وهو متجه إلى قتال أهل الشام جواباً على قيس بن عباد، والحديث يفيد التخليد في النار، لأن فيه (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)..وهو رأي راوي الحديث عمار بن ياسر، وبه احتج وهو منطلق لقتال معاوية)[2]

[الحديث: 503] ما روي أن عبادة بن الصامت، قام قائما في وسط دار أمير المؤمنين عثمان بن عفان فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ محمدا أبا القاسم يقول: (سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تعتبوا أنفسكم، فوالذي نفسي بيده، إن معاوية من أولئك)، فما راجعه عثمان حرفا)[3]

وقد علق عليه الشيخ حسن المالكي بقوله: (وسنده حسن، وعبادة بن الصامت بدري كبير، ليس من الطلقاء ولا الأعراب ولا المنافقين حتى نتهمه في روايته أو تفسيره للحديث، وعلى كل حال فإذا لم يكن فهمه لهذا الحديث من فهم السلف الصالح فأين سنجد فهم السلف الصالح؟ والحديث رواه الشاشي في مسنده والحاكم في المستدرك كاملاً ورواه أحمد مبتوراً)[4]

1() المعجم الأوسط) للطبراني6/78

2() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/18.

3() رواه الحاكم (3/401ـ 402) والشاشي (3/172) والبزار (7/164) ثم أحمد في المسند (8/415)ـ – مع بتره- قال الشيخ حسن: (قد تبرع بعض المحدثين كأحمد فحذف أول الحديث –قصة بقر روايا الخمر- وحذف آخره (قول عبادة: والله إن معاوية لمنهم)!! وهذه من أخطاء أحمد – وعلى منهجه شيخه سفيان بن عيينة وتلميذه البخاري لكن أهل الجرح والتعديل لا يتكلمون!- وهؤلاء المحدثون يحذفون من الحديث مايخالف عقيدتهم! فكل ما يخشون أنه قدح في فلان أو فلان! أو ما يخشون أن يحتج به عليهم المخالفون، حذفوه أو بتروه وهم يعترفون بهذا ولا يرون في ذلك ضرراً، فمن يجرؤ على تضعيفهم؟ وقد صرح أحمد في هذا الحديث بالحذف –حذف قصة الخمر- عندما قال)فذكر الحديث)-!! فهو يلمح إلى أن الحديث معروف عند أهل الحديث لكنه تحرج من إيراد هذا) [مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/146.]

4() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/20.

[الحديث: 504] عن ابن عمر قال: قال رسول اللـه ﷺ: (لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمـة معاويـة بن أبي سـفيان)[1]

[الحـديث: 505] عن عبـد اللـه بن عمـر قـال: (مـا بين تـابوت معاويـة وتـابوت فرعـون إلا درجـة، ومـا انخفضـت تلـك الدرجة إلا أنه قال: (أنا ربكم الأعلى)[2]

[الحديث: 506] عن أبي ذر قال: قلت لمعاويـة، أمـا انـا فأشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحدنا فرعون هـذه الأمة، فقال معاوية: أما أنا فلا[3].

وقد خصص الشيخ حسـن المـالكي هـذا الحـديث برواياتـه المختلفـة بدراسـة مهمـة ذكـر فيهـا طـرق الحـديث وأسـانيده، وكيف تلاعب المحدثون في القديم والحديث به، وممـا جـاء في مقدمته قوله: (هل لهذه الأمـة فرعـون؟ أتت الأحـاديث السـنية برجلين، وردت في كل منهما أحاديث بأنـه فرعـون هـذه الأمـة، وهما أبـو جهـل ومعاويـة، إلا أن الحـديث في أبي جهـل ضـعيف منقطـع ولا واقـع لـه من حيث السـلطة والجنـود والسـحرة، والحديث في معاويـة صـحيح الإسـناد ويدعمـه الواقـع من حيث الملك والجنود والسحرة والاضطهاد وتفريق الأمة شيعاً.. وكـان حـديث معاويـة متـداولاً يعرفـه خـواص أهـل العلم في الوسـط السني إلا شهرته تذبل مـع الـزمن حـتى كـانت النكبـة الثقافيـة الأخـــيرة في عهـــد المتوكـــل العباســـي، فأضـــاعت كثـــيراً من الأحاديث والأحداث المتداولة قبلها، حتى أصبح مشهورها غريبـاً، فالمرحلة المتوكلية نصرت الشق الناصبي في أهل السنة وكان قليلاً إلى أبلغ حد ممكن، وكانت نتيجة هـذه المرحلـة المتوكليـة أن قادت السـلفيةُ المحدثـةُ أهـلَ السـنة إلى الانغلاق والتقوقـع والتعصب الشديد والتكفـير والتصـنيف، مـع عمليـات هائلـة من العبث بالحديث من الإخفاء للأحاديث غير المرغوب فيهـا والبـتر لها وتحريفها وتقوية ما يضادها ولو كان موضوعاً)[4]

وقـال في موضـع آخـر ذاكـرا مـدى قوتـه، وكيـف حـاول

1() المنتخب من علل الخلال: 1/32.

2() وقعة صفين: ج 1 / ص 211.

3() أخبار أصبهان (ج7/ص40)، وهذا تعريض من أبي ذر بمعاوية، وقـد كـذب معاويـة عنـدما قلب الحـديث إلى ابي ذر، فهـو يعلم أن ابى ذر أبعـد عن أن يكـون فرعـون هـذه الأمة.

4() دراسة حديثية موسعة لحديث (معاوية فرعون هذه الأمة)، ص5.

المحدثون تحريفه وتجاهله: (وهو من حديث أبي ذر، وله شاهد من حديث ابن عمر من ثلاث طرق عنه، وأسانيده صحيحة في الجملة، وهي أصح من تلك التي في أبي جهل على الأقل، مع توفر الدواعي على كتم الأولى ونشر الثانية، ثم له شواهد كحديث التابوت والموت على غير الملة والدعوة إلى النار.. وكل مثالب معاوية تشهد لبعضها، كلها نفاق وبغي ونار وظلم وفرعنة.. وقد حاول بعض أهل الحديث زحلقة هذا الحديث إلى أبي جهل والسند في ذلك منقطع، وأبو جهل لا يشبه فرعون لا في سلطانه ولا سحرته! وليس له أثر في الأمة، إنما ذلك معاوية، خاصة مع صحة الأسانيد في ذلك، ويمكن للتحقق من ذلك استعراض الآيات التي تحدثت عن فرعون، ثم النظر في سيرة معاوية، وسيندهش المتدبر، ولا يمنع السلفية من التصحيح إلا ألفتهم للمألوف ووحشتهم من الغريب، مع اعترافهم بأن الحق سيعود غريباً مع غربة الإسلام نفسه، فالغربة قد تكون من معايير الصحة وليس العكس، وقد فهم النواصب هذا الحديث في معاوية، فلذلك حاول بعضهم معارضته وتشبيه علي بفرعون بدلاً من معاوية؛ كما فعل ابن تيمية[1] وهذه طريقة ابن تيمية، فكل الأوصاف التي عاب بها علياً في منهاج السنة إنما وجدها وتحقق أنها في معاوية، فلذلك أراد قطع الطريق على من تسول له نفسه اتهام معاوية، بتهديده بأن هذا الوصف أو ذاك أقرب إلى علي بن أبي طالب، فأذن الله بالمحاربة كمعاوية، حاربه معاوية بالسيف بدعوى دم عثمان وحاربه ابن تيمية بالقلم بدعوى السلفية، والاثنان من الدهاة، أخذ الأول أكثر الأمة في القرون الأولى، وأخذ الثاني نصف الأمة في القرون الأخيرة! فإذا كان هذا دهاء الفقيه - الذي ليس معه دولة - وهو ابن تيمية في محاربة الإمام علي، وقد أخذ نصف الأمة معه، فكيف بدهاء المنافق الذي بيده الدولة وعلمائها وقصاصها وجيوشها؟ لا بد أن يكون أثره كبيراً جداً عند أكثر الأمة ولو بمستويات متفاوتة)[2]

ما ورد في شأن بني أمية ومن ساندهم من القرشيين:

وهي أحاديث صريحة متفق عليها بين المدارس الإسلامية،

1() منهاج السنة (4/ 292)

2() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/20.

وموافقة للقرآن الكريم تبين الثورة المضادة، أو الانقلاب الذي يقوم به القرشيون، وخاصة أعدى أعداء رسول الله ﷺ بني أمية من جرائم في تبديل الدين وقيمه النبيلة، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 507] عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا الحي من مضر لا يدع عبدا لله صالحا في الأرض إلا فتنته وأهلكته حتى يدركها الله عز وجل بجنود من عنده أو من السماء، فيذلها حتى لا تمنع ذنب تلعة)[1]

[الحديث: 508] عن صخرة بن حبيب قال: أتى رسول الله ﷺ بمروان بن الحكم، وهو مولود، ليحنكه فلم يفعل وقال: (ويل لأمتي من هذا وولد هذا)[2]

[الحديث: 509] عن جبير بن مطعم قال: كنا مع النبي ﷺ: فمر الحكم بن أبي العاص فقال: (ويل لأمتي مما في صلب هذا)[3]

[الحديث: 510] عن أبي ذر وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (إذا بلغ بنو الحكم ـ أو بنو أبي العاص أو بنو أمية ــ ثلاثين رجلا، اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولا، وكتاب الله دغلا)[4]

[الحديث: 511] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة)[5]

[الحديث: 512] روي أن رسول الله ﷺ رأى بني الحكم ينزون على منبره، فأصبح كالمتغيظ، فما رؤي رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى مات[6]

[الحديث: 513] عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت بني مروان يتعاورون منبري، فساءني ذلك، ورأيت بني العباس يتعاورون منبري، فسرني ذلك)، وفي لفظ: (بني هاشم

1() رواه ابن أبي شيبة وأحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وأحمدوالطبراني والحاكم والضياء، سبل الهدى والرشاد (10/155)

2() رواه ابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/90)

3() رواه ابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/90)

4() رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي وأبو يعلى وأحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير، والحاكم والدارقطني ونعيم بن حماد في الفتن، وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/90)

5() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/90)

6() رواه البيهقي في الدلائل، سبل الهدى والرشاد (10/90)

مكان بني العباس)[1]

[الحديث: 514] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ للحكم: (إن هذا سيخالف كتاب الله، وسنة نبيه، ويخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء، وبعضكم يومئذ شيعته)[2]

[الحديث: 515] عن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي قال: قدم قيس بن خرشة على النبي ﷺ، فقال: أبايعك على ما جاء من الله تعالى وعلى أن أقول بالحق، فقال النبي ﷺ: (يا قيس، عسى أن يمدك الدهر، أن يلقاك بعدي من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم)، قال قيس: والله لا أبايعك على شيء إلا وفيت لك به، فقال النبي ﷺ: (إذا لا يضرك بشر)، وكان قيس يعيب زياد بن أبي سفيان، وابنه عبيد الله، فبلغ ذلك عبيد الله، فأرسل إليه فقال: أنت الذي تفتري على الله تعالى وعلى رسوله؟ قال: لا، ولكن إن شئت أخبرتك بمن يفتري على الله وعلى رسوله؟ قال: من ذاك؟ قال: أنت وأبوك الذي أمركما، قال قيس: وما الذي افتريت على الله ورسوله؟ فقال: تزعم أنه لا يضرك بشر، قال: نعم، قال: لتعلمن اليوم أنك قد كذبت، ائتوني بصاحب العذاب وبالعذاب، قال: فمال قيس عند ذلك، فمات[3].

[الحديث: 516] عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال الخلافة في بني أمية يتلقفونها تلقف الكرة)[4]

[الحديث: 517] ما رواه سعيد بن عمرو بن العاص قال: كنت مع مروان وأبي هريرة في مسجد النبي ﷺ، فسمعت أبا هريرة يقول: سمعت الصادق المصدوق يقول: (هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش، فقال مروان: غلمة، قال أبو هريرة: (إن شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان)[5]

وقد علق الشيخ حسن بن فرحان على الحديث بقوله: (والسؤال: يا ترى من هم هؤلاء الذين يكون هلاك الأمة على أيديهم، سواء الهلاك المادي أو المعنوي؟ فهل نقبت عنهم السلفية المحدثة لتعرف سبب بلاء هذه الأمة وهلاكها؟ هل اهتموا بهذا الحديث كما اهتموا بأسطورة عبد الله بن سبأ

1() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/90)
2() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/90)
3() رواه الطبراني والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/118)
4() رواه الطبراني في الأوسط، وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/91)
5() أحمد (2/324) والبخاري (4/242)

والفرق الضالة وذم العقل والـرأي وغيرهـا من الأمـور الـتي لم يحذر منها لا كتاب ولا سنة؟ كلا.. إذن فهذا نـبي اللـه ﷺ يخبرنـا بأصل الضلال والهلاك والبدعة والفتنة الذي أصـاب هـذه الأمـة، وقال لنا بصراحة ووضوح ونصيحة تامة: إن سـبب ذلـك سـفهاء من قريش يكون فسـاد وهلاك الأمـة برمتهـا على أيـديهم، ومـع ذلك تجد السلفية المحدثة تذهب إلى أن الخطـر الـذي أدى إلى فساد الأمة هو عبـد اللـه بن سـبأ والعقـل والمنطـق والفلسـفة والفـرق الضـالة وأهـل الـرأي والصـوفية والشـيعة والمعتزلـة والجهمية...الخ! ولا يأتون على ذكر سفهاء قريش بحرف واحد)[1]

[الحديث: 518] عن أبي هريرة قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (يهلـك النـاس هـذا الحى من قـريش)، قـالوا: فمـا تأمرنـا؟ قال: (لو أن الناس اعتزلوهم؟)[2]

وهذا الحديث مع أحاديث أخـرى دلالـه منـه ﷺ على كيفيـة التعامـل مـع الفئـة الباغيـة بعـد أن يتحقـق نصـرها على الفئـة المؤمنة الصادقة، وهي القيام بنوع من العصيان المدني تجاههـا حتى لا يمتد تأثيرها لباقي شؤون الحياة، بعد أن امتـد للسياسـة والاقتصاد.

لكن الكثير للأسف لم يلقوا لهـذا الحـديث بـالا، بـل راحـوا ينشرون فضائل تلك الفئة، ويدافعون عنها، ويتقربون إليها.

يقـول الشـيخ حسـن المـالكي تعليقـا على الحـديث: (لكن أكثر الأمة لم يعتزلوهم، بل أعانوهم وسوغوا لهم، ووضـعوا في فضائلهم الأحـاديث ودخـل هـذا الـذم الصـحيح مـع ذلـك الوضـع القـبيح في كتب الصـحيح! وهنـا يتم إفسـاد حـديث بحـديث! واضطربت معالم الدين وأوامـر الشـريعة، وهـذا نتيجـة طبيعيـة للحلف بين الغفلة والظلم، فلو أن سلفكم اعتزل الظالمين من سفهاء قريش (الأمراء) كما أوصـى هـذا الحـديث لأمكن الإبقـاء على الدين صافياً عند العلمـاء والفقهـاء والصـالحين، بلا خشـية من تأثير السلطة ولا انتقاء ولا بتر ولا تحريف فضـلاً عن الوضـع الذي يشهد الدين والعقل والواقع ببطلانه، أنتم يجب أن تعترفوا بـأن عقـولكم صـغار، ولـذلك رحمكم الشـرع وأمـركم بـأمر كالاعتزال لأن الشـرع يعـرف أن الإنسـان خلـق ضـعيفاً، لكنكم

1() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/18.
2() صحيح البخاري: 4 / 242)

قلتم: لا.. لن نخشى في الله لومة لائم، ولن يستطيعوا إضلالنا، فوكلكم الله إلى أنفسكم فضللتم بضلالهم وظلمتهم بظلمهم وأفسدتم بإفسادهم وأهلكتم بهلاكم، ومن ترك التوكل على الله وتنفيذ أوامره حرفياً وكله الله إلى نفسه، فكان الهوى إليه أقرب والضعف به ألصق)[1]

وقد رد الشيخ حسن على كل الاحتمالات التي قد يؤول بها الحديث، فقال: (وهذا الحل النبوي لاعتزال سفهاء قريش وظلمتهم لم يكن المقصود به منافقي الأنصار قطعاً، لأن نص الحديث ينص على قريش، ولا يراد به كفار قريش المقتولين ببدر قطعاً لأن التحذير مستقبلي، وعن سفهاء قريش لا كفارها، فإذا قلنا بعدالة الخلفاء الأربعة في الجملة – مع أن الحاكم الفعلي أيام عثمان كان معاوية- فلم يبق إلا سفهاء بني أمية ومعاوية أولهم، فالبلاء من هنا يبدأ، من سفهاء قريش الذين يهلكون الأمة ديناً ودنيا، من تبديل السنن وتعطيل معالم الدين وأحكام الشريعة وسن الملك العضوض، فهل جاء التحذير الخاص منهم على لسان أحرص الأمة وأدلها على أبواب السلامة؟ الجواب نعم، ولكن أهل الرواية بعد أن هجروا كتاب الله حملوا الأحاديث على ظهورهم كبني إسرائيل.. فلا يمعنون في معنى الحديث الصحيح، ولا يهتدون لعلل الحديث الضعيف، وهذا مرجعه إلى هجر الكتاب وضعف العقل وألفة السائد من المعايير والأفكار)[2]

[الحديث: 519] عن سعيد بن المسيب قال: ولد لأخي أم سلمة غلام فسموه الوليد، فقال رسول الله ﷺ: (تسمون باسم فراعنتكم؟ سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لأمتي من فرعون لقومه)[3]

[الحديث: 520] عن عمر، قال: ولد لأخي أم سلمة زوج النبي ﷺ غلامٌ، فسموه الوليد، فقال ﷺ: (سميتموه بأسماء فراعنتكم، ليكونن في هذه الأمة رجلٌ يقال له الوليد، لهو أشد على هذه الأمة من فرعون لقومه)[4]

[الحديث: 521] ما ورد حول يزيد بن معاوية وجرائمه،

1() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 2/81.
2() مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 2/83.
3() رواه البيهقي وقال: مرسل حسن، وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/104)
4() أحمد (1/18) وقال ابن حبان في المجروحين (1/125: هذا خبر باطل ما قال رسول الله ﷺ هذا ولا عمر ولا سعيد حدث به ولا الزهري رواه.

ومنها ما روي عن امرأة بني المغيرة أنها سألت عبد الله بن عمرو: هل تجد يزيد بن معاوية في الكتاب؟ قال: (لا أجده باسمه، ولكن أجد رجلا من شجرة معاوية، يسفك الدماء ويستحل الأموال، وينقض هذا البيت حجرا حجرا، فإن كان ذلك وأنا حي وإلا فذكريني)، قال ابن الحويرث: وكان منزلها على أبي قبيس، فلما كان زمن الحجاج وابن الزبير، ورأيت البيت ينقض قالت: رحم الله ابن عمرو، قد كان يحدثنا بهذا)[1]

[الحديث: 522]ـ عن أيوب بن بشير المعاوي أن رسول الله ﷺ خرج في سفر فلما مر بحرة زهرة وقف، فاسترجع فسألوه فقال: (يقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي)[2]

وقد وقع ذلك في عهد يزيد وبأمر منه، وقد قال ابن عباس: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: 14] قال: لأعطوها يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على المدينة)[3]

وعن الحسن قال: (لما كان يوم الحرة قتل أهل المدينة حتى كاد لا ينفلت منهم أحد)[4]

وعن مالك بن أنس قال: (قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة، وذلك في خلافة يزيد)[5]

[الحديث: 523] عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (يزيد، لا بارك الله في يزيد الطعان اللعان أما إنه نعي إلي حبيبي حسين، أتيت بتربته، ورأيت قاتله، أما إنه لا يقتل بين ظهراني قوم، فلا ينصرونه إلا عمهم الله بعقاب)[6]

[الحديث: 524]ـ ما ورد في شأن الوليد بن عقبة، وقد روي عنه أنه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم، فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم، فخرجت بي أمي إليه وأنا مطيب بالخلوق، فلم يمسح على رأسي ولم

1() رواه الحاكم بسند جيد، سبل الهدى والرشاد (10/90)
2() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/155)
3() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/155)
4() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/155)
5() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/155)
6() رواه ابن عساكر في تاريخه، سبل الهدى والرشاد (10/90)

يمسني)[1]

وقد علق البيهقي على الحديث بقوله: (هذا السابق علم الله تعالى في الوليد، فمنع بركة رسول الله ﷺ وأخبار الوليد حين استعمله عثمان معروفة، من شربه الخمر وتأخيره الصلاة، وهو من جملة الأسباب التي نقموا بها على عثمان حتى قتلوه)[2]

د. ما ورد في التحذير من حرب الإمام علي:

ونريد بها تلك الأحاديث التي حذر فيها رسول الله ﷺ تصريحا أو تلميحا من حرب الإمام علي، أو الإساءة إليه، وهي أحاديث متفق عليها من طرف الأمة جميعا، لكنها للأسف لقيت الكثير من الإعراض والتأويل والتهوين من شأنها على الرغم من كونها وصايا نبوية ترتبط بمصير الأمة جميعا؛ فلكل خطأ يحدث في ذلك الوقت تأثيره في صياغة الدين وعلى جميع العصور، وقد صنفنا تلك الأحاديث بحسب مواردها ومن تتعلق به إلى قسمين:

1. الأحاديث التي وجهها رسول الله ﷺ إلى الصحابة جميعا، محذرا لهم من الوقوع في فتنة حرب الإمام علي، أو المشاركة فيها بأي وجه من الوجوه.
2. الأحاديث التي وجهها رسول الله ﷺ إلى آحاد الصحابة وتحذيرهم من المشاركة في الفتنة.

1 ـ ما ورد في تحذير الصحابة جمعيا من محاربة الإمام علي:

وهي أحاديث واضحة صريحة، تتناسب مع تلك الأحاديث الكثيرة التي تخبر عن البغض الذي كان يكنه البعض للإمام علي، والذي تحول بعد ذلك إلى حرب له، وهي حرب لا ترتبط بشخصه فقط، وإنما بالصراط المستقيم الذي كان يمثله، ويمكن تقسيم تلك الأحاديث إلى قسمين:

ما ورد في شأن الفتنة ودور الإمام علي فيها:

ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 525] عن الإمام علي قال: (إن مما عهد إلي النبي ﷺ أن الأمة ستغدر بي بعده)[3]

1() رواه الحاكم والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/111)
2() رواه الحاكم والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/111)
3() رواه أبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/149)

[الحديث: 526]ـ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لعلي: (أما إنك ستلقى بعدي جهدا) قال في سلامة من ديني؟ قال: (نعم)[1]

[الحديث: 527]ـ عن أبي أيوب قال: (أمر رسول الله ﷺ عليا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)[2]

[الحديث: 528]ـ عن أبي الأسود الديلي أن عبد الله بن سلام أتى عليا وقد وضع رجله في الغرز، فقال: لا تأتي العراق، فإنك إن أتيته أصابك به ذباب السيف، فقال علي: (وأيم الله لقد قالها لي رسول الله ﷺ قبلك)[3]

وللأسف فإن المغرضين والمؤولة يغفلون عن القائم بالحروب التي ووجه بها الإمام علي، والتي يشير إليها هذا الحديث، ويقصرون اهتمامهم بالعراق وأهله، مع أن أكثر الذين حاربوا الإمام علي من الشام والحجاز.

ما ورد في شأن حرب صفين:

وهي أحاديث كثيرة واضحة في الدلالة على ما سينتج عن حرب صفين من الأذى لا للمقتولين فقط، والذين بلغ عددهم ـ حسبما تذكر بعض المصادر ـ سبعين ألفا، بل إلى الدين نفسه، فآثار حرب صفين لا تزال ممتدة طول التاريخ إلى اليوم، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 529]ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة)[4]

وقد أضاف بعض الرواة إلى الحديث عبارة [دعواهما واحدة]، وهي مخالفة لما ورد في الأحاديث الكثيرة المتواترة التي تخبر عن اختلاف دعوى كل منهما، ومنها قوله ﷺ عن عمار بن ياسر: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار)[5]، وفي رواية (يدعوهم إلى الجنة

1() رواه أبو يعلى والحاكم وصححه، سبل الهدى والرشاد (10/149)

2() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/149)

3() رواه الحميدي وابن أبي عمرو البزار وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/149)

4() رواه البخاري ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/149)

5() رواه أحمد [5/ 306]، والبخاري (2812)، ومسلم [9/ 226]، [70/ 71/ 2915]، والنسائي في الكبرى [5/ 156]، كتاب الخصائص: حديث [8548]، وابن سعد [3/ 191] وغيرهم

ويدعونه إلى النار)

وقد تعلق بذلك الذين يهونون من شأن حرب صفين، ويعتبرون أنها مجرد اجتهاد من أصحابها، وأنهم لذلك معذورون، بل مأجورون على الرغم من المقتلة العظيمة التي حصلت فيها، وآثارها السلبية الكبرى على الدين، وفي جميع مراحل التاريخ.

[الحديث: 530]ـ عن الإمام علي قال قال رسول الله ﷺ: (أن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا وأن هذه الأمة ستختلف، فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضلا وضل من اتبعهما)[1]

[الحديث: 531]ـ عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في هذه الأمة حكمان ضالان ضال من تبعهما) قال سويد بن غفلة، فقلت: يا أبا موسى أنشدك الله أليس إنما عناك رسول الله ﷺ، فقال: (إنها ستكون فتنة في أمتي أنت فيها يا أبا موسى نائما خير منك قاعدا وقاعدا خير منك قائما وقائما خير منك ماشيا فخصك رسول الله ﷺ ولم يعم الناس)[2]

[الحديث: 532] عن الحارث قال: كنت مع علي بصفين، فرأيت بعيرا من إبل الشام جاء عليه راكبه ونقله، فألقى ما عليه وجعل يتخلل الصفوف إلى علي، فجعل مشفره فيما بين رأس علي ومنكبه وجعل يحركها بجرانه فقال علي: (والله إنها للعلامة التي بيني وبين رسول الله ﷺ)[3]

[الحديث: 533]ـ عن حذيفة، قال: (كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم ﷺ فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف، فقيل: يا أبا عبد الله: فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان؟ قال: انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها فإنها على الهدى[4].

ما ورد في شأن المارقين:

وهي أحاديث كثيرة واضحة في تحذير المارقين الذين خرجوا على الإمام علي بسبب التحكيم، وهم أحد أصناف

1() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/150)
2() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/149)
3() رواه أبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/149)
4() قال الهيثمي (7/236): البزار ورجاله ثقات (3283)

المؤولة الذين أخبر رسول الله ﷺ عنهم، وحذر منهم، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 534] عن زيد بن وهب: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليٌ: أيها الناس! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج قومٌ من أمتي يقرؤون القرآن ليست قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضٌ ليس له ذراع، على عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعراتٌ بيضٌ، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء القوم يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس فسيروا)، قال سلمة بن كهيل: فنزلني زيد بن وهب منزلا منزلا، حتى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب يومئذ من الناس إلا رجلان، فقال عليٌ: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام عليٌ بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخرجوهم فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين! الله الذي لا إله إلا هو أسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟ قال: أي، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له[1].

وفي رواية: (واستخرجوه من تحت قتلى في الطين، قال أبو الوضيء: فكأني أنظر إليه حبشيٌ عليه قريطقٌ، له إحدى يديه مثل ثدي المرأة عليها شعيرات مثل الشعيرات التي تكون على ذنب اليربوع)[2]

1() مسلم (1066) وأبو داود (4768)
2() أبو داود (4769)

قال أبو مريم: إن كان ذلك المخدج لمعنا يومئذ في المسجد نجالسه بالليل والنهار، وكان فقيرا ورأيته مع المساكين يشهد طعام علي مع الناس، وقد كسوته برنسا، وكان يسمى نافعا ذا الثدية، وكان في يده مثل ثدي المرأة، على رأسه حلمة مثل حلمة الثدي، عليه شعيراتٌ مثل سبالة السنور[1].

[الحديث: 535] عن عبد الله بن أبي رافع: أن الحرورية لما خرجوا على علي، فقالوا لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطلٌ، إن رسول الله ﷺ وصف لنا ناسا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم، وأشار إلى حلقه، ومن أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طبى[2] شاة أو حلمة ثدي، فلما قتلهم عليٌ، قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثا ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه[3].

ما ورد في تحذير بعض الصحابة من المشاركة في الفتنة:

وهي تشمل تلك الأحاديث التي يأمر فيها رسول الله ﷺ باعتزال الفتنة، وكسر السيوف، ولزوم البيوت، والتي توهم البعض عمومها، ولو كان الأمر ذلك لكانت متناقضة مع الأحاديث الكثيرة التي يأمر فيها رسول الله ﷺ بمتابعة الإمام علي، ونصره، واعتبار ذلك حفظا للدين من التأويل والتحريف.

ولذلك نحن بين أمرين: إما أن نرجح إحدي النوعين من الروايات، ونلقي الأخرى على الرغم من كثرة الأحاديث الواردة فيها، والمتفق عليها بين الأمة جميعا، أو نفعّلهما جميعا، وذلك باعتبار الروايات التي يدعو فيها رسول الله ﷺ إلى اعتزال الفتنة خاصة بأولئك الصحابة الذين شاركوا فيها، وكأن رسول الله ﷺ يقول لهم: إن ابتليتم بالفتنة، ولم تستطيعوا نصر الإمام علي، فاكتفوا بهذه الخطيئة، ولا تتجاوزوها إلى حربه..

ويدل لهذا ما روي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في هذه الأمة حكمان ضالان ضال من

1() أبو داود (4770)
2() طَبْيُ شاه أش ضرع شاة. النهاية.
3() مسلم (1066)

تبعهما)، قال سويد بن غفلة، فقلت: يا أبا موسى أنشدك الله أليس إنما عناك رسول الله ﷺ، فقال: (إنها ستكون فتنة في أمتي أنت فيها يا أبا موسى نائما خير منك قاعدا، وقاعدا خير منك قائما، وقائما خير منك ماشيا؛ فخصك رسول الله ﷺ ولم يعم الناس)[1]

وهذا ليس خاصا بذلك الزمان، بل هو مرتبط بجميع الفتن، ذلك أن الصالحين لا يعتزلون الفتن، وإنما يشاركون في مواجهتها وإظهار الحق، وعدم الوقوف موقف الحياد، أما غيرهم من الضعفاء؛ فالأحاديث تدعوهم إلى عدم الانغماس فيها حتى لا يقعوا في مضلاتها.

ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب، والتي فيها ما يشير إلى أن سوء الفهم المرتبط بها كان من العصر الاول نتيجة عدم تطبيق وصايا رسول الله ﷺ في الفتنة، وخاصة في الدعوة لمتابعة عمار بن ياسر وكونه علما على الطائفة التي يجب نصرتها:

[الحديث: 536] عن الأحنف بن قيس، قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل ـ يقصد الإمام علي ـ فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قلت: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: يا أحنف! ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار)، فقلت أو قيل يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: (إنه قد أراد قتل صاحبه)[2]

فأبو بكرة أساء فهم الحديث، ولو أنه فهمه على ضوء الأحاديث الأخرى، لعرف المقصودين من اعتزال الفتنة.

[الحديث: 537] ما روي عن ابن عمرو، أنه قال: شبك النبي ﷺ أصابعه وقال:(كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا؟) قال: فكيف يا رسول الله؟ قال:(تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر، وتقبل على خاصتك، وتدعهم وعوامهم)[3]

[الحديث: 538] ما روي عن أبي ذر، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر) قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك،

1() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/149)
2() البخاري (7083) ومسلم (2888)، وأبو داود (4268) والنسائي (7/125)
3() البخاري (380) مختصرًا، وذكر الزيادة ابن حجر في الفتح (8/566)

قال:(كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالـدم؟) قلت: ما خار اللـه لي ورسـوله، قـال:(عليـك بمن أنت منـه) قلت: يـا رسول الله، أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي؟ قال:(شـاركت القوم إذا) قلت: فما تأمرني؟ قال:(تلزم بيتك) قلت: فإن دخـل علي بيتي؟ قال:(فـإن خشـيت أن يبهـرك شـعاع السـيف فـألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه)[1]

[الحديث: 539] عن عديسة بنت أهبان، قالت: جاء علي إلى أبي فـدعاه إلى الخـروج معـه، فقـال لـه: إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفا من خشـب فقـد اتخذته، فإن شئت خرجت به معك،فتركه[2].

[الحديث: 540] عن أبي موسى، قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كـافرا، القاعـد فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيها خير من السـاعي، فكسـروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم)[3]

وفي رواية: قالوا: فما تأمرنا؟ قال:(كونوا أحلاس بيـوتكم)[4]

[الحديث: 541] عن أم مالك البهزية، قالت: ذكـر النـبي ﷺ فتنة فقربها، فقلت: يـا رسـول اللـه، من خـير النـاس فيهـا؟ قال:(رجلٌ في ماشية يؤدي حقها ويعبد ربه، ورجـلٌ آخذ بـرأس فرسه يخيف العدو ويخوفونه)[5]..

والمقصود بالخيرية هنا هي كون المعـتزل في الفتنـة خـير من الذي كان موقفه سلبيا فيها، أما الـذي كـان موقفـه إيجابيـا فهو أفضـل بكثـير، بـل لا يمكن المقارنـة بين المحايـد وصـاحب الدور الإيجابي كما سنرى ذلك في سائر الأحاديث.

[الحديث: 542] عن محمـد بن علي، أن حرملـة مـولى أسامة أخبره، قال: أرسلني أسـامة إلى علي ليعطيـني، وقـال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقـول لـك لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك، ولكن هـذا أمـرٌ

1() أبو داود (4261)
2() الترمذي (2203) وقال: حديث حسن غريب.
3() أبو داود (4259) والترمذي (2204) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.
4() أبو داود (2262)
5() الترمذي (2177) وقال: حديث حسن غريب.و أحمد (6/419)

لم أره، قال حرملة: فسألني فأخبرته فلم يعطني شيئا فذهبت إلى حسن وحسين وابن جعفر فأوقروا لي راحلتي[1].

[الحديث: 543] عن حذيفة قال: (ما أحدٌ من الناس تدركه الفتنة إلا وأنا أخافها عليه،إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:(لا تضرك الفتنة)[2].

وهذا الحديث أسيء فهمه بناء على عدم تطبيق ما ذكرنا من معايير.. فرسول الله ﷺ أثنى على عمار بن ياسر أكثر مما أثنى على محمد بن مسلمة، وهو يدل على أن موقف عمار هو الموقف الشرعي السليم.. أما موقف ابن مسلمة فهو موقف الضعفاء، وهو أفضل من الذين ارتكسوا في الفتنة وسلوا سيوفهم فيها.

[الحديث: 544] عن أبي بردة قال: مررت بالربذة فإذا فسطاط، فقلت لمن هذا؟ فقيل لمحمد بن مسلمة فاستأذنت عليه، فدخلت عليه فقلت رحمك الله، إنك من هذا الأمر بمكان فلو خرجت إلى الناس فأمرت ونهيت فقال: إن رسول الله ﷺ قال: (إنه ستكون فتنة وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فأت بسيفك أحدا فاضرب به عرضه واكسر نبلك، واقطع وترك، واجلس في بيتك، فقد كان ذلك، ثم استنزل سيفا كان معلقا بعمود الفسطاط فاخترطه فإذا سيف من خشب)، قال: قد فعلت ما أمرني به رسول الله ﷺ واتخذت هذا أرهب به الناس)[3]

[الحديث: 545] عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: (العبادة في الهرج كهجرة إلي)[4]

[الحديث: 546] عن المقداد قال رسول الله ﷺ: (إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواها)[5]

وهذا الحديث صريح في أن الذي يبتلى بها ويكون إيجابيا فيها، درجته أعظم.

[الحديث: 547] عن يزيد بن أبي عبيد قال: لما قتل

---

[1] () البخاري (7110)
[2] () أبو داود (4663)
[3] () رواه أحمد بن منيع والبيهقي في الكبرى وابن أبي شيبة وابن ماجة، سبل الهدى والرشاد (10/128)
[4] () مسلم (2948)، والترمذي (2201)
[5] () أبو داود (4263)

عثمان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولادا، فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليال، فنزل المدينة فمات بها[1].

وفي رواية: أن سلمة دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع، ارتددت على عقبيك تعربت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو.

وهو يدل على أن ذلك خاصا به، وليس عاما لجميع المسلمين.

[الحديث: 548] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، أفلح من كف يديه)[2]

[الحديث: 549] عن سعيد بن زيد قال: كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنة عظم أمرها فقلنا أو قالوا: يا رسول الله،لئن أدركتنا هذه لتهلكنا؟ فقال:(كلا، إن بحسبكم القتل) قال سعيد: فرأيت إخواني قتلوا[3].

[الحديث: 550] عن ابن عمر، قال: دخلت على حفصة ونوساتها[4] تنطف، قلت: قد كان من الناس ما ترين فلم يجعل من الأمر شيءٌ، فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقةٌ، فلم تدعه حتى تذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية، وقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان، قال حبيب: حفظت وعصمت[5].

وقد روي ندمه على ذلك، حيث قال: (لم أجدني آسي على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي)[6]

2 ـ ما ورد في تحذير آحاد الصحابة من محاربة الإمام علي:

1() البخاري (7087) ومسلم (1862)
2() أبو داود (4249)
3() أبو داود (4277)
4() نوساتها: بفتح النون أي ذوائبها ومعنى تنطف أي تقطر كأنها قد اغتسلت.
5() البخاري (4108)
6() قال الهيثمي (7/242) الطبراني بأسانيد وأحدها رجاله رجال الصحيح.

وقد ورد فيها روايات كثيرة في مصادر السنة والشيعة، وأهمها ما ورد في شأن تحذير أم المؤمنين عائشة والزبير بن العوام، ومن تلك الأحاديث:

ما ورد في تحذير عائشة من محاربة الإمام علي:

وهي أحاديث متفق عليها بين المدارس الإسلامية، وهي مع كونها وردت بصيغة النبوءات إلا أنها تحمل في طياتها تحذيرا شديدا، ولكن للأسف هوّن شأنه، واعتبر وكأنه مجرد وصف لما سيقع للأمة بعد رسول الله ﷺ على الرغم من أنه قتل في تلك الحرب ما بين ستة آلاف إلى خمس وعشرين ألف قتيل[1]، وعلى الرغم من أن آثارها لا تزال ممتدة إلى الآن، وكان يمكن تفاديها لو طبقت وصايا رسول الله ﷺ بمجرد تذكرها.

وأحب أن أنبه أن نقطة الخلاف الفارقة بين السنة والشيعة في الموقف من عائشة، هو في موقفها من حرب الجمل، أو موقفها من الإمام علي خصوصا، وهو موقف متفق عليه في تخطئتها بسبب ذلك، وقد نقل الزيلعي الإجماع على ذلك، فقال: (وأجمعوا على أن عليا كان مصيبا في قتال أهل الجمل، وهم طلحة، والزبير، وعائشة، ومن معهم، وأهل صفين، وهم معاوية، وعسكره، وقد أظهرت عائشة الندم، كما أخرجه ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، قال: قالت عائشة لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟! قال: رأيت رجلا غلب عليك - يعني ابن الزبير- فقالت: أما والله لو نهيتني ما خرجت)[2]

وعلق الألباني على بعض الأحاديث التي تذكر نبوءة رسول الله ﷺ بخروج عائشة في حرب الجمل، فقال: (وجملة القول أن الحديث صحيح الإسناد، ولا إشكال في متنه.. فإن غاية ما فيه أن عائشة لما علمت بالحوأب كان عليها أن ترجع، والحديث يدل أنها لم ترجع! وهذا مما لا يليق أن ينسب لأم المؤمنين. وجوابنا على ذلك أنه ليس كل ما يقع من الكمل يكون لائقا بهم، إذ لا عصمة إلا لله وحده. والسني لا ينبغي له

1() خليفة بن خياط، ج 1، ص 112؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج 4، ص 539؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 2، ص487 ـ 488؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 95 - 96.

2() نصب الراية (4/ 69)

أن يغالي فيمن يحترمه حتى يرفعه إلى مصاف الأئمة الشيعة المعصومين! ولا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله، ولذلك همت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي ﷺعند الحوأب، ولكن الزبير أقنعها بترك الرجوع بقوله: (عسى الله أن يصلح بك بين الناس) ولا نشك أنه كان مخطئا في ذلك أيضا. والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى. ولا شك أن عائشة المخطئة لأسباب كثيرة، وأدلة واضحة، ومنها ندمها على خروجها، وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ المغفور بل المأجور)[1]

بالإضافة لهذا؛ فإن كل مراجع الشيعة الكبار، وعلى مدار التاريخ، احترموا عرض رسول الله ﷺ، بل احترموا عرض جميع الأنبياء، بل اعتبروا من عصمة النبي عصمة عرضه، ولذلك لم يسيئوا لرسول الله ﷺ في عرضه، حتى لو اختلفوا مع بعض أمهات المؤمنين بسبب حربهم للإمام علي.. لأن أمهات المؤمنين وإن عصموا في أعراضهم بسبب ارتباطهم بالمعصوم إلا أنهم ليسوا معصومين فيما عدا ذلك، وقد نص القرآن الكريم على ذلك، بل ذكر أن من نساء الأنبياء من وقع في الكفر ذاته.. وفرق كبير بين الكفر والفاحشة.. فالفاحشة ترتبط بعرض النبي، بخلاف الكفر وغيره، فلا علاقة لذلك بعرض النبي.. بل إن القرآن الكريم ذكر أن أبناء الأنبياء أنفسهم ليسوا معصومين من الكفر، وقد قص علينا من قصة ابن نوح عليه السلام ما يثبت ذلك، وقص علينا من أمر امرأة نوح ولوط ما يدل على ذلك أيضا.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله العلامة السيد شرف الدين الموسوي، وهو من أعلام الشيعة الكبار في هذا العصر، فقد قال في أجوبة مسائل جار الله: (من الوجوه التي اعتمد عليها الناصب موسى جار الله في تكفير الشيعة الإمامية أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة، ويتكلمون في حقها من أمر الافك والعياذ بالله ما لا يليق بشأنها.. إلى آخر افكه وبهتانه.. والجواب أنها عند الامامية، وفي نفس الأمر والواقع أنقى جيبا، وأطهر ثوبا وأعلى نفسا وأغلى عرضا وامنع صوتا وارفع جنابا وأعز خدرا واسمى مقاما من أن يجوز عليها غير النزاهة أو

1() نصب الراية (4 / 69 - 70)

يمكن في حقهــا الا العفــة والصــيانة، وكتب الامامية قــديمها وحـديثها شـاهد عـدل بمـا أقـول، على أن أصـولهم في عصـمة الانبياء تحيل ما بهتها به أهل الافك بتاتا، وقواعدهم تمنع وقوعـه عقلا ولذا صرح فقيه الطائفـة وثقتهـا أسـتاذنا المقـدس الشـيخ محمد طه النجفي أعلى الله مقامه بمـا يسـتقل بحكمـه العقـل من وجوب نزاهة الأنبياء عن أقل عائبة ولزوم طهارة أعراضـهم عن أدنى وصمة، فنحن والله لا نحتاج في براءتها الى دليـل، ولا نجوز عليها ولا على غيرها من أزواج الأنبيـاء والأوصـياء كـل مـا كان من هذا القبيل)

ثم نقـل عن الشـريف المرتضـى علم الهـدى ردا على من نسب الخنا الى امرأة نوح ـ كما يقول بذلك ابن تيمية نفسـه ــ: (إن الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام يجب عقلا ان ينــزهوا عن مثل هذه الحال لأنهـا تعـر وتشـين وتغض من القـدر، وقـد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا لكل ما ينفر عن القبول منهم)

ثم نقــل الإجمــاع على ذلــك، فقــال: (وعلى ذلــك اجمــاع مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علمائهم)

ثم بين موضع انتقاد الشيعة لها، وهو مما يتفقـون فيـه مـع السنة، فقال: (نعم ننتقـد من أفعـال أم المؤمـنين خروجهـا من بيتهـا بعـد قولـه تعـالى: ﴿وَقَـرْنَ فِي بُيُـوتِكُنَّ ﴾ [الأحـزاب: 33] وركوبها الجمل بعد تحذيرها من ذلك ومجيئها الى البصرة تقــود جيشا عرمرما تطلب على زعمها بدم عثمان، وهي التي أمــالت حربه وألبت عليه وقالت فيه ما قالت، ونلومها على أفعالهـا في البصرة يوم الجمل الأصغر مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ونستنكر أعمالها يـوم الجمـل الأكـبر مـع أمـير المؤمـنين ويـوم البغل حيث ظنت أن بني هاشم يريـدون دفن الحسـن المجتـبى عند جده ﷺ فكان ما كان منها ومن مروان، بل نعتب عليهـا في سائر سيرتها مع سائر أهل البيت عليهم السلام)

وهذا الذي قاله شـرف الـدين الموسـوي هـو نفسـه الـذي تنص عليه كل المراجع الشيعية المعتمدة.. أما الروايات الباطلة الــتي اعتمــدها عليهــا المغرضــون فهي مرفوضــة من جميــع المراجع لمعارضتها العقل والفطرة والقرآن الكريم.

وأحب أن أنبــه هنــا أيضــا إلى أن الروايــات الــواردة عن الشـيعة في حادثـة الإفـك، وكونهـا مرتبطـة بماريـة القبطيـة لا

علاقة له باتهام عائشة، بل لو أننا تمعنا في الأمر، وتدبرناه بعقولنا لا بأهوائنا لوجدنا القول بذلك أكرم لعائشة، لأن هؤلاء الذين يتصورون أنهم يدافعون عن عرض رسول الله ﷺ يذكرون في رواياتهم التي يعتقدون صحتها أن رسول الله ﷺ راوده الشك في كون الأمر كما يذكر الأفاكون.. وفي ذلك تجويز لوقوع مثل هذا الأمر المستحيل في حق أزواج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

بناء على هذه التنبيهات نذكر الأحاديث الواردة في هذا في المصادر السنية:

[الحديث: 551] عن أم سلمة قال: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة، فقال: (أنظري يا حميراء أن لا تكوني أنت)، ثم التفت إلى علي فقال: (إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها)[1]

وقد روي في المصادر المعتبرة عند الشيعة أن عليا بعد انتصاره في معركة الجمل لم يسئ إليها ولم يؤذها، بل ردها مكرمة إلى بيتها، بعد أن عاتبها على خروجها الذي سبب فتنة للمسلمين.

[الحديث: 552] عن قيس قال: لما بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا الحوأب قالت: ما أظنني إلا راجعة، قال الزبير: لا بعد تقدمي فيراك الناس ويصلح الله ذات بينهم. قالت ما أظنني إلا راجعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب)[2]

[الحديث: 553] عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: (أيتكن صاحبة الجمل الأحمر الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل حولها قتلى كثير)[3]

[الحديث: 554] عن حذيفة أنه قيل له: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: (لو فعلت لرجمتموني) قلنا: سبحان الله! قال: (لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني) قالوا: سبحان الله، ومن

1() رواه الحاكم وصححه والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/148)

2() رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم والبيهقي وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/148)

3() رواه البزار وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/148)

يصدقك بهذا قال: (أتتكم الحمراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها)، قال البيهقي، أخبر بهذا حذيفة ومات قبل مسير عائشة[1].

[الحديث: 555]ـ عن أبي بكرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج قوم هلكى لا يفلحون قائدهم امرأة)[2]

[الحديث: 556]ـ عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلي: (إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر فإذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها)[3]

ما ورد في تحذير الزبير من محاربة الإمام علي:

وهو من قادة فتنة حرب الجمل، وقد حذره رسول الله ﷺ من ذلك، لكنه أخبر عن نسيانه لوصية الرسول ﷺ مع أهميتها الشديدة، ومع ما انجر عن نسيانها من الآثار الخطيرة، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 557]ـ عن أبي الأسود قال: شهدت الزبير خرج يريد عليا، فقال له علي: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقاتله وأنت له ظالم)، فقال: لم أذكر، ثم مضى الزبير منصرفا[4].

[الحديث: 558]ـ عن أبي جروة المازني قال: سمعت عليا يقول للزبير: نشدتك بالله أما سمعت رسول الله ﷺ يقول إنك تقاتلني وأنت ظالم لي؟ قال: بلى، ولكن نسيت[5].

[الحديث: 559]ـ قال علي للزبير: أما تذكر يوم كنت أنا وأنت، فقال لك رسول الله ﷺ: (أتحبه) فقلت وما يمنعني، فقال: (أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم)، قال: فرجع الزبير[6].

[الحديث: 560]ـ عن عبد السلام قال: قال علي للزبير يوم الجمل: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لتقاتلنه وأنت ظالم له ثم لينصرن عليك)، قال: قد سمعته لا جرم لا أقاتلك[7].

الفتنة الثالثة: فتنة محاولات القضاء على العترة:

1() رواه الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/149)
2() رواه البزار والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/149)
3() رواه أحمد والبزار والطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/149)
4() رواه الحاكم وصححه والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/149)
5() رواه أبو يعلى والحاكم والبيهقي وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/149)
6() رواه الحاكم، عن قيس، سبل الهدى والرشاد (10/149)
7() رواه أبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/149)

وهي الفتنة التي حاولت أن تقضي على العترة وذكرها وكل أنواع التعلق بها، ولم تكتف بذلك، بل قامت بتلك المجزرة العظيمة في حقها، وحق الموالين لها.

وقد ذكرنا سابقا ما ورد من الأحاديث في حق الإمام الحسين وما حصل في كربلاء، ولهذا سنكتفي هنا بذكر غيرها من الأحاديث:

أ ـ ما ورد في شأن الأذى الذي تتعرض له العترة:

وهي تشير إلى أن كل ما حصل للأمة من فتن كان بسبب إعراضها عن وصايا رسول الله ﷺ بأهل بيته، باعتبارهم اختبار الله تعالى للأمة، وهي في ذلك تشبه ما حصل لبني إسرائيل بسبب إعراضهم عن هارون، وتشبه ما حصل لثمود وموقفهم من الناقة، بعد أن أوصاهم نبيهم بمراعاتها وعدم إذيتها، ولهذا نزل عليهم العذاب بمجرد ذبحهم لها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: 73]، ثم ذكر ما حصل لهم، فقال: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: 77، 78]

وقال في موضع آخر: ﴿وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 64، 65]

ولا يستغرب هذا؛ فالله تعالى اختبر الملائكة وإبليس بالسجود لآدم، ومن خلاله تحدد مصيرهم، أما الملائكة فبقوا على كرامتهم، وأما إبليس فانحدر ذلك الانحدار السحيق.

ومن الأحاديث الواردة في هذا:

[الحديث: 561]ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (أن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلا وتشريدا، وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم)[1]

[الحديث: 562]ـ عن ابن مسعود قال: (بينا نحن عند

1() رواه ابن عساكر ونعيم بن حماد في الفتن، والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/152)

رسول الله ﷺ إذا أقبل فئة من بني هاشم، فلما رآهم رسول الله ﷺ اغرورقت عيناه)[1]

[الحديث: 563]ـ أنه ﷺ قال لعلي: (أتدري من أشقى الآخرين؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال: (قاتلك)[2]

وهذا الحديث يشير إلى الفتنة التي تعرضت لها ثمود بقتلها الناقة، كما قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: 11 - 15]

[الحديث: 564]ـ قال رسول الله ﷺ: (إنك امرؤ مستخلف وإنك مقتول، وإن هذه مخضوبة من هذه) لحيته من رأسه)[3]

ب ـ ما ورد في شأن الأذى الذي يتعرض له الموالون للعترة:

وذلك بعد أن سن معاوية سنة سب الإمام علي، والتي رفضها الموالون له؛ فتعرضوا بسبب ذلك لكل أنواع الأذى، ومن الأحاديث الواردة في هذا:

[الحديث: 565] ما ورد في حق عمرو بن الحمق والأذى الذي تعرض له بسبب صحبته وولائه ووفائه للإمام علي، فقد روي عنه أنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فقالوا: يا رسول الله، إنك تبعثنا، ولا لنا زاد ولا طعام، ولا علم لنا بالطريق، فقال: (إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب، ويدلكم على الطريق، وهو من أهل الجنة)، فلم يزل القوم على جعل يشير بعضهم إلى بعض، وينظرون إلي فقلت: يشير بعضكم إلى بعض وينظرون إلي؟ فقلت: ما لكم يشير بعضكم إلى بعض وتنظرون إلي فقالوا: أبشر ببشرى الله ورسوله ﷺ فإنا نعرف فيك نعت رسول الله ﷺ، فأخبروني بما قال لهم، فأطعمتهم وسقيتهم وزودتهم وخرجت معهم حتى دللتهم على الطريق، ثم رجعت إلى أهلي وأوصيتهم بإبلي ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ قال: (أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني

---

[1] رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/152)
[2] رواه أحمد في المناقب، سبل الهدى والرشاد (10/153)
[3] رواه الطبراني وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/153)

رسول اللـه وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الزكـاة، وحج الـبيت، وصـوم رمضــان) فقلت: إذا أجبنــاك إلى هــذا فنحن آمنــون على أهلنــا ودمائنـا وأموالنـا؟ قـال: (نعم)، فأسـلمت ثم رجعت إلى أهلي، فـأعلمتهم بإسـلامي، فأسـلم على يـدي بشـر كثـير منهم، ثم هاجرت إلى رسول الله ﷺ فبينا أنـا عنـده ذات يـوم فقـال: (يـا عمـرو، هـل لـك أن أريـك آيـة الجنـة، تأكـل الطعـام، وتشـرب الشـراب وتمشـي في الأسـواق؟) قلت: بلى، بـأبي أنت وأمي، قال: (هذا وقومه، وأشار إلى علي بن أبي طالب) وقال لي: (يا عمـرو، هـل لـك أن أريـك آيـة النـار تأكـل الطعـام، وتشـرب الشراب، وتمشـي في الأسـواق؟) قلت: بلى، بـأبي أنت وأمي، قال: (هذا)، وأشار إلى رجـل، فلمـا وقعت الفتنـة ذكـرت قـول رسول الله ﷺ ففررت من آية النار إلى آيـة الجنـة، ويـرى بـني أمية قاتلي بعد هذا، قلت: اللـه ورسـوله أعلم، قـال: واللـه، لـو كنت حجرا في جوف حجر لاستخرجني بنو أمية حـتى يقتلـوني، حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس تجز ويحـتز في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد[1].

وقد حصل ما أخبر عنه رسول الله ﷺ فقد كـان عمـرو بن الحمق أيام الفتنة من أعظم الموالين للإمام علي، وقد قال لـه في وقعة صفّين: (والله، ما جئتك لمال من الـدنيا تعطينيهـا، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري، إلّا لأنّك ابن عمّ رسـول اللـه ﷺ، وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سـيّدة نسـاء العـالمين، وأبو الذرّية التي بقيت لرسول اللـه ﷺ، وأعظم سـهماً للإسـلام من المهـاجرين والأنصـار، واللـه، لـو كلّفتـني نقـل الجبـال الرواسي، ونـزح البحـور الطـوامي أبـداً حتّى يـأتي علي يـومي، وفي يدي سيفي أهزّ به عدوّك، وأقوي به وليّك، ويعلـو بـه اللـه كعبك، ويفلج به حجّتك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقّك كلّ الحـقّ الـذي يجب لـك عليّ)، فقـال لـه الإمـام علي: (اللّهم نـوّر قلبـه باليقين، واهده إلى الصـراط المسـتقيم، ليت في شـيعتي مائـة مثلك) [2]

وقد استُشهد عـام 50 هــ، بالموصـل في شـمال العـراق، وأُرسـل برأسـه إلى معاويـة هديـة، وهـو (أوّل رأس أُهـدي في

1() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/113)
2() رجال الكشّي ۱ /253.

الإسلام) [1]

وقد قال الإمام الحسين في رسالته إلى معاوية يذكر جرائمة: (أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه وصفرّت لونه؟ بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأة على ربّك واستخفافاً بذلك العهد) [2]

وقال الإمام الكاظم يثني عليه: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواري محمّد بن عبد الله رسول الله ﷺ، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.. ثمّ ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب، وصيّ محمّد بن عبد الله رسول الله ﷺ؟ فيقوم عمرو بن الحمق؛ فهؤلاء المتحوّرة أوّل السابقين، وأوّل المقرّبين، وأوّل المتحوّرين من التابعين) [3]

[الحديث: 566] عن رفاعة بن شداد البجلي أنه خرج مع عمرو بن الحمق حين طلبه معاوية قال: فقال لي يا رفاعة أن القوم قاتلي، إن رسول الله ﷺ أخبرني أن الجن والإنس تشترك في دمي، قال رفاعة: فما تم حديثه حتى رأيت أعنة الخيل فودعته وواثبته حية فلسعته وأدركوه فاحتزوا رأسه وكان أول رأس أهدي في الإسلام)[4]

[الحديث: 567] ما ورد في إخباره ﷺ عن قتل بعض الموالين للإمام علي ظلما بعذراء من دمشق، ومنها ما روي عن أبي الأسود، قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إني رأيت قتلهم صلاحا للأمة، وبقاءهم فسادا للأمة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم، وأهل السماء)[5]

[الحديث: 568] عن سعيد بن أبي هلال أن معاوية حج فدخل على عائشة فقالت: يا معاوية قتلت حجر بن الأدبر

1() المصنّف لابن أبي شيبة ٧ /٧٢٣.
2() رجال الكشّي ١ /253.
3() رجال الكشّي ١ /43.
4() رواه ابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/156)
5() رواه يعقوب بن سفيان وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/156)

وأصحابه؟ أما والله، لقد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء)[1]

ج ــ ما ورد في شأن الأذى الذي يتعرض له الأنصار بسبب مواقفهم من العترة:

وهو ما حصل أيام الفتن حيث عزل أكثر الأنصار بسبب مواقفهم الطيبة من الإمام علي والعترة الطاهرة، ذلك أن بعض الصحابة تصوروا أن لقريش حقا في حكم المسلمين؛ وأنهم لذلك يمكنهم أن يقربوا من شاءوا، ويبعدوا من شاءوا، وقد كان الأنصار من جملة المبعدين، ومن الأحاديث التي تحذر من هذا النوع من الأذى:

[الحديث: 569] عن أسيد بن حضير وأنس أن رسول الله ﷺ قال للأنصار حين أفاء الله عليه أموال هوازن: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[2]

[الحديث: 570] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها)، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: (تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم)[3]

[الحديث: 571] عن أنس أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: (ستلقون بعدي أثرة في القسم، والأمر، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[4]

[الحديث: 572] عن مقسم أن أبا أيوب أتى معاوية فذكر حاجة له فجفاه ولم يرفع به رأسا، فقال أبو أيوب: أما أن رسول الله ﷺ قد خبرنا أنه ستصيبنا بعده أثرة قال: فبم أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الحوض، قال: فاصبروا إذا، فغضب أبو أيوب، وحلف أن لا يكلمه أبدا[5]

[الحديث: 573] ومن هذا الباب ما وري من اعتبار بغض الأنصار علامة النفاق، وقد تحقق هذا أيام الفتنة، ومن تلك

1() رواه ابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/156)

2() رواه أحمد والبخاري ومسلم والبيهقي والترمذي والنسائي، سبل الهدى والرشاد (10/115)

3() رواه أحمد والبخاري ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/115)

4() رواه الحاكم وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/115)

5() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/115)

الأحاديث: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار) [1]

[الحديث: 574] عن البراء: عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: (لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغِضهم إلا منافقٌ، مَن أحبهم أحبه الله، ومن أبغَضهم أبغَضه الله) [2]

[الحديث: 575] عن أبي سعيدٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُبغِض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر) [3]

د ـــ ما ورد في شأن سب العترة وإذيتها، وخصوصا الإمام علي:

وهو في تحقق ما تنبأ به رسول الله ﷺ، وحذر منه من عدم اكتفاء النواصب بعزل العترة أو قتالهم، وإنما إضافة سبهم وتشويههم واستعمال كل الوسائل لإذيتهم وإذية مناصريهم، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 576] عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ، فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: خلفه في مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً، فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: 61] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي) [4]

وقد اتفق على هذا جميع المؤرخين، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن الأثير في أحداث سنة 51 هـ، حيث قال: (في هذه السنة قتل حجر بن عدي وأصحابه، وسبب ذلك أن معاوية

1() رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٢٤٤)
2() مسلم، حديث (75)
3() مسلم حديث (77)
4() رواه مسلم (برقم 2404)

استعمل المغـيرة بن شـعبة على الكوفـة سـنة إحـدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه وقال لـه: أمـا بعـد فـإن لـذي الحلم قبـل اليوم ما تقرع العصا، وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقــد أردت إيصـاءك بأشـياء كثـيرة أنـا تاركهـا اعتمـادا على بصـرك، ولست تاركا إيصاءك بخصلة: لا تترك شتم علي وذمه، والـترحم على عثمـان والاسـتغفار لـه، والعيب لأصـحاب علي والإقصـاء لهم، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم، فقال له المغيرة: قــد جـربت وجـربت، وعملت قبلـك لغـيرك فلم يـذممني، وسـتبلو فتحمد أو تذم. فقـال: بـل نحمـد إن شـاء اللـه؛ فأقـام المغـيرة عاملا على الكوفة وهو أحسن شيء سيرة، غير أنه لا يدع شـتم علي والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له، فإذا سمع ذلك حجر بن عدي قال: بل إياكم ذم اللـه ولعن! ثم قـام وقـال: أنـا أشـهد أن من تـذمون أحـق بالفضـل، ومن تزكـون أولى بالـذم. فيقول له المغيرة: يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسـطوته، فإن غضب السلطان يهلك أمثالك، ثم يكف عنه ويصفح) [1]

وينقلون أنّ قومـاً من بـني أُميّـة قـالوا لمعاويـة: (إنّـك قـد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل)، فقال: لا واللـه حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليـه الكبـير، ولا يـذكر لـه ذاكـر فضلاً) [2]

ومـع وضـوح دلالـة هـذا الحـديث، واتفـاق المـؤرخين على وقوعه إلا أنه للأسف وجد في أعلام المدرسة السنية من يـؤول ما فعله معاوية ويدافع عنه، وبتكلـف شـديد، ومن الأمثلـة على ذلك قول النووي تعليقا على الحديث: (قـول معاويـة هـذا، ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السـبب المـانع له من السب، كأنـه يقـول: هـل امتنعت تورعـاً أو خوفـاً أو غـير ذلـك. فـإن كـان تورعـاً وإجلالاً لـه عن السـب، فـأنت مصـيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كــان في طائفة يسبون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار، أو أنكـر عليهم، فسأله هذا السؤال، قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معنــاه: ما منعك أن تخطئـه في رأيـه واجتهـاده، وتظهـر للنـاس حسـن

1() الكامل في التاريخ (3/ 69)
2() شرح نهج البلاغة 4: 57.

رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ) [1]

وقال القرطبي: (وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية سكت وأذعن، وعرف الحق لمستحقه) [2]

[الحديث: 577] عن سهل بن سعد قال: استُعمل على المدينة رجل من آل مروان قال: فدعا سهل بن سعد فأمر أن يشتم علياً، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: (ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح به إذا دُعِيَ بها، جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليّاً في البيت، فقال لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شِقِّه فأصاب تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه وهو يقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب) [3]

[الحديث: 578] كتبت أُمّ سلمة إلى معاوية: (إنّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبّه، وأنا أشهدُ أنَّ الله أحبّه ورسوله)[4]

الفتنة الرابعة: فتن وهن الأمة وضعفها وارتدادها الكامل عن قيم دينها:

وهي أحاديث كثيرة جدا، وتكاد تكون محل اتفاق بين الأمة جميعا، وهي ناتجة عن الفتن السابقة، ذلك أن الأمة بعد تركها لوصايا نبيها ﷺ، وتشتتها في دينها، وتوسع ذلك التشتت مع الزمن ليتحول إلى صراع وطائفية، يصيبها الوهن والفشل في جميع النواحي.

وقد رسمت الأحاديث النبوية الكثير مما يحصل من فتن، بل ذكرت أسبابها، وكيفية النجاة منها، حتى يتحصن بها كل من أراد أن يتمسك بحبل النبوة الممتد لكل فرد من أفراد الأمة، وفي كل الأجيال، وقد رأينا أنه يمكن تصنيف الأحاديث الواردة في هذا المجال إلى الأصناف التالية:

1() شرح صحيح مسلم (15 / 175)
2() المفهم (6 / 278)
3() رواه مسلم (برقم 2409)
4() مسند أحمد 7: 455. والمعجم الكبير 23: 323.

أ ـ ما ورد في التحذير من تحريف الدين وتشويهه والبعد عنه:

وهي أحاديث كثيرة تشير إلى أن ما يحصل للأمة من فتن يعود سببه للتحريفات والتشويهات التي قام بها الأئمة المضللون للدين ليتناسب مع الأمزجة والأهواء، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 579] قال رسول الله ﷺ: (سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء، ويقل الفقهاء، ويقبض العلم، ويكثر الهرج ثم يأتي من بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المنافق الكافر المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول)[1]

[الحديث: 580] قال رسول الله ﷺ: (يدرس الإسلام كما يدرس وشيء الثوب، حتى لا يعلم أحد لا صلاة ولا صيام ولا نسك، حتى إن الرجل والمرأة ليقولان: قد كان من قبلنا، يقولون: لا إله إلا الله؟)[2]

[الحديث: 581] قال رسول الله ﷺ: (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انقضت عروة تشبثت بالتي تليها، فأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة)[3]

[الحديث: 582] قال رسول الله ﷺ: (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، وليكونن أئمة مضلون، وليخرجن على أثر ذلك الدجالون الثلاثة)[4]

[الحديث: 583] قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا مرج أمر الدين، وظهرت الرغبة، واختلفت الإخوان وحرق البيت العتيق)[5]

[الحديث: 584] قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض العلم، وقبل أن يرفع العلم)، قيل: يا رسول الله، كيف يرفع العلم وهذا القرآن بين أظهرنا؟ فقال:

1() رواه الطبراني في الأوسط والحاكم وأبو نصر السجزي في الإبانة، سبل الهدى والرشاد (10/146)

2() رواه مسدد برجال ثقات وابن ماجة، والحاكم وصححه، سبل الهدى والرشاد (10/161)

3() رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى وابن حبان والطبراني في الكبير، والبيهقي والحاكم في السنن والشعب، والضياء، سبل الهدى والرشاد (10/162)

4() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/161)

5() رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأحمد بن منيع بسند حسن، سبل الهدى والرشاد (10/162)

(ثكلتك أمك، وهذه اليهود والنصارى أو ليست بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بالحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم ألا وإن ذهاب العلم أن تذهب حملته)[1]

[الحديث: 585] قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس، عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع، العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد)[2]

[الحديث: 586] قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[3]

[الحديث: 587] قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء، فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل)[4]

[الحديث: 588] قال رسول الله ﷺ: (سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم)[5]

[الحديث: 589] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يطوف إبليس في الأسواق، ويقول حدثني فلان ابن فلان بكذا وكذا)[6]

[الحديث: 590] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتله عظيمةٌ دعواهما واحدةٌ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي عرض هو عليه: لا أرب لي فيه، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل

1() رواه أحمد والدارمي والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في تفسيره، وابن مردويه، سبل الهدى والرشاد (10/127)

2() رواه الطبراني في الكبير والخطيب، سبل الهدى والرشاد (10/127)

3() رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه، سبل الهدى والرشاد (10/127)

4() رواه الطبراني في الأوسط، سبل الهدى والرشاد (10/127)

5() رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد (10/124)

6() رواه ابن عدي والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/124)

فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، فلتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها)[1]

[الحديث: 591] قال رسول الله ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منهم واحدة)[2]

[الحديث: 592] قال رسول الله ﷺ: (سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلا بمثل حذو النعل بالنعل، إن بني إسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار غير واحدة) قيل: وما تلك الواحدة؟ قال: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[3]

والمقصود بأصحابه في الحديث أولئك الذين حافظوا على هديه، ولم يبدلوا ويغيروا، كما يشير إلى ذلك حديث الحوض، والذي يذكر فيه رسول الله ﷺ ما استحدثه بعض أصحابه، ويتبرأ منه.

[الحديث: 593] عن أنس بن مالك قال: بينا نحن نقرأ، فينا العربي والعجمي والأسود إذ خرج علينا رسول الله ﷺ قال: (أنتم بخير تقرؤون كتاب الله، وفيكم رسول الله ﷺ، وسيأتي قوم يثقفونه كما يثقفون القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها)[4]

[الحديث: 594] قال رسول الله ﷺ: (يظهر الدين حتى يجاوز التجار، وتخاض البحار بالخيل في سبيل الله، حتى يرد الكفر إلى موطنه، وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن يتعلمونه ويقرأونه، ثم يقولون: قد قرأنا القرآن، فمن أقرأ منا؟ ومن أفقه منا ومن أعلم منا؟) ثم التفت إلى أصحابه، فقال: (هل في أولئك من خير؟) قالوا: لا، قال: (أولئك منكم

1() البخاري (7121) واللفظ له، ومسلم (157) باختصار.
2() رواه أحمد والأربعة والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/159)
3() رواه الحاكم وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/159)
4() رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد (10/131)

من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار)[1]

[الحديث: 595] قال رسول الله ﷺ: (ثم يأتي من بعدهم أقوام يقرأون القرآن، يقولون: قد قرأنا القرآن من أقرأ منا؟ أو من أفقه منا؟ أو من أعلم منا؟)[2]

[الحديث: 596] عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى قوما يقرأون القرآن، فقال: (اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)[3]

[الحديث: 597] قال رسول الله ﷺ: (سيخرج في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا رأيتموهم، فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)[4]

وأمر رسول الله ﷺ بقتالهم دليل على أنهم يمارسون العنف، وهو ما تحقق في الواقع.

[الحديث: 598] قال رسول الله ﷺ: (يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليست قراءتكم إلى قراءتهم شيئا، ولا صلاتكم إلى صلاتهم شيئا ولا صيامكم إلى صيامهم شيئا، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)[5]

[الحديث: 599] قال رسول الله ﷺ: (يرث هذا القرآن قوم يشربونه شرب اللبن، لا يجاوز تراقيهم)[6]

[الحديث: 600] قال رسول الله ﷺ: (يخرج في آخر الزمان قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم سيماهم التحليق إذا لقيتموهم فاقتلوهم)[7]

[الحديث: 601] قال رسول الله ﷺ: (يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح

1() رواه أبو يعلى والبزار والطبراني والبزار، سبل الهدى والرشاد (10/131)
2() رواه ابن أبي شيبة، سبل الهدى والرشاد (10/131)
3() رواه أحمد بن منيع، سبل الهدى والرشاد (10/131)
4() رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن جرير وأبو داود الطيالسي وابن ماجه، سبل الهدى والرشاد (10/131)
5() رواه مسلم وأبو داود وأبو عوانة، سبل الهدى والرشاد (10/131)
6() رواه أبو نصر السجزي في الإبانة والديلمي، سبل الهدى والرشاد (10/132)
7() رواه ابن ماجه، سبل الهدى والرشاد (10/132)

الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق والخليفة)[1]

وهو دليل على وجود هذا النوع من المتدينين في جميع الأزمنة، وليس خاصا بالخوارج فقط كما يذكر من يؤول الحديث ليصرفه عن مصاديقه.

[الحديث: 602] قال رسول الله ﷺ: (يخرج قوم أحداء أشداء ذليقة ألسنتهم بالقرآن يقرأونه ينثرونه نثر الدقل لا يجاوز تراقيهم فإذا رأيتموهم فأتوهم فاقتلوهم فالمأجور من قتل هؤلاء)[2]

[الحديث: 603] قال رسول الله ﷺ: (يخرج قوم من المشرق حلقان الرؤوس، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم. طوبى لمن قتلوه، وطوبى لمن قتلهم)[3]

[الحديث: 604] قال رسول الله ﷺ: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعلمكم مع علمهم، ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، وينظر في القدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق هل علق به من الدم شيء)[4]

[الحديث: 605] قال الإمام علي ـ وهو حديث موقوف له حكم المرفوع ـ: (إذا رأيتم الرايات السود فالزموا الأرض فلا تحركوا أيديكم ولا أرجلكم، ثم يظهر قوم ضعفاء لا يؤبه لهم، قلوبهم كزبر الحديد، هم أصحاب الدولة، لا يفون بعهد ولا ميثاق، يدعون إلى الحق وليسوا من أهله، أسماؤهم الكنى ونسبتهم القرى، وشعورهم مرخاة كشعور النساء، حتى يختلفوا فيما بينهم، ثم يؤتي الله الحق من يشاء)[5]

وهذا الحديث يصف داعش، أو ما يسمى بتنظيم الدولة

1() رواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/132)

2() رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير، والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/132)

3() رواه السجزي في الإبانة والخطيب وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/132)

4() رواه البخاري ومسلم والنسائي، سبل الهدى والرشاد (10/132)

5() رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (ص 573)، وقد ذكر الشيخ حسن بن فرحان المالكي أن إسناده حسن - بالقرائن - لاسيما مع تصديق الواقع له، ثم هو أثر في الملاحم وليس حديثاً في التشريع، فالأثر صحيح إن شاء الله.

الإسلامية بدقة عالية[1]، فأول لفظة في الحديث وهي قوله: (لا يؤبه بهم): وهذا متحقق في الواقع، اذ أنه لم يأبه بهم أحد إلى أن اجتاحوا نصف العراق، وهزموا المسلحين في سوريا.

أما قوله: (قلوبهم كزبر الحديد)، فهذا واقع، فقسوة قلوبهم محل إتفاق، ولذلك ارتفعوا عند المتطرفين لأنهم مرجعهم الفكري.

أما قوله: (هم أصحاب الدولة) فهذا اللفظ هو الشفرة، وهو السر، وهو المعجزة، فهذا متحقق بشكل لا يمكن لأحد أن يخترعه قبل 1200 سنة.

أما قوله: (لا يفون بعهد ولا ميثاق) وهذا أيضاً متواتر عنهم، وقصص نكثهم بالعهود وقتلهم الوسطاء والضيوف متواترة.

أما قوله: (يدعون إلى الحق وليسوا من أهله) وهذا متحقق أيضاً ـ ولذلك يغرون كثيراً من الناس، فيظنونهم أهل حق، والعلم بهم هش، لأن الناس يتبعون أشباههم.

أما قوله: (أسماؤهم الكنى ونسبتهم القرى)، فهو صحيح حيث نجدهم يسمون: أبو فلان البغدادي، أو فلان الشيشاني، أبو فلان الليبي، وهذا متحقق فيهم كلهم، وليس مجرد نسبة نادرة.

أما قوله: (وشعورهم مرخاة كشعور النساء) وهذه غريبة جداً، وهذا يدل على أن الصحابة والتابعين لم يكونوا هكذا، وإنما كان شعرهم متوسطاً مرجلاً كأهل السراة.

هذه حوالي ثمان صفات مجتمعة فيهم لا تجتمع في غيرهم، كل من سواهم على الأقل ليست فيهم كلمة (هم أصحاب الدولة)

وهذا يدل على أن النبوءات ليست كلها باطلة كما يزعم البعض، ولا يشترط فيها صحة السند مادام ظهرت المصاديق على الأرض واجتمعت بهذا الوضوح الفج في داعش.

[الحديث: 606] قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان يتعلمون القرآن فيجمعون حروفه، ويضيعون حدوده، ويل لهم مما جمعوا وويل لهم مما صنعوا، إن أولى الناس بهذا القرآن من جمعه لم ير عليه أثره)[2]

[الحديث: 607] قال رسول الله ﷺ: (سيكون بعدي من

1() انظر: حديث علي بن أبي طالب في داعش، لحسن بن فرحان المالكي.
2() رواه أبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/133)

أمـتي قـوم يقـرأون القـرآن، لا يجـاوز حلاقيمهم، يخرجـون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعـودون فيـه، هم شـر الخلق والخليقة سيماهم التحليق)[1]

[الحديث: 608] قال رسول اللـه ﷺ: (لا تقـوم السـاعة حتى يتباهى الناس في المساجد)[2]

[الحديث: 609] قال رسول الله ﷺ: (ما أمـرت بتشـييد المسـاجد)، قـال ابن عبـاس: لتزخرفنهـا كمـا زخـرفت اليهـود والنصارى[3].

[الحديث: 610] قال رسول الله ﷺ: (أراكم ستشرفون مسـاجدكم بعـدي كمـا شـرفت اليهـود كنائسـها وكمـا شـرفت النصارى بيعها)[4]

[الحديث: 611] قال رسول الله ﷺ: (سـيكون في آخـر أمتي أقوام يزخرفون مساجدهم ويخربون قلوبهم، يتقي أحدهم على ثوبه ما لا يتقي على دينه، لا يبـالي أحـدهم إذا سـلمت لـه دنياه ما كان من أمر دينه)[5]

[الحديث: 612] قال رسول اللـه ﷺ: (من قـرأ القـرآن فليسأل به الله، فإنه ستجيء أقوام يقـرأون القـرآن، ويسـألون به الناس)[6]

[الحديث: 613] قال رسول اللـه ﷺ: (اقـرؤوا القـرآن، وسلوا الله به قبل أن يأتي قوم يقرأون القرآن فيسألون الناس به)[7]

[الحديث: 614] قال رسـول اللـه ﷺ: (اقـرأوا القـرآن، وابتغـوا بـه اللـه من قبـل أن يـأتي قـوم يقيمونـه إقامـة القـدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)[8]

[الحديث: 615] قال رسـول اللـه ﷺ: (اقـرأوا القـرآن،

1() رواه أحمـد ومسـلم وابن ماجـه والطـبراني في الكبـير، سـبل الهـدى والرشـاد (10/133)

2() رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/133)

3() رواه أبو داود، سبل الهدى والرشاد (10/133)

4() رواه ابن ماجه، سبل الهدى والرشاد (10/133)

5() رواه الحاكم في تاريخه، سبل الهدى والرشاد (10/133)

6() رواه أحمد وابن منده، سبل الهدى والرشاد (10/133)

7() رواه أحمد والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، سـبل الهـدى والرشـاد (10/133)

8() رواه أحمـد وأبـو داود وابن مـنيع والـبيهقي في الشـعب والضـياء، سـبل الهـدى والرشاد (10/135)

واسألوا الله به، فإنه سيقرؤه قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)[1]

[الحديث: 616] قال رسول الله ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذارع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم)، فقلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن هما)[2]

[الحديث: 617] قال رسول الله ﷺ: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزي)، قلت: يا رسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33] أن ذلك تامٌ، قال: (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم)[3]

[الحديث: 618] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان)[4]

[الحديث: 619] قال رسول الله ﷺ: (من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا، فيقال للثلاثين، وأن تتخذ المساجد طرقا، وأن يظهر موت الفجأة)[5]

[الحديث: 620] قال رسول الله ﷺ: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نسكٌ ولا صدقةٌ، وليسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آيةٌ، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها)[6]

[الحديث: 621] قال رسول الله ﷺ: (يكون أمام الدجال سنون خوادع، يكثر فيها المطر ويقل النبت، ويكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة)، قيل: يا رسول الله! وما

1() رواه ابن أبي شيبة، سبل الهدى والرشاد (10/135)
2() البخاري (4356) ومسلم (2669)
3() مسلم (2907)
4() رواه مسلم والترمذي، سبل الهدى والرشاد (10/95)
5() الطبراني في الأوسط (9376) والصغير (2/129/1132)
6() ابن ماجة (4049) وقال الألباني: صحيح (3273)

الرويبضة؟ قال: (من لا يؤبه له)[1]

[الحديث: 622] قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد فلا يجدون إماما يصلي بهم، والله تعالى الموفق للصواب)[2]

[الحديث: 623] وهو يشير إلى التغيير الذي يحصل في قسمة الفرائض والمواريث، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (تعلموا الفرائض وعلموها الناس، فإنه نصف العلم، وإنه ينسى، وهو أول شيء ينزع من أمتي)[3]

[الحديث: 624] قال رسول الله ﷺ: (تعلموا الفرائض، وعلموا الناس، فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في الفريضة، فلا يجدان من يفصل بينهما)[4]

ب ـ ما ورد في التحذير من الانحراف السياسي:

وهي أحاديث كثيرة تحذر من العلمانية التي تحول إليها النظام السياسي الإسلامي بسبب إبعاد أحكام الدين وقيمه عن الحكم، وذلك بسبب توهم أن الحكم من الدنيا وليس من الدين، ولذلك لم يراعوا في اختيارهم للولاة دينهم وتقواهم وفقههم، وهو ما تسبب في ذلك الانفصال الحاد بين القيم الإسلامية والنظام السياسي في العصر الأول، بعد أن تحول إلى ملكية ودكتاتورية لا تختلف عن غيرها من الملكيات والدكتاتوريات التي جاء الإسلام لمحاربتها وتخليص المستضعفين منها.

والأحاديث الواردة في هذا المجال تدعو إلى استعمال أسلوبين في التعامل مع هؤلاء الظلمة المنحرفين عن عدالة الإسلام:

أولهما: المواجهة، والتي تكون عند تحقق القدرة وتوفر الشوكة التي تسمح بذلك، مثلما كان عليه حال المسلمين في المدينة المنورة.

ثانيهما: ممارسة التقية، وعدم المواجهة، حرصا على

1() الطبراني (18/67، 68) وقال الهيثمي (7/330)

2() رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/157)

3() رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم والشيرازي في الألقاب والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/126)

4() رواه أحمد والترمذي والنسائي والبيهقي والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/127)

خدمة القيم الإسلامية في الجوانب الأخرى، مثلما كان عليه حال المسلمين في مكة المكرمة.

ولذلك لا نرى تعارضا بين الأحاديث الواردة في هذا الباب، وقد ذكرنا أنه لا يجوز طرح أي حديث ما دام من الممكن الجمع بينه وبين غيره.

ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 625] قال رسول الله ﷺ: (خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه، يمنعكم من ذلك المخافة والفقر، ألا وإن رحى الإيمان دائرة، وإن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث يدور، ألا وإن السلطان والكتاب سيفترقان ألا فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم)، قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: (كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم حملوا على الخشب ونشروا بالمناشير، موت في طاعة الله، خير من حياة في معصية الله)[1]

[الحديث: 626] عن أبي سعيد قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته: (ألا إني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال من بعدي يعملون بما تعملون ويعملون ما تعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك زمانا، ثم فيليكم عمال من بعدهم يعملون بما لا تعملون، ويعملون بما لا تعرفون فمن قادهم، وناصحهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا خالطوهم بأجسادكم، وذايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن أنه محسن وعلى المسيء أنه مسيء)[2]

[الحديث: 627] قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا جاءت عليكم الولاة؟)[3]

[الحديث: 628] قال رسول الله ﷺ: (ستكون بعدي أئمة يعطون الحكمة على منابرهم، فإذا نزلوا نزعت منهم، وأجسادهم شر من الجيف)[4]

[الحديث: 629] قال رسول الله ﷺ: (سيكون عليكم

1() رواه أحمد بن منيع وإسحاق، سبل الهدى والرشاد (10/136)
2() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/137)
3() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/137)
4() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/137)

أمراء من بعدي، يأمرونكم بما تعرفون، ويعملون بما تنكرون، فليس أولئك عليكم بأئمة)[1]

[الحديث: 630] قال رسول الله ﷺ: (إلا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، فإذا عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم)، قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع؟ قال: (كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب، موت في طاعة، خير من حياة في معصية الله)[2]

[الحديث: 631] عن عبادة بن الصامت قال: ذكر رسول الله ﷺ الأمراء فقال: (يكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أدخلوكم النار، وإن عصيتموهم قتلوكم)، فقال رجل منهم: يا رسول الله، سمهم لنا، لعلنا نحثوا في وجوههم التراب، فقال رسول الله ﷺ: (لعلهم يحثون في وجهك ويفقئون عينيك)[3]

[الحديث: 632] قال رسول الله ﷺ: (ثلاثون نبوة، وثلاثون ملكا وجبروتا وما وراء ذلك لا خير فيه)[4]

[الحديث: 633] عن كعب بن عجرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ قال: (إنها ستكون عليكم أمراء من بعدي يعظون بالحكمة على منابر، فإذا نزلوا اختلست منهم، وقلوبهم أنتن من الجيف)[5]

[الحديث: 634] قال رسول الله ﷺ: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلون)[6]

[الحديث: 635] قال رسول الله ﷺ: (إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنهم إلى يوم القيامة)[7]

[الحديث: 636] قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة، ووزراء فسقة، وقضاة خونة، وفقهاء كذبة، فمن أدرك ذلك الزمان فلا يكونن لهم جابيا، ولا عريفا ولا شرطيا)[8]

1() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/83)
2() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/137)
3() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/137)
4() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/137)
5() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/137)
6() رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد (10/137)
7() رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد (10/138)
8() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/138)

[الحديث: 637] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة ووزراء فجرة، وأمناء خونة، وقراء فسقة، سمتهم سمت الرهبان فيلبسهم الله فتنة غبراء مظلمة يتهوكون فيها تهوك اليهود في الظلم)[1]

[الحديث: 638] قال رسول الله ﷺ: (يكون عليكم أمراء هم شر من المجوس)[2]

[الحديث: 639] قال رسول الله ﷺ: (يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان معهم سياط كأذناب البقر، يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه)[3]

[الحديث: 640] قال رسول الله ﷺ: (إن طالت بك حياة يوشك أن ترى قوما يغدون في سخط الله ويروحون في لعنة الله، بأيديهم مثل أذناب البقر)[4]

[الحديث: 641] قال رسول الله ﷺ: (سيكون أمراء لا يرد عليهم قولهم يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة، يتبع بعضهم بعضا)[5]

[الحديث: 642] قال رسول الله ﷺ: (ليأتين على الناس زمان يكون عليهم أمراء سفهاء، يقدمون شرار الناس، ويظهرون بخيارهم، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم، فلا يكونن عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا خازنا)[6]

[الحديث: 643] قال رسول الله ﷺ: (تعوذوا بالله من رأس السبعين، ومن إمارة الصبيان)، وقال: (لا تذهب الدنيا حتى تصير للكع بن لكع)[7]

[الحديث: 644] قال رسول الله ﷺ: (اسمعوا، إنه سيكون عليكم أمراء، فلا تعينوهم على ظلمهم، ولا تصدقوهم بكذبهم، فإنه من أعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم، فلن يرد علي الحوض)[8]

[الحديث: 645] قال رسول الله ﷺ: (اسمعوا، هل

1() رواه البزار، سبل الهدى والرشاد (10/138)
2() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/138)
3() رواه أحمد والطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/138)
4() رواه البزار، سبل الهدى والرشاد (10/138)
5() رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/138)
6() رواه أبو يعلى وابن حبان، سبل الهدى والرشاد (10/138)
7() رواه أحمد بن منيع وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/138)
8() رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والطبراني في الكبير والضياء، سبل الهدى والرشاد (10/139)

سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه، وهو وارد على الحوض)[1]

[الحديث: 646] قال رسول الله ﷺ: (ستفتح عليكم مشارق الأرض ومغاربها ألا وعمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة)[2]

ج ـ ما ورد في التحذير من تمزق الأمة وهوانها:

وهي أحاديث تشير إلى أن من عقوبات الله تعالى لهذه الأمة نتيجة تفرطيها في هدي ربها، ووصايا نبيها الفرقة التي تحصل بينها، والتي تجعلها ضعيفة، ولقمة سائغة لأعدائها ينهشونها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 647] قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) قيل: من قلة؟ قال: (لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم بحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت)[3]

[الحديث: 648] قال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)[4]

[الحديث: 649] قال رسول الله ﷺ: (يكون بعدي قوم يأخذون الملك يقتل عليه بعضهم بعضا)[5]

[الحديث: 650] قال رسول الله ﷺ: (سألت ربي أربعا، فأعطاني ثلاثا، ومنعني واحدة، سألته ألا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلكت الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها)[6]

1() رواه الترمذي وقال: صحيح غريب وابن حبان والنسائي، سبل الهدى والرشاد (10/139)

2() رواه الحسن، سبل الهدى والرشاد (10/164)

3() رواه الطيالسي، سبل الهدى والرشاد (10/162)

4() رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد (10/97)

5() رواه ابن أبي شيبة والطبراني في الكبير رواه أبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/94)

6() رواه أحمد والطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/160)

[الحديث: 651] قال رسول الله ﷺ: (سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)[1]

[الحديث: 652] وهو يشير إلى ما يفعله الأتراك بالمسلمين، وهو ما تحقق في الكثير من الفترات التاريخية[2]، وربما يشير إلى أحداث لاحقة في المستقبل، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (يجيء قوم صغار العيون، عراض الوجوه كأن وجوههم الحجف، فيلحقون أهل الإسلام بمنابت الشيح كأني أنظر إليهم، وقد ربطوا خيولهم بسواري المسجد)، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: (الترك)[3]

[الحديث: 653] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة) وفي لفظ: (قوما وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر)، وفي لفظ: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله، وماله)[4]

[الحديث: 654] قال رسول الله ﷺ: (إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه صغار الأعين، حتى كأن وجوههم الحجف ثلاث مرات، حتى يلحقوهم بجزيرة العرب، أما السابقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأما الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما الثالثة فيصطلمون من بقي منهم)، قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: (الترك والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى جنب سواري المسلمين)[5]

[الحديث: 655] قال رسول الله ﷺ: (لتظهرن الترك

1() رواه ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن خذيمة وابن حبان، سبل الهدى والرشاد (10/161)

2() أشرنا إلى الكثير من التفاصيل التاريخية المرتبطة بذلك في مقال بعنوان: أيهما أكثر جرما: العثمانيون أم الصفويون؟، من كتاب: صفحات من أسفار المجد المزيف (ص: 193)

3() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/93)

4() رواه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي، سبل الهدى والرشاد (10/93)

5() رواه أحمد والبزار والحاكم بسند صحيح، سبل الهدى والرشاد (10/93)

على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم)[1]

[الحديث: 656] قال رسول الله ﷺ: (اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء)[2]

[الحديث: 657] قال رسول الله ﷺ: (كأني بالترك قد أتتكم على براذين محدمة الآذان حتى تربطها بشط الفرات)[3]

د ـ ما ورد في التحذير من التثاقل إلى الدنيا:

وهي أحاديث كثيرة تشير إلى أن ما يحصل للأمة من فتن هو بسبب انغماسها في الترف والأهواء، كما قال تعالى مخبرا عما وقع في أتباع الأنبياء من ذلك بسبب هجرهم لوصايا أنبيائهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: 169]

ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 658] قال رسول الله ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فقال قائلٌ: من قلة نحن يومئذ؟ فقال: (بل أنتم يومئذ كثيرون، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن)، قيل وما الوهن يا رسول الله؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت)[4]

[الحديث: 659] قال رسول الله ﷺ: (إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم، فتنا كقطع الدخان، يموت فيها قلب الرجل المؤمن كما يموت بدنه يصبح الرجل مؤمنا، ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع فيها قوم أخلاقهم، ودينهم بعرض من الدنيا قليل)[5]

[الحديث: 660] قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الليالي والأيام حتى يقوم القائم، فيقول: من يبيعنا دينه بكف من

1() رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/93)
2() رواه الطبراني وأبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/93)
3() رواه الطبراني والحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/93)
4() أبو داود (4297) وقال الألباني: صحيح (3610)
5() رواه ابن أبي شيبة وأحمد، سبل الهدى والرشاد (10/145)

دراهم؟)[1]

[الحديث: 661] قال رسول الله ﷺ: (أصابتكم فتنة الضراء فصبرتم، وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة السراء من قبل النساء إذا تسورن الذهب، ولبسن ريط الشام، وعصب اليمن وأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد)[2]

[الحديث: 662] قال رسول الله ﷺ: (إذا مشت أمتي المطيطاء[3] وخدمتها أبناء الملوك وفارس والروم، سلط شرارها على خيارها)[4]

[الحديث: 663] قال رسول الله ﷺ: (إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها، لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)[5]

[الحديث: 664] قال رسول الله ﷺ: (والله، ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوا كما تنافسوا وتلهيكم كما ألهتهم)[6]

[الحديث: 665] قال رسول الله ﷺ: (هل لكم من أنماط؟) قلنا: يا رسول الله، وأنى لنا أنماط؟ قال: (إنها ستكون لكم أنماط، فأنا أقول اليوم لامرأتي نحي عني أنماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله ﷺ إنها ستكون لكم أنماط بعدي)[7]

[الحديث: 666] قال رسول الله ﷺ: (عسى أن تدركوا زمانا حتى يغدى على أحدكم بجفنة، ويراح عليه بأخرى، وتلبسون أمثال أستار الكعبة)، قالوا: يا رسول الله، أنحن اليوم خير أم ذاك اليوم؟ قال:(بل أنتم اليوم خير، أنتم اليوم متحابون، وأنتم يومئذ متباغضون، يضرب بعضكم رقاب بعض)[8]

1() رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/145)
2() رواه الخطيب، سبل الهدى والرشاد (10/164)
3() المطيطاء: مشية فيها تبختر ومد اليدين.
4() الترمذي (2261)
5()رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد (10/71)
6()رواه البخاري ومسلم،، سبل الهدى والرشاد (10/71)
رواه البخاري ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/71)
7() رواه البخاري ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/71)
8() رواه الإمام أحمد، والحاكم وصححه، سبل الهدى والرشاد (10/71)

[الحديث: 667] قال رسول الله ﷺ: (ستفتح مشارق الأرض ومغاربها على أمتي ألا وعمالها في النار، إلا من اتقى الله، وأدى الأمانة)[1]

[الحديث: 668] قال رسول الله ﷺ: (لعلكم ستفتحون بعدي مدائن عظاما، وتتخذون في أسواقها مجالس، فإذا كان ذلك فردوا السلام، وغضوا من أبصاركم، وأهدوا الأعمى، وأعينوا المظلوم)[2]

[الحديث: 669] قال رسول الله ﷺ: (إنكم ستدركون زمانا من أدركه منكم يلبسون فيه مثل أستار الكعبة، ويغدى ويراح عليه بالجفان)[3]

[الحديث: 670] قال رسول الله ﷺ: (يظهر معدن في أرض بني سليم، يقال له: فرعون أو فرعون وذلك بلسان أبي الجهم قريب من السواء يخرج إليه شرار الناس، أو يحشر إليه شرار الناس)[4]

[الحديث: 671] عن ابن عمر قال: أتى رسول الله ﷺ بقطعة من ذهب كانت أول صدقة جاءته من معدن لنا، فقال: (إنها ستكون معادن وسيكون فيها شر الخلق)[5]

[الحديث: 672] عن رافع بن خديج عن رجل من بني سليم عن جده أنه أتى رسول الله ﷺ بفضة، فقال: من معدن لنا؟ فقال النبي ﷺ: (إنه سيكون معادن يحضرها شرار الناس)[6]

[الحديث: 673] قال رسول الله ﷺ: (إنها ستفتح عليكم الدنيا حتى تتخذوا بيوتكم كما نتخذ الكعبة،) قلنا: ونحن على ديننا اليوم؟ قال: (وأنتم على دينكم اليوم)، قلنا فنحن يومئذ خير أم ذلك اليوم؟ قال: (بل أنتم اليوم خير)[7]

هـ ـ ما ورد في التحذير من الانحرافات الاجتماعية:

وهي أحاديث كثيرة تشير إلى أن من مظاهر الابتعاد عن

1() رواه أبو نعيم في الحلية، سبل الهدى والرشاد (10/71)
2() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/72)
3() رواه البغوي، سبل الهدى والرشاد (10/72)
4() رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/125)
5() رواه الطبراني برجال الصحيح رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/125)
6() رواه ابن أبي شيبة رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/125)
7() رواه البزار برجال ثقات، والطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/135)

دين الله وهجر وصايا رسول الله ﷺ الوقوع في الانحرافات الاجتماعية التي وقعت فيها سائر الأمم نتيجة بعدها عن دينها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 674] قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط الساعة الفحش والتفحش، وسوء الجوار، وقطع الأرحام، وأن يؤتمن الخائن، ويخون الأمين، كمثل القطعة الذهب الجيدة أوقد عليها، فخلصت ووزنت فلم تنقص، ومثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا، ألا إن أفضل الشهداء المقسطون، ألا إن أفضل المهاجرين من هجر ما حرم الله عليه، إلا أن أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده، ألا إن حوضي طوله كعرضه أبيض من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد النجوم من أقداح الذهب والفضة، من شرب منه شربة لم يظمأ آخر ما عليها أبدا)[1]

[الحديث: 645] قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد)[2]

[الحديث: 646] قال رسول الله ﷺ: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج)، قيل: يا رسول الله، إنا لنقتل في العام الألف والألفين من المشركين؟ قال: (لا أعني ذلك، ولكن يقتل بعضكم بعضا)، قالوا: يا رسول الله أنى يقتل بعضنا بعضا، ونحن أحياء ونفعل؟ قال: (يميت الله قلوب أهل ذلك الزمان كما يميت أبدانهم)[3]

[الحديث: 677] قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط الساعة إخراب العامر، وإعمار الخراب، وأن يكون الغزو فداء، وأن يتمرس الرجل بأمانته كما يتمرس البعير بالشجرة)[4]

[الحديث: 678] قال رسول الله ﷺ: (بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا

1() رواه الخرائطي في (مساوئ الأخلاق)، سبل الهدى والرشاد (10/164)

2() رواه أبو داود الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة، سبل الهدى والرشاد (10/164)

3() رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والحارث والبخاري ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/146)

4() رواه البغوي وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/164)

قليل)[1]

[الحديث: 679] قال رسول الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)[2]

[الحديث: 680] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما يأكل البقر بألسنتهم من الأرض)[3]

[الحديث: 681] عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأينا أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر، دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أكرمه ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)[4]

[الحديث: 682] قال رسول الله ﷺ: (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة)[5]

[الحديث: 683] قال رسول الله ﷺ: (أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مصل لا خلاق له عند الله)[6]

[الحديث: 684] قال رسول الله ﷺ: (أول لما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة)[7]

[الحديث: 685] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة

1() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/164)
2() رواه مسلم رواه أبو يعلى، سبل الهدى والرشاد (10/125)
3() رواه مسدد وابن أبي شيبة وأحمد والضياء في المختارة والنسائي، سبل الهدى والرشاد (10/126)
4() رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد (10/126)
5() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/126)
6() رواه الحكيم الترمذي، سبل الهدى والرشاد (10/126)
7() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/126)

حـتى يقبض العلم، وتكـثر الـزلازل، ويتقـارب الزمـان، وتظهـر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض)[1]

[الحديث: 686] قال رسول الله ﷺ: (ليكونن من أمـتي قومٌ يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينـزلن أقـوامٌ إلى جنب علم تـروح عليهم سـارحةٌ لهم، فيـأتيهم رجـلٌ لحاجـة فيقولون ارجع إلينا غدا، فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة) [2]

[الحديث: 687] قال رسول الله ﷺ: (سـيكون في آخـر أمتي رجال يركبـون على سـروج كأشـباه الرحـال يـنزلون على أبـواب المسـاجد، نسـاؤهم كاسـيات عاريـات، على رؤوسـهم كأسنمة البخت فالعنوهن فإنهن ملعونات لو كـانت وراءكم أمـة من الأمم، لخدم نساؤكم نساءهم كما خـدمتكم نسـاء الأمم من قبلكم) ولفـظ الطـبراني: (سـيكون في أمـتي رجـال يـركب نساؤهم على سروج كأشباه الرجال)[3]

[الحديث: 688] قـال رسـول اللـه ﷺ: (إذا رأيتم اللاتي ألقين على رؤوسهن مثل أسنمة البقر، فأعلموهن أنهن لا تقبـل لهن صلاة)[4]

[الحديث: 689] قال رسول الله ﷺ: (صـنفان من أهـل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضـربون بهـا النـاس، ونسـاء كاسـيات عاريـات مميلات مـائلات رؤوسـهن كأسنمة البخت المائلـة، لا يـدخلن الجنـة ولا يجـدن ريحهـا، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا!)[5]

[الحديث: 690] وهو ما يشير إلى ظـواهر العنـف الـتي تحدث بين المسلمين، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (ستكون فتنةٌ صماء بكماء عميـاء، من أشـرف لهـا استشـرفت لـه، وإشـراف اللسان فيها كوقوع السيف)[6]

[الحديث: 691] قـال رسـول اللـه ﷺ: (من مشـى إلى رجل من أمتي ليقتله فليقل هكذا، فالقاتل في النـار والمقتـول

1() رواه البخاري، سبل الهدى والرشاد (10/127)
2() ذكره البخاري تعليقًا (5590)
3() رواه أحمد والطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/135)
4() رواه الطبراني في الكبير، سبل الهدى والرشاد (10/136)
5() رواه أحمد ومسلم، سبل الهدى والرشاد (10/136)
6() أبو داود (4264)

في الجنة)[1]

[الحديث: 692] وهو ما يشير إلى انتشار التشاؤم والانتحار بسبب البعد عن الدين الحقيقي وقيمه النبيلة، ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانك)[2]

[الحديث: 693] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على القبر، فيقول: لوددت أني مكان صاحبه لما يلقى الناس من الفتن)[3]

[الحديث: 694] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يرى الحي الميت على أعواده، فيقول: يا ليته كان مكان هذا، فيقول له القائل: هل تدري على ما مات؟ فيقول كائن ما كان)[4]

[الحديث: 695] قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء)[5]

و ـ ما ورد في الطائفة الناجية من الفتن:

وهي أحاديث تتوافق مع القرآن الكريم بالإضافة إلى توافقها مع العقل والفطرة السليمة:

أما توافقها مع القرآن الكريم؛ فيدل عليه ما ورد فيه من الإشارة إلى أن وقوع جميع الأمة في الباطل يعني انتصاره على الحق مع أن الله تعالى أخبر أن الحق لن ينطفئ نوره أبدا، كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: 8]، وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81]

وأخبر عن بني إسرائيل أنهم لم يجمعوا على تحريف الدين، بل بقيت منهم طائفة صالحة، إلى أن جاء الإسلام فاتبعته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: 159]

1() أبو داود (4260)

2() رواه الإمامان مالك وأحمد والبخاري ومسلم والبيهقي، سبل الهدى والرشاد (10/144)

3() رواه نعيم بن حماد في الفتن، سبل الهدى والرشاد (10/144)

4() رواه الديلمي، سبل الهدى والرشاد (10/144)

5() رواه مسلم وابن ماجه، سبل الهدى والرشاد (10/144)

وأخبر عن أن هذا سنة جميع الأقوام، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود: 116]

وأما دلالة العقل والفطرة على ذلك؛ فإن من رحمة الله تعالى بعباده، ورعايته لهم، أن يوفر لهم سبل الهداية في كل الأجيال؛ فلا يبقى جيل إلا ويجد من يمكنه أن يستند إليه في الهداية.

بالإضافة إلى أن ذلك أيضا مما تقتضيه العدالة في الاختبار والابتلاء، ففي كل عصر يوجد الصالحون الذين تجب موالاتهم، والمنحرفون الذين تجب البراءة منهم، وربما قتالهم، ولهذا ورد في الأحاديث تحديد أوصافهم وأماكنهم وأنواع الفتن التي تظهر منهم، حتى يكون ذلك علامة على تمييز الصالحين من غيرهم.

ومن تلك الأحاديث المصرحة بهذا، أو المشيره إليه:

ما ورد في الحديث من أن الأمة لا تجتمع على ضلالة:

وهي أحاديث متوافقة مع القرآن الكريم والفطرة والعقل السليم، ذلك أن الله تعالى جعل هذه الأمة هي طوق النجاة لكل البشر، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]

ولذلك إن وقع الانحراف فيها جميعا، ارتفعت عناية الله تعالى بعباده، بتوفير كل فرص الهداية لهم، وذلك مستحيل، ومن الأحاديث الواردة في هذا:

[الحديث: 696] ما ورد في الحديث من أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وهو ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: (إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة)[1]

والمراد بالإجماع هنا إجماع الأمة، لا إجماع الطائفة الذي عبر عنه أحمد بقوله: (من ادعى الإجماع فقد كذب، وما يدريك لعلهم اختلفوا)[2]، ذلك أنه لا يصح أن يسمى هذا النوع إجماعا، فالأمة الإسلامية تشمل جميع الطوائف، لا طائفة بعينها، ولذلك فإن الذي يذكر الإجماع يحتاج أن يعرف موقف المدارس الإسلامية المختلفة من القضية المطروحة.

1() أبو داود 4/98، حديث 4253، وابن ماجه، حديث رقم3950.

2() إقامة الدليل على إبطال التحليل ص275.

[الحديث: 697] قال رسول الله ﷺ: (إن الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم، فتهلكوا جميعا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة)[1]

أما ما روي في رواية أخرى: (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم)[2]

فغير صحيحة، وتتنافى مع ما ورد في القرآن الكريم من ذم الكثرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]، كما تتنافى مع الأحاديث الواردة في مدح الغرباء والصالحين وبيان قلتهم.

ما ورد في الحديث من أنه ستبقى طائفة ملتزمة بالحق:

وهي أحاديث متفق عليها بين المدارس الإسلامية، وللأسف الكل يدعيها مع عدم مراعاة شروطها، وهي تطبيق جميع وصايا رسول الله ﷺ، وعدم الاقتصار على بعضها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 698] قال رسول الله ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)[3]

[الحديث: 699] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار، ويخون الأمين)، قيل: يا رسول الله! فكيف المؤمن يومئذ؟ قال: (كالنخلة وقعت ولم تفسد، وأكلت فلم تكسر، ووضعت طيبا)[4]

[الحديث: 700] قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان تحل فيه الغربة، ولا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق، أو من جحر إلى جحر، كالطائر بفراخه، وكالثعلب بأشباله، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعتزل الناس إلا من خير)[5]

[الحديث: 701] قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل

1() ابن ماجه، رقم3950.
2() سنن ابن ماجه (٣٩٥٠)
3() البخاري 6/731، حديث 3641، ومسلم 3/1524.
4() البزار (6/407/2432)
5() رواه الحارث، سبل الهدى والرشاد (10/164)

عيسى، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)[1]

[الحديث: 702] ما ورد في الحديث من تحول الإسلام إلى دين غريب، وفضل الغرباء الذين يتمسكون فيه، ومنها قوله ﷺ: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء)[2]

وفي رواية: قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: (النُّزَّاع من القبائل[3])[4]

وفي رواية: (الَّذين يُصْلِحون إذا فسد الناس)[5]

وفي رواية: قيل: ومن الغرباء؟ قال: (الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم)[6]

[الحديث: 703] قوله ﷺ: (إنَّ الإسلام بدأ غريبًا، ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء، الذين يُصْلِحونَ ما أفْسَدَ الناس بعدي من سُنَّتي)[7]

[الحديث: 704] قوله ﷺ: (طوبى للغرباء)، قيل: وما الغرباء؟ قال: (قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، مَنْ يَعصيهِمْ أكثَرُ مِمَّن يُطيعهم)[8]

ما ورد فيمن يشتاق إليهم رسول الله ﷺ:

وهي محل اتفاق من الأمة وتدل على أن المعية الحقيقية لرسول الله ﷺ ليست خاصة بالصحابة فقط، وإنما هي شاملة لجميع العصور، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 705] قال رسول الله ﷺ: (إن أناسا من أمتي يأتون بعدي يود أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله)[9]

[الحديث: 706] روي أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا) قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد)،

1() مسلم (156)
2() رواه مسلم (208)
3() أي من القبيلة الرجل والرجلان.
4() ابن ماجه (3978)
5() السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (1/ 25) وغيره.
6() حلية الأولياء، (1/ 25)
7() الترمذي (2630)
8() أحمد (2/ 177)
9() رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (10/117)

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: (أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟)، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم؛ فيقال إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا)[1]

ما ورد في شأن مواطن الفئة المنصورة وغيرها:

وهي أحاديث كثيرة، تعرضت للتأويل بسبب عدم مراعاتها للأحاديث الأخرى، وخاصة المتعلقة بوصايا رسول الله ﷺ، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 707] قوله ﷺ: (اللهم بارك لنا في شأمنا وفي يمننا. قالوا: وفي نجدنا ؟ قال: اللهم بارك لنا في شأمنا وفي يمننا. قالوا: وفي نجدنا ؟ قال: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان)[2]

وهذا الحديث مع أحاديث أخرى كثيرة يشير إلى المواطن التي تظهر فيها الفتن، وتنتشر في العالم الإسلامي، كما يدل على المواضع المباركة، والتي تساهم في وعي الأمة وخروجها من الفتن.

ونحب أن ننبه هنا مجموعة تنبيهات ترتبط بالحديث:

1. أن هذا الحديث لا يعني أن كل سكان الشام واليمن مباركون، وكل سكان نجد أهل فتنة؛ فالحديث لا يقصد ذلك، وهو يتنافى مع قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، ولكن المقصود هو ربط تلك الجهات بأحداث تقع فيها، مما يدخل في النبوءات الغيبية.

2. أن الجهات الشامية أو اليمنية التابعة لنجد في فكرها ومواقفها نجدية وليست شامية ولا يمنية، ذلك أن العبرة ليست بالأماكن، وإنما بالأفكار والمواقف، وقد ظهرت أكثر الفتن التي فرقت صف الأمة، ونشرت الأحقاد بينها، في منطقة نجد المعروفة، حتى أن الرسائل والكتب التي صدرت منها إبان

1() رواه مسلم (367)

2() رواه البخاري (1037) ومسلم (2905)

الدعوة الوهابية سميت [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية]

3. أنه مع وضوح الحديث، ودلالته على نجد التي يعرفها العالم أجمع إلا أن المؤولة حاولوا صرفها عن محالها الحقيقية، وتحويل المقصود منها إلى العراق، مع أن كل العلماء قبل الدعوة الوهابية، كانوا يفهمون من نجد المنطقة المعروفة، كما قال ابن تيمية الذي يستند إليه أصحاب الدعوة السلفية في أكثر أطروحاتهم: (قد تواتر عن النبي ﷺ إخباره بأن الفتنة ورأس الكفر من المشرق الذي هو مشرق مدينته كنجد وما يشرق عنها).. ثم ساق بعض الأحاديث الواردة في ذلك في الصحيحين وغيرهما إلى أن قال: (ولا ريب أن من هؤلاء ظهرت الردة وغيرها من الكفر، من جهة مسيلمة الكذاب وأتباعه وطليحة الأسدي وأتباعه، وسجاح وأتباعها، حتى قاتلهم أبو بكر الصديق ومن معه من المؤمنين، حتى قتل من قتل، وعاد إلى الإسلام من عاد مؤمنا أو منافقا) (1)

بالإضافة إلى ذلك؛ فإن معنى النجد في اللغة هو المرتفع، والرياض التي هي قاعدة نجد يبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض 635 مترًا، أما ارتفاع العراق التقريبي عن سطح البحر فلا يعدو (34 مترًا)

[الحديث: 708] ما ورد في الإشارة إلى دور فارس في خروج الأمة من الفتنة، ودورها في التمهيد للإمام المهدي، وقد سبق ذكر بعض الأحاديث في ذلك عند الحديث عن الإمام المهدي، ومن تلك الأحاديث ما ورد في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: 38]، فقد روي عن أبي هريرة أنه قال: تلا رسول الله هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ــ أي سلمان الفارسي ــ ثم قال: (هذا وقومه)(2)

والآية واضحة في تهديد الله سبحانه وتعالى للعرب الذين نزل القرآن الكريم بين ظهرانيهم أنهم في حال توليهم وتخليهم عن الدور المناط بهم، سيتولى ذلك قوم آخرون، وأنهم سيؤدون الأمانة بصدق وإخلاص، وأنهم لن يكونوا أمثال

---

(1) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج 1 ص 17 - 24.

(2) رواه الترمذي، ح(3260)

القوم الأولين الذين شوهوا الرسالة.. وقد وضح رسول اللـه ﷺ في الحديث أن هؤلاء البدائل هم سلمان وقومه.

[الحديث: 709] وهـو مـا ورد في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعـة: 3]، فقد أخبر رسول الله ﷺ أن مصداق هذه الآية منطبـق على فارس، فعن أبي هريرة، قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فأنـزلت عليه سورة الجمعـة: ﴿ وَآخَـرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُـوا بِهِمْ ﴾ قـالوا: من هم يـا رسـول اللـه؟ فلم يـراجعهم حـتى سـئل ثلاثـا، وفينـا سلمان الفارسي، فوضـع رسـول اللـه ﷺ يـده على سـلمان ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريـا لنالـه رجـال ـ أو: رجـل ـ من هؤلاء)[1]

[الحديث: 710] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ـ وذكرت عنده فارس ـ فقال: (فارس عصبتنا أهل البيت)[2]

[الحديث: 711] عن أبي هريرة قال: (ذكرت الموالي أو الأعاجم عند رسول الله ﷺ فقال: (والله لأنا أوثق بهم منكم، أو من بعضكم)[3]

وهذا يدل على اشتهار ذلك في الزمن الأول، حتى أنه روي أن الأشعث جاء إلى الإمـام علي؛ فجعـل يتخطى الرقـاب حـتى قرب منه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، يعني العجم، فركض المنبر برجله حتى قال صعصـعة بن صوحان: مـا لنـا وللأشـعث! ليقـولن أمـير المؤمـنين اليـوم في العرب قولاً لا يزال يـذكر، فقـال الإمـام علي: (من عـذيري من هـؤلاء الضـياطرة، يتمـرغ أحـدهم على فراشـه تمـرغ الحمـار، ويهجر قوما للذكر! أفتأمرني أن أطـردهم؟! مـا كنت لأطـردهم فـأكون من الجـاهلين، أمـا والـذي فلـق الحبـة وبـرأ النسـمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً)[4]

ويـدل لهـذا الكثـير من الأحـاديث الـواردة في المصـادر الشيعية، ومنها ما روي عن الإمام الكاظم أنه قـال: (رجـل من قم، يـدعو النـاس إلى الحـق، يجتمـع معـه قـوم قلـوبهم كزبـر الحديـد، لا تـزلهم الريـاح العواصـف، لا يملـون من الحـرب ولا

1() رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، تفسير ابن كثير، (8/ 116)

2() رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (1/ 11)، والديلمي (2/ 332)

3() رواه أبو نعيم في ذكر أصبهان، ص 12.

4() رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج: 20 / 284.

يجبنون، وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين)[1]

ما ورد في البشارة بانتصارات الطائفة المنصورة:

وهي متوافقة مع ما ورد في القرآن الكريم من الإشارة إلى انتصار المستضعفين، وظهور الإسلام على الدين كله، وتخلص البشرية من كل الطواغيت والدجالين.

وقد سبق ذكر بعض الأحاديث المرتبطة بانتصارات الإمام المهدي، ومنها غيرها، والتي لم يحدد فيها قادة الانتصار، ونحن نوردها لا من باب قبولها قبولا مطلقا، لأنها قد تكون من إضافات الرواة، ولكنا كذلك لا يمكننا رفضها؛ فقد تكون صحيحة إلى رسول الله ﷺ، وليس في العقل ولا في القرآن الكريم ما ينفيها.. ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 712] قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلمٌ، يا عبد الله، هذا يهوديٌ خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود)[2]

[الحديث: 713] قال رسول الله ﷺ: (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهوديٌ ورائي، فاقتله)[3]

ولا يستغرب حصول مثل هذه الكرامات الإلهية، وهو يدل على أن الذين يتمكنون من الانتصار على اليهود في قمة التقوى والصلاح، وليسوا مجرد جنود عاديين.

[الحديث: 714] قال رسول الله ﷺ: (ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة [واد في المدينة]، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلي حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته، فيوثقها رباطا مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي

---

[1] () بحار الأنوار: 60 / ـ 216، وقد نقلها صاحب البحار عن كتاب تاريخ قم لمؤلفه الحسن بن محمد الحسن القمي الذي ألفه قبل أكثر من ألف سنة.

[2] () البخاري (2926)،ومسلم (2922)

[3] () البخاري (3593)، ومسلم (2921)

ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهوديٌ تحتي فاقتله) [1]

[الحديث: 715] قال رسول الله ﷺ: (بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج المسيح الدجال في السابعة)[2].

وكل هذه الأحاديث السابقة محل اتفاق بين الأمة جميعا، وقد روي عن أئمة الهدى الإشارة إلى مكان الملحمة في مرج ابن عامر من عكا ويافا على الساحل حتّى القدس في السهل الفلسطيني، ويشيرون الى زمانها وأنها بعد ظهور الإمام المهدي وتحريره القدس من قبضة اليهود ونقض الروم الهدنة معه التي توسط فيها المسيح عليه السلام بعد نزوله[3].

وهي محل اتفاق بين اليهود والمسيحيين سواء كانوا من رجال دينهم أو سياسييهم؛ فهم يذكرون معركة هرمجدون ــ أو الملحمة الفاصلة ـ كما يسميها المسلمون ـ ويهتمون بها، تقول الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل) في كتابها: (النبوءة والسياسة): (أظهرت دراسة لمؤسسة سن لنسن نشرت في اكتوبر ١٩٨٥ أن واحداً وستين مليون أمريكي يستمعون بانتظام إلى مذيعين يبشرون على شاشات التلفزيون الأمريكي بقرب وقوع معركة هرمجدون، وبأنها ستكون معركة نووية، وأن الشعوب المسيحية يجب أن تستعد لخوض هذه المعركة الرهيبة) [4]

وفي استطلاع للرأي أجراه الواعظ الأمريكي (هول لندساي): (أثبت أن ٧٢.٥% من المسيحيين الأمريكيين أكدوا أنهم يعتقدون أن الحرب قادمة وستؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى وقوع معركة هرمجدون)[5]

وتذكر الكاتبة: (أن النبوءات التوراتية تحولت في الولايات المتحدة الامريكية الى مصدر يستمد منه عشرات الملايين من الناس نسق معتقداتهم ومن بينهم أناس يرشحون أنفسهم لانتخابات الرئاسة الامريكية وكلهم يعتقدون قرب نهاية العالم ووقوع معركة هرمجدون، ولهذا فهم يشجعون التسلح النووي

1() رواه أحمد (9/255)

2() أبو داود (4296)

3() انظر مقالا بعنوان: معركة هرمجدون الفاصلة، حسن عبد الأمير الظالمي، مجلة الانتظار، وقد استفدنا الاقتباسات الواردة في هذا المحل من مقاله.

4() د. أحمد حجازي، معركة هرمجدون وعودة المسيح والمهدي المنتظر، ص ٦٦.

5() المرجع السابق، ص44.

ويستعجلون وقوع هذه المعركة باعتبار ان ذلك سـيقرب مجيء المسيح) [1]

ومن الأمثلة على هذا ما تحدث به الرئيس الامـريكي ريكن عام ١٩٨٠ مع المذيع الانجيلي (جيم بيكر) في مقابلة تلفزيونيـة أجريت معـه، فقـد قـال: (إننـا قـد نكـون الجيـل الـذي سيشـهد معركـة هرمجـدون)، وفي تصـريح آخـر لـه: (ان هــذا الجيــل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون) [2]

أما الرئيس الأمريكي بوش؛ فقد كان مهتما بها كثيرا، وقـد قالت عنه مجلة [دير شبيغل] الالمانية: (منذ ذلك الـوقت أصـبح بوش واحداً من الستين مليون أمريكي الـذين يؤمنـون بـالولادة الثانية للمسيح وهذا ما دعاه الى القـول: بـأن المسـيح هـو أهم الفلاسـفة السياسـيين في جميـع الأزمنـة لأنـه سـاعدني على التوقف عن شرب الخمر) [3]

وورد في تقرير لمنظمة حقوق الإنسـان صـدر في قـبرص عـام ١٩٩٠: (توجـد هيئـات وجمعيـات سياسـية وأصـولية في الولايات المتحدة وكل دول العالم تتفق في أن نهاية العـالم قـد اقتربت، واننـا نعيش الآن في الأيـام الأخـيرة الـتي سـتقع فيهـا معركـة هرمجـدون، وهي المعركـة الفاصـلة الـتي سـتبدأ بقيـام العالم بشن حـرب ضـد اسـرائيل، وبعـد ان ينهـزم اليهـود يـأتي المسـيح ليحاسـب أعـداءهم ويحقـق النصـر، ثم يحكم المسـيح العالم لمدة ألف عام يعيش العالم في حب وسلام كاملين)[4]

ونحب أن ننبــه هنــا إلى أنــه ورد في [قــاموس الكتــاب المقدس] تحديد لمكانها، وهو يتوافق مع مـا ورد في الروايـات، فقد جاء فيه: (تقع مجدون في مرج ابن عامر، وزاد في قيمتهـا الاسـتراتيجية أنهـا تقـع على خـط المواصـلات بين القسـمين الشمالي والجنـوبي من فلسـطين.. وهرمجـدون: كلمـة عبريـة مكونة من مقطعين، هر أو هار: بمعنى جبل، مجدون: اسـم وادٍ في فلسطين يقع في مـرج ابن عـامر على بعـد ٥٥ ميلاً شـمال تـل أبيب و٢٠ ميلاً جنـوب شـرق حيفـا وعلى بعـد ١٥ ميلاً من شـاطيء البحـر المتوسـط، وتعـرف مجـدون الآن باسـم (تـل

1() معركة هرمجدون، ص67.
2() معركة هرمجدون، ص68.
3() النبوءة والسياسة، ص ٤٧.
4() أحمد السقا، عودة المسيح المنتظر، ص٧١.

المتسلم) وكلمة هرمجدون: بمعنى جبل مجدون)[1]

[الحديث: 715] عن عبد الله بن عمرو قال: بينما نحن عند النبي ﷺ نكتب، إذ سئل: أي المدينتين تفتح أولا، قسطنطينة أو رومية؟ فقال: (لا بل مدينة هرقل أولا)[2]

وليس المراد بالفتح هنا ما اشتهر في التاريخ من الغزو العسكري، وإنما يراد به انضمام هاتين المدينتين لمعسكر الصالحين.

1() قاموس الكتاب المقدس للدكتور بطرس عبد الملك ص٩٩.
2() الدارمي (486)

الفصل الرابع

الامتداد الرسالي والفتن التي تعرض له في المصادر الشيعية

من خلال استقرائنا للمضامين الواردة في المصادر الشيعية حول الامتداد الرسالي والفتن التي تعرض له نجد أن لها تشابها كبيرا بنظيراتها في المصادر السنية، وربما يعود ذلك لما ذكرناه في مقدمة الكتاب من اعتماد كلا المدرستين على ما كتبه نعيم بن حماد في [كتاب الفتن]، كما عبر عن ذلك علي بن موسى بن طاووس في كتابه [الملاحم والفتن] عند بيانه لقيمة كتاب أبي نعيم، وذكر أن ذلك بسبب كونه (..أقرب عهد بالصحابة والتابعين وقد زكاه جماعة من المفسرين)[1]، ثم ذكر بعض الروايات عن الأعلام الذين وثقوه، والذين ذكروا علاقته الطيبة بأصحاب الإمام علي، وروايته عنهم.

ولذلك؛ فإن معظم الخلاف بين المدرستين ليس في نصوص الأحاديث والروايات، وإنما في تطبيقها على المصاديق اللائقة بها، حيث نجد كل مصنف أو شارح لتلك الأحاديث يطبقها على ما يراه من الواقع الذي عاشه.

وبناء على هذا، وحتى لا نكرر الأحاديث التي سبق ذكرها؛ فسنقتصر على ما ورد من أحاديث ترتبط بزيادة بيان وتوضيح مصاديق الأحاديث الواردة في المصادر السنية، ذلك أن دور أئمة الهدى بالنسبة للسنة النبوية يشبه دور السنة بالنسبة للقرآن الكريم؛ فهي تزيده توضيحا وتبين طريقة تنفيذه.

وبناء على هذا سنذكر الأحاديث المرتبطة بالفتن المتعلقة بهجر وصية رسول الله ﷺ بأهل بيته عموما، وبالإمام علي خصوصا، ثم الفتن الناتجة عن ذلك، والتي يؤول إليها حال الأمة في الفترات التاريخية اللاحقة.

ونحب أن ننبه هنا أولئك المتسرعين الذين يستغربون أن يناط جميع أمر الأمة إلى الموقف من تلك الوصايا النبوية المرتبطة بخلافته إلى أن ذلك ليس مستغربا؛ فقد ربط الله تعالى مصير إبليس بسجدة واحدة لآدم عليه السلام، كما ربط

1() الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، ص 19.

مصير آدم وزوجه بالأكل من شجرة واحدة.. وهكذا كـان مصـير البشرية جميعا مرتبطا بتلك السجدة والأكلة.

وهو في الحقيقة ليس مرتبطا بها بقـدر ارتباطـه بـالتكليف الإلهي ومراعاتـه واحترامـه، ذلـك أن إبليس لم يعـاقب بسـبب عدم سـجوده لآدم، وإنمـا بسـبب تكـبره وبغيـه وحسـده.. ومن نفس الدوافع انطلق أولئك الذين استكبروا على وصـايا رسـول الله ﷺ الخاصة بخلافته وامتداد وظيفته.

وأما غـيرهم ممن لم يمـارس ذلـك الإقصـاء؛ فـإن تكليفـه الشرعي مرتبط بالقبول به، والرضا عنه، أو ممارسـة مـا فعلـه أولئك الذين ضيعوا الوصايا النبوية.

ولهذا نجد في الروايات الشيعية ربط كـل مـا حـدث للأمـة في تاريخهـا الطويـل من فتن بتقصـيرها في حـق الإمامـة، وتضييعها لها، ووضعها في غير أهلها، ثم ربط ذلـك بمـا ورد في القرآن الكريم من الإخبار عن تعرض هـذه الأمـة للابتلاء، مثلهـا مثـل سـائر الأمم، والـتي أخـبر اللـه تعـالى عن تضـييعهم لهـذا الجـانب، فقـال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَـالُوا إِنَّا نَصَـارَى أَخَـذْنَا مِيثَـاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِـهِ فَأَغْرَيْنَـا بَيْنَهُمُ الْعَـدَاوَةَ وَالْبَغْضَـاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَـوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَـا كَـانُوا يَصْـنَعُونَ﴾ [المائـدة: 14]

فالآية الكريمة تشير إلى أن ما حصـل من عـداوة وبغضـاء بين النصارى كان بسبب نسيانهم بعضـا ممـا ذكـروا بـه.. ومثـل ذلك أخـبر عن اليهـود، فقـال: ﴿ فَبِمَـا نَقْضِـهِمْ مِيثَـاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُـونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِـعِهِ وَنَسُـوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة: 13]

بناء على هذا، قسمنا هذا الفصل إلى خمسة أقسام:

الأول: تأسي أئمة الهدى برسول الله ﷺ بالاهتمام بـالفتن وأسبابها والحرص على التحذير منها مع بيان أن مصادرهم فيهـا هي ما توارثوه من رسول اللـه ﷺ من العلـوم، وليس من العلم بالغيب الذي يقول به الغلاة.

الثاني: ما ورد في شـأن هجـر الوصـية، وكيفيـة مواجهـة أئمة الهدى لها، وقد رأينا أن كل الأحاديث الـواردة فيهـا متفقـة مع نظيراتها في المصادر السنية، والتي تحـذر من تضـييع الأمـة لوصايا نبيها في حق عترتها.

الثالث: ما ورد في التحريفات الناتجة عن هجر الوصية.

الرابع: ما ورد في الفتن التي ستبتلى بها الأمة بسبب عدم مراعاتها للإمامة والامتداد الرسالي، وهي نتيجة طبيعية لهجر الوصية.

الخامس: ما ورد في شأن الناجين من الفتن وفضلهم وصفاتهم وفضل الممهدين للإمام المهدي.

أولا ــ اهتمام أئمة الهدى بالفتن ومصادرهم فيها:

وهي أحاديث كثيرة يذكر فيها أئمة الهدى أن مصادرهم في التعرف على الفتن هي القرآن الكريم والنبوة، وأن كل ما يذكرونه منها ليس من عندهم، ولا من آرائهم ولا من الاطلاع على الغيب، وإنما هي من العلوم التي لا يمكن أن تتحقق إمامتهم من دونها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 717] قال الإمام علي: (لا يقولنّ أحدكم: اللهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة، لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن، فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28])[1]

[الحديث: 718] بعد أن ذكر الإمام علي بعض النبوءات الغيبية، قال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟!، فضحك الإمام علي، وقال للرّجل وكان كلبيّا: (يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلّم من ذي علم، وإنّما علم الغيب: علم السّاعة، وما عدّده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34]، فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام: من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخيّ أو بخيل، وشقيّ أو سعيد، ومن يكون في النّار حطبا أو في الجنان للنّبيّين مرافقا، فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلّا الله، وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه ﷺ فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي)[2]

[الحديث: 719] سئل الإمام علي عن الفتنة، فقال: إنّه

1() نهج البلاغة: الحكمة(93)، والأمالي للطوسي: ص 580.

2() نهج البلاغة: الخطبة رقم(128)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص 118.

لمّا أنزل الله سبحانه قوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2] علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: (يا عليّ، إنّ أمّتي سيفتنون بعدي)، فقلت: يا رسول الله، أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنّي الشّهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: (أبشر فإنّ الشّهادة من ورائك)، فقال لي: (إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذا؟)، فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصّبر، ولكن من مواطن البشرى والشّكر، وقال: (يا عليّ، إنّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية؛ فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة، والرّبا بالبيع)، قلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أ بمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: (بمنزلة فتنة)[1]

[الحديث: 720] قال الإمام علي: (أمّا بعد حمد الله والثّناء عليه، أيّها النّاس، فإنّي فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها، واشتدّ كلبها، فاسألوني قبل أن تفقدوني، فو الّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين السّاعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة، إلّا أنبأتكم بناعقها، وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها، ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا، ومن يموت منهم موتا، ولو قد فقدتموني، ونزلت بكم كرائه الأمور، وحوازب الخطوب، لأطرق كثير من السّائلين، وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلّصت حربكم، وشمّرت عن ساق، وضاقت الدّنيا عليكم ضيقا، تستطيلون معه أيّام البلاء عليكم، حتّى يفتح الله لبقيّة الأبرار منكم) [2]

[الحديث: 421] قال الإمام علي في وقت الشورى بعد وفاة عثمان: (لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ، وصلة رحم، وعائدة كرم، فاسمعوا قولي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السّيوف، وتخان فيه العهود،

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(156)
2() نهج البلاغة: الخطبة رقم(93)، وكتاب سليم بن قيس: ص 712- 713.

حتّى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضّلالة، وشيعة لأهل الجهالة)[1]

[الحديث: 722] قال الإمام علي في خطبة له يحذر من الفتن: (وأحمد الله وأستعينه على مـداحر الشّـيطان ومزاجـره، والاعتصام من حبائله ومخاتله، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأشـهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، ونجيبه وصـفوته، لا يـؤازى فضـله، ولا يجبر فقده، أضـاءت بـه البلاد بعـد الضّـلالة المظلمـة، والجهالـة الغالبة، والجفوة الجافية، والنّاس يستحلّون الحريم، ويسـتذلّون الحكيم، يحيون على فترة، ويموتون على كفرة، ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتّقوا سكرات النّعمة، واحذروا بوائق النّقمة، وتثبّتوا في قتـام العشـوة، واعوجـاج الفتنـة، عنـد طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مـدارج خفيّـة، وتـؤول إلى فظاعـة جليّـة، شـبابها كشـباب الغلام، وآثارها كآثار السّلام، يتوارثها الظّلمة بالعهود، أوّلهم قائد لآخـرهم، وآخـرهم مقتـد بـأوّلهم، يتنافسـون في دنيـا دنيّـة، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرّأ التّابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عنـد اللّقـاء.. ثمّ يأتي بعد ذلـك طـالع الفتنـة الرّجـوف، والقاصـمة الزّحـوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضـلّ رجـال بعـد سـلامة، وتختلـف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لهـا قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكـادمون فيهـا تكـادم الحمـر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمـر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظّلمة، وتـدقّ أهـل البـدو بمسـحلها، وترضّهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقهـا الرّكبـان، تـرد بمـرّ القضـاء، وتحلب عبيـط الـدّماء، وتثلم منـار الـدّين، وتنقض عقـد اليقين، يهـرب منهـا الأكيـاس، ويـدبّرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيهـا الأرحـام، ويفارق عليها الإسلام، بريئها سـقيم، وظاعنهـا مقيم، بين قتيـل مطلول، وخائف مستجير، يختلون بعقد الأيمان، وبغرور الإيمان، فلا تكونوا أنصاب الفتن، وأعلام البـدع، والزمـوا مـا عقـد عليـه حبل الجماعة، وبنيت عليـه أركـان الطّاعـة، واقـدموا على اللـه مظلومين، ولا تقدموا عليه ظـالمين، واتّقـوا مـدارج الشّـيطان، ومهابط العدوان، ولا تدخلوا بطونكم لعـق الحـرام؛ فـإنّكم بعين

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(139)، وتاريخ الطبري: ج 3 ص 300.

من حرّم عليكم المعصية، وسهّل لكم سبل الطّاعة)[1]
[الحديث: 723] قال الإمام علي: (أيّها النّاس، لا يجرمنّكم شقاقي، ولا يستهوينّكم عصياني، ولا تتراموا بالأبصار عند ما تسمعونه منّي، فو الّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، إنّ الّذي أنبّئكم به عن النّبيّ الأمّيّ ﷺ ما كذب المبلّغ، ولا جهل السّامع.. لكأنّي أنظر إلى ضلّيل قد نعق بالشّام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرته، واشتدّت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، عضّت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيّام كلوحها، ومن اللّيالي كدوحها.. فإذا أينع زرعه، وقام على ينعه، وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبلن كاللّيل المظلم، والبحر الملتطم.. هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف، ويمرّ عليها من عاصف، وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون، ويحصد القائم، ويحطم المحصود) [2]
[الحديث: 724] قال الإمام علي: (إنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته.. فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيّان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو.. فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في النّاس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأنّ الضّلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا. فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا على الجماعة، كأنّهم أئمّة الكتاب، وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه، ولا يعرفون إلّا خطّه وزبره، ومن قبل ما مثّلوا بالصّالحين كلّ مثلة، وسمّوا صدقهم على الله فرية، وجعلوا في الحسنة عقوبة السّيّئة)[3]
[الحديث: 725] قال الإمام علي: (إنّما سمّيت الشّبهة شبهة؛ لأنّها تشبه الحقّ، فأمّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين،

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(151)، وبحار الأنوار: ج 34 ص 226- 227 ب 33.
2() نهج البلاغة: الخطبة رقم(101)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 7 ص 96 الخطبة رقم(100)
3() نهج البلاغة: الخطبة رقم 147.

ودليلهم سمت الهدى، وأمّا أعداء اللـه فـدعاؤهم فيهـا الضّـلال، ودليلهم العمى، فما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبّه) [1]

[الحديث: 726] قال الإمام علي: (إنّما بدء وقوع الفتن: أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتـولّى عليهـا رجال رجالا على غير دين الله، فلو أنّ الباطـل خلص من مـزاج الحقّ، لم يخـف على المرتـادين، ولـو أنّ الحـقّ خلص من لبس الباطـل، انقطعت عنـه ألسـن المعانـدين، ولكن يؤخـذ من هـذا ضغث ومن هـذا ضـغث فيمزجـان، فهنالـك يسـتولي الشّـيطان على أوليائه، وينجو الّذين سبقت لهم من ﷲ الحسنى) [2]

[الحـديث: 727] روي أن الإمــام الصــادق، بكى بكــاء شـديد، فسـئل عن سـببه، فقـال: (ويكم إني نظـرت في كتـاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكـون إلى يـوم القيامـة الـذي خص الله تقدس اسمه به محمدا ﷺ والأئمة من بعـده، وتـأملت فيه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمـره وبلـوى المؤمـنين به من بعـده في ذلـك الزمـان وتولـد الشـكوك في قلـوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربقة الإسـلام من أعناقهم) [3]

ثانيـا ــ مـا ورد في شـأن هجـر الوصـية وكيفيـة مواجهة أئمة الهدى لها:

وهي الأحاديث التي تؤكد ما ورد في المصـادر السـنية من هجر الأمة لوصية نبيها ﷺ المرتبطة بالإمامة والامتداد الرسالي، بسبب تصورها عدم الحاجة للإمامـة، وأنـه يمكن أن يتولاهـا أي أحد ظفر بشرف الصحبة.

وقد قسمنا الأحاديث الواردة في هذا الشـأن إلى الأقسـام التالية:

1. أنواع الأذى التي تصيب العترة:

وهي أحاديث كثيرة تتفق مع نظيراتها الواردة في المصادر السنية، بالإضافة إلى توافقها مع ما اتفـق عليـه المؤرخـون من

---

(1) نهج البلاغـة للشـريف الرضـي: الخطبـة رقم(38)، وغـرر الحكم ودرر الكلم: ص 72.
(2) نهج البلاغة: الخطبة رقم(50)، والمحاسن: ج 1 ص 208.
(3) بحار الأنوار: 51 / 219.

ذلك البلاء العظيم الذي نزل بأهل بيت النبوة ابتـداء من العصـر الأول للإسلام إلى الدرجة التي أصبح فيها سبهم عبادة.

وهي تتوافـق مـع القـرآن الكـريم الـذي يشـير كثـيرا إلى الخلاف الذي يقع في الأمم بعد أنبيائهـا بسـبب البغي والحسـد، وهـذا مـا حصـل لأهـل بيت النبـوة، وخاصـة في ظـل النظـام العشـائري الـذي كـانت تقـوم عليـه قـريش خصوصـا، ولـذلك تصوروا أنه لا يحق لبني هاشم أن يجمعوا بين النبـوة والإمامـة، لاعتقادهم أن الإمامة من الدنيا، وليست من الدين.

وذلك الخلاف رد طبيعي على عدم الإيمـان بالإمامـة، ذلـك أن الذي لا يؤمن بهـا يـتيح لأي شـخص أن يفـتي ويفسـر الـدين بحسب ما يراه، وهو ما يجعل للدين قراءات ومصادر متعـددة لا ينتج عنها إلا الخلاف وربما الشقاق.

ومن الأحاديث الواردة في هذا:

[الحديث: 728] قال الإمام علي: كنا جلوساً عنـد النـبي ﷺ وهـو نـائمٌ ورأسـه في حجـري، فتـذاكرنا الـدّجال فاسـتيقظ النبي ﷺ محمرّاً وجهه، فقال: (لغـير الـدّجال أخـوف عليكم من الدّجال: الأئمة المضّـلون، وسـفك دمـاء عـترتي من بعـدي، أنـا حربٌ لمن حاربهم وسلمٌ لمن سالمهم)[1]

[الحديث: 729] عن سلمان الفارسي قال: كنت جالسـاً بين يدي رسول اللـه ﷺ في مرضـته الـتي قُبض فيهـا، فـدخلت فاطمـة فلمـا رأت مـا بأبيهـا ﷺ من الضـعف، بكت حـتى جـرت دموعها على خـديها، فقـال لهـا رسـول اللـه ﷺ: (مـا يبكيـكِ يـا فاطمة؟!)، قالت: يا رسول اللـه، أخشـى الضـيعة على نفسـي وولدي بعدك، فاغرورقت عينا رسول اللـه ﷺ بالبكـاء، ثم قـال: (يا فاطمة، أما علمتِ أنّا أهـل بيتٍ اختـار اللـه لنـا الآخـرة على الدنيا، وإنه حتَم الفناء على جميع خلقه، وأنّ الله تبارك وتعـالى اطّلع إلى الأرض اطلاعـةً فاختـارني منهم وجعلـني نبيـاً، واطّلـع إلى الأرض اطلاعةً ثانيةً، فاختار منهـا زوجـك، فـأوحى اللـه إليّ أن أزوجكِ إياه، وأن أتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعلـه خليفـتي في أمتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصـياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي.. ثم اطّلع إلى الأرض اطلاعةً ثالثـةً فاختارك ِوولدك ِوأنت سـيدة نسـاء أهـل الجنـة، وابنـاكِ حسـنٍ وحسين ٍسيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلـكِ أوصـيائي إلى يـومٍ

1() بحار الأنوار: 28/48، وأمالي الطوسي 2/126.

القيامة، كلهم هادون مهديون.. يا علي، إنّ الله تبارك وتعالى قد قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة، ولو شاء لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من هذه الأمة، ولا ينازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء لعجّل النقمة والتغيير حتى يُكذَّبَ الظالم، ويعلم الحقّ أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار القرار ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]، فقال الإمام علي: (الحمد لله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه)(1)

[الحديث: 730] قال الإمام علي: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في بعض طرق المدينة،، فلما خلا له الطريق اعتنقني، ثم أجهش باكياً وقال: (بأبي الوحيد الشهيد)، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟!، فقال ﷺ: (ضغاين في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي: أحقاد بدر وترات أحد)، قلت: في سلامة من ديني؟، قال: (في سلامة من دينك، فأبشر يا علي فإنّ حياتك وموتك معي، وأنت أخي وأنت وصيي وأنت صفيي ووزيري ووارثي، والمؤدّي عني وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي عني، وأنت تبرئ ذمتي وتؤدّي أمانتي، وتقاتل على سنّتي الناكثين من أمتي والقاسطين والمارقين، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك، وتظاهرهم عليك، فإنك بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه، وإن موسى أمر هارون ـ حين استخلفه عليهم ـ إن ضلّوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده ويحقن دمه، ولا يفرق بينهم.. يا علي، ما بعث الله رسولاً إلا وأسلم معه قومه طوعاً، وقوم آخرون كرهاً، فسلّط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً، فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم.. يا علي، إنه ما اختلفت أمة بعد نبيّها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة)(2)

[الحديث: 731] وهو حديث طويل روي عن ابن عباس نرى أنه تصرف فيه الرواة، ولذلك نكتفي منه بما وقع الاتفاق

1() بحار الأنوار: 28/54، وكمال الدين ص262.

2() بحار الأنوار: 28/55، وكتاب سليم ص72.

عليه في الأحاديث الأخرى، ونصه أن رسول اللـه ﷺ جمـع أهـل بيتـه، فبكى، فسـئل عن ذلـك، فقـال: (أمـا علي بن أبي طـالب فإنه أخي وشقيقي، وصـاحب الأمـر بعـدي وصـاحب لـوائي في الـدنيا والآخـرة، وصـاحب حوضـي وشـفاعتي، وهـو مـولى كـلّ مسلم وإمام كلّ مؤمن، وقائد كـلّ تقي، وهـو وصـيي وخليفـتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد موتي، محبّه محبي، ومبغضــه مبغضــي، وبولايتــه صــارت أمــتي مرحومــةً، وبعداوتــه صــارت المخالفة له منهـا ملعونـةً.. وإني بكيت حين أقبـل، لأني ذكـرت غدر الأمة به بعدي، حتى أنه ليُزال عن مقعدي وقـد جعلـه اللـه له بعدي، ثم لا يـزال الأمـر بـه حـتى يضـرب على قرنـه ضـربةً تخضب منها لحيته في أفضل الشهور)

وقال عن فاطمة الزهراء: (وأما ابنتي فاطمة فإنهـا سـيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيـني، وهي ثمـرة فـؤادي، وهي روحي الـتي بين جنـبيّ، مـتى قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله، زهر نورهـا لملائكـة السماء، كما يزهر نور الكـواكب لأهـل الأرض.. وإني لمـا رأيتهـا ذكـرتُ مـا يُصـنع بهـا بعـدي، كـأني بهـا وقـد دخـل الـذلّ بيتهـا، وانتُهكت حرمتها، وغُصبت حقّها، ومُنعت إرثها، وكُسرت جنبتهـا، وأسقط جنينها.. فلا تزال بعـدي محزونـةً مكروبـةً باكيـةً، تتـذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقي أخرى)

وقال عن الإمام الحسن: (أمـا الحسـن فإنـه ابـني وولـدي ومني، وقرة عيني، وضياء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجّة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مـني، وإني لمـا نظـرت إليـه تذكرت ما يجري عليه من الذلّ بعدي؛ فلا يـزال الأمـر بـه حـتى يُقتل بالسمّ ظلماً وعدواناً)

وقال عن الإمام الحسـين: (أمـا الحسـين فإنـه مـني، وهـو ابني، وخير الخلق بعد أخيـه، وهـو إمـام المسـلمين، وهـو سـيد شباب أهل الجنة، أمره أمري، وطاعته طـاعتي، من تبعـه فإنـه مني، ومن عصاه فليس مني، وإني لما رأيته تذكّرت ما يُصنع به بعدي)

ثم بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله، ثم قام وهو يقول: (اللهم، إني أشـكو إليـك مـا يلقى أهـل بيـتي بعـدي، ثم دخـل

منزله)[1]

[الحديث: 732] عن أم الفضل بن العباس قالت: لما ثَقُل رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفى فيه، أفاق إفاقةً ونحن نبكي فقال: ما الذي يبكيكم؟، قلت: يا رسول الله، نبكي لغير خصلة، نبكي لفراقك إيانا، ولانقطاع خبر السماء عنا، ونبكي الأمة من بعدك، فقال ﷺ: (أما إنكم المقهورون والمستضعفون من بعدي)[2]

[الحديث: 733] قال الإمام الصادق: (لما أُسرى بالنبي ﷺ قيل له: إنّ الله مختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك؟، قال: أسلّم لأمرك يا ربّ، ولا قوة لي على الصبر إلا بك، فما هنّ؟ قيل: أولهن: الجوع والأثرة على نفسك وعلى أهلك لأهل الحاجة، قال: قبلتُ يا ربّ ورضيت وسلّمت، ومنك التوفيق والصبر.. وأما الثانية: فالتكذيب والخوف الشديد، وبذلُك مهجتَك فيّ، ومحاربة أهل الكفر بمالك ونفسك، والصبر على ما يصيبك منهم من الأذى ومن أهل النفاق، والألم في الحرب والجراح، قال: يا ربّ قبلت ورضيت وسلّمت، ومنك التوفيق والصبر.. وأما الثالثة: فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل: أما أخوك فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجهد والظلم وآخر ذلك القتل، فقال: يا ربّ سلّمت وقبلت، ومنك التوفيق والصبر)[3]

3 ـ ما ورد من احتجاجات الإمام علي للرافضين للإمامة:

وهي أحاديث تتوافق مع ما ورد في المصادر السنية من غدر الأمة بالإمام علي، وعدم وفائها له بحقه في الإمامة، وما تقتضيه من اعتباره المرجع الذي يؤول إليه المسلمون في أمور دينهم بعد رسول الله ﷺ.

ولهذا كان الإمام علي يذكر بتلك الأحاديث ومقتضياتها، ويبين آثار ذلك وعواقبه في مسيرة الانحراف الذي ستقع فيه الأمة.

وقد رأينا أنه يمكن الاكتفاء من تلك الاحتجاجات هنا بثلاثة أحاديث طويلة، تجمع ما ورد ذكره في سائر الأحاديث.

1() بحار الأنوار: 28/40، وأمالي الصدوق ص68.
2() بحار الأنوار: 28/40، وأمالي الطوسي 1/122.
3() بحار الأنوار: 28/62، وكامل الزيارات ص332.

الحديث الأول:

وهو حديث طويل[1] يذكر فيه الإمام علي بعض ما امتحنه الله به ليستحق الإمامة، وهو يتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم من أن الإمامة هبة إلهية لا تُنال إلا بعد الابتلاء والاختبار، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]

وقد قسمنا الحديث إلى مقاطع بحسب معانيه، وحذفنا ما نرى أنه من الحشو الذي قد يصرف عن المعاني الواردة فيه:

[الحديث: 734] عن محمد بن الحنفية، قال: أتى رأس اليهود علي بن أبي طالب عند منصرفه من وقعة النهروان، وهو جالس في مسجد الكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبيّ أو وصي نبيّ، فقال: سل عمّا بدا لك يا أخا اليهود، قال: إنّا نجد في الكتاب أنّ الله عزّ وجل إذا بعث نبيّا أوحى إليه: أن يتخذ من أهل بيته من يقوم بأمر ربّه في أمته من بعده، وأن يعهد إليه فيهم عهدا يحتذيه ويعمل به في أمّته من بعده، وأنّ ﷲ عزّ وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء، ويمتحنهم بعد وفاتهم، فأخبرني كم يمتحن ﷲ الأوصياء في حياة الأنبياء من مرّة؟ وكم يمتحنهم بعد وفاتهم من مرّة؟ وإلى ما يصير آخر أمر الأوصياء إذا رضي ﷲ محنتهم؟ فقال له علي: والذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى، لئن أخبرتك بحقّ عما تسأل عنه لتقرّنّ به؟ قال: نعم. قال: فو الذي لا إله غيره لئن صدقتك لتسلمنّ؟ قال: نعم، قال علي: (إنّ الله تبارك وتعالى ذكره، يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء في سبعة مواطن ليبتلي طاعتهم، فإذا رضي محنتهم أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء في حياتهم وأوصياء بعد وفاتهم، فصيّر طاعة الأوصياء في أعناق الأمم موصولة بطاعة الأنبياء عليهم السّلام، ثمّ يمتحن الأوصياء بعد وفاة الأنبياء في سبعة مواطن، ليبلو صبرهم، فإذا رضي محنتهم ختم لهم بالشهادة ليلحقهم بالأنبياء، فقد أكمل الله لهم السعادة)، فقال له

---
(1) الخصال 2 ـ 572 ـ 580، بحار الأنوار (31/ 432)

اليهودي: صدقت يا أمير المؤمنين، فأخبرنا كم امتحنك اللـه عـزّ وجلّ في حياة محمّد ﷺ من مرّة؟ وكم امتحنـك بعـد وفاتـه من مرّة؟ وإلى ما يصير آخر أمرك؟

[الحديث: 735] قال الإمـام علي: (إنّ اللـه تعـالى ذكـره امتحنني في حيـاة نبيّنـا ﷺ في سـبعة مـواطن فوجـدني فيهنّ ـ من غير تزكية لنفسي بنعمة اللّه ـ له مطيعا. أما أولهنّ فإنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبيّنا ﷺ بـالنبوّة، وحمّلـه الرسـالة، وأنـا أحدث أهل بيـتي سـنّا، أخدمـه في بيتـه، وأسـعى بين يديـه في أمره، فدعا صغير بني عبد المطلب وكبـيرهم إلى شـهادة أن لا إله إلّا الله وأنّه رسول اللّه، فامتنعوا من ذلك وأنكروه، وجحدوه ونابذوه، واعتزلوه واجتنبوه، وسائر النـاس، معصـية لـه وخلافـا عليه، واستعظاما لمـا أورد عليهم ممّـا لم تحتملـه قلـوبهم، ولم تدركه عقولهم، وأجبت رسول ﷲ ﷺ وحدي إلى ما دعا إليه، مسرعا مطيعـا موقنـا لم تتخـالجني في ذلـك الأخـاليج، فمكثنـا بـذلك ثلاث حجج، ليس على ظهـر الأرض خلـق يصـلّي ويشـهد لرسول ﷲ ﷺ بما آتاه ﷲ غيري وغير ابنة خويلد (رحمها اللّه)، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كـذلك؟ قـالوا: بلى يـا أمـير المؤمنين.

[الحـديث: 736] قـال الإمـام علي: (وأمـا الثانيـة، فـإنّ قريشا لم تزل تخيّـل الآراء، وتعمـل الحيـل في قتـل النـبي ﷺ، حتّى إذا كـان آخـر يـوم اجتمعت فيـه في دار النـدوة، وإبليس الملعون لحاضر في صورة أعور ثقيف، فلم يزل يضـرب أمرهـا ظهـورا وبطونـا، حتّى اجتمعت آراؤهـا على أن ينتـدب من كـلّ فخذ من قريش رجل، ثمّ يأخذ كـلّ رجـل منهم سـيفه، ثمّ يـأتوا النبيّ ﷺ وهو نائم على فراشه، فيضربوه بأسيافهم جميعا ضربة رجـل واحـد فيقتلـوه، فـإذا قتلـوه منعت قـريش رجالهـا ولم تسلمه، فيمضي دمـه هـدرا، فهبـط جبرئيـل عليـه السّـلام على النبي ﷺ فأنبأه بذلك، وأخـبره باللّيلـة الـتي يجتمعـون لـه فيهـا، والساعة التي يأتون فراشـه فيهـا، وأمـره بـالخروج في الـوقت الذي خرج فيه إلى الغار، وأنبأني رسول الله ﷺ بالخبر، وأمـرني أن أضـطجع مضـجعه وأن أقيـه بنفسـي، فأسـرعت إلى ذلـك مطيعا له مسرورا به، ولنفسـي على أن أفتـك موطنـا، فمضـى

عليـه السّـلام لوجهـه، واضـطجعت مضـجعه، وأقبلت رجـالات قريش موقنة في أنفسها بقتل النبي ﷺ، فلمـا اسـتوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه نهضت بسيفي، فدفعتهم عن نفسي بمـا قـد علمه النّاس)، ثم أقبل على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قـالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 737] قال الإمام علي: (أما الثالثة، فإنّ ابــني ربيعة وابن عتبة كانوا فرسان قريش، دعوا إلى البراز يوم بـدر، فلم يبرز لهم خلق، فأنهضـني رسـول اللـه ﷺ إلى صـاحبي وأنـا أحدث أصحابي سنّا، وأقلهم للحرب تجربة، فقتل الله بيدي وليدا وشـيبة، سـوى مـا قتلت من جحاجحـة قـريش في ذلـك اليـوم، وسـوى من أسـرت، وكـان منّي أكـثر ممـا كـان من أحـد من أصحابي، فاستشهد ابن عمّي في ذلـك اليـوم (رحمـه اللّـه)، ثمّ التفت إلى أصـحابه فقـال: أليس كـذلك؟ قـالوا: بلى يـا أمـير المؤمنين.

[الحـديث: 738] قـال الإمـام علي: (أمـا الرابعـة، فـإنّ قريشا والعرب تجمّعت وعقدت بينها عقـدا وميثاقـا أن لا ترجـع من وجوهها، حتّى تقتل رسول الله ﷺ، وتقتلنا معه معاشـر بـني عبـد المطلب، ثمّ أقبلت بحـدّها وحديـدها، حـتى أنـاخت علينـا بالمدينة، واثقـة في أنفسـها بمـا تـوجّهت، فهبـط جبرئيـل عليـه السّلام على النـبي ﷺ فأنبـأه الخـبر، فخنـدق على نفسـه وعلى من معه من المهاجرين والأنصار، فقدمت قريش وأقـامت على الخندق محاصرة، ترى في أنفسها القـوّة وفينـا الضـعف، تـبرق وترعد، ورسول الله ﷺ يدعوها ويناشدها القرابة والرحم، فتـأبى ولا يزيدها ذلك إلّا عتوّا، وفارسها وفـارس العـرب يومئـذ عمـرو بن عبـد ود، يهـدر كـالبعير المغتلم، يـدعو إلى الـبراز ويرتجـز، ويخطر برمحه مرّة وبسيفه مرّة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، لا حميّة تهيّجـه، ولا بصـيرة تشـجعه.. فأنهضـني إليـه رسول الله ﷺ، وعمّمني بيده، وأعطاني سيفه هذا، وضرب بيده إلى ذي الفقار، فخرجت إليه ونساء أهل المدينـة بـواك إشـفاقا عليّ من ابن عبد ود العامريّ، فقتله اللـه بيدي، والعـرب لا تعـدّ لها فارسا غيره، وضربني هذه الضربة ـ وأومأ بيده إلى هامتـه ـ فهـزم اللـه قريشـا والعـرب بـذلك وبمـا كـان منّي فيهم من النكاية)، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أليس كـذلك؟ قـالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 739] قال الإمـام علي: (أمـا الخامسـة، فـإن أهل مكّة أقبلوا إلينا على بكـرة أبيهم، استحاشـوا من يليهم من قبائل العرب وقريش، طالبين بثأر مشركي قريش في يوم بـدر ويوم الخندق، فهبط جبرئيل عليه السّلام على النـبي ﷺ فأنبـأه ذلك، فتـأهب النـبي ﷺ لهم، وعسـكر بأصـحابه في سـفح أحـد، وأقبـل المشـركون إلينـا بحملـة رجـل واحـد، فاستشـهد من المسـلمين من استشـهد، وكـان ممن بقي منهم مـا كـان من الهزيمـة عفا اللـه عنهم، وبقيت مـع رسـول اللـه ﷺ، ومضـى المهاجرون والأنصار إلى منازلهم من المدينة، كـلّ يقـول: قتـل النبي ﷺ وقتل أصحابه، ثمّ ضرب اللـه بوجـوه المشـركين، وقـد جرحت بين يدي النبي ﷺ نيفا وسبعين جراحة، ومنها هذه ومنها هذه ـ ثمّ ألقى رداءه وأمرّ بيده على جراحاته ــ وكـان منّي في ذلك اليوم ما كان اللـه على ثوابـه إن شـاء اللّـه)، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 740] قـال الإمـام علي: (أمـا السادسـة، فإنّـا وردنا مع رسول الله ﷺ مدينة أصحابك خيبر، على رجـال اليهـود وفرسانها من قريش وغيرها، فلقونا بأمثـال الجبـال من الخيـل والرجال والسلاح، في أمنع دار وأكثر عدد، كل ينادي إلى البراز ويبادر في القتال، فلم يبرز لهم من أصحابنا أحد إلّا وهم قتلوه، حتّى إذا احمرّت الحـدق، ودعيت إلى الـبراز، وأهمّت كـل رجـل منهم نفســه، والتفت بعض أصــحابي إلى بعض وكــلّ يقــول: (أوجلهم يا أبا الحسن، انهض)، فأنهضـني رسـول اللـه ﷺ إليهم، فلم يبرز إليّ منهم أحد إلّا قتلته، ولا ثبت لي فـارس إلّا طعنتـه، ثم شــددت عليهم شــدّ الليث على فريســته، حتّى إذا أدخلتهم جوف مدينتهم، يكسع بعضهم بعضـا.. حتّى افتتحتهـا وحـدي، لم يكن لي معـاون إلا اللـه وحـده)، ثمّ التفت إلى أصـحابه فقـال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحـديث: 741] قـال الإمـام علي: (أمّـا السـابعة فـإن رسـول اللـه ﷺ لمّـا توجـه بفتح مكّـة، أحبّ أن يعـذر إليهم، ويدعوهم إلى الله عزّ وجـلّ آخـرا كمـا دعـاهم أولا، فكتب إليهم كتابـا يحـذّرهم وينـذرهم عـذاب ربّهم، ويعـدهم الصـفح فيهم، ويمنيّهم مغفرة ربّهم، ونسخ لهم في آخـره سـورة بـراءة ليتلـو عليهم، ثمّ عـرض على جميـع أصـحابه المضـي إليهم بالكتـاب، وكلّهم يرى فيه التثاقل، فلمّا رأى ذلك نـدب منهم رجلا ليوجّهـه

به، فأتاه جبرئيل فقال: (يا محمد، إنّه لا يؤدّي عنك إلّا رجل منك)، فأنبأني رسول الله ﷺ ذلك، ووجهني بكتابه ورسالته إلى أهل مكّة، فأتيت مكّة وأهلها من قد عرفتم، ليس منهم أحد إلّا ولو قدر على أن يضع منّي على كل جبل إربا لفعل، ولو ببذل ماله ونفسه وأهله وولده، فبلّغتهم رسالة النبي ﷺ وقرأت عليهم كتابه، فكلّ تلقاني بالتهدد والوعيد، ويبدي البغضاء، ويظهر الشحناء، من رجالهم ونسائهم، وكان منّي في ذلك ما قد رأيتم)، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 742] قال الإمام علي: (هذه المواطن التي امتحنني فيهنّ ربيّ مع رسول الله ﷺ، فوجدني فيهنّ كلّها بمنّه مطيعا ليس لأحد فيها مثل الذي لي، ولو وصفت ذلك لا تسع لي فيه القول، ولكن الله نهى عن التزكية)، فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، فو الله لقد أعطاك الله الفضيلة بالقرابة من نبيّنا ﷺ، وأسعدك بأن جعلك أخاه، تنزل منه بمنزلة هارون من موسى، وفضّلك بالمواقف التي باشرتها، والأهوال التي ركبتها، وذخرك الذي ذكرت، وأكثر منه مما لم تذكره، ممّا ليس لأحد من المسلمين مثله، يقول ذلك من شهدك منّا مع نبيّنا، ومن شهدك منّا بعده، فأخبرنا يا أمير المؤمنين، بما امتحنك ﷲ به بعد نبيّنا ﷺ فاحتملته وصبرت عليه، فإنّا لو شئنا أن نصف ذلك لك لوصفناه، علما منّا به، وظهورا عليه، إلّا أنّا نحبّ أن نسمع منك ذلك، كما سمعنا منك ما امتحنك الله به في حياته فأطعته فيه.

[الحديث: 743] قال الإمام علي: (إنّ الله تبارك وتعالى امتحنني بعد وفاة نبيّه ﷺ في سبعة مواطن، فوجدني فيهنّ ـ من غير تزكية لنفسي بمنّه ونعمته ـ صبورا.. أما أولهنّ: فإنّه لم يكن لي خاصّة دون المسلمين عامّة أحد آنس به، ولا أعتمد عليه، ولا أستنيم إليه، ولا أتقرّب إلى الله بطاعته، ولا أنهج به في السرّاء، ولا أستريح إليه في الضرّاء، غير رسول الله ﷺ، وهو ربّاني صغيرا، وبوأني كبيرا، وكفاني العيلة، وجبرني من اليتم، وأغناني عن الطلب، ووقاني المكسب، وعال لي النفس والأهل والولد، هذا في تصاريف أمر الدنيا، مع ما خصّني به من الدرجات التي قادتني إلى معالي الحظوة عند الله، فنزل بي

بوفاة رسول الله ﷺ ما لم أكن أظنّ أن الجبال لو حملت عنوة كانت لتنهض به، فرأيت الناس من أهلي من بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام، والقول والاستماع، وسائر الناس من غير بني عبد المطلب بين معزّ يأمر بالصبر، وبين مساعد باك لبكائهم، جازع لجزعهم، وحملت نفسي على الصبر بعد وفاته، لزمت الصمت والاشتغال بما أمرني ﷻ به، من تجهيزه وتغسيله، وتحنيطه وتكفينه، والصلاة عليه، ووضعه في حفرته، وجمع أمانة ﷻ وكتابه، وعهده الذي حملناه إلى خلقه، واستودعناه فيهم، لا يشغلني عن ذلك بادر دمعة، ولا هائج زفرة، ولا لاذع حرقة، ولا جليل مصيبة، حتّى أدّيت في ذلك الحقّ الواجب لله عزّ وجل ولرسوله ﷺ عليّ، وبلّغت منه الذي أمرني به، فاحتملته صابرا محتسبا)، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 744] قال الإمام علي: (أما الثانية، فإنّ رسول الله ﷺ أمّرني في حياته على جميع أمّته، وأخذ على من حضره منهم البيعة بالسمع والطاعة لأمري، وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب في ذلك، فكنت المؤدّي إليهم عن رسول الله ﷺ أمره إذا حضرته، والأمير على من حضرني منهم إذا فارقته، لا تختلج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي في شيء من الأمور في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته، ثمّ أمر الله رسوله ﷺ بتوجيه الجيش الذي وجّهه مع أسامة بن زيد، عند الذي أحدث الله له من المرض الذي توفّاه فيه، فلم يدع النبي ﷺ أحدا من قبائل العرب وقريش، والأوس والخزرج، وغيرهم من سائر الناس، ممن يخاف عليّ نقضه أو منازعته، ولا أحدا ممن يراني بعين البغضاء، ممن قد قهرته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه، إلّا وجهه في ذلك الجيش، ولا من المهاجرين والأنصار والمسلمين وغيرهم من المؤلفة قلوبهم والمنافقين، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته، ولئلا يقول قائل شيئا مما أكره في جواره، ولا يدفعني دافع عن الولاية والقيام بأمر رعيّته وأمّته من بعده، ثمّ كان آخر ما تكلّم به في شيء من أمر أمّته أن يمضي جيش

أسامة، ولا يتخلّف عنه أحد ممن أنهض معه، وتقدّم في ذلك الجيش أشدّ التقدّم، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز، وأكد فيه أكثر التأكيد، فلم أشعر بعد أن قبض رسول الله ﷺ إلّا برجال ممن بعث مع أسامة وأهل عسكره قد تركوا مراكزهم، وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ فيما أنهضهم له وأمرهم به، وتقدّم إليهم في ملازمة أميرهم، والمسير معه تحت لوائه، ينفذ لوجهه الذي نفذه إليه، فخلّفوا أميرهم مقيما في عسكره، وأقبلوا يتبادرون على الحيل، ركضا إلى حلّ عقدة عقدها الله لي ورسوله ﷺ في أعناقهم فحلّوها، وعهد عاهد الله ورسوله فنكثوه، وعقدوا لأنفسهم عقدا ضجّت به أصواتهم، واختصّت به آراؤهم، من غير مناظرة لأحد منّا بني عبد المطلب، أو مشاركة في رأي، أو استقامة لما في أعناقهم من بيعتي، فعلوا ذلك وأنا برسول الله ﷺ مشغول، وبتجهيزه عن سائر الأشياء مصدود، فإنّه كان أهمّها وأحقّ ما بدئ به منها، فكانت هذه أفدح ما يرد على قلبي، مع الذي أنا فيه من عظيم الرزية، ومفاجع المصيبة، وفقد من لا خلف له إلّا الله، فصبرت عليها إذ أتت بعد أختها على تقاربها وسرعة اتّصالها)، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 745] قال الإمام علي: (أما الثالثة، فإنّ القائم بعد النبي ﷺ كان يلقاني معتذرا في كل أيّامه، ويلزم غيره ما ارتكبه من أخذ حقّي، ونقض بيعتي، ويسألني تحليله، فكنت أقول: تنقضي أيّامه ثمّ يرجع إليّ حقّي الذي جعله الله لي عفوا هيّنا، من غير أن أحدث في الإسلام ـ مع حدثه وقرب عهده بالجاهلية ـ حدثا في طلب حقّي بمنازعة، لعل قائلا يقول فيها: نعم، وقائلا يقول: لا، فيؤول ذلك من القول إلى الفعل، وجماعة من خواص أصحاب رسول الله ﷺ أعرفهم بالنصيحة لله ولرسوله ﷺ ولكتابه ودينه الإسلام، يأتونني عودا وبدءا، وعلانية وسرّا، فيدعونني إلى أخذ حقّي، ويبذلون أنفسهم في نصرتي، ليؤدّوا إليّ بذلك حقّ بيعتي في أعناقهم، فأقول: رويدا وصبرا قليلا، لعلّ الله أن يأتيني بذلك عفوا بلا منازعة ولا إراقة الدماء، فقد ارتاب كثير من الناس بعد وفاة النبي ﷺ وطمع في الأمر بعده من ليس له بأهل، فقال كل قوم: منّا أمير، وما طمع القائلون في ذلك إلّا ليتناول الأمر غيري، فلمّا دنت وفاة القائم وانقضت أيّامه، صيّر الأمر من بعده لصاحبه، وكانت هذه

أخت أختها، ومحلّها منّي مثل محلّها، وأخذها منّي ما جعل الله لي مثل أخذها، واجتمع إليّ نفر من أصحاب محمد ﷺ ممن مضى (رحمه الله) وممن بقي أخرّه الله ممّن اجتمع، فقالوا لي فيها مثل الذي قالوا لي في أختها، فلم يعد قولي الثاني قولي الأول، صبرا واحتسابا، ويقينا وإشفاقا من أن تفنى عصبة تألّفها رسول الله ﷺ باللين مرّة وبالشدّة أخرى، وبالبذل مرّة وبالسيف أخرى، حتّى لقد كان من تألفه لهم: أن كان الناس في السكن والقرار، والشبع والرّي، واللّباس والوطاء والدّثار، ونحن أهل بيت محمّد ﷺ لا سقوف لبيوتنا، ولا أبواب ولا سور، إلّا الجرائد وما أشبهها، ولا وطاء لنا ولا دثار علينا، تداولنا الثوب الواحد في الصلاة أكثرنا، ونطوي الأيّام واللّيالي جوعا عامّتنا، فرّبما أتانا الشيء مما أفاءه ﷲ وصيّره لنا خاصّة دون غيرنا، ونحن على ما وصفت من حالنا، فيؤثر به رسول ﷲ ﷺ أرباب النعم والأموال، تألفا منه لهم، واستكانة منه لهم، فكنت أحقّ من لم يفرّق هذه العصبة التي ألّفها رسول ﷲ ﷺ ولم يحملها على الخطّة التي لا خلاص لها منها، دون بلوغها أو فناء آجالها؛ لأني لو نصبت نفسي فدعوتهم إلى نصرتي، كانوا منّي وفي أمري على إحدى منزلتين: إمّا متبع مقاتل أو مقتول إن لم يتبع الجميع، وإمّا خاذل يكفر بخذلانه إن قصّر عن نصرتي أو أمسك عن طاعتي، وقد علم أنّي منه ﷺ بمنزلة هارون من موسى، يحلّ به في مخالفتي والإمساك عن نصرتي، ما أحلّ قوم موسى بأنفسهم في مخالفتهم هارون وترك طاعته، ورأيت تجرّع الغصص، وردّ أنفاس الصعداء، ولزوم الصبر، حتّى يفتح الله أو يقضي بما أحب، أزيد لي في حظّي من الله، وأرفق بالعصابة التي وصفت أمرهم، وكان أمر الله قدرا مقدورا، ولو لم أتّق هذه الحال ثمّ طلبت حقّي لكنت أولى ممن طلبه، لعلم من مضى من أصحاب محمّد ﷺ ومن بحضرتك منهم، أنّي كنت أكثر عددا، وأعزّ عشيرة، وأمنع رجالا، وأطوع أمرا، وأوضح حجّة، وأكثر في هذا مناقب وآثارا بسوابقي وقرابتي ووراثتي، فضلا عن استحقاقي في ذلك بالوصيّة التي لا مخرج للعباد منها، والبيعة المتقدّمة في أعناقهم ممن تناولها، ولقد قبض ﷺ وإنّ ولاية الأمّة في يده وفي بيته، لا في أيدي الذين تناولوها ولا

في بيوتهم، ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، أولى بالأمر من بعده من غـيرهم في جميـع الخصـال)، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كـذلك؟ قـالوا: بلى يـا أمـير المؤمنين.

[الحـديث: 746] قـال الإمـام علي: (أمـا الرابعـة، فـإنّ القائم بعد صاحبه كان يشاورني في موارد الأمور، ويصدرها عن أمـري، ويـنـاظرني في غوامضـها، فيمضـيها على رأيي، لا أعلم أحدا ـ ولا يعلم أصحابي ـ يناظره في ذلك غيري، ولا يطمـع في الأمر بعده سـواي، فلمّـا أتتـه منيّتـه على فجـأة بلا مـرض كـان قبله، ولا أمر كان أمضاه في صـحة من بدنـه، لم أشـك أنّي قـد استرجعت حقّي في عافية بالمنزلة التي كنت أطلبهـا، والعاقبـة الـتي كنت ألتمسـها، وأن اللـه سـيأتي بـذلك على أحسـن مـا رجـوت، وأفضـل مـا أمّلت، وكـان من فعلـه أن ختم أمـره بـأن سمّى قوما أنا سادسهم، ولم يساوني بواحد منهم، ولا ذكر منّي حـالا في وراثـة الرسـول ﷺ، ولا قرابـة ولا صـهر ولا نسـب، ولا كان لواحد منهم مثـل سـابقة من سـوابقي، ولا أثـر من آثـاري، وصيّرها شورى بيننـا، وصـيّر ابنـه فيهـا حاكمـا علينـا، وأمـره أن يضرب أعناق النفر الستّة الذين صـيّر الأمـر فيهم إن لم ينفـذوا أمره، وكفى بالصبر على هذا صبرا، فمكث القوم أيّـامهم كلّهـا، كـلّ يخطبهـا لنفسـه وأنـا ممسـك، فـإذا سـألوني عن أمـري فناظرتهم في أيّامي وأيّامهم، وآثاري وآثارهم، وأوضحت لهم ما جهلوه من وجوه اسـتحقاقي لهـا دونهم، وذكّـرتهم عهـد رسـول الله ﷺ لي إليهم، وتأكيـده مـا أكـد من البيعـة لي في أعنـاقهم، دعاهم حبّ الإمارة، وبسط الأيـدي والألسـن في الأمـر والنهي، والركون إلى الدنيا بالاقتداء بالماضـين قبلهم، إلى تنـاول مـا لم يجعل الله لهم، فإذا خلوت بالواحد منهم بعد الواحد ذكّرته أيّـام الله، وحذّرته ما هو قادم عليه وصائر إليـه، التمس منّي شـرطا بطائفة من الدنيا أصيّرها له، فلمّـا لم يجـدوا عنـدي إلّا المحجّـة البيضاء، والحمل على الكتـاب ووصـية الرسـول ﷺ، من إعطـاء كل امرئ منهم ما جعل الله له، ومنعه ممّـا لم يجعـل اللـه لـه، شدّ من القـوم مسـتبدّ فأزالهـا عنّي إلى ابن عفّـان، طمعـا في الشحيح معه فيها، وابن عفّـان رجـل لم يسـتو بـه وبواحـد ممن حضـر حـال قـط، فضـلا عمّن دونهم، لا يبـدر القـوم الـتي هي واحدة القوم وسنام فخـرهم، ولا غيرهـا من المـآثر الـتي أكـرم

الله بها رسوله ﷺ، ومن اختصّه معه من أهـل بيتـه، ثمّ لم أعلم القوم أمسوا من يـومهم ذلـك، حتّى ظهـرت نـدامتهم، ونكصـوا على أعقابهم، وأحال بعضهم على بعض، كلّ يلوم نفسـه ويلـوم أصـحابه، ثمّ لم تطـل الأيّـام بالمسـتبدّ بـالأمر ابن عفـان حتّى أكفـروه، وتـبرّؤوا منـه، ومشـى إلى أصـحابه خاصّـة، وسـائر أصحاب النبي ﷺ عامّة، يستقليهم من بيعته، ويتوب إلى ﷲ من فلتته. وكانت هذه أكبر من أختيهـا وأفظـع، وأحـرى أن لا يصـبر عليها، فنالني منها الذي لا يبلـغ وصـفه، ولا يحـدّ وقتهـا ولم يكن عندي إلّا الصبر على ما أمض وأبلـغ منهـا، ولقـد أتـاني البـاقون من الستة من يومهم، كلّ راجع عمّا كان منه، يسألني خلــع ابن عفّان والوثـوب عليـه في أخـذ حقّي، ويعطيـني صـفقته وبيعتـه على الموت تحت رايـتي، أو يـرد اللـه عليّ حقّي، ثمّ بعـد ذلـك مـرّة أخـرى، امتحن القـوم فيهـا بـألوان المحن، مـرّة بحلـق الرؤوس، ومرّة بمواعيد الخلوات، ومرّة بموافـاة الأمـاكن، كـلّ ذلك بقي القوم بوعدهم، فو الله ما منعني منها إلّا الذي منعـني من أختيها قبلها، ورأيت الإبقـاء على من بقي من الطائفـة أبهج لي، وآنس لقلبي من فنائها، وعلمت أنّي إن حملتها على دعـوة الموت ركبته، وأما نفسـي فقـد علم من حضـر ممن تـرى ومن غاب من أصـحاب محمـد ﷺ أنّ المـوت عنـدي بمنزلـة الشـربة الباردة في اليوم الشـديد الحـرّ من ذي العطش الصـدي، ولقـد كنت عاهدت اللـه ورسـوله ﷺ أنـا وعمّي حمـزة، وأخي جعفـر، وابن عمّي عبيدة، على أمر وفينا به لله ولرسـوله ﷺ فتقـدمني أصحابي، وتخلّفت بعدهم لمـا أراد اللـه عـزّ وجـل، فـأنزل اللـه فينا: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَـا عَاهَـدُوا اللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَـدَّلُوا تَبْـدِيلًا ﴾ [الأحـزاب: 23]، ـ فمن قضى نحبه: حمزة وعبيدة وجعفر، وأنا المنتظر ومـا بدّلت تبديلا، وما أسـكتني عن ابن عفّـان، وحثّـني عن الإمسـاك عنه، إلّا أنّي عرفت من أخلاقه فيمـا اختـبرت منـه مـا لم يدعـه حتّى يستدعي الأباعد إلى قتله وخلعه، فضلا عن الأقـارب، وأنـا في عزلة، فصبرت حتّى كـان ذلـك، لم أنطـق فيـه بحـرف من: (لا) ولا (نعم)، ثمّ أتاني القوم وأنا ـ علم الله ـ كـاره، لمعرفـتي ما تطاعموا به من اعتقال الأموال، والمرح في الأرض، وعلمهم بأنّ تلك ليست لهم عندي، وشديد ولهم عادة منتزعـة، فلمّـا لم

يجـدوها عنـدي تعلّلـوا الأعاليل)، ثمّ التفت إلى أصـحابه فقـال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 747] قال الإمـام علي: (أمـا الخامسـة، فـإنّ المبايعين لمّا لم يطمعوا في ذلك منّي، وثبوا بـامرأة عليّ، وأنـا وليّ أمرها والوصيّ عليها، فحملوها على الجمل، وشـدّوها على الرحال، وأقبلوا بها تخبط الفيافي، وتقطع البراري، وتنبح عليهـا كلاب الحوأب، وتظهر لهم علامات النـدم في كـلّ سـاعة وعلى كلّ حـال، في عصـبة قـد بـايعوني ثانيـة، بعـد بيعتهم الأولى في حيـاة النـبي ﷺ، حتّى أتت أهـل بلـدة قصـيرة أيـديهم، طويلـة لحاهم، قليلة عقولهم، عازبـة آراؤهم، جـيران بـدو، وورّاد بحـر، فأخرجتهم يخبطون بسيوفهم بغير علم، يرمون بسـهامهم بغـير فهم، فـــوقفت من أمــرهم على اثنـــتين، كلتاهمـــا في محلّـــة المكروه: إن كففت لم يرجعوا ولم يصـلوا، وإن أقمت كنت قـد صـرت إلى الـذي كـرهت، فقـدّمت الحجـة بالإعـذار والإنـذار، ودعوت المـرأة إلى الرجـوع إلى بيتهـا، والقـوم الـذين حملوهـا على الوفاء ببيعتهم لي، والترك لنقضهم عهد الله عزّ وجلّ فيّ، وأعطيتهم من نفسي كلّ الذي قـدرت عليـه، ونـاظرت بعضـهم فرجع، وذكّرتـه فـذكر.. ثمّ أقبلت على النـاس بمثـل ذلـك، فلم يـزدادوا إلّا جهلا وتماديـا وغيّـا، فلمّـا أبـوا إلّا هي ركبتهـا منهم، فكـانت عليهم الـدبرة، وبهم الهزيمـة، ولهم الحسـرة، وفيهم الفناء والقتل، وحملت نفسي على الـتي لم أجـد منهـا بـدّا، ولم يسعني إذا فعلت ذلك، وأظهرته آخـرا مثـل الـذي وسـعني فيـه أولا، من الإغضـاء والإمسـاك، ورأيتـني إن أمسـكت كنت معينـا لهم بإمسـاكي على مـا صـاروا إليـه، وطمعـوا فيـه من تنـاول الأطراف، وسفك الدماء، وقتل الرعيّـة، وتحكيم النسـاء، كعـادة بني الأصفر ومن مضى من ملـوك سـبأ والأمم الخاليـة، فأصـير إلى ما كرهت أولا آخرا، وقد أهملت المرأة وجندها يفعلـون مـا وصفت بين الفريقين من النـاس، وألقي مـا حـذرت، ولم أهجم على الأمر إلّا بعد ما قدّمت وأخرّت، وتأنّيت وراجعت، وراسـلت وشافهت، وأعذرت وأنذرت، وأعطيت القوم كلّ شيء التمسوه منّي، بعد أن عرضت عليهم كلّ شيء لم يلتمسوه، فلمّا أبوا إلّا تلك أقدمت، فبلغ الله بي وبهم ما أراد، وكان لي عليهم بما كان منّي إليهم شهيدا)، ثم التفت إلى أصحابه فقـال: أليس كـذلك؟

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحـديث: 748] قـال الإمـام علي: (أمـا السادسـة، فتحكيم الحكمين، ومحاربة ابن آكلة الأكباد، وهو طليق معاند لله ولرسوله والمؤمنين منذ بعث الله رسوله ﷺ إلى أن فتح عليه مكّة عنوة، فأخذت بيعته وبيعة أبيه لي معه في ذلك اليوم، وفي ثلاثة مواطن بعده، وأبوه بالأمس أول من سلّم عليّ بإمرة المؤمنين، ويحضّني على النهوض في أخذ حقّي من الماضين قبلي، يجدد لي بيعته كلّ ما أتاني، ثمّ يتثاءب عليّ بما يطعم من أموال المسلمين، والتحكم عليهم، ليستديم قليل ما يفنى بما يفوته من كثير ما يبقى.. وأعجب العجب: أنّه لمّا رأى ربّي تبارك وتعالى قد ردّ إليّ حقّي، وأقرّه في معدنه، وانقطع طمعه أن يصبح في دين الله رابعا، وفي أمانته التي حملناها حاكما، كرّ عليّ العاصي ابن العاصي فاستماله فمال إليه، ثمّ أقبل به بعد أن أطمعه مصر، وحرام عليه أن يأخذ من الفيء فوق قسمه درهما، وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقّه، والإغضاء له على ما يأخذه، فأقبل يخبط البلاد بالظلم، ويطأها بالغشم، فمن بايعه أرضاه، ومن خالفه ناواه، ثمّ توجّه إليّ ناكثا علينا، مغيرا في البلاد، شرقا وغربا، ويمينا وشمالا، والأنباء تأتيني، والأخبار ترد عليّ بذلك، فأتاني أعور ثقيف فأشار عليّ بأن أولّيه الناحية التي هو بها، لأداريه بما الذي أولّيه منها، وفي الذي أشار به الرأي في أمر الدنيا، لو وجدت عند ﷲ في توليته لي مخرجا وأصبت لنفسي فيما أتى من ذلك عذرا، فما عملت الرأي في ذلك، وشاورت من أثق بنصيحته لله عزّ وجل ولرسوله ﷺ ولي وللمؤمنين، فكان رأيه في ابن آكلة الأكباد كرأيي، ينهاني عن توليته، ويحذرني أن أدخل في أمر المسلمين يده، ولم يكن ﷲ ليعلم أنّي أتخذ من المضلّين عضدا، فوجّهت إليه أخا بجيلة مرّة، وأخا الأشعريين مرّة أخرى، فكلاهما ركن إلى دنياه، وتابع هواه فيما أرضاه، فلمّا رأيته لم يزد فيما انتهك من محارم الله إلّا تماديا، شاورت من معي من أصحاب محمّد ﷺ البدريين، والذين ارتضى الله أمرهم، ورضي عنهم عند بيعتهم، وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين، فكلّ يوافق رأيه رأيي، في غزوته ومحاربته ومنعه مما نالت

يده، فنهضت إليـه بأصـحابي، أنفـذ إليـه من كـلّ موضـع كتـبي، وأوجّه إليه رسلي، وأدعوه إلى الرجوع عمّا هـو فيـه، والـدخول فيما فيه الناس معي، فكتب يتحكّم عليّ، ويتمنّى عليّ الأمـاني، ويشترط عليّ شروطا لا يرضاها الله عزّ وجل ولا رسوله ﷺ ولا المسلمون، ويشترط عليّ في بعضها أن أدفـع إليـه أقوامـا من أصحاب محمّد ﷺ أخيارا وأبرارا، منهم عمّار بن ياسر، وأين مثل عمّار؟ فو الله لقد أتينا مع النبي ﷺ ولا يعدّ منّـا خمسـة إلّا كـان سادسهم، ولا أربعة إلّا كان عمّار خامسهم، اشترط دفعهم إليـه ليقتلهم ويصلبهم، وانتحل دم عثمان ولعمر ﷲ ما ألّب على عثمان ولا أجمع الناس على قتله، إلّا هو وأشباهه من أهل بيتـه، أصحاب الشـجرة الملعونـة في القـرآن. فلمّـا لم أجبـه إلى مـا اشترط من ذلك، كرّ مستعليا في نفسه بطغيانـه وبغيـه، بحمـير لا عقول لهم ولا بصائر، فموّه لهم أمرا فـاتّبعوه، وأعطـاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه، فناجزناهم إلى الله بعد الإعذار والإنذار، فلمّا لم يزده ذلك إلّا تماديا وبغيا، لقيناه بعادة الله التي عوّدنـاه من النصر على أعدائه وعدوّنا، وراية رسول اللـه ﷺ بأيـدينا، لم يزل الله تبارك وتعالى يفلّ حـزب الشـيطان بهـا، حـتى أفضـى الموت إليه، فحلّ منه محلّ السحا، وهو معلم رايات أبيه، الـتي لم أزل أقاتلها مع رسـول اللـه ﷺ في كـل المـواطن، فلم يجـد من المـوت منجى إلّا الهـرب، فـركب فرسـه، وقلب رايتـه، لا يـدري كيـف يحتـال، فاسـتعان بـرأي ابن العـاص، فأشـار إليـه بإظهار المصاحف، ورفعهـا على الأعلام، والـدعاء إلى مـا فيهـا، فقال له: إن ابن أبي طالب وحزبه أهل بصيرة ورحمـة ومعـنى، وقد دعوك إلى كتاب الله أولا، وهم مجيبوك إليه آخرا، فأطاعـه فيما أشار به إليه، إذ رأى أنّـه لا منجى من القتـل غـيره، فرفـع المصـاحف يـدعو إلى مـا فيهـا بزعمـه، فمـالت إلى المصـاحف قلوب من بقي من أصحابي، بعد فناء خيارهم وجدّهم في قتـال أعداء الله وأعدائهم على بصائرهم، وظنّـوا أنّ ابن آكلـة الأكبـاد له الوفاء بما دعا إليه، والتمام على ما يفـارقهم عليـه، فأصـغوا إلى دعوته، وأقبلوا عليّ بأجمعهم في إجابته، فأعلمتهم أنّ ذلك منه مكر، ومن ابن العاص معه، وأنهما إلى المكر أقـرب منهمـا إلى الوفــاء، فلم يقبلــوا قــولي، ولم يطيعــوا أمــري، وأبــوا إلّا إجابته، كرهت أم هويت، شئت أم أبيت، حتّى أخذ بعضهم يقـول

لبعض: (إن لم يفعـل فـألحقوه بـابن عفّـان، أو ادفعـوه إلى ابن هند برمّته)، فجهدت ـ علم ﷲ جهدي ـ ولم أدع غاية في نفسي إلّا بلغتهـا، في أن يخلّـوني ورأيي، فلم يفعلـوا، وراودتهم على الصبر على مقدار فواق الناقة، أو ركضة الفرس فلم يفعلوا، ما خلا هذا الشيخ ـ وأومأ بيده إلى الأشتر ـ وعصبة من أهـل بيـتي. فو الله ما منعني أن أمضـي على بصـيرتي، إلّا مخافـة أن يقتـل هذان ـ وأومأ بيده إلى الحسن والحسين ـ فينقطع نسل رسـول الله ﷺ وذريّته من أمّته، ومخافة أن يقتـل هـذان ــ وأومـأ بيـده إلى عبد الله بن جعفر، ومحمد ابن الحنفيـة ــ فـإنّي أعلم لـو لا مكاني لم يقفا ذلك الموقف، فلذلك صبرت على ما أراد القوم، مع ما سبق فيه من علم الله، فلمّا أن رفعنا عن القوم سـيوفنا تحكّموا في الأمور، وتخيّروا الأحكام والآراء، وتركوا المصـاحف، وما دعوا إليـه من حكم القـرآن، فـأبيت أن أحكّم في دين اللـه أحـدا، إذ كـان التحكيم في ذلـك الخطـأ الـذي لا شـكّ فيـه ولا امتراء. فلما أبوا إلّا ذلك أردت أن أحكّم رجلا من أهـل بيـتي، أو من أرضى رأيه وعقله، وأثق بنصيحته ومودّتـه ودينـه، وأقبلت لا أسـمّي أحـدا إلا امتنـع ابن هنـد منـه، ولا أدعـوه إلى شـيء من الحقّ إلّا أدبر عنه، وأقبل ابن هند يسـومنا عسـفا، ومـا ذلـك إلّا باتّبـاع أصـحابي لـه على ذلـك، فلمّـا أبـوا قـالوا: بلى يـا أمـير المؤمنين.

[الحديث: 749] قـال الإمـام علي: (أمـا السـابعة، فـإن رسول الله ﷺ كان عهد إليّ: أن أقاتل في آخر أيّامي قومـا من أصحابي، يصومون النهار، ويقومون اللّيـل، ويتلـون كتـاب اللـه، يمرقون من الدين بخلافهم لي، ومحاربتهم إيّاي مـروق السـهم من الرميـة، فيهم ذو الثديـة، يختم لي بقتلهم بالسـعادة، فلمّـا انصرفت إلى موضعي هذا ــ يعـني بعـد الحكمين ــ أقبـل بعض القوم على بعض باللائمة فيما صاروا إليـه، من تحكيم الحكمين، ولم يجدوا لأنفسهم من ذلـك مخرجـا إلّا أن قـالوا: (كـان ينبغي لأميرنا أن لّا يبايع من أخطأ منّا، وأن يمضـي بحقيقـة رأيـه على قتل نفسه، وقتل من خالفه منّا، فقد كفر بمتابعته إيّانا، وطاعته في الخطأ لنا، وأحلّ لنا بذلك قتله، وسفك دمه). فتجمّعـوا على ذلـك من حـالهم، وخرجـوا راكـبين رؤوسـهم، ينـادون بـأعلى أصواتهم: لا حكم إلّا لله. ثم تفرّقوا فرقا فرقا، فرقـة بالنخيلـة،

وفرقة بحروراء، وأخرى راكبة رأسها تخبط الأرض شرقا، حتى عبرت دجلة، فلم تمرّ بمسلم إلّا امتحنته، فمن بايعها استحيت، ومن خالفها قتلت، فخرجت إلى الأوليين واحدة بعد أخرى، أدعوهم إلى طاعة ﷲ ومتابعة الحقّ والرجوع إليه، فأبيا إلّا السيف لا يقنعهما غيره، فلمّا أعيت الحيلة فيهما حاكمتهما إلى ﷲ عزّ وجل، فقتل ﷲ هذه وهذه، وكانوا لو لا ما فعلوا ركنا لي قويا وسدا منيعا، فأبى ﷲ إلّا ما صاروا إليه، ثمّ كتبت إلى الفرقة الثالثة ووجّهت رسلي تترى، وكانوا من أجلّة أصحابي، وأهل التعبّد منهم، والزهد في الدنيا، فأبت إلّا إتباع أختيها، والاحتذاء على مثالهما، وأسرعت في قتل من خالفها من المسلمين، وتتابعت إليّ الأخبار بفعلها، فخرجت حتّى قطعت إليهم دجلة، وأوجّه السفراء النصحاء، وأطلب العتبى بجهدي، بهذا مرّة وبهذا مرّة ـ وأومأ بيده إلى الأشتر، والأحنف بن قيس، أو سعيد بن قيس الكندي ــ فلما أبوا إلّا تلك، ركبتها منهم، فقتلهم ﷲ عن آخرهم، وهم أربعة آلاف أو يزيدون، حتّى لم يفلتني منهم مخبر، فاستخرجت ذا الثديّة من قتلاهم بحضرة من يرى)، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

[الحديث: 750] قال الإمام علي: (قد وفيتك سبعا وسبعا وبقيت الأخرى، وأوشك بها وكان قد قربت)، فبكى أصحاب علي، وبكى رأس اليهود، وقالوا: يا أمير المؤمنين، أخبرنا بالأخرى. فقال: (الأخرى أن تخضب هذه ـ وأومأ بيده إلى لحيته ـ من هذه ـ وأومأ إلى هامته)، فارتفعت أصوات الناس في المسجد الجامع بضجّة البكاء، وأسلم رأس اليهود على يدي أمير المؤمنين من ساعته، ولم يزل مقيما حتى قتل أمير المؤمنين.

الحديث الثاني:

وهو حديث طويل[1] يفصل فيه الإمام علي مناقبه التي تدل على أهليته للإمامة، وقد ذكرنا الكثير من تفاصيل أدلتها عند ذكرنا للمصادر السنية، مع العلم أننا حذفنا بعض ما ذُكر

1() الخصال 2 ـ 572 ـ 580، بحار الأنوار (31/ 432)

لاعتقادنا أنه روي بالمعنى.

[الحديث: 751]ـ ونص الحديث هو قوله: (لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد ﷺ أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم)، فقيل له: يا أمير المؤمنين! فأخبرني بهن، فقال: إن أول منقبة لي أني لم أشرك بالله طرفة عين، ولم أعبد اللات والعزى.. والثانية: أني لم أشرب الخمر قط.. والثالثة: أن رسول الله ﷺ استوهبني من أبي في صباي، فكنت أكيله وشريبه ومؤنسه ومحدثه.. والرابعة: أني أول الناس إيمانا وإسلاما.. والخامسة: أن رسول الله ﷺ قال لي: يا علي! أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.. والسادسة: أني كنت آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ ودليته في حفرته.. والسابعة: أن رسول الله ﷺ أنامني على فراشه حيث ذهب إلى الغار وسجاني ببرده، فلما جاء المشركون ظنوني محمدا فأيقظوني، وقالوا: ما فعل صاحبك؟. فقلت: ذهب في حاجته. فقالوا: لو كان هرب لهرب هذا معه.. وأما الثامنة: فإن رسول الله ﷺ علمني ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب، ولم يعلم ذلك أحدا غيري.. وأما التاسعة: فإن رسول الله ﷺ قال لي: يا علي! إذا حشر الله عز وجل الأولين والآخرين نصب لي منبرا فوق منابر النبيين، ونصب لك منبرا فوق منابر الوصيين، فترتقي عليه.. وأما العاشرة: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا أعطى في القيامة شيئا إلا سألت لك مثله.. وأما الحادية عشرة: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي! أنت أخي وأنا أخوك يدك في يدي حتى ندخل الجنة.. وأما الثانية عشرة: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي! مثلك في أمتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.. وأما الثالثة عشرة: فإن رسول الله ﷺ عممني بعمامة نفسه بيده ودعا لي بدعوات النصر على أعداء الله، فهزمتهم بإذن الله عز وجل.. وأما الرابعة عشرة: فإن رسول الله ﷺ أمرني أن أمسح يدي على ضرع شاة قد يبس ضرعها، فقلت: يا رسول الله! بل امسح أنت. فقال: يا علي! فعلك فعلي، فمسحت عليها يدي فدر علي من لبنها فسقيت رسول الله ﷺ شربة، ثم أتت عجوز فشكت الظمأ فسقيتها، فقال رسول الله ﷺ: إني سألت الله عز وجل أن يبارك في يدك ففعل.. وأما

الخامسة عشرة: فإن رسول الله ﷺ أوصى إلي وقال: يا علي! لا يلي غسلي غيرك، فقلت له: كيف؟ فكيف لي بتقليبك يا رسول الله؟. فقال: إنك ستعان، فو الله ما أردت أن أقلب عضوا من أعضائه إلا قلب لي.. وأما السابعة عشرة: فإن الله عز وجل زوجني فاطمة وقد كان خطبها أبو بكر وعمر فزوجني الله من فوق سبع سماواته، فقال رسول الله ﷺ: هنيئا لك يا علي، فإن الله عز وجل قد زوجك فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وهي بضعة مني. فقلت: يا رسول الله ﷺ! أولست منك؟. قال: بلى يا علي، وأنت مني وأنا منك كيميني من شمالي، لا أستغني عنك في الدنيا والآخرة.. وأما الثامنة عشرة: فإن رسول الله ﷺ قال: يا علي! أنت صاحب لواء الحمد في الآخرة، وأنت يوم القيامة أقرب الخلائق مني مجلسا يبسط لي ويبسط لك فأكون في زمرة النبيين، وتكون في زمرة الوصيين، ويوضع على رأسك تاج النور وإكليل الكرامة.. وأما التاسعة عشرة: فإن رسول الله ﷺ قال: ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.. وأما العشرون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: مثلك في أمتي مثل باب حطة في بني إسرائيل، فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عز وجل.. وأما الحادية والعشرون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولن يدخل المدينة إلا من بابها، ثم قال: يا علي! إنك سترعى ذمتي وتقاتل على سنتي، وتخالفك أمتي.. وأما الثالثة والعشرون: فإن رسول الله ﷺ أعطاني خاتمه في حياته ودرعه ومنطقته وقلدني سيفه وأصحابه كلهم حضور وعمي العباس حاضر، فخصني الله عز وجل منه بذلك دونهم.. وأما الخامسة والعشرون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا، وهي محرمة على الأوصياء حتى تدخلها أنت يا علي، إن الله تبارك وتعالى بشرني فيك ببشرى لم يبشر بها نبيا قبلي، بشرني بأنك سيد الأوصياء، وأن ابنيك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة يوم القيامة.. وأما الثامنة والعشرون: فإن رسول الله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى وعدني فيك وعدا لن يخلفه، جعلني نبيا وجعلك وصيا، وستلقى من أمتي من بعدي ما لقي موسى من فرعون، فاصبر واحتسب حتى تلقاني فأوالي من والاك وأعادي من عاداك.. وأما التاسعة والعشرون: فإني سمعت رسول الله

ﷺ يقول: يا علي! أنت صاحب الحوض لا يملكه غيرك وسـيأتيك قـوم فيستسـقونك فتقـول: لا.. وأمـا الثانيـة والثلاثـون: فـإني سمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: إن اللـه تبـارك وتعـالى نصـرني بالرعب فسألته أن ينصرك بمثله فجعل لك من ذلك مثل الـذي جعله لي.. وأما الثالثة والثلاثون: فإن رسول الله ﷺ التقم أذني وعلمني ما كان وما يكون إلى يوم القيامـة، فسـاق اللـه تبـارك وتعالى إلى لسان نبيه ﷺ.. وأما الرابعة والثلاثون: فإن النصارى ادعوا أمرا فأنزل اللـه عـز وجـل: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيـهِ مِنْ بَعْـدِ مـا جـاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُـلْ تَعـالَوْا نَـدْعُ أَبْناءَنـا وَأَبْنـاءَكُمْ وَنِسـاءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ فكانت نفسي نفس رسول الله ﷺ، والنسـاء فاطمـة، والأبنـاء الحسـن والحسـين، ثم نـدم القـوم فسألوا رسول الله ﷺ الإعفـاء فأعفـاهم، والـذي أنـزل التـوراة على موسى والفرقان على محمد ﷺ لو باهلونا لمسـخوا قـردة وخنازير.. وأما السادسة والثلاثون: فإني سمعت رسول اللـه ﷺ يقول: ويل لقاتلك، إنه أشقى من ثمـود ومن عـاقر الناقـة، وإن عرش الرحمن ليهـتز لقتلـك، فأبشـر يـا علي، فإنـك في زمـرة الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ.. وأما السـابعة والثلاثـون: فـإن الله تبارك وتعـالى قـد خصـني من بين أصـحاب محمـد ﷺ بعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشـابه والخـاص والعـام، وذلـك مما من الله به علي وعلى رسوله ﷺ، وقال لي الرسول ﷺ: يـا علي! إن الله عز وجل أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأعلمك ولا أجفـوك، وحـق علي أن أطيـع ربي وحـق عليـك أن تعي.. وأمـا التاسعة والثلاثون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذب من زعم أنه يحبني ويبغض عليـا، لا يجتمـع حـبي وحبـه إلا في قلب مؤمن، إن الله عز وجل جعل أهل حبي وحبـك يـا علي في أول زمرة السابقين إلى الجنة، وجعل أهل بغضـي وبغضـك في أول زمرة الضالين من أمتي إلى النار.. وأما الأربعـون: فـإن رسـول الله ﷺ وجهني في بعض الغزوات إلى ركي فإذا ليس فيه مــاء، فرجعت إليه فأخبرتـه، فقـال: أفيـه طين؟. فقلت: نعم. فقـال: ايتـني منـه، فـأتيت منـه بطين، فتكلم فيـه، ثم قـال: ألقـه في الركي، فألقيته، فـإذا المـاء قـد نبـع حـتى امتلأ جـوانب الـركي، فجئت إليه فأخبرته، فقال لي: وفقت يا علي وببركتك نبع الماء، فهـذه المنقبـة خاصـة لي من دون أصـحاب النـبي ﷺ.. وأمـا الحادية والأربعون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبشـر يـا

علي! فإن جبرئيل عليه السلام أتـاني فقـال لي: يـا محمـد! إن الله تبارك وتعـالى نظـر إلى أصـحابك فوجـد ابن عمـك وختنـك على ابنتك فاطمة خير أصحابك، فجعله وصيك والمـؤدي عنـك.. وأما الثانية والأربعون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبشر يا علي! فإن منزلـك في الجنـة مواجـه مـنزلي، وأنت معي في الرفيق الأعلى في أعلى علـيين.. وأمـا الثالثـة والأربعـون: فـإن رسول الله ﷺ قـال: إن اللـه عـز وجـل رسـخ حـبي في قلـوب المؤمنين وكذلك رسخ حبك يا علي في قلوب المؤمنين، ورسخ بغضي وبغضك في قلـوب المنـافقين، فلا يحبـك إلا مـؤمن تقي ولا يبغضـك إلا منـافق كـافر.. وأمـا الخامسـة والأربعـون: فـإن رسول الله ﷺ دعاني ـ وأنا رمد العين فتفـل في عيـني، وقـال: اللهم اجعـل حرهـا في بردهـا وبردهـا في حرهـا، فـو اللـه مـا اشتكت عيني إلى هذه الساعة.. وأما السادسة والأربعون: فـإن رسول الله ﷺ أمر أصـحابه وعمومتـه بسـد الأبـواب وفتح بـابي بـأمر اللـه عـز وجـل، فليس لأحـد منقبـة مثـل منقبـتي.. وأمـا السابعة والأربعون: فإن رسول الله ﷺ أمرني في وصيته بقضاء ديونه وعداته، فقلت: يا رسول الله! قد علمت أنـه ليس عنـدي مـال. فقـال: سـيعينك اللـه، فمـا أردت أمـرا من قضـاء ديونـه وعداتـه إلا يسـره اللـه لي حـتى قضـيت ديونـه وعداتـه.. وأمـا التاسعة والأربعون: فإن الله تبارك وتعالى خص نبيـه ﷺ بـالنبوة وخصني النبي ﷺ بالوصـية، فمن أحبـني فهـو سـعيد يحشـر في زمرة الأنبياء عليهم السلام.. وأما الخمسون: فـإن رسـول اللـه ﷺ بعث بـبراءة مـع أبي بكـر، فلمـا مضـى أتى جبرئيـل عليـه السلام، فقال: يـا محمـد! لا يـؤدي عنـك إلا أنت أو رجـل منـك، فوجهني على ناقته الغضباء، فلحقته بذي الحليفة فأخـذتها منـه، فخصني الله عز وجـل بـذلك.. وأمـا الحاديـة والخمسـون: فـإن رسول الله ﷺ أقامني للنـاس كافـة يـوم غـدير خم، فقـال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فَبُعْـداً وسـحقا لِلْقَـوْمِ الظَّالِمِينَ.. وأمـا الرابعة والخمسون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي! سيلعنك بنو أمية ويرد عليهم ملـك بكـل لعنـة ألـف لعنـة.. وأمـا السادسة والخمسون: فإن الله تبارك وتعـالى خصـني بمـا خص به أولياءه وأهـل طاعتـه وجعلـني وارث محمـد ﷺ، فمن سـاءه ساءه ومن سره سره.. وأومى بيده نحو المدينة.. وأمـا الثامنـة والخمسون: فإن رسول اللـه ﷺ أمـرني في بعض غزواتـه وقـد

نفد الماء، فقال: يا علي! ائت بتور، فأتيته به، فوضع يده اليمنى ويدي معها في التور، فقال: انبع، فنبع الماء من بين أصابعنا.. وأما التاسعة والخمسون: فإن رسول الله ﷺ وجهني إلى خيبر، فلما أتيته وجدت الباب مغلقا فزعزعته شديدا فقلعته ورميت به أربعين خطوة، فدخلت فبرز إلي مرحب فحمل علي وحملت عليه، وسقيت الأرض من دمه، وقد كان وجه رجلين من أصحابه فرجعا منكسفين.. وأما الستون: فإني قتلت عمرو بن عبد ود، وكان يعد بألف رجل.. وأما الثانية والستون: فإني كنت مع رسول الله ﷺ في جميع المواطن والحروب وكانت رايته معي.. وأما الثالثة والستون: فإني لم أفر من الزحف قط، ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه.. وأما الرابعة والستون: فإن رسول الله ﷺ أتي بطير مشوي من الجنة فدعا الله عز وجل أن يدخل عليه أحب الخلق إليه فوفقني الله للدخول عليه حتى أكلت معه من ذلك الطير.. وأما الخامسة والستون: فإني كنت أصلي في المسجد فجاء سائل فسأل وأنا راكع، فناولته خاتمي من إصبعي، فأنزل الله تبارك وتعالى في: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: 55].. وأما السابعة والستون: فإن رسول الله ﷺ أمر أن أدعى بإمرة المؤمنين في حياته وبعد موته ولم يطلق ذلك لأحد غيري.. وأما التاسعة والستون: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولاك ما عرف المنافقون من المؤمنين.. وأما السبعون: فإن رسول الله ﷺ نام ونومني وزوجتي فاطمة وابني الحسن والحسين وألقى علينا عباءة قطوانية، فأنزل الله تبارك وتعالى فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]

الحديث الثالث:

وهي رواية طويلة[1]، تصور بعض المحاجات والمناظرات التي كان يجريها الإمام علي مع المخالفين له في الإمامة، وهي تختصر أكثر ما يوجد في محاجات في هذا المجال، وننبه إلى أنا حذفنا منها ما لا نرى الحاجة إليه من باب الاختصار، وفق الشروط التي ذكرناها في مقدمة السلسلة.

[الحديث: 752] ونص الحديث هو ما حدث به سليم بن قيس الهلالي، أنه قال: رأيت عليا في مسجد رسول الله ﷺ

1() الاحتجاج 1 / 145 ـ 155، كتاب سليم بن قيس: 111 ـ 125.

في خلافة عثمان وجماعة يتحدثون ويتذاكرون العلم، فذكروا قريشا وفضلها وسوابقها وهجرتها.. وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها.. فلم يدعوا شيئا من فضلهم حتى قال كل حي: منا فلان وفلان، وقالت قريش: منا رسول الله ﷺ، ومنا حمزة، ومنا جعفر، ومنا عبيدة بن الحارث، وزيد بن حارثة، ومنا أبو بكر وعمر وسعد وأبو عبيدة وسالم وابن عوف.. فلم يدعوا من الحيين أحدا من أهل السابقة إلا سموه، وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل فيهم علي بن أبي طالب، وذلك من بكرة إلى حين الزوال وعثمان في داره لا يعلم بشيء مما هم فيه، وعلي بن أبي طالب لا ينطق هو ولا أحد من أهل بيته.

فأقبل القوم عليه، فقالوا: يا أبا الحسن! ما يمنعك أن تتكلم؟. فقال: ما من الحيين أحد إلا وقد ذكر فضلا وقال حقا، فأنا أسألكم يا معاشر قريش والأنصار! بمن أعطاكم الله هذا الفضل؟ أبأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟.. قالوا: بل أعطانا الله ومن به علينا بمحمد ﷺ وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرنا ولا بأهل بيوتاتنا.

قال: صدقتم، يا معاشر قريش والأنصار! ألستم تعلمون أن الذي نلتم به من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصة دون غيرهم؟ فإن ابن عمي رسول الله ﷺ قال: إني وأهل بيتي لم يزل الله عز وجل ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة من الآباء والأمهات لم يلتق واحد منهم على سفاح قط.. فقالوا: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ.

قال: فأنشدكم الله، أتقرون أن رسول الله ﷺ آخى بين كل رجلين من أصحابه وآخى بيني وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟. فقالوا: اللهم نعم.

قال: أتقرون أن رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده ومنازله فأتيناه ثم بنى عشرة منازل تسعة له وجعل لي عاشرها في وسطها، ثم سد كل باب شارع إلى المسجد غير بابي، فتكلم في ذلك من تكلم، فقال: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه ولكن الله أمرني بسد أبوابكم وفتح بابه، ولقد نهى الناس جميعا أن يناموا في المسجد غيري.. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن عمر حرص على كوة قدر عينه يدعها من منزله إلى المسجد فأبى عليه، ثم قال ﷺ: إن الله أمر

موسى عليه السلام أن يبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيره وغير هارون وابنيه، وإن الله أمرني أن أبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيري وغير أخي وابنيه؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ قال في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت ولي كل مؤمن من بعدي؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ حين دعا أهل نجران إلى المباهلة أنه لم يأت إلا بي وبصاحبتي وابني؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أنه دفع إلي اللواء يوم خيبر، ثم قال: لأدفعها إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بجبان ولا فرار يفتحها الله على يديه ؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ بعثني ببراءة وقال: لا يبلغ عني إلا رجل مني؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ لم ينزل به شديدة قط إلا قدمني لها ثقة بي، وأنه لم يدع باسمي قط إلا أن يقول: يا أخي.. وادعوا لي أخي..؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ قضى بيني وبين جعفر وزيد في ابنة حمزة، فقال: يا علي! أنت مني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن بعدي؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أنه كانت لي من رسول الله ﷺ في كل يوم وليلة دخلة وخلوة، إذا سألته أعطاني، وإذا سكتت ابتدأني؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ فضلني على حمزة وجعفر، فقال لفاطمة: إن زوجك خير أهلي وخير أمتي، أقدمهم سلما، وأعظمهم حلما ؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ أمرني بغسله وأخبرني أن جبرئيل عليه السلام يعينني عليه؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتقرون أن رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبكم: أيها الناس! إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي؟. قالوا: اللهم نعم.

ثم قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أني أول الأمة إيمانا بالله وبرسوله؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: نشدتكم بالله، أتعلمون أن الله عز وجل فضل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وإني لم يسبقني إلى

الله عز وجل وإلى رسوله ص أحد من هذه الأمة؟. قالوا: اللهم نعم.

قـال: أنشـدكم بالله، أتعلمـون حيث نـزلت: ﴿وَالسَّـابِقُونَ السَّـابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُـونَ ﴾ [الواقعـة: 10،ـ 11] سـئل عنها رسول الله ﷺ، فقال: أنزلها الله عز وجل في الأنبياء وفي أوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب وصيي أفضل الأوصياء؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله، أتعلمـون حيث نـزلت: ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، وحيث نـزلت: ﴿إِنَّمَـا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُـوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَهُمْ رَاكِعُـونَ ﴾ [المائـدة: 55]، وحيث نزلت: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُـوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُـولِهِ وَلَا الْمُـؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة: 16]، قال النـاس: يـا رسـول اللـه! أخاصـة في بعض المؤمنين أم عامة بجميعهم ؟ فأمر الله عز وجـل نبيـه أن يعلمهم ولاة أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية ما فسـر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجهم، فنصـبني للنـاس بغـدير خم، ثم خطب، فقال: أيها الناس! إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري فظننت أن الناس مكذبوني فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني، ثم أمـر فنـودي بالصلاة جامعة ثم خطب، فقـال: أيها النـاس! أتعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنـا أولى بهم من أنفسهم؟. قالوا: بلى يا رسول الله. قـال: قم يـا علي، فقمت، فقال: من كنت مولاه فعلي مـولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقام سلمان، فقـال: يـا رسـول اللـه ولاء كمـا ذا؟. قال: ولاء كولائي، من كنت أولى به من نفسـه فعلي أولى به من نفسه، فأنزل اللـه عـز وجـل: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائـدة: 3]، فكبر رسول الله ﷺ، وقال: الله أكبر تمام نبوتي وتمام دين الله ولاية علي بعدي.. قالوا: اللهم نعم.

قال: أيها الناس! أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسـينا ثم ألقى علينا كساء، وقال: اللهم إن هؤلاء أهـل بيـتي ولحمـتي يؤلمني ما يؤلمهم، ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس

وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله ؟. فقال: أنت إلى خير، فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك.

قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أن الله أنزل: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119] فقال سلمان: يا رسول الله! عامة هذه الآية أم خاصة؟. فقال: أما المأمورون فعامة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصادقون فخاصة لأخي علي وأوصيائي بعده إلى يوم القيامة؟. فقالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أني قلت لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك: ولم خلفتني مع النساء والصبيان ؟. فقال: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟. قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قام خطيبا ولم يخطب بعد ذلك، فقال: أيها الناس! إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لا تضلوا، فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله! أكل أهل بيتك؟!. فقال: لا، ولكن أوصيائي منهم، أولهم علي أخي ووزيري وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، هو أولهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد حتى يردوا علي الحوض شهداء لله في أرضه وحججه على خلقه، وخزان علمه، ومعادن حكمته، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله. فقالوا كلهم: نشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك.

قال: أتقرون بأن رسول الله ﷺ قال: من زعم أنه يحبني ويبغض عليا فقد كذب وليس يحبني؟!. ووضع يده على رأسي، فقال له قائل: كيف ذلك يا رسول الله؟. قال: لأنه مني وأنا منه، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله. قال: نحو من عشرين رجلا من أفاضل الحيين: اللهم نعم. وسكت بقيتهم.

فقال للسكوت: ما لكم سكتم؟!. قالوا: هؤلاء الذين شهدوا عندنا ثقات في قولهم وفضلهم وسابقتهم، قالوا: اللهم اشهد عليهم.

ثالثا. ما ورد في شأن التحريفات الناتجة عن هجر الوصية:

وهي أحـاديث تتوافـق مـع نظيراتهـا في المصـادر السـنية، بالإضافة إلى توافقها مع القرآن الكريم في إخباره عما تقع فيه الأمم من لجوئها إلى آرائها، واتباعهـا لأهوائهـا، وهجرهـا لوصـايا نبيها، ومن الأمثلة على ذلـك هجـر بـني إسـرائيل لهـارون عليـه السلام، ولجوئهم بدله إلى السامري، والذي كـان أول مـا فعلـه تحويل دينهم من التنزيه إلى التجسيم.

وقـد قسـمنا الأحـاديث الـواردة في هـذا المعـنى بحسـب مصدر التغيير والتبديل إلى الأقسام التالية:

1 ـ ما ورد في شأن التحريفات الحاصلة بعد وفاة رسول الله ﷺ:

والأحاديث الواردة في هذا الباب تتوافق مـع قولـه تعـالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِـهِ الرُّسُـلُ أَفَـإِنْ مَـاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 144]

كما أنها تتوافق مع نظيراتهـا في المصـادر السـنية، والـتي تدل على أن الأمة بعد رسول الله ﷺ ستختبر في مواقفها، وأن هناك من يفشل في ذلك الاختبار، ومن تلك الأحاديث:

[الحـديث: 753] عن جبـير بن نـوف أبي الـوداك قـال: قلت لأبي سعيد الخدري: والله ما يأتي علينـا عـامٌ إلا وهـو شـرّ من الماضي، ولا أمـيرٌ إلا وهـو شـرّ ممن كـان قبلـه، فقـال أبـو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ يقول ما تقول، ولكن سـمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال بكم الأمـر حـتى يولـد في الفتنـة والجور من لا يعـرف عـددها، حـتى تملأ الأرض جـوراً، فلا يقـدر أحدٌ يقول: الله، ثم يبعث الله عزّ وجـلّ رجلاً مـني ومن عـترتي فيملأ الأرض عدلاً، كمـا ملأهـا مَن كـان قبلـه جـوراً، وتُخـرج لـه الأرض أفلاذ كبدها، ويحثو المال حثْوا ولا يعدّه عـدّاً، وذلـك حين يضرب الإسلام بجرانه)[1]

[الحديث: 754] سئل الإمام الرضـا عن قـول النـبي ﷺ: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وعن قوله ﷺ: (دعـوا لي أصحابي)، فقال: (هـذا صـحيح، يريـد مَن لم يغيّـر بعـده ولم يبدّل)، قيـل: وكيـف نعلم أنهم قـد غيّـروا وبـدّلوا؟.. قـال: (لمـا يروونه من أنه ﷺ قال: (ليذادنّ رجال من أصحابي يوم القيامـة عن حوضي، كما تذاد (أي تُدفع) غرائب الإبل عن الماء، فأقول:

[1] بحار الأنوار: 28/18، وأمالي الطوسي 2/126.

يا ربّ.. أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول بُعداً لهم وسحقاً، أفترى هذا لمن لم يغيّر ولم يبدّل؟)[1]

[الحديث: 755] دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: (ما يبكيك؟).. قال: (لا أعرف شيئاً مما أدركتُ إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيّعت)[2]

[الحديث: 756] قال النبي ﷺ: (إنّ مَثَلي كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها، وجعل يحجزهن فيغلبن ويقتحمن فيها، قال: (وذلك مَثلي ومثلكم.. أنا آخذ بحجزتكم هلمّوا عن النار، هلمّوا عن النار، فتغلبونني وتقتحمون فيها)[3]

[الحديث: 757] وهو حديث طويل[4] يبين فيه الإمام علي بعض ما غير من أحكام الدين، وصعوبة تغييره، ونص الحديث هو ما روي عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي ﷺ ثم قال: (ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل؛ أمّا اتّباع الهوى: فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل: فينسي الآخرة، ألا إنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل.

وإنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتّبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم اللّه، يتولّى فيها رجال رجالاً، ألا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أنّ الباطل خلص لم يخفَ على ذي حجى. لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجلّلان معاً، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى.

وإنّي سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السنّة، وقد

1() بحار الأنوار: 28/19، وعيون الأخبار 2/87.
2() بحار الأنوار: 28/32، والطرائف ص113.
3() بحار الأنوار: 28/32، والطرائف ص114.
4() الكافي: 8/58/21، الاحتجاج: 1/626/146، كتاب سليم بن قيس: 2/718/18.

أتى الناس منكراً! ثمّ تشتدّ البليّة وتسبى الذرّية، وتدقّهم الفتنـة كما تدقّ النار الحطب، وكما تدقّ الرحا بثفالها، ويتفقّهـون لغـير اللّه، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة)

ثمّ أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيتـه وخاصّـته، فقـال: (قــد عملت الــولاة قبلي أعمــالاً خــالفوا فيهــا رســول اللّه ﷺ متعمّدين لخلافه، ناقضـين لعهـده، مغيّـرين لسـنّته، ولـو حملتُ الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها، وإلى ما كانت في عهد رسول اللّه ﷺ، لتفرّق عنّي جنـدي حـتى أبقى وحـدي، أو قليـل من الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتـاب اللّه عزّوجـلّ وسنّة رسول اللّه ﷺ.

أرأيتم لو أمرت بمقـام إبـراهيم عليـه السـلام فرددتـه إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول اللّه ﷺ، ورددت فدكَ إلى ورثـة فاطمة، ورددت صاع رسول اللّه ﷺ كما كان، وأمضـيت قطـائع أقطعهـا رسـول اللّه ﷺ لأقـوام لم تمض لهم ولم تنفـذ، ورددت دار جعفر إلى ورثتـه وهـدمتها من المسـجد، ورددت قضـايا من الجور قضي بها، ونزعت نساءً تحت رجـال بغـير حـقّ فـرددتهنّ إلى أزواجهنّ.. ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسـول اللّه ﷺ يعطي بالسـويّة، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء وألقيت المساحة، وسوّيت بين المناكح، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل اللّه عزّوجلّ وفرضـه، ورددت مسجد رسول اللّه ﷺ إلى ما كـان عليـه، وسـددت مـا فتح فيـه من الأبواب، وفتحت ما سدّ منه، وحرّمت المسـح على الخفّين، وحددت على النبيذ، وأمرت بـإحلال المتعـتين، وأمـرت بـالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت النـاس الجهـر ببسـم اللّه الـرحمن الـرحيم، وأخـرجت من أدخـل مـع رسـول اللّه ﷺ في مسـجده ممّن كـان رسـول اللّه ﷺ أخرجـه، وأدخلت من أخـرج بعـد رسـول اللّه ﷺ ممّن كـان رسـول اللّه ﷺ أدخلـه، وحملت النـاس على حكم القـرآن وعلى الطلاق على السـنّة، وأخـذت الصـدقات على أصـنافها وحـدودها، ورددت الوضـوء والغسـل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهـل نجـران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه ﷺ، إذاً لتفرّقوا عنّي.

واللّه لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضــان إلّا في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعـة، فتنـادى

بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً. ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ما لقيت من هذه الأُمّة من الفرقة، وطاعة أئمّة الضلالة، والدعاة إلى النار)[1]

[الحديث: 758] خطبة فاطمة الزهراء المعروفة بالخطبة الفدكية، وهي خطبة طويلة وردت في المصادر السنية والشيعية[2]، وقبل أن نورد نصها، نبين أن هناك أدلة من المصادر السنية عليها، ومن الصحاح، وهو ما سبق ذكره من الخلاف الشديد بين الزهراء وأبي بكر في شأن فدك، وأنها ظلت غاضبة عليه إلى أن توفيت، ولم يحضر جنازتها إلا القليل، وذلك يدل على أن لها حوارات وأحاديث معه في هذا الشأن، ومن المستغرب عدم نقلها مع كونها بنت رسول الله ﷺ، ولهذا نرى أن هذه الخطبة، وإن لم تنقل بحروفها إلا أنها تدل على المعاني التي كانت تتحدث عنها، خاصة وأن الكثير منها يستند للقرآن الكريم.

أما قوة المعاني الواردة في الخطبة؛ فهو مما يؤكد ورودها عنها، لأنه يستحيل أن تكون سيدة نساء العالمين غير قادرة على مثل ذلك التعبير، وكيف لا تكون كذلك، وهي بنت رسول الله ﷺ، وزوج الإمام علي، ولا أحد يجادل في بلاغتهما.

أما تشددها مع أبي بكر أو مع غيره في الخطبة؛ فيكفي للدلالة عليه ما ورد في جميع المصادر التاريخية السنية والشيعية من كونها لم تبايعه إلى أن توفيت، وكانت ترى مثل بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ أوصى للإمام علي.

ونص الحديث هو أنه لما منع أبو بكر فاطمة فدك، وبلغها ذلك، (لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من نساء قومها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءةٌ، فجلست، ثم أنت أنة

1() الكافي: 8/58/21، الاحتجاج: 1/626/146، كتاب سليم بن قيس: 2/718/18.

2() رواها بعدة طرق عبد الحميد ابن أبي الحديد المتوفى سنة 656 في كتابه (شرح نهج البلاغة) ج 16 ص211-213 وص249و252. ورواها أبو بكر الجوهري المتوفى سنة 323 في كتابة (السقيفة وفدك) بعدة طرق. ورواها ابن طيفور المتوفى سنة 280 في كتابه (بلاغات النساء) بعدة طرق. ورواها ابن الأثير المتوفى سنة 606 في كتابه (منال الطالب في شرح طوائل الراغب) الصفحات 501-507. ورواها الخوارزمي المتوفى سنة 568 عن الحافظ ابن مردويه في (مقتل الحسين) ج1 ص77.

أجهش القوم لها بالبكاء. فارتج المجلس. ثم أمهلت هنيــة حــتى إذا سكن نشـيج القــوم، وهـدأت فــورتهم، افتتحت الكلام بحمـد اللـه والثنـاء عليـه والصـلاة على رسـول اللـه، فعـاد القـوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت ـ بعد الثنـاء على الله تعالى ـ: (وأشهد أن أبي محمدا ﷺ عبـده ورسـوله، اختـاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتبلـه، واصـطفاه قبـل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونةٌ، وبســتر الأهاويـل مصـونةٌ، وبنهايــة العـدم مقرونــةٌ، علمــا من اللــه تعـالى بمآيـل الأمــور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقـع المقـدور. ابتعثـه اللـه تعالى إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقــادير حتمه.

فــرأى الأمم فرقــا في أديانهــا، عكفــا على نيرانهــا، عابــدة لأوثانها، منكرة لله مـع عرفانهـا. فأنـار اللـه بمحمـد ﷺ ظلمهـا، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقــام في النــاس بالهدايــة، وأنقــذهم من الغوايــة، وبصــرهم من العمايــة، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار بمحمــد ﷺ عن تعب هــذه الـدار في راحــة، قــد حــف بالملائكــة الأبــرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبـار. صـلى اللــه على أبي نبيه وأمينه على الوحي، وصفيه وخيرته من الخلق ورضــيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد اللــه نصــب أمــره ونهيــه وحملــة دينــه ووحيــه، وأمنــاء اللــه على أنفســكم، وبلغــاؤه إلى الأمم، وزعمتم حــقٌ لكم للــه فيكم، عهــدٌ قدمــه إليكم، وبقيــةٌ اســتخلفها عليكم. كتــاب اللــه النــاطق، والقــرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينةٌ بصائره، منكشــفةٌ ســرائره، متجليــةٌ ظــواهره، مغتبطــةٌ بــه أشــياعه، قائــدٌ إلى الرضوان اتباعه، مـؤد إلى النجـاة إسـماعه. بـه تنـال حجج اللـه المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينــه الكافيــة، وفضــائله المندوبــة، ورخصــه الموهوبــة، وشرايعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشـييدا للـدين، والعـدل تنسـيقا للقلـوب،

وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة، والجهاد عزا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حصنا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابا للعفة. وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102] وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]

ثم قالت: أيها الناس! اعلموا أني فاطمة، وأبي محمدٌ ﷺ، أقول عودا وبدءا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128]، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه ﷺ، فبلغ الرسالة صادعا بالنذارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم، آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ [الأنفال: 26]

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة: 64]، أونجم قرنٌ للشيطان، وفغرت فاغرةٌ من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله سيد أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا ــ وأنتم

في رفاهية من العيش، وادعون فـاكهون آمنـون، تتربصـون بنـا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند الـنزال، وتفـرون عنـد القتال.

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهـر فيكم حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبـغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين.

فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسـه من مغـرزه، هاتفا بكم، فألفاكم لدعوتـه مسـتجيبين، وللغـرة فيـه ملاحظين. ثم استنهضـكم فوجـدكم خفافـا، وأحمشـكم فألفـاكم غضـابا، فوسمـتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هـذا والعهـد قـريبٌ، والكلم رحيبٌ، والجرح لما يندمل، والرسـول لمـا يقـبر، ابتـدارا زعمتم خوف الفتنة، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَـةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 49]

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون؟ وكتاب اللـه بين أظهـركم، أمـوره ظـاهرةٌ، وأحكامـه زاهـرةٌ، وأعلامـه بـاهرةٌ، وزواجره لائحةٌ، وأوامره واضـحةٌ، قـد خلفتمـوه وراء ظهـوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغـيره تحكمـون، ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَـدَلًا ﴾ [الكهف: 50] ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَـلَ مِنْـهُ وَهُـوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِـرِينَ ﴾ [آل عمـران: 85]، ثم لم تلبثـوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغـوي، وإطفـاء أنوارالدين الجلي، وإهماد سـنن النـبي الصـفي، تسـرون حسـوا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولـده في الخمـر والضـراء، ونصـبر منكم على مثل حـز المـدى، ووخـز السـنان في الحشـا، وأنــتم تزعمون ألا إرث لنـا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُـونَ وَمَنْ أَحْسَـنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50] أفلا تعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.

أيها المسلمون أأغلب على إرثيـه يـا ابن أبي قحافـة! أفي كتاب الله أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟ ﴿لَقَـدْ جِئْتِ شَـيْئًا فَرِيًّا ﴾ [مـريم: 27]، أفعلى عمـد تـركتم كتـاب اللـه، ونبـذتموه وراء ظهوركم اذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]، وقــال فيما اختص من خبر يحيي بن زكريا عليهما السـلام اذ قـال رب ﴿هَبْ لِي مِنْ لَـدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَـرِثُنِي وَيَـرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُـوبَ﴾ [مريم: 5ـ 6]، وقال: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَـامِ بَعْضُـهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي

كِتَابِ اللَّهِ [الأنفال: 75]، وقال: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ [النساء: 11]، وقال: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ [البقرة: 180]، وزعمتم ألا حظوة لي، ولا إرث من أبي ولارحم بيننا!

أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمدٌ، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [الأنعام: 67]

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معاشر الفتية، وأعضاد الملة، وأنصار الإسلام! ما هذه الغميزة في حقي؟ والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: (المرء يحفظ في ولده؟) سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقةٌ بما أحاول، وقوةٌ على ما أطلب وازاول!

أتقولون مات محمدٌ ﷺ؟! فخطبٌ جليلٌ استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته؛ فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلةٌ ولا بائقةٌ عاجلةٌ أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافا وصراخا وتلاوة وإلحانا، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكمٌ فصلٌ وقضاءٌ حتمٌ: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: 144]

أيها بني قيلة! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومبتدأ ومجمع؟! تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة؛ توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معرفون بالخير والصلاح، والنجبة التي انتجبت، والخيرة التي اختيرت! قاتلتم العرب، وتحملتم الكد

والتعب، وناطحتم الأمم، وكـافحتم البهم، فلا نـبرح أو تـبرحون، نأمركم فتأتمرون حتى دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسـكنت فـورة الإفـك، وخمـدت نـيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين؛ فأنى جرتم بعد البيان، وأسـررتم بعـد الإعلان، ونكصـتم بعـد الإقـدام؟ ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَـدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَـقُّ أَنْ تَخْشَـوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: 13]

ألا قـد أرى أن قـد أخلـدتم إلى الخفض، وأبعـدتم من هـو أحـق بالبسـط والقبض، وخلـوتم بالدعـة، ونجـوتم من الضـيق بالسـعة، فمججتم مـا وعيتم، ودسـعتم الـذي تسـوغتم، ﴿إِنْ تَكْفُـرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًـا فَـإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيـدٌ﴾ [إبـراهيم: 8] ألا وقـد قلت مـا قلت على معرفـة مـني بالخذلـة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنهـا فيضـة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثة الصدور، وتقدمة الحجة.

فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبـد، موصـولة بنـار اللـه الموقـدة التي تطلع على الأفئدة. فبعين الله ما تفعلون ﴿ وَسَـيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُـونَ ﴾ [الشـعراء: 227]، وأنـا ابنـة نـذير لكم بين يدي عذاب شديد، فـ ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود: 121، 122]

فأجابها أبوبكر، فقال: يا ابنة رسـول اللـه، لقـد كـان أبـوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رؤوفـا رحيمـا، وعلى الكـافرين عـذابا أليما وعقابا عظيما؛ فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخـا لبعلك دون الأخلاء، آثره على كل حميم، وسـاعده في كـل أمـر جسيم، لا يحبكم إلا كل سعيد، ولا يبغضكم إلا كل شـقي؛ فـأنتم عترة رسول الله ﷺ الطيبون، والخـيرة المنتجبـون، على الخـير أدلتنا، وإلى الجنـة مسـالكنا، وأنت يـا خـيرة النسـاء وابنـة خـير الأنبياء صادقةٌ في قولك، سابقةٌ في وفور عقلك، غـير مـردودة عن حقـك، ولا مصـدودة عن صـدقك، وواللـه، مـا عـدوت رأي رسـول اللـه ﷺ يقـول: (نحن معاشـر الأنبيـاء لا نـورث ذهبـا ولا فضـة ولا دارا ولا عقـارا، وإنمـا نـورث الكتب والحكمـة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعـدنا أن يحكم فيـه بحكمه)، وقد جعلنـا مـا حاولتـه في الكـراع والسـلاح يقابـل بـه

المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة ثم الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين لم أتفرد به وحدي، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي. وهذه حالي، ومالي هي لك وبين يديك، لانزوي عنك ولا ندخر دونك، وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع ما لك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك؛ حكمك نافذٌ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن اخالف في ذلك أباك صلى الله عليه وآله؟)

فقالت: سبحان الله! ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفا، ولا لأحكامه مخالفا، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اغتلالا عليه بالزور؛ وهذا بعد وفاته شبيهٌ بما بغي له من الغوائل في حياته. هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم: 6]، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]، فبين عز وجل فيما وزع عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: 18]

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته؛ أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهودٌ.

فالتفتت فاطمة وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24] كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما أشرتم، وشر ما منه اعتضتم، لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء، ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] و﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر: 78]

[الحديث: 759] قال الإمام علي مبينا مقاصده من الحروب التي قام بها في وجه المحرفين: (ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأمتم أحكامه، ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون

فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوخت، وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره، وبقيت بقية من أهل البغي. ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأديلن منهم إلا ما يتشذر في أطراف البلاد تشذرا) [1]

[الحديث: 760] قال النبي ﷺ للإمام علي: (كيف بك يا علي إذ ولوها من بعدي فلانا)، قال: هذا سيفي أحول بينهم وبينها، قال النبي ﷺ: (أو تكون صابرا محتسبا فهو خير لك منها)، قال على: فإذا كان خيرا لي فأصبر وأحتسب، ثم ذكر فلانا وفلانا كذلك، ثم قال: (كيف بك إذا بويعت ثم خلعت)، فأمسك علي، فقال: (اختر يا علي السيف أو النار)، قال علي: (فما زلت أضرب أمري ظهرا لبطن فما يسعني إلا جهاد القوم وقتالهم)[2]

[الحديث: 761]ـ قال الإمام علي محذرا من ترك وصية رسول الله ﷺ: (وأخذوا يمينا وشمالا: ظعنا في مسالك الغيّ، وتركا لمذاهب الرّشد، فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد، فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يدركه، وما أقرب اليوم من تباشير غد.. يا قوم، هذا إبّان ورود كلّ موعود، ودنوّ من طلعة ما لا تعرفون.. ألا وإنّ من أدركها منّا يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصّالحين؛ ليحلّ فيها ربقا، ويعتق فيها رقّا، ويصدع شعبا، ويشعب صدعا في سترة عن النّاس، لا يبصر القائف أثره، ولو تابع نظره.. ثمّ ليشحذنّ فيها قوم شحذ القين النّصل، تجلى بالتّنزيل أبصارهم، ويرمى بالتّفسير في مسامعهم، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصّبوح، وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي، ويستوجبوا الغير، حتّى إذا اخلولق الأجل، واستراح قوم إلى الفتن، وأشالوا عن لقاح حربهم، لم يمنّوا على الله بالصّبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحقّ، حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء، حملوا بصائرهم على أسيافهم، ودانوا لربّهم بأمر واعظهم، حتّى إذا قبض الله رسوله ﷺ، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السّبل، واتّكلوا على الولائج ووصلوا غير الرّحم، وهجروا السّبب الّذي أمروا بمودّته، ونقلوا البناء عن

1() نهج البلاغة، خطبه 192.
2() المناقب ج 3 ص 203.

رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، وأبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون، من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين)[1]

[الحديث: 762] روي أن الحارث بن حوط أتى الإمام علي فقال: أ تراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال الإمام: (يا حارث، إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه)، فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال الإمام: (إن سعيدا وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق، ولم يخذلا الباطل)[2]

[الحديث: 763] قال الإمام علي لعمار بن ياسر، وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما: (دعه يا عمار، فإنه لم يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه، ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته) [3]

[الحديث: 764] قال بعض اليهود للإمام علي: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه، فقال الإمام: (إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) [4]

2 ـ ما ورد في شأن التحريفات التي قام بها معاوية وأصحابه:

وهي أحاديث تتوافق مع نظيراتها في المدرسة السنية، والتي سبق ذكرها، وهي مما يدل عليه العقل والواقع، ذلك أن الأمة جميعا متفقة على الحرب التي جرت بين الإمام علي ومعاوية، ويستحيل أن يكون الإمام علي اكتفى بحربه مع معاوية على الجانب العسكري دون التحذير من تحريفاته وتبديلاته وتأويلاته، والتي أخبر رسول الله ﷺ أنها الدافع الأول لتلك الحروب[5].

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(150)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص 401 ح 134.

2() نهج البلاغة، قصار 262.

3() نهج البلاغة، قصار 405.

4() نهج البلاغة، قصار 317.

5() من الأمثلة على ذلك ما يرون عن الإمام عليّ وموقفه من يوم صِفِّين، وقوله: (زعموا أنا بغَيْنَا عليهم، وزعمْنا أنهم بغَوْا علينا؛ فقاتلناهم على ذلك، (تاريخ دمشق (1/ 343)

والتي تبناها كل من رفض الأحاديث الكثيرة التي تضخم تلك الحرب، وتبين آثارها

وقد رأينا أنه يمكن تقسيم الأحاديث الواردة في هذا البـاب إلى ثلاثة أقسام:

أ ــ مـا ورد في تحـذير الإمـام علي من معاويـة وفتنته:

وهي أحاديث كثيرة ذكرهـا في خطبـه، وهي تـدل على أن فتنة معاوية لا ترتبط فقط بذلك الواقع، أو تلك المطـالب الـتي يظهرها، وإنما هي فتنة تمتد للإسـلام نفسـه لتحرفـه عن قيمـه النبيلة التي جاء بها، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 765] قـال الإمـام علي يـذكر الأسـاليب الـتي يسـتعملها معاويـة في حروبـه، والفـرق بينـه وبينـه: (واللـه مـا معاوية بأدهى مـني، ولكنـه يغـدر ويفجـر. ولـو لا كراهيـة الغـدر لكنت من أدهى النـاس، ولكن كـل غـدرة فجـرة، وكـل فجـرة كفرة. ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)، والله ما أسـتغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة) [1]

[الحديث: 766] قال الإمام علي في وصف معاوية، ومـا يفعل بالأمة بعـده: (أمـا إنـه سـيظهر عليكم بعـدي رجـل رحب البلعـوم، منـدحق البطن، يأكـل مـا يجـد، ويطلب مـا لا يجـد، فاقتلوه، ولن تقتلوه إلا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني فأمـا السـب فسـبوني، فإنـه لي زكـاة، ولكم نجـاة، وأمـا الـبراءة فلا تتبرؤوا مـني فـإني ولـدت على الفطـرة، وسـبقت إلى الإيمـان

الخطيرة على الإسلام، ومن ذلك قول ابن كثير: (ثم كان ما كان بينه ـ أي معاوية ــ وبين علي بعد قتل عثمان على سبيل الاجتهاد والرأي، فجرى بينهما قتال عظيم.. وكـان الحـق والصواب مع علي، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًـا) البدايـة والنهايـة (8/ 126)

وقال ابن خلـدون: (ولمـا وقعت الفتنـة بين علي ومعاويـة كـان طـريقهم فيهـا الحـق والاجتهاد، ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي، أو لإيثار باطل، أو لاستشعار حقـد كمـا قد يتوهمه متوهم، وينزع إليه ملحد، وإنما اختلف اجتهادهم في الحـق، وسـفه كـل واحـد نظـر صـاحبه في اجتهـاده في الحـق، فـاقتتلوا عليـه، وإن كـان المصـيب عليًّا، فلم يكن معاوية قائمًا فيها بقصد الباطل وإنما قصد الحق وأخطأ، والكل كانوا في مقاصـدهم على الحق) المقدمة (1/ 257)

ومثل ذلك ما ورد في نهج البلاغة من تلك الخطبة المدسوسة للإمام علي والتي جـاء فيها: (وبدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشـام، والظـاهر أن ربنـا واحـد ونبينـا واحـد، ودعوتنـا في الإسـلام واحـدة، ولا نسـتزيدهم في الإيمـان باللـه والتصـديق برسـوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه بـراء، (نهج البلاغـة (3/ 648)

وهي تخالف كل ما روي من أحاديث عن الإمام علي وغـيره، والـتي تـذكر أن الحـرب سببها تأويل الدين وتحريفه. وأما قتل عثمان فلم يكن سوى ذريعة، وهو ما أثبتته الأيام.

[1] نهج البلاغة، خطبه 200.

والهجرة)[1]
[الحـديث: 767] قـال الإمـام علي متألمـا على تبعيـة أصحاب معاوية لـه مـع باطلـه: (ليظهـرن هـؤلاء القـوم عليكم، ليس لأنهم أولى بـــالحق منكم، ولكن لإســـراعهم إلى باطـــل صـاحبهم، وإبطـائكم عن حقي. أيهـا القـوم الشـاهدة أبـدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم. صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهـل الشـام يعصـي الله وهم يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صـرف الدينار بالدرهم، فأخذ مـني عشـرة منكم وأعطـاني رجلا منهم)[2]

[الحديث: 768] قال الإمام علي يصف ما فعله معاويــة: (ألا وإن معاوية قاد لمة من الغواة، وعمس عليهم الخـبر، حـتى جعلوا نحورهم أغراض المنية) [3]

[الحـــديث: 769] قـــال الإمـــام علي: (أوليس عجبـــا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطـاء، وأنا أدعوكم ــ وأنتم تريكـة الإسـلام. وأقـرب بقـوم من الجهـل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة) [4]

[الحديث: 770] قال الإمـام علي: (وإني واللـه لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على بـاطلهم، وتفـرقكم عن حقكم، وبمعصـيتكم إمـامكم في الحـق، وطـاعتهم إمـامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم) [5]

[الحـــديث: 771] قـــال الإمـــام علي: (وهلم الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه ولا غرو واللــه، فيا له خطبا يستفرغ العجب، ويكثر الأود حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسد فواره من ينبوعه، وجـدحوا بيـني وبينهم شـربا وبيئـا، فـإن ترتفـع عنـا وعنهم محن البلـوى، أحملهم من الحق على محضه، وإن تكن الأخرى، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُــكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8]) [6]

[الحديث: 772] قال الإمام علي في رسـالة إلى سـهل

1() نهج البلاغة، خطبه 57.
2() نهج البلاغة، خطبه 97.
3() نهج البلاغة، خطبه 51.
4() نهج البلاغة، خطبه 180.
5() نهج البلاغة، خطبه 25.
6() نهج البلاغة، خطبه 162.

بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة، في قوم من أهلها لحقـوا بمعاويـة: (أمـا بعـد، فقـد بلغـني أن رجـالا ممن قبلـك يتسـللون إلى معاويـة، فلا تأسـف على مـا يفوتـك من عـددهم، ويـذهب عنـك من مـددهم، فكفى لهم غيـا، ولـك منهم شـافيا، فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل فإنمـا هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون إليها، وقـد عرفـوا العـدل ورأوه، وسـمعوه ووعـوه، وعلمـوا أن النـاس عنـدنا في الحـق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعدا لهم وسحقا إنهم ــ والله ــ لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل، وإنا لنطمع في هذا الأمـر أن يذلل الله لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه، إن شاء الله، والسلام) [1]

[الحـديث: 773] قـال الإمـام علي في ذكـر عمـرو بن العاص، وما كان يبثه من إشاعات لتشويهه: (عجبـا لابن النابغـة يـزعم لأهـل الشـام أن في دعابـة، وأني امـرؤ تلعابـة: أعـافس وأمارس لقد قال باطلا، ونطق آثما، أما ـ وشر القـول الكـذب ـ إنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيبخل، ويسأل فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الإل فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمـر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدتـه أن يمنح القـرم سـبته. أمـا واللـه إني ليمنعـني من اللعب ذكـر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخـرة، إنـه لم يبـايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه أتيـة، ويرضـخ لـه على تـرك الـدين رضيخة) [2]

[الحديث: 774] قال الإمام علي في خطبة يـذكر عمـرو بن العاص: (ولم يبايع حتى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمنـا، فلا ظفرت يد البائع، وخزيت أمانة المبتـاع، فخـذوا للحـرب أهبتهـا، وأعدوا لها عـدتها، فقـد شـب لظاهـا، وعلا سـناها، واستشـعروا الصبر، فإنه أدعى إلى النصر)[3]

[الحديث: 775] قال الإمام علي: (ألا وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما تحبون، وإنكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون. وإنمـا عهـدكم بعبـد اللـه بن قيس بـالأمس يقول: (إنها فتنة فقطعوا أوتاركم، وشيموا سـيوفكم) فـإن كـان صادقا فقد أخطأ بمسـيره غـير مسـتكره، وإن كـان كاذبـا فقـد

1() نهج البلاغة، رسالة 70.
2() نهج البلاغة، خطبه 84.
3() نهج البلاغة، خطبه 26.

لزمته التهمة. فادفعوا في صدر عمرو بن العـاص بعبـد اللـه بن العباس) [1]

[الحديث: 776] قال الإمـام علي في رسـالة إلى عمـرو بن العاص: (فإنك قد جعلت دينك تبعـا لـدنيا امـرئ ظـاهر غيـه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسـه، ويسـفه الحليم بخلطتـه، فاتبعت أثره، وطلبت فضله، اتباع الكلب للضرغام يلوذ بمخالبه، وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك وآخرتـك ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت. فإن يمكـني اللـه منـك ومن ابن أبي سـفيان أجزكمـا بمـا قـدمتما، وإن تعجـزا وتبقيـا فمـا أمامكما شر لكما، والسلام) [2]

[الحديث: 777] قال الإمام علي في رسـالة إلى جريـر بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية: (أما بعد، فـإذا أتـاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم مخزية فإن اختار الحـرب فانبـذ إليـه، وإن اختار السلم فخذ بيعته، والسلام) [3]

ب ـ ما ورد من رسائل الإمام علي إلى معاوية:

وهي رسائل كثيرة تبين الـدوافع الحقيقيـة لحـرب صـفين، وكونها حربا للدفاع عن الإسلام في وجه الثـورة المضـادة الـتي أعلنها الطلقاء، واسـتعانوا فيهـا بضـعاف القلـوب من الـذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام، ومن تلك الرسائل:

[الحديث: 778] قـال الإمـام علي في رسـالة كتبهـا إلى معاوية: (إنه بايعني القوم الذين بـايعوا أبـا بكـر وعمـر وعثمـان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضـا، فـإن خـرج عن أمـرهم خـارج بطعن أو بدعـة ردوه إلى مـا خـرج منـه، فـإن أبى قـاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمـنين، وولاه اللـه مـا تـولى. ولعمـري، يـا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هـواك لتجـدني أبـرأ النـاس من دم عثمان، ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجـنى فتجن ما بدا لك والسلام) [4]

1() نهج البلاغة، خطبه 238.
2() نهج البلاغة، رسالة 39.
3() نهج البلاغة، رسالة 8.
4() نهج البلاغة، رسالة 6 6.

[الحديث: 779] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (أما بعد، فقد أتتني منك موعظة موصلة، ورسالة محبرة، نمقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، قد دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه، فهجر لاغطا وضل خابطا) [1]

[الحديث: 780] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (.. فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا العذب، وأحلسونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمته. مؤمننا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن الأصل. ومن أسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه، أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان أمن، وكان رسول الله ﷺ إذا احمر البأس، وأحجم الناس، قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت، ومنيته أجلت. فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه. والحمد لله على كل حال، وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإني نظرت في هذا الأمر، فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك، لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل، إلا أنه طلب يسوؤك وجدانه، وزور لا يسرك لقيانه، والسلام لأهله) [2]

[الحديث: 781] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها، وخدعت بلذتها دعتك فأجبتها، وقادتك فاتبعتها، وأمرتك فأطعتها. وإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، وشمر لما قد نزل بك، ولا تمكن الغواة من سمعك، وإلا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك، فإنك مترف قد أخذ

1() نهج البلاغة، رسالة 7 7.

2() نهج البلاغة، رسالة 9.

الشيطان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم.. ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، وولاة أمر الأمة بغير قدم سابق، ولا شرف باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء. وأحذرك أن تكون متماديا في غرة الأمنية، مختلف العلانية والسريرة. وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانبا واخرج إلي، وأعف الفريقين من القتال، لتعلم أينا المرين على قلبه، والمغطى على بصره فأنا أبو حسن قاتل جدك وأخيك وخالك شدخا يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي، ما استبدلت دينا، ولا استحدثت نبيا. وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين. وزعمت أنك جئت ثائرا بدم عثمان. ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالبا، فكأني قد رأيتك تضج من الحرب إذا عضتك ضجيج الجمال بالأثقال، وكأني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع، إلى كتاب الله، وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة) [1]

[الحديث: 782] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (وأما طلبك إلي الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، وأما قولك: إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار. وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم. وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز، ونعشنا بها الذليل. ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها، كنتم ممن دخل في الدين: إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم. فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا، ولا على نفسك سبيلا، والسلام) [2]

1() نهج البلاغة، رسالة 10.

2() نهج البلاغة، رسالة 17.

[الحديث: 783] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية جوابا: (أتاني كتابك تـذكر فيـه اصـطفاء اللـه محمـدا ﷺ لدينـه، وتأييده إياه لمن أيده من أصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منـك عجبـا إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا، ونعمتـه علينـا في نبينـا، فكنت في ذلـك كناقـل التمـر إلى هجـر، أو داعي مسـدده إلى النضـال. وزعمت أن أفضـل النـاس في الإسـلام فلان وفلان فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه. وما أنت والفاضل والمفضول، والسـائس والمسـوس ومـا للطلقـاء وأبنـاء الطلقـاء، والتميـيز بين المهـاجرين الأولين، وتـرتيب درجـاتهم وتعريـف طبقـاتهم هيهـات لقـد حن قـدح ليس منهـا، وطفـق يحكم فيهـا من عليـه الحكم لهـا أ لا تربـع أيهـا الإنسـان على ظلعك، وتعرف قصـور ذرعـك، وتتـأخر حيث أخـرك القـدر فما عليـك غلبـة المغلـوب، ولا ظفـر الظـافر وإنـك لـذهاب في التيه، رواغ عن القصد. أ لا ترى ـ غـير مخـبر لـك، ولكن بنعمـة اللـه أحـدث ـ أن قومـا استشـهدوا في سـبيل اللـه تعـالى من المهـاجرين والأنصـار، ولكـل فضـل، حـتى إذا استشـهد شـهيدنا قيل: سيد الشهداء، وخصه رسول الله ﷺ بسـبعين تكـبيرة عنـد صلاته عليه أولا تـرى أن قومـا قطعت أيـديهم في سـبيل اللـه ـ ولكل فضل ـ حـتى إذا فعـل بواحـدنا مـا فعـل بواحـدهم، قيـل: (الطيار في الجنـة وذو الجنـاحين) ولـو لا مـا نهى اللـه عنـه من تزكيـة المـرء نفسـه، لـذكر ذاكـر فضـائل جمـة، تعرفهـا قلـوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السـامعين. فـدع عنـك من مـالت بـه الرمية فإنا صنائع ربنا، والناس بعـد صـنائع لنـا. لم يمنعنـا قـديم عزنا ولا عادي طولنا على قومـك أن خلطنـاكم بأنفسـنا فنكحنـا وأنكحنا فعل الأكفاء، ولستم هناك وأنى يكون ذلـك ومنـا النـبي ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سـيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنـا خـير نسـاء العـالمين، ومنكم حمالة الحطب، في كثـير ممـا لنـا وعليكم فإسـلامنا قـد سمع، وجاهليتنا لا تدفع، وكتاب الله يجمع لنا مـا شـذ عنـا، وهـو قوله سبحانه وتعـالى: ﴿وَأُولُـو الْأَرْحَـامِ بَعْضُـهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَـابِ اللَّهِ﴾ [الأنفـال: 75]، وقولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِـإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُـوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68]، فنحن مـرة أولى بالقرابـة، وتـارة أولى بالطاعة. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السـقيفة

برسـول اللـه ﷺ فلجـوا عليهم، فـإن يكن الفلج بـه فـالحق لنـا دونكم، وإن يكن بغــيره فالأنصــار على دعــواهم. وزعمت أني لكل الخلفـاء حسـدت، وعلى كلهم بغيت فـإن يكن ذلـك كـذلك فليست الجناية عليك، فيكون العـذر إليـك. وتلـك شـكاة ظـاهر عنك عارها، وقلت: إني كنت أقاد كما يقـاد الجمـل المخشـوش حتى أبايع ولعمر اللـه لقـد أردت أن تـذم فمـدحت، وأن تفضـح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلومـا ما لم يكن شـاكا في دينـه، ولا مرتابـا بيقينـه وهـذه حجـتي إلى غيرك قصدها، ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرهـا. ثم ذكرت ما كـان من أمـري وأمـر عثمـان، فلـك أن تجـاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى لـه، وأهـدى إلى مقاتلـه أ من بذل له نصرته فاستقعده واستكفه، أم من استنصـره فـتراخى عنه وبث المنون إليه، حتى أتى قـدره عليـه. كلا واللـه لــ ﴿قَـدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَـأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحـزاب: 18] ومـا كنت لأعتـذر من أني كنت أنقم عليه أحداثا فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له فـرب ملـوم لا ذنب لـه. وقـد يسـتفيد الظنـة المتنصح ومـا أردت ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْـتَطَعْتُ وَمَـا تَـوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْـهِ تَـوَكَّلْتُ وَإِلَيْـهِ أُنِيبُ﴾ [هـود: 88]، وذكـرت أنـه ليس لي ولأصـحابي عنـدك إلا السـيف، فلقـد أضـحكت بعـد اسـتعبار مـتى ألفيت بـني عبـد المطلب عن الأعــداء نــاكلين، وبالســيف مخــوفين فلبث قليلا يلحــق الهيجـا حمل، فسـيطلبك من تطلب، ويقـرب منـك مـا تستبعد، وأنا مرقل نحوك في جحفـل من المهـاجرين والأنصـار، والتــابعين لهم بإحســان، شــديد زحــامهم، ســاطع قتــامهم، متسـربلين سـرابيل المـوت أحب اللقـاء إليهم لقـاء ربهم، وقـد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصـالها في أخيك، وخالك وجدك وأهلك ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 83])[1]

[الحديث: 784] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (فاتق الله فيما لديك، وانظر في حقه عليك، وارجع إلى معرفـة ما لا تعذر بجهالتـه، فـإن للطاعـة أعلامـا واضـحة، وسـبلا نـيرة، ومحجة نهجة، وغاية مطلبة، يردها الأكيـاس، ويخالفهـا الأنكـاس من نكب عنها جار عن الحق، وخبط في التيه، وغير الله نعمتـه،

(1) نهج البلاغة، رسالة 28.

وأحل به نقمته. فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك، وحيث تناهت بك أمورك، فقد أجريت إلى غاية خسر، ومحلة كفر، فإن نفسك قد أولجتك شرا، وأقحمتك غيا، وأوردتك المهالك، وأوعرت عليك المسالك) [1]

[الحديث: 785] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (وأرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولوا على أدبارهم، وعولوا على أحسابهم، إلا من فاء من أهل البصائر، فإنهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك، إذ حملتهم على الصعب، وعدلت بهم عن القصد. فاتق الله يا معاوية في نفسك، وجاذب الشيطان قيادك، فإن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك، والسلام) [2]

[الحديث: 786] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة، والحيرة المتبعة، مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق، التي هي لله طلبة، وعلى عباده حجة. فأما إكثارك الحجاج على عثمان وقتلته، فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له، والسلام) [3]

[الحديث: 787] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (فإن البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه، ويبديان خلله عند من يعيبه، وقد علمت أنك غير مدرك ما قضي فواته، وقد رام أقوام أمرا بغير الحق فتألوا على الله فأكذبهم، فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه. وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولسنا إياك أجبنا، ولكنا أجبنا القرآن في حكمه، والسلام) [4]

[الحديث: 788] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (إن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملا، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنما وضعنا فيها لنبتلي بها، وقد ابتلاني الله بك وابتلاك

1() نهج البلاغة، رسالة 30.
2() نهج البلاغة، رسالة 32.
3() نهج البلاغة، رسالة 37.
4() نهج البلاغة، رسالة 48.

بي: فجعل أحدنا حجة على الآخر، فعدوت على الدنيا بتأويل القرآن، فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني، وعصيته أنت وأهل الشام بي، وألب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك، واصرف إلى الآخرة وجهك، فهي طريقنا وطريقك. واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل، وتقطع الدابر، فإني أولي لك بالله ألية غير فاجرة، لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]) [1]

[الحديث: 789] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (إنا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها، وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله ﷺ حزبا وذكرت أني قتلت طلحة والزبير، وشردت بعائشة، ونزلت بين المصرين وذلك أمر غبت عنه فلا عليك، ولا العذر فيه إليك. وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك، فإن كان فيه عجل فاسترفه، فإني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني إليك للنقمة منك وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد: مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجلمود.. وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد. وإنك والله ما علمت الأغلف القلب، المقارب العقل والأولى أن يقال لك: إنك رقيت سلما أطلعك مطلع سوء عليك لا لك، لأنك نشدت غير ضالتك، ورعيت غير سائمتك، وطلبت أمرا لست من أهله ولا في معدنه، فما أبعد قولك من فعلك وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة، وتمني الباطل، على الجحود بمحمد ﷺ فصرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يدفعوا عظيما، ولم يمنعوا حريما، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى، ولم تماشها الهوينى. وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إلي، أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال، والسلام لأهله) [2]

[الحديث: 790] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية:

---

[1] () نهج البلاغة، رسالة 55.

[2] () نهج البلاغة، رسالة 64.

(أما بعد، فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل، واقتحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اختزن دونك، فرارا من الحق، وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فما ذا بعد الحق إلا الضلال المبين، وبعد البيان إلا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها، فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها، وأغشت الأبصار ظلمتها. وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم، وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم أصبحت منها كالخائض في الدهاس، والخابط في الديماس، وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام، نازحة الأعلام، تقصر دونها الأنوق ويحاذى بها العيوق. وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدرا أو وردا، أو أجري لك على أحد منهم عقدا أو عهدا فمن الآن فتدارك نفسك، وانظر لها، فإنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور، ومنعت أمرا هو منك اليوم مقبول، والسلام) [1]

[الحديث: 791] قال الإمام علي في رسالة إلى معاوية: (أما بعد، فإني على التردد في جوابك، والاستماع إلى كتابك، لموهن رأيي، ومخطئ فراستي. وإنك إذ تحاولني الأمور وتراجعني السطور، كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه، والمتحير القائم يبهظه مقامه، لا يدري أ له ما يأتي أم عليه، ولست به، غير أنه بك شبيه. وأقسم بالله إنه لو لا بعض الاستبقاء، لوصلت إليك مني قوارع، تقرع العظم، وتهلس اللحم واعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك، وتأذن لمقال نصيحتك، والسلام لأهله) [2]

ج ـ ما ورد في تحذير الإمام الحسن من معاوية وفتنته:

وقد خصصناها بالذكر ردا على أولئك الذين يتوهمون أن الصلح الذي اضطر إليه الإمام الحسن كان مبنيا على صلاحية معاوية للحكم، وأنه أعطاه شرعية بذلك، مع أنه لم يكن كذلك، بل اضطر إليه الإمام الحسن اضطرارا مثلما اضطر رسول الله ﷺ إلى صلح الحديبية، ومن تلك الأحاديث:

1() نهج البلاغة، رسالة 65.
2() نهج البلاغة، رسالة 73.

[الحديث: 792] روي أن عمرو بن العاص قال لمعاويـة: إن الحسـن بن علي رجـل عـيي وإنـه إذا صـعد المنـبر ورمقـوه بأبصارهم خجل وانقطع، لو أذنت له، فقال معاوية: يا أبا محمـد لو صعدت المنبر ووعظتنـا! فقـام فحمـد اللـه وأثـنى عليـه، ثم قال: (من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنـا الحسـن بن علي وابن سـيدة النسـاء فاطمـة بنت رسـول اللـه ﷺ، أنـا ابن رسول الله، أنـا ابن نـبي اللـه، أنـا ابن السـراج المنـير، أنـا ابن البشير النذير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والانس، أنا ابن خير خلق الله بعد رسول الله، أنا ابن صاحب الفضائل أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المـدفوع عن حقي أنـا واحـد سـيدي شـباب أهـل الجنة.. أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن من قاتـل معـه الملائكـة، أنا ابن من خضعت له قريش، أنـا ابن إمـام الخلـق وابن محمـد رسول الله ﷺ)، فخشي معاوية أن يفتتن به الناس، فقال: يا أبا محمد انزل فقد كفي ما جرى فنزل فقال له معاويـة: ظننت أن ستكون خليفة، وما أنت وذاك، فقال الحسن: (إنما الخليفـة من سـار بكتـاب اللـه، وسـنة رسـول اللـه، ليس الخليفـة من سـار بالجور وعطل السنة، واتخذ الدنيا أبا وامـا، ملـك ملكـا متـع بـه قليلا، ثم تنقطع لذته، وتبقى تبعته)

ثم نفض ثوبـه، ونهض ليخـرج، فقـال ابن العـاص: اجلس فاني أسـألك مسـائل، فقـال: سـل عمـا بـدا لـك، قـال عمـرو: أخبرني عن الكرم والنجدة والمروءة، فقال: (أما الكرم فالتبرع بـالمعروف والاعطـاء قبـل السـؤال، وأمـا النجـدة فالـذب عن المحـارم، والصـبر في المـواطن عنـد المكـاره، وأمـا المـروءة فحفظ الرجل دينـه، وإحـرازه نفسـه من الـدنس وقيامـه بـأداء الحقوق وإفشاء السـلام)، فخـرج. فعـذل معاويـة عمـرا فقـال: أفسدت أهل الشام، فقال عمرو: إليك عني إن أهـل الشـام لم يحبـوك محبـة إيمـان ودين، إنمـا أحبـوك للـدنيا ينالونهـا منـك والسيف والمال بيدك، فما يغني عن الحسن كلامه(1).

[الحـديث: 793] روي أن معاويـة قـدم المدينـة فقـام خطيبا فنال من الإمام علي، فقام الإمام الحسن فخطب فحمـد الله وأثنى عليه ثم قال له: (إنه لم يبعث نبي إلا جعل له وصـي من أهل بيته، ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإن عليا

(1) بحار الأنوار (44/ 88)

كان وصي رسول الله ﷺ من بعده، وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب وجدي رسول الله ﷺ وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله ألأمنا حسبا وأقدمنا كفرا وأخملنا ذكرا وأشدنا نفاقا)، فقال عامة أهل المسجد: آمين، فنزل معاوية فقطع خطبته[1].

[الحديث: 794] روي أنه لما قدم معاوية الكوفة قيل له إن الحسن بن علي مرتفع في أنفس الناس، فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبر فتدركه الحداثة والعي فيسقط من أنفس الناس، فأبى عليهم وأبوا عليه إلا أن يأمره بذلك، فأمره فقام دون مقامه في المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فانكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلا جده نبي لم تجدوه غيري وغير أخي، وإنا أعطيا صفقتنا هذا الطاغية ـ وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية وهو في مقام رسول الله ﷺ من المنبر ـ ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)، وأشار بيده إلى معاوية، فقال له معاوية: ما أردت بقولك هذا؟ فقال: أردت به ما أراد الله عزوجل.

فقام معاوية فخطب خطبة عيية فاحشة، فثلب فيها أمير المؤمنين عليه السلام فقام الحسن وهو على المنبر: (يا ابن آكلة الاكباد، أو أنت تسب أمير المؤمنين، وقد قال رسول الله ﷺ: من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالدا فيها مخلدا، وله عذاب مقيم)، ثم انحدر الحسن عن المنبر فدخل داره ولم يصل هناك بعد ذلك[2].

[الحديث: 795] روي أن معاوية قال للإمام الحسن: أنا أخير منك يا حسن، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأن الناس قد أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك، فقال الإمام: (هيهات هيهات لشر ما علوت، يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان: بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاش لله أن أقول: أنا خير منك فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل) [3]

1() الاحتجاج ص 145.
2() بحار الأنوار (44/ 91)
3() بحار الأنوار (44/ 104)

[الحديث: 796] وهو حـديث طويـل عن الإمـام الحسـن يبين الفـروق بين العـترة والمـوالين لهـا، وغـيرهم من أصـحاب الفئة الباغية، وخصوصا معاوية، وقد رواه الشعبي وأبـو مخنـف، وغيرهمـا قـالوا: لم يكن في الإسـلام يـوم في مشـاجرة قـوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجا ولا أعلى كلاما، ولا أشد مبالغة في قولٍ، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان: عمـرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبـة بن أبي سـفيان، والوليـد بن عتبـة بن أبي معيـط، والمغـيرة بن شـعبة، وقـد تواطؤوا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العـاص لمعاويـة: ألا تبعث إلى الحسـن بن علي فتُحضره، فقد أحيـا سـيرة أبيـه وخفقت النعـال خلفـه: إن أمر فـأطيع، وإن قـال فصُـدّق، وهـذان يرفعـان بـه إلى مـا هـو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصّرنا بـه أي أظهرنـا أنـه مقصّـر وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصـغّرنا بقـدره وقـدر أبيـه، وقعـدنا لـذلك حـتى صـدق لـك فيـه، فقـال لهم معاويـة: إني أخـاف أن يقلّدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى تدخلكم قبوركم، والله مـا رأيتـه قـط إلا كـرهت جنابـه، وهبت عتابـه، وإني إن بعثت إليـه لأنصفتُه منكم، قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطلُـه على حقنا، ومرضُه على صحتنا؟، قال: لا، قال: فابعث إذاً إليه.

فقـال عتبـة: هـذا رأي لا أعرفـه، واللـه ماتسـتطيعون أن تلقـوه بـأكثر ولا أعظم ممـا في أنفسـكم عليـه، ولا يلقـاكم إلا بأعظم مما في نفسه عليكم، وإنه لمن أهـل بيت خَصِـمٍ جَـدِلٍ، فبعثوا إلى الإمام الحسن فلمـا أتـاه الرسـول قـال لـه: يـدعوك معاويـة، قـال: ومَن عنـده؟، قـال الرسـول: عنـده فلان وفلان، وسمّى كلاًّ منهم باسمه، فقال الإمام الحسن: ما لهم خرّ عليهم السـقف من فـوقهم وأتـاهم العـذاب من حيث لا يشـعرون، ثم قال: اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعـوذ بـك من شـرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت وأنى شئت، من حولـك وقوتك يا أرحم الراحمين، وقال للرسول: هذا كلام الفرج.

فلما أتى معاوية، وتكلم الجميع، وسـبوا الإمـام علي، قـال الإمـام الحسـن: الحمـد للـه الـذي هـدى أولكم بأولنـا، وآخـركم بآخرنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلّم، ثم قال: اسمعوا مني مقالتي، وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاويـة، ثم قال لمعاوية: إنه لعمر الله يا أزرق، ما شتمني غيرك وما هـؤلاء

شتموني، ولا سبّني غيرك وما هؤلاء سبّوني، ولكن شتمتني وسببتني فحشاً منك، وسوء رأي، وبغيا وعدوانا وحسدا علينا، وعداوة لمحمد ﷺ قديما وحديثا.

وإنه والله، لو كنتُ أنا وهؤلاء يا أزرق، منازعين في مسجد رسول الله ﷺ وحولنا المهاجرون والأنصار، ما قدروا أن يتكلموا بمثل ما تكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به، فاسمعوا مني أيها الملأ المجتمعون المعاونون عليّ ولا تكتموا حقا علمتموه، ولا تصدّقوا بباطل نطقتُ به، وسأبدأ بك يا معاوية، فلا أقول فيك إلا دون ما فيك.

أنشدكم بالله، هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلّى القبلتين كلتيهما، وأنت تراهما جميعا ضلالة، تعبد اللات والعزى؟، وبايع البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث.

ثم قال: أنشدكم بالله، هل تعلمون أنما أقول حقا إنه لقيكم مع رسول الله ﷺ يوم بدر ومعه راية النبي ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين، تعبد اللات والعزى، وترى حرب رسول الله ﷺ والمؤمنين فرضاً واجباً، ولقيكم يوم أُحد ومعه راية النبي ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين، ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية النبي ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين، كل ذلك يفلج الله حجّته، ويحقّ دعوته، ويصدّق أحدوثته، وينصر رايته، وكل ذلك رسول الله ﷺ يُرى عنه راضيا في المواطن كلها.

ثم أنشدكم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة وبني النضير، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار، فأما سعد بن معاذ فجُرح وحُمل جريحا، وأما عمر فرجع وهو يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فتعّرض لها أبوبكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وعليّ يومئذ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله ﷺ فتفل في عينيه فبرأ من الرمد، فأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه بمنّه وطوله، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ورسوله فهل يُسوّى بين رجل نصح لله ولرسوله، ورجل عادى الله ورسوله ﷺ، ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكنّ اللسان خائف، فهو يتكلم بما ليس في القلب.

ثم أنشـدكم باللـه، أتعلمـون أن رسـول اللـه ﷺ اسـتخلفه على المدينة في غزوة تبوك ولا سـخطه ذلـك ولا كرهـه، وتكلم فيه المنافقون، فقال: لا تخلّفني يا رسول الله، فإني لم أتخلّـف عنك في غزوة قط، فقال رسول الله ﷺ: أنت وصيي وخليفــتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى، ثم أخذ بيـد الإمـام علي ثم قال: أيها الناس، من تولاني فقد تولى الله، ومن تولى عليا فقد تـولاني، ومن أطـاعني فقـد أطـاع اللـه، ومن أطـاع عليـا فقـد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب عليا فقد أحبني، ثم قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أن رسـول اللـه قـال في حجّـة الوداع: أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده: كتاب الله فأحلّوا حلالـه، وحرّمـوا حرامـه، واعملـوا بمحكمـه، وآمنـوا بمتشابهه، وقولوا آمنا بما أنـزل اللـه من الكتـاب، وأحبّـوا أهـل بيتي وعـترتي، ووالـوا من والاهم، وانصـروهم على من عـاداهم وإنهما لم يزالا فيكم حـتى يـردا عليَّ الحـوض يـوم القيامـة، ثم دعا وهو على المنبر عليّا فاجتذبـه بيـده، فقـال: اللهم، وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم، من عـادى عليـا فلا تجعـل لـه في الأرض مقعدا، ولا في السماء مصـعدا، واجعلـه في أسـفل درك من النار.

أنشدكم باللـه، أتعلمـون أن رسـول اللـه ﷺ قـال لـه: أنت الذائـد عن حوضـي يـوم القيامـة، تـذود عنـه كمـا يـذود أحـدكم الغريبة من وسط إبله.

أنشدكم بالله، أتعلمون أنه دخـل على رسـول اللـه ﷺ في مرضه الذي توفي فيـه، فبكى رسـول اللـه ﷺ، فقـال عليّ: مـا يبكيك يا رسول الله؟، فقال: يُبكيني أني أعلم أن لك في قلوب رجال من أمتي ضغائن لا يبدونها حتى أتولى عنك.

أنشـدكم باللـه، أتعلمـون أن رسـول اللـه ﷺ حين حضـرته الوفـاة، واجتمـع أهـل بيتـه قـال: اللهم، هـؤلاء أهلي وعـترتي، اللهم، وال من والاهم، وانصرهم على من عاداهم، وقـال: إنمـا مثـل أهـل بيـتي فيكم كسـفينة نـوح، من دخـل فيهـا نجـا، ومن تخلف عنها غرق.

أنشدكم بالله، أتعلمون أن أصحاب رسول الله قـد سـلّموا عليه بالولاية في عهد رسول الله وحياته ﷺ.

أنشـدكم باللـه، أتعلمـون أن عليـا كـان عنـده علم المنايـا، وعلم القضايا، وفصل الخطاب، ورسوخ العلم، ومـنزل القـرآن،

وكـان في رهـطٍ لا نعلمهم يتمّـون عشـرة نبّـأهم اللـه أنهم بـه مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدة أولئك لُعنوا على لسان رسول الله ﷺ فأشهد لكم وأشهد عليكم، أنكم لعنـاء اللـه على لسان نبيه ﷺ كلكم أهل البيت.

وأنشدكم بالله، هل تعلمون أن رسـول اللـه ﷺ بعث إليـك لتكتب لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليـد، فانصـرف إليـه الرسول، فقال: هو يأكل، فأعاد الرسول إليك ثلاث مـرات، كـل ذلك ينصرف الرسول ويقول: هو يأكـل، فقـال رسـول اللـه ﷺ: اللهم، لا تشـبع بطنـه، فهي واللـه في نهمتـك وأكلـك إلى يـوم القيامة، ثم قال: أنشدكم بالله، هل تعلمون أنما أقول حقـا إنـك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، ويقوده أخوك هـذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله ﷺ الراكب والقائد والسائق، فكان أبوك الـراكب، وأنت يـا أزرق السـائق، وأخـوك هذا القاعد القائد؟،

ثم أنشدكم بالله، هل تعلمـون أن رسـول اللـه ﷺ لعن أبـا سـفيان في سـبعة مـواطن: أولهن: حين خـرج من مكـة إلى المدينة وأبوسفيان جاء من الشام، فوقع فيـه أبوسـفيان فسـبه وأوعده وهمّ أن يبطش به، ثم صرفه الله عز وجل عنه.

والثاني: يـوم العـير، حيث طردهـا أبوسـفيان ليحرزهـا من رسول الله ﷺ. والثالث: يوم أحد يوم قال رسول اللـه ﷺ: اللـه مولانا ولا مولى لكم، وقال أبوسفيان: لنا العزى ولا لكم العزى، فلعنه الله وملائكته ورسوله والمؤمنون أجمعون.

والرابـع: يـوم حـنين يـوم جـاء أبوسـفيان بجمـع قـريش وهوازن، وجـاء عيينـة بغطفـان واليهـود فـردّهم اللـه عـز وجـل بغيظهم لم ينالوا خيرا، هذا قول الله عز وجل لـه في سـورتين، في كلتيهما يسمي أبا سفيان وأصـحابه كفـارا، وأنت يـا معاويـة يومئذ مشرك على رأى أبيك بمكة، وعليّ يومئذ مع رسول اللـه ﷺ وعلى رأيه ودينه.

والخامس: قول الله عز وجل: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ وَالْهَـدْيَ مَعْكُوفًـا أَنْ يَبْلُـغَ مَحِلَّهُ ﴾ [الفتح: 25] وصددت أنت وأبوك ومشركو قريش رسولَ الله ﷺ فلعنـه الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة.

والسادس: يوم الأحزاب يوم جاء أبوسفيان بجمـع قـريش، وجـاء عيينـة بن حصـن بن بـدر بغطفـان فلعن رسـول اللـه ﷺ

القادة والأتباع والساقة إلى يوم القيامة، فقيل: يـا رسـول اللـه أمَا في الأتباع مؤمن؟، فقال: لا تصيب اللعنة مؤمنا من الأتبـاع، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج.

والسابع: يوم الثنية، يوم شـدّ على رسـول اللـه اثنـا عشـر رجلاً سبعة منهم من بني أمية، وخمسة من سائر قـريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ من حلّ الثنية غير النـبي وسـائقه وقائده.

ثم أنشدكم باللـه، هـل تعلمـون أن أبـا سـفيان دخـل على عثمان حين بويع في مسجد رسول اللـه ﷺ، فقـال: يـا بن أخي هل علينا من عين؟، فقال: لا، فقال أبوسفيان: تـداولوا الخلافـة فتيان بني أمية، فو الذي نفس أبي سفيان بيده، ما من جنـة ولا نار.

وأنشدكم بالله، أتعلمون أن أبـا سـفيان أخـذ بيـد الحسـين حين بويع عثمان وقال: يا بن أخي، اخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتى إذا توسّط القبور اجترّه فصاح بأعلى صوته: يا أهـل القبور، الذي كنتم تقاتلونا عليه، صـار بأيـدينا وأنتم رميم، فقـال الحسـين بن علي: قبّح اللـه شـيبتك، وقبّح وجهـك، ثم نـتر يـده وتركه، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده وردّه إلى المدينة لهلك، فهذا لك يا معاوية، فهل تستطيع أن تردّ علينا شيئا؟

ومن لعنتـك يـا معاويـة أن أبـاك أبـا سـفيان كـان يهّم أن يسـلم، فبعثتَ إليـه بشـعر معـروف مـروي في قـريش عنـدهم تنهاه عن الإسلام، وتصدّه.

ومنها أن عمر بن الخطـاب ولاّك الشـام فخنت بـه، وولاّك عثمان فتربّصت به ريب المنون، ثم أعظم من ذلك أنـك قـاتلت عليا، وقد عرفت سوابقه وفضله وعلمه، على أمر هـو أولى بـه منك، ومن غيرك عنـد اللـه وعنـد النـاس، ولا دنيـة بـل أوطـات الناس عشوة، وأرقت دماء خلق من خلق اللـه بخـدعك وكيـدك وتمويهك، فعْلَ من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب.

فلما بلغ الكتاب أجله صرت إلى شرّ مثوى، وعليّ إلى خير منقلب واللـه لـك بالمرصـاد، فهـذا لـك يـا معاويـة خاصـة، ومـا أمسكتُ عنه من مساويك وعيوبك، فقد كرهت به التطويل.

وأما أنت يا عمرو بن عثمـان، فلم تكن حقيقـا لحمقـك أن تتبع هـذه الأمـور، فإنمـا مثلـك مثـل البعوضـة إذ قـالت للنخلـة: استمسكي فـإني أُريـد أن أنـزل عنـك، فقـالت لهـا النخلـة: مـا

شعرتُ بوقوعك، فكيف يشقّ عليّ نزولك؟، وإني والله ما شعرت أنك تحسن أن تعادي لي فيشقّ عليّ ذلك، وإني لمجيبك في الذي قلت، إنّ سبّك عليا أبنقص في حسبه؟، أو تباعده من رسول الله ﷺ؟، أو بسوء بلاء في الإسلام؟، أو بجور في حكم، أو رغبة في الدنيا؟، فإن قلت واحدة منها فقد كذبت.

وأما قولك: إنّ لكم فينا تسعة عشر دما بقتلى مشركي بني أمية ببدر، فإن الله ورسوله قتلهم، ولعمري ليُقتلن من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر، ثم يُقتل من بني أمية تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد، سوى ما قتل من بني أمية لا يحصي عددهم إلا الله.

إن رسول الله ﷺ قال: إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلا أخذوا مال الله بينهم دُولا، وعباده خَولا، وكتابه دغَلا، فإذا بلغوا ثلاثمائة وعشراً حقّت عليهم اللعنة ولهم، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة، فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذكر والكلام، فقال رسول الله ﷺ: اخفضوا أصواتكم، فإن الوزغ يسمع، وذلك حين رآهم رسول الله ﷺ ومن يملك بعده منهم أمر هذه الامة ـ يعني في المنام ـ فساءه ذلك وشق عليه فأنزل الله عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 1 -ـ 3] فأشهدُ لكم وأشهد عليكم، ما سلطانكم بعد قتل عليّ إلا ألف شهر، التي أجّلها الله عز وجل في كتابه.

وأما أنت يا عمرو بن العاص الشانئ اللعين الأبتر، فأول أمرك أمّك لبغيّة، وإنك ولدت على فراش مشترك، فتحاكمتْ فيك رجال قريش منهم: أبوسفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحارث، والنضر بن الحارث بن كلدة، والعاص بن وائل، كلهم يزعم أنك ابنه، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسبا، وأخبثهم منصبا، وأعظمهم بغية، ثم قمت خطيبا وقلتَ: أنا شانئ محمد، وقال العاص بن وائل: إن محمدا رجل أبتر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره.

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3] فكانت أمّك تمشي إلى عبد قيس لطلب البُغية، تأتيهم في دورهم ورحالهم وبطون أوديتهم، ثم كنتَ في كل مشهد يشهد رسول الله عدوّه، أشدهم له عداوة وأشدهم له تكذيبا.

ثم كنتَ في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي، والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة أي التعريض بالقتل بدم جعفر بن أبي طالب، وسائر المهاجرين إلى النجاشي، فحاق المكر السيئ بك، وجعل جدك الأسفل، وأبطل أمنيتك، وخيّب سعيك، وأكذب أحدوثتك وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.

وأما قولك في عثمان، فأنت يا قليل الحياء والدين، ألهبت عليه نارا، ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر، فلما أتتك خبر قتله حبست نفسك على معاوية، فبعته دينك يا خبيثُ بدنيا غيرك، ولسنا نلومك على بغضنا، ولا نعاقبك على حبنا، وأنت عدوٌّ لبني هاشم في الجاهلية والإسلام، وقد هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتا من شعر، فقال رسول الله ﷺ: اللهم، إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي أن أقوله، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة.

ثم أنت يا عمرو المؤثر دنيا غيرك على دينك، أهديت إلى النجاشي الهدايا، ورحلت إليه رحلتك الثانية، ولم تنهك الأولى عن الثانية، كل ذلك ترجع مغلولاً حسيراً تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه، فلما أخطأكَ ما رجوتَ وأمّلت، أحلتَ على صاحبك عمّارة بن الوليد.

وأما أنت يا وليد بن عقبة، فو الله ما ألومك أن تبغض عليا وقد جلدك في الخمر ثمانين، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبّه فقد سمّاه الله مؤمنا في عشر آيات من القرآن، وسماك فاسقا، وهو قول الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: 18] وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]

وما أنت وذكر قريش، وإنما أنت ابن عليج من أهل صفورية يقال له ذكوان، وأما زعمُك أنا قتلنا عثمان، فو الله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب، فكيف تقوله أنت؟، ولو سألتَ أمّك من أبوك، إذ تركت ذكوان فألصقتْك بعقبة بن أبي معيط، اكتستْ بذلك عند نفسها سناء ورفعة، مع ما أعد الله لك ولأبيك وأمك من العار والخزى في الدنيا والآخرة، وما الله بظلاّم للعبيد.

ثم أنت يا وليد ــ والله ــ أكبر في الميلاد ممن تدَّعي له

النسب، فكيف تسبُّ عليا؟، ولو اشتغلت بنفسـك لـبيّنتُ نسـبك إلى أبيك لا إلى من تدّعي له، ولقد قالت لك أمّك: يا بُني، أبوك والله ألأم وأخبث من عقبة.

وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان، فو اللـه مـا أنت بحصـيف أي بعاقل فأجاوبك، ولا عاقل فأعاتبك، ومـا عنـدك خـيرٌ يُـرجى، ولا شرٌّ يُخشى، وما كنتُ ولو سببتَ عليا لأغـار بـه عليـك، لأنـك عندي لستَ بكفوٍ لعبـدِ عبـدِ علي بن أبي طـالب ع فـأردّ عليـك وإعاتبك، ولكن الله عز وجل لك ولأبيك وأمك وأخيك بالمرصاد، فأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله في القـرآن فقـال: ﴿عَامِلَـةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْـقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَـةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَـامٌ إِلَّا مِنْ ضَـرِيعٍ (6) لَا يُسْـمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُـوعٍ﴾ [الغاشية: 3 - 7]

ولا ألومك أن تسبّ عليا وقد قتل أخـاك مبـارزة، واشـترك هو وحمزة بن عبدالمطلب في قتـل جـدك حـتى أصـلاهما اللـه على أيديهما نار جهنم، وأذاقهما العذاب الأليم، ونُفي عمَّك بأمر رسول الله ﷺ.

وأما رجائي الخلافة، فلعمر الله لئن رجوتُهـا فـإن لي فيهـا لملتَمَسا، وما أنت بنظير أخيك ولا خليفة أبيـك، لأن أخـاك أكـثر تمرّدا على الله، وأشد طلبا لإراقة دمـاء المسـلمين، وطلب مـا ليس له بأهل، يخادع الناس ويمكـرهم، ويمكـر اللـه واللـه خـير الماكرين، وأما قولك: إن عليا كان شر قريش لقريش، فو اللـه ما حقّر مرحوما، ولا قتل مظلوما.

وأما أنت يا مغيرة بن شعبة، فانك لله عـدو، ولكتابـه نابـذ، ولنبيه مكذّب، وأنت الزاني، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخّرت عقوبتك، ودفع الحق بالباطل، والصدق بالأغاليط، وذلك لما أعدّ الله لـك من العـذاب الأليم والخـزي في الحيـاة الـدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى.

فبأيّ الثلاثـة سـببتَ عليّـا: أنقصـا من حَسَـبه، أم بُعـداً من رسول الله ﷺ، أم سوء بلاء في الإسلام، أم جـوراً في حكم، أم رغبةً في الدنيا، إن قلت بها فقد كذبت وكذّبك الناس.

أتـزعم أن عليـا قتـل عثمـان مظلومـا؟، فعليّ واللـه أتقى وأنقى من لائمه في ذلـك، ولعمـري إن كـان عليّـا قتـل عثمـان مظلوما، فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصـرته حيـا ولا تعصّبت له ميتا، وما زالت الطائف دارك، تتبّع البغايا وتحيي أمـر

الجاهلية، وتميت الإسلام حتى كان في أمس ما كان.

ثم قام الإمام الحسن فنفض ثيابه، وهو يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ﴾ [النور:26] هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26] هم علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته.

ثم خرج وهو يقول: ذق وبال ما كسبتْ يداك، وما جنيت، وما قد أعدّ الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

وفي نفس الحديث أنه بعد أن انصرف جاءه مروان، فقال: أنت يا حسن السبّاب رجالَ قريش؟، فقال: وما الذي أردتَ؟، فقال: والله لأسبّنك وأباك وأهل بيتك سبّا، تغّنى به الإماء والعبيد.

فقال الإمام الحسن: أما أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك، وأهل بيتك وذريتك، والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله ﷺ لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلا طغيانا كبيرا صدق الله وصدق رسوله، يقول: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 60] وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن عن رسول الله ﷺ)(1)

3 ـ ما ورد في شأن التحريفات التي قام بها بنو أمية:

وهي أحاديث تتوافق مع نظيراتها في المدرسة السنية، والتي سبق ذكرها، وهي توجب على الأمة أن تراجع كل تراثها ورواياتها في ذلك العهد، لأن بني أمية لم يكتفوا بالتسلط والاستبداد السياسي، وإنما قاموا بثورة ثقافية ليجهزوا بها على كل قيم الدين النبيلة، لتتناسب مع نظام حكمهم وقيمهم الجاهلية، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 797] قال الإمام علي في خطبة له: (ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة: عمت خطتها، وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية

(1) بحار الأنوار: 44/86، والاحتجاج ص137.

لكم أرباب سوء بعدي، كالناب الضـروس: تعـذم بفيهـا، وتخبـط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درها، لا يزالـون بكم حـتى لا يـتركوا منكم إلا نافعـا لهم، أو غـير ضـائر بهم. ولا يـزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكـون انتصـار أحـدكم منهم إلا كانتصـار العبـد من ربـه، والصاحب من مستصـحبه، تـرد عليكم فتنتهم شـوهاء مخشـية، وقطعا جاهلية، ليس فيها منـار هـدى، ولا علم يـرى.. نحن أهـل البيت منهـا بمنجـاة، ولسـنا فيهـا بـدعاة، ثم يفرجهـا اللـه عنكم كتفريج الأديم: بمن يسومهم خسفا، ويسوقهم عنفـا، ويسـقيهم بكـأس مصـبرة لا يعطيهم إلا السـيف، ولا يحلسـهم إلا الخـوف، فعند ذلك تود قريش ـ بالدنيا وما فيها ـ لو يرونني مقاما واحـدا، ولـو قـدر جـزر جـزور، لأقبـل منهم مـا أطلب اليـوم بعضـه فلا يعطونيه)[1]

[الحديث: 798] قال الإمام علي في خطبة له يذكر بني أميـة وتحـريفهم للـدين: (الحمـد للّـه المتجلّي لخلقـه بخلقـه، والظّاهر لقلوبهم بحجّته، خلـق الخلـق من غـير رويّـة، إذ كـانت الرّويّات لا تليق إلّا بذوي الضّمائر، وليس بذي ضمير في نفسه، خـرق علمـه بـاطن غيب السّـترات، وأحـاط بغمـوض عقائـد السّـريرات، اختـاره ﷺ من شـجرة الأنبيـاء، ومشـكاة الضّـياء، وذؤابـة العليـاء، وسـرّة البطحـاء، ومصـابيح الظّلمـة، وينـابيع الحكمة. طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسـمه، يضـع ذلـك حيث الحاجـة إليـه، من قلـوب عمي، وآذان صـمّ، وألسنة بكم، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة)

ثم قال يذكر بني أمية: (لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزنـاد العلـوم الثّاقبـة، فهم في ذلـك كالأنعـام السّـائمة، والصّخور القاسية، قد انجابت السّرائر لأهل البصـائر، ووضـحت محجّة الحقّ لخابطهـا، وأسـفرت السّـاعة عن وجههـا، وظهـرت العلامة لمتوسّـمها.. مـا لي أراكم أشـباحا بلا أرواح، وأرواحـا بلا أشباح، ونسّاكا بلا صلاح، وتجّارا بلا أرباح، وأيقاظا نوّما، وشهودا غيّبا، وناظرة عمياء، وسامعة صمّاء، وناطقة بكماء؟)

ثم قال في وصف بني أمية: (رايـة ضـلال قـد قـامت على قطبهـا، وتفـرّقت بشـعبها، تكيلكم بصـاعها، وتخبطكم بباعهـا، قائدها خارج من الملّة، قائم على الضّـلّة، فلا يبقى يومئـذ منكم إلّا ثفالة كثفالة القدر، أو نفاضة كنفاضـة العكم، تعـرككم عـرك

1() نهج البلاغة، خطبه 93.

الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد، وتستخلص المـؤمن من بينكم استخلاص الطّير الحبّة البطينة من بين هزيل الحبّ)[1]

[الحديث: 799] قـال الإمـام علي في خطبـة لـه يـبين قصر الفترة التي يحكم فيها بنو أمية: (.. حـتى يظن الظـان أن الدنيا معقولة على بني أمية تمنحهم درها، وتوردهم صفوها، ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها، وكذب الظان لذلك. بـل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة، ثم يلفظونهـا جملـة)[2]

[الحديث: 800] لما أخـذ مـروان بن الحكم أسـيرا يـوم الجمل، فاستشـفع بعضـهم إلى الإمـام علي فيـه فخلّى سـبيله، فقيل له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ قال: (أولم يبايعني بعد قتـل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنّها كفّ يهوديّة، لو بـايعني بكفّـه لغدر بسبّته، أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبـو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمّة منه ومن ولده يوما أحمر) [3]

[الحديث: 801] قال الإمام علي لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان: (أولم ينه بني أمية علمهـا بي عن قرفي؟ أومـا وزع الجهـال سـابقتي عن تهمـتي؟! ولمـا وعظهم الله به أبلغ من لساني.. أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتـابين، على كتاب الله تعرض الامثال، وبما في الصدور تجازى العبـاد!)[4]

[الحديث: 802] قـال الإمـام علي في بيـان آثـار الدولـة الأموية على الدين والدنيا: (والله لا يزالـون حـتى لا يـدعوا للـه محرما إلا استحلوه، ولا عقدا إلا حلوه، وحـتى لا يبقى بيت مـدر ولا وبـر إلا دخلـه ظلمهم ونبـا بـه سـوء رعيهم، وحـتى يقـوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي لدنياه، وحتى تكون نصـرة أحـدكم من أحـدهم كنصـرة العبـد من سـيده، إذا شـهد أطاعـه، وإذا غـاب اغتابـه، وحـتى يكـون أعظمكم فيهـا عنـاء أحسنكم بالله ظنا، فإن أتـاكم اللـه بعافيـة فـاقبلوا، وإن ابتليتم فاصبروا، فإن ﴿الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: 49]) [5]

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(108)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص 109 ق 1 ب 4 ف 2 ح 1945.

2() نهج البلاغة، خطبه 87.

3() نهج البلاغة: الخطبة رقم(73)، وأنساب الأشراف للبلاذري: ص 363.

4() نهج البلاغة، خطبه 75.

5() نهج البلاغة، خطبه 98.

[الحـديث: 803] قـال الإمـام علي: (فمـا احلـولت لكم الـدنيا في لـذتها، ولا تمكنتم من رضـاع أخلافهـا إلا من بعـد مـا صادفتموها جائلا خطامها، قلقـا وضـينها، قـد صـار حرامهـا عنـد أقـوام بمنزلـة السـدر المخضـود، وحلالهـا بعيـدا غـير موجـود، وصادفتموها، والله، ظلا ممدودا إلى أجل معـدود؛ فـالأرض لكم شاغرة، وأيديكم فيهـا مبسـوطة وأيـدي القـادة عنكم مكفوفـة، وسـيوفكم عليهم مسـلطة، وسـيوفهم عنكم مقبوضـة؛ ألا وإن لكل دم ثائرا، ولكل حق طالبـا. وإن الثـائر في دمائنـا كالحـاكم في حق نفسه، وهو الله الذي لا يعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب. فأقسم بالله، يا بني أمية، عمـا قليـل لتعرفنهـا في أيـدي غيركم وفي دار عدوكم ألا إن أبصر الأبصـار مـا نفـذ في الخـير طرفه ألا إن أسمع الأسماع ما وعى التذكير) [1]

[الحديث: 804] قال الإمام علي في خطبة له يذكر فتنة بـني أميـة: (فعنـد ذلـك لا يبقى بيت مـدر ولا وبـر إلا وأدخلـه الظلمـة ترحـة، وأولجـوا فيـه نقمـة. فيومئـذ لا يبقى لهم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصـر. أصـفيتم بـالأمر غـير أهلـه، وأوردتموه غير مورده، وسـينتقم اللـه ممن ظلم، مـأكلا بمأكـل ومشربا بمشرب، من مطاعم العلقم، ومشارب الصبر والمقـر، ولباس شعار الخوف، ودثار السيف. وإنما هم مطايا الخطيئـات وزوامل الآثام. فأقسم، ثم أقسم لتنخمنها أميـة من بعـدي كمـا تلفـظ النخامـة، ثم لا تـذوقها ولا تطعم بطعمهـا أبـدا مـا كـر الجديدان) [2]

[الحديث: 805] قال الإمام علي عن بني أمية: (افترقوا بعد ألفتهم، وتشتتوا عن أصلهم. فمنهم آخـذ بغصـن أينمـا مـال مال معه. على أن الله تعالى سيجمعهم لشـر يـوم لبـني أميـة، كما تجتمـع قـزع الخريـف يؤلـف اللـه بينهم، ثم يجمعهم ركامـا كركـام السـحاب ثم يفتح لهم أبوابـا. يسـيلون من مسـتثارهم كسيل الجنتين، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تثبت عليه أكمـة، ولم يرد سـننه رص طـود، ولا حـداب أرض. يذعـذعهم اللـه في بطون أوديته، ثم يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخـذ بهم من قـوم حقوق قوم، ويمكن لقوم في ديار قـوم. وأيم اللـه، ليـذوبن مـا

1() نهج البلاغة، خطبه 105.

2() نهج البلاغة، خطبه 158.

في أيديهم بعد العلو والتمكين، كما تذوب الألية على النار) [1]

[الحديث: 806] قال الإمام علي في كتاب كتبه إلى أهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه إمارتها: (أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ نذيرا للعالمين، ومهيمنا على المرسلين، فلما مضى تنازع المسلمون الامر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي، أن العرب تزعج هذا الامر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده؛ فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يديحتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الاسلام أهله أن أرى فيه ثلما أو هدما، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه.. وإني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي، وإني إلى لقاء الله لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر راج، ولكنني آسى أن يلي أمر]هذه الامة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا، والصالحين حربا، والفاسقين حزبا، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام، وجلد حدا في الاسلام، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم، وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم، ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت، وإلى أمصاركم قد افتتحت، وإلى ممالككم تزوى، وإلى بلادكم تغزى.. انفروا ـ رحمكم الله ـ إلى قتال عدوكم، ولا تثاقلوا إلى الارض فتقروا بالخسف، وتبوؤوا بالذل، ويكون نصيبكم الاخس، وإن أخا الحرب الارق، ومن نام لم ينم عنه، والسلام) [2]

[الحديث: 807] قال الإمام علي في ذكر الكوفة والفتن التي تنزل بها بعده: (كأنّي بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظيّ، تعركين بالنّوازل، وتركبين بالزّلازل، وإنّي لأعلم أنّه

1() نهج البلاغة، خطبه 166.

2() نهج البلاغة، ص742.

ما أراد بك جبّار سوء إلّا ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل) [1]

[الحديث: 808] قـال الإمـام علي في ذكـر الحجـاج بن يوسف وتسليطه على الذين تكاسـلوا نصـرته: (لـو تعلمـون مـا أعلم ممّا طوي عنكم غيبـه، إذا لخـرجتم إلى الصّـعدات تبكـون على أعمـالكم، وتلتـدمون على أنفسـكم، ولـتركتم أمـوالكم لا حارس لهـا ولا خـالف عليهـا، ولهمّت كـلّ امـرئ منكم نفسـه لا يلتفت إلى غيرها، ولكنّكم نسيتم ما ذكّـرتم، وأمنتم مـا حـذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتّت عليكم أمركم، ولوددت أنّ الله فـرّق بيـني وبينكم، وألحقـني بمن هـو أحـقّ بي منكم: قـوم واللـه ميامين الـرّأي، مـراجيح الحلم، مقاويـل بـالحقّ، متاريـك للبغي، مضـوا قـدما على الطّريقـة، وأوجفـوا على المحجّـة، فظفـروا بالعقبى الدّائمة، والكرامـة البـاردة، أمـا واللـه ليسـلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيّال الميّال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، إيـه أبا وذحة[2]) [3]

[الحـديث: 809] قـال الإمـام علي في ذكـر البصـرة والفتن الـتي تـنزل بها بعـده: (يـا أحنـف، كـأنّي بـه وقـد سـار بـالجيش الّـذي لا يكـون لـه غبـار ولا لجب، ولا قعقعـة لجم، ولا حمحمة خيـل، يثـيرون الأرض بأقـدامهم كأنّهـا أقـدام النّعـام[4]، ويـل لسـكككم العـامرة، والـدّور المزخرفـة الّـتي لهـا أجنحـة كأجنحة النّسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الّـذين لا يندب قتيلهم، ولا يفقد غائبهم، أنا كـابّ الـدّنيا لوجههـا، وقادرهـا بقدرها، وناظرها بعينها، كأنّي أراهم قوما كأنّ وجوههم المجـانّ المطرّقة، يلبسون السّـرق والـدّيباج، ويعتقبـون الخيـل العتـاق، ويكـون هنـاك اسـتحرار قتـل، حتّى يمشـي المجـروح على المقتول، ويكون المفلت أقلّ من المأسور) [5]

[الحديث: 810] قال الإمام علي مخاطبا أهـل البصـرة: (فمن استطاع عنـد ذلـك أن يعتقـل نفسـه على اللـه عـزّ وجـل

1() نهج البلاغـة: الخطبـة رقم(47)، ومسـتدرك الوسـائل: ج 10 ص 203 ب 12 ح 11854.

2() قال الشريف الرضي: الوذحة: الخنفساء، وهذا القول يومئ به إلى الحجّـاج، ولـه مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

3() نهج البلاغة: الخطبة رقم(116)، ومن لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 427- 428 باب وجوب الجمعة وفضلها ح 1263.

4() قال الشريف الرضي: يومئ بذلك إلى صاحب الزنج.

5() نهج البلاغة: الخطبة رقم(128)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص 118 ق 1 ب 5 ف 2 فضائله ح 2060 وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 8 ص 125 الخطبة رقم(128)

فليفعل، فإن أطعتموني فإنّي حاملكم ـ إن شاء الله ـ على سبيل الجنّة، وإن كان ذا مشقّة شديدة، ومذاقة مريرة... وأمّا فلانة فأدركها رأي النّساء، وضغن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل، ولها بعد حرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى.. سبيل أبلج المنهاج، أنور السّراج، فبالإيمان يستدلّ على الصّالحات، وبالصّالحات يستدلّ على الإيمان، وبالإيمان يعمر العلم، وبالعلم يرهب الموت، وبالموت تختم الدّنيا، وبالدّنيا تحرز الآخرة، وبالقيامة تزلف الجنّة، وتبرّز الجحيم للغاوين، وإنّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة، مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى، قد شخصوا من مستقرّ الأجداث، وصاروا إلى مصاير الغايات، لكلّ دار أهلها، لا يستبدلون بها، ولا ينقلون عنها، وإنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه، وإنّهما لا يقرّبان من أجل، ولا ينقصان من رزق.. وعليكم بكتاب الله؛ فإنّه الحبل المتين، والنّور المبين، والشّفاء النّافع، والرّيّ النّاقع، والعصمة للمتمسّك، والنّجاة للمتعلّق، لا يعوجّ فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرّدّ، وولوج السّمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق)[1]

[الحديث: 811] عن الإمام الحسن أنه مر في مسجد رسول الله ﷺ بحلقة فيها قوم من بني امية، فتغامزوا به، وذلك عند ماتغلب معاوية على ظاهر أمره فرآهم وتغامزهم به، فصلى ركعتين ثم قال: (قد رأيت تغامزكم أما والله لا تملكون يوما إلا ملكنا يومين، ولا شهرا إلا ملكنا شهرين ولا سنة إلا ملكنا سنتين، وإنا لنأكل في سلطانكم، ونشرب ونلبس ونركب، وأنتم لا تأكلون في سلطاننا ولا تشربون)، فقال له رجل: فكيف يكون ذلك يا أبا محمد؟ وأنتم أجود الناس وأرأفهم وأرحمهم، تأمنون في سلطان القوم، ولا يأمنون في سلطانكم؟ فقال: (لأنهم عادونا بكيد الشيطان، وكيد الشيطان ضعيف، وعاديناهم بكيد الله وكيد الله شديد)[2]

رابعا ـ ما ورد في الفتن الناتجة عن عدم مراعاة الإمامة والامتداد الرسالي:

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(156)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 9 ص 189 الخطبة رقم(156)، وكنز العمال: ج 16 ص 183- 197 ح 44216.

2() مناقب آل أبى طالب ج 4 ص 8.

وهي أحاديث كثيرة تخبر عن الانحرافات التي تقع فيها الأمة بسبب تضييعها لوصايا نبيها ﷺ، وهي لا تختلف كثيرا عن شبيهاتها في المصادر السنية، والفرق الوحيد بينهما أن التركيز فيها حول سبب تلك الفتن، وهو تضييع أمر الإمامة، وتحويلها إلى غير أهلها، ولذلك تذكر أن انجلاء الفتن يكون بعودة الأمة إلى الإمامة، والذي يتحقق بكماله في العصر الذي يظهر فيه الإمام المهدي.

وهي تتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم من أن الإمامة هي التي تعصم الأمة من الفتن ومظاهرها، وأنه في حال عدم الاعتراف بها وتفعيلها يسهل على المندسين أن يحرفوا الدين بحسب ما تقتضيه أهواؤهم وأمزجتهم، مثلما حصل في الأديان السابقة.

ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 812] عن أنس بن مالك قال: (كان رسول الله ﷺ يقول: تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة سبعون منها في النار، وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار، وواحدة في الجنة، وتعلوا أمتي على الفريقين جميعا بملة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قالوا: من هم يارسول الله؟ قال: الجماعات الجماعات.. قال يعقوب بن زيد: كان علي بن أبي طالب إذا حدث هذا الحديث عن رسول الله ﷺ تلا فيه قرآنا ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 65، 66]، وتلا أيضا ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: 181] يعنى أمة محمد ﷺ)[1]

[الحديث: 813] قال رسول الله ﷺ: (سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثل بمثل وإنهم تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، تزيد عليهم واحدة كلها في النار غير واحدة، قال: قيل: يا رسول الله وما تلك الواحدة؟ قال: (هو ما نحن عليه اليوم أنا وأهل بيتي)، وفي رواية: (أنا وأصحابى)[2]

1() تفسير العياشي ج 1 ص 331.

2() معانى الاخبار: 323.

والمراد بأصحابه ـ كما فسر ذلك في أحاديث أخرى ـ الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، وظلوا محافظين على وصية رسول الله ﷺ بأهل بيته، وبذلك تتوافق الروايتان.

[الحديث: 814] قال رسول الله ﷺ: (تفترق أمتي ثلاث فرق فرقة على الحق لاينقص الباطل منه شيئا يحبونني ويحبون أهل بيتي، مثلهم كمثل الذهب الجيد كلما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزده إلا جودة، وفرقة على الباطل لا ينقص الحق منه شيئا يبغضونني ويبغضون أهل بيتي مثلهم مثل الحديد كلما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزده إلا شرا، وفرقة مدهدهة على ملة السامري لايقولون لامساس، لكنهم يقولون لاقتال) [1]

[الحديث: 815] قال رسول الله ﷺ: (كل ما كان في الأمم السالفة فانه يكون في هذه الامة مثله، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة) [2]

[الحديث: 816] قال رسول الله ﷺ: (يأتى على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر) [3]

[الحديث: 817] قال رسول الله ﷺ: (يأتى على الناس زمان الصابر منهم على دينه له أجر خمسين منكم)، قالوا يا رسول الله ﷺ أجر خمسين منا؟! قال: (نعم أجر خمسين منكم قالها ثلاثا)[4]

[الحديث: 818] قال رسول الله ﷺ: (سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم)[5]

[الحديث: 819] قال رسول الله ﷺ: (كيف بكم إذا فسد نساؤكم، وفسق شبّانكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟)، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: (نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟ قيل: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: (نعم، وشرٌّ

1() امالي المقيد: 26.
2() كمال الدين: 576.
3() أمالي الطوسى ج 1 ص 360 ـ 363.
4() امالي الطوسى ج 2 ص 99.
5() بحار الأنوار: 69/290، والكافي 2/296.

من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟)[1]

[الحديث: 820] قال رسول الله ﷺ: (سيأتي زمانٌ على أمتي لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا اسمه، يُسمّون به وهم أبعد الناس منه، مساجدُهم عامرةٌ، وهي خرابٌ من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظلّ السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود)[2]

[الحديث: 821] عن خالد بن خالد اليشكري قال: خرجت سنة فتح تستر حتى قدمت الكوفة، فدخلت المسجد فاذا أنا بحلقة فيها رجل جهم من الرجال، فقلت: من هذا؟ فقال القوم: أما تعرفه؟ فقلت: لا، فقالوا هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ، قال: فقعدت إليه فحدث القوم فقال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، فأنكر ذلك القوم عليه فقال: سأحدثكم بما أنكرتم، إنه جاء أمر الاسلام فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية، وكنت أعطيت من القرآن فقها، وكان رجال يجيئون فيسألون النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير شر؟ قال نعم، قلت: فما العصمة منه؟ قال: السيف، قال: قلت: وما بعد السيف بقية؟ قال: نعم، يكون إمارة على أقذاء، وهدنة على دخن، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تفشو رعاة الضلالة، فان رأيت يومئذ خليفة عدل فالزمه، وإلا فمت عاضا على جذل شجرة) [3]

[الحديث: 822] سئل الإمام علي عن موعد خروج الدجّال، فقال للسائل: (ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علاماتٍ وهيئاتٍ يتبع بعضها بعضاً، كحذو النّعل بالنّعل، وإن شئت أنبأتك بها؟)

ثم قال: (احفظ، فإنّ علامة ذلك إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الرّبا، وأخذوا الرّشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدماء. وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرةً، والوزراء ظلمةً، والعرفاء خونةً، والقرّاء فسقةً، وظهرت شهادات الزور،

1() بحار الأنوار: 52/181، وقرب الإسناد.
2() بحار الأنوار: 52/191، وثواب الأعمال.
3() أمالي الطوسي ج 1 ص 224.

واستعلن الفجور، وقول البهتان، والإثم والطغيان، وحُليت المصاحف، وزُخرفت المساجد، وطُوّلت المنار، وأُكرم الأشرار، وازدحمت الصفوف، واختلفت الأهواء، ونُقضت العقود، واقترب الموعود، وعلت أصوات الفسّاق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقي الفاجر مخافةَ شرّه، وصُدّق الكاذب، وأُؤتمن الخائن، واتُّخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وتشبّه النساء بالرجال والرجال بالنساء، وشهد شاهدٌ من غير أن يُستشهد، وشهد الآخر قضاءً لذمامٍ بغير حقٍّ عرفه، وتُفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف، وأمرُّ من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا، العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس، ليأتين على الناس زمانٌ يتمنى أحدهم أنه من سكانه)[1]

[الحديث: 823] قال الإمام علي محذرا من الفتن: (أين تذهب بكم المذاهب، وتتيه بكم الغياهب، وتخدعكم الكواذب؟ ومن أين تؤتون؟ وأنّى تؤفكون؟ فلكلّ أجل كتاب، ولكلّ غيبة إياب، فاستمعوا من ربّانيّكم، وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة، وقرفه قرف الصّمغة.. فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية، وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السّبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى النّاس على الفجور، وتهاجروا على الدّين، وتحابّوا على الكذب، وتباغضوا على الصّدق؛ فإذا كان ذلك: كان الولد غيظا، والمطر قيظا، وتفيض اللّئام فيضا، وتغيض الكرام غيضا، وكان أهل ذلك الزّمان ذئابا، وسلاطينه سباعا، وأوساطه أكّالا، وفقراؤه أمواتا، وغار الصّدق، وفاض الكذب، واستعملت المودّة باللّسان، وتشاجر النّاس بالقلوب، وصار الفسوق نسبا، والعفاف عجبا، ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا)[2]

[الحديث: 824] قال الإمام علي مخبرا عن استمرار الفتن وعدم اقتصارها على زمانه، وقد قاله لما قيل له بعد

1() بحار الأنوار: 52/193، وإكمال الدين2/207.

2() نهج البلاغة: الخطبة رقم(108)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص 109 ق 1 ب 4 ف 2 ح 1945.

وقعة النهروان: (يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم)، فقال: (كلّا والله، إنّهم نطف في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء، كلّما نجم منهم قرن قطع حتّى يكون آخرهم لصوصا سلّابين)[1]

[الحديث: 825] قال الإمام الصادق: (إذا رأيتَ الحقّ قد مات وذهب أهله، ورأيتَ الجور قد شمل البلاد، ورأيت القرآن قد خلق، وأحدث فيه ما ليس فيه، ووُجّه على الأهواء، ورأيتَ الدين قد انكفأ كما ينكفئ الإناء، ورأيتَ أهل الباطل قد استعلوا على أهل الحقّ، ورأيت الشرّ ظاهراً لا يُنهى عنه ويُعذر أصحابه، ورأيتَ الفسق قد ظهر، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ورأيتَ المؤمن صامتاً لا يُقبل قوله، ورأيتَ الفاسق يكذب ولا يُردّ عليه كذبه وفريته، ورأيتَ الصغير يستحقر بالكبير، ورأيتَ الأرحام قد تقطّعت، ورأيتَ من يمتدح بالفسق يضحك منه ولا يرد عليه قوله، ورأيتَ الغلام يُعطى ما تُعطى المرأة، ورأيتَ النساء يتزوّجن النساء، ورأيتَ الكافر فرحاً لما يرى في المؤمن، مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد، ورأيتَ الخمور تُشرب علانيةً، ويجتمع عليها من لا يخاف الله عزّ وجلّ، ورأيتَ الآمر بالمعروف ذليلاً، ورأيتَ الفاسق فيما لا يحبّ الله قوياً محموداً، ورأيتَ الليل لا يُستخفى به من الجرأة على الله، ورأيتَ المرأة تقهر زوجها، وتعمل ما لا يشتهي، وتنفق على زوجها، ورأيتَ القرآن قد ثقُل على الناس استماعه، وخفّ على الناس استماع الباطل، ورأيتَ الغيبة تُستملح، ويبشر بها الناس بعضهم بعضاً، ورأيتَ طلب الحجّ والجهاد لغير الله، ورأيتَ الرجل يطلب الرئاسة لعَرض الدنيا، ورأيتَ الرجل عنده المال الكثير لم يزكّه منذ ملكه، ورأيتَ الرجل يُمسي نشوان، ويصبح سكران، ورأيتَ البهائم تُنكح، ورأيتَ قلوب الناس قد قست، وجمدت أعينهم، وثقُل الذّكر عليهم، ورأيتَ كلّ عامٍ يحدث فيه من البدعة والشرّ أكثر مما كان، ورأيتَ الناس يتسافدون كما تسافد البهائم، لا ينكر أحدٌ منكراً تخوّفاً من الناس، ورأيتَ النساء قد غلبن على الملك، وغلبن على كلّ أمرٍ، لا يُؤتى إلا ما لهن فيه هوى، ورأيتَ المساجد محتشيةً ممن لا يخاف الله، مجتمعون فيها للغيبة وأكل لحوم أهل الحقّ، ورأيتّ الصلاة قد استُخفّ بأوقاتها، فكن على حذر، واطلب من الله عزّ وجلّ

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(60)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 5 ص 14 الخطبة رقم(59)

النجاة، واعلم أنّ الناس في سخط الله عزّ وجلّ، وإنما يمهلهم لأمرٍ يُراد بهم، فكن مترقّباً، واجتهد ليراك الله عزّ وجلّ في خلافِ ما هم عليه، فإن نزل بهم العذاب وكنت فيهم، عجّلت إلى رحمة الله، وإن أُخّرت ابتلوا وكنت قد خرجت مما هم فيه، من الجرأة على الله عزّ وجلّ، واعلم أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين، وأنّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين)[1]

خامسا ــ ما ورد في شأن الناجين من الفتن وفضلهم وصفاتهم:

وهي أحاديث تتوافق مع نظيراتها في المصادر السنية، ومع القرآن الكريم، والذي يبين أن نور الله لن ينطفئ أبدا، وأن القائمين على الحق سيظل لهم وجود، حتى لا تنقطع الهداية والرعاية الإلهية، وقد سبق ذكر ما يدل على ذلك من القرآن الكريم والأحاديث الواردة في المصادر السنية.

وقد قسمنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن إلى قسمين:

1ــ الأحاديث الواردة في الناجين من الفتن عموما:

وهي أحاديث كثيرة تتوافق مع نظيراتها في المصادر السنية، ومنها:

[الحديث: 826] قال رسول الله ﷺ: (إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء)[2]

[الحديث: 827] قال رسول الله ﷺ ذات يوم ــ وعنده جماعة من أصحابه ـ: (اللهم، لقّني إخواني) مرتين، فقال مَن حوله من أصحابه: (أمَا نحن إخوانك يا رسول الله؟!، فقال: (لا، إنكم أصحابي، وإخواني قومٌ في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم، من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدُهم أشدُّ بقيّةً على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كلّ فتنةٍ غبراء مظلمة)[3]

[الحديث: 828] قال رسول الله ﷺ للإمام علي: (يا علي، اعلم أنّ أعظم الناس يقيناً قومٌ يكونون في آخر الزمان،

1() بحار الأنوار: 52/260، وروضة الكافي ص36.
2() بحار الأنوار: 52/191، وإكمال الدين 1/308.
3() بحار الأنوار: 52/124، وبصائر الدرجات.

لم يلحقوا النبي وحُجب عنهم الحجة، فآمنوا بسـواد في بيـاض)[1]

[الحديث: 829] قال رسول الله ﷺ: (سـيأتي قـومٌ من بعدكم، الرجل الواحد منهم لـه أجـر خمسـين منكم)، قـالوا: يـا رسول الله، نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القـرآن، فقال: (إنكم لو تحمّلوا لما حُمّلوا لم تصبروا صبرهم)[2]

[الحديث: 830] قال رسول الله ﷺ: (يا ليتـني قـد لقيت إخواني)، فقـال لـه أبـو بكـر وعمـر: أوَ لسـنا إخوانـك آمنـا بـك وهاجرنا معك؟ قال: (قـد آمنتم وهـاجرتم، ويـا ليتـني قـد لقيت إخواني)، فأعـادا القـول، فقـال رسـول اللـه ﷺ: (أنتم أصـحابي ولكن إخـواني الـذين يـأتون من بعـدكم، يؤمنـون بي ويحبـوني وينصروني ويصدقوني، وما رأوني، فيا ليتني قـد لقيت إخـواني)[3]

[الحـديث: 831] بعـد قتـال الإمـام علي الخـوارج يـوم النهروان، قام إليه رجلٌ فقال: (يا أمير المؤمنين، طـوبى لنـا إذ شهدنا معك هذا الموقـف، وقتلنـا معـك هـؤلاء الخـوارج، فقـال الإمام علي: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد شهدَنا في هذا الموقف أناسٌ لم يخلق اللـه آبـاءهم ولا أجـدادهم بعـد)، فقـال الرجل: وكيف يشهدنا قومٌ لم يُخلقوا؟، قال: (بلى، قومٌ يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه، ويسلّمون لنـا، فأولئـك شركاؤنا فيما كنا فيه حقّاً حقّاً)[4]

[الحديث: 832] قال الإمام السجاد: (تمتد الغيبـة بـولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول اللـه ﷺ والأئمـة بعـده، وإنّ أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظـرون لظهـوره أفضـل أهل كل زمان، لأنّ الله ـ تعـالى ذكـره ـ أعطـاهم من العقـول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقا، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً)[5]

[الحديث: 833] قيل للإمام الباقر: أوصنا يـا ابن رسـول

1() بحار الأنوار: 52/125، وإكمال الدين.
2() بحار الأنوار: 52/130، وغيبة الشيخ ص291.
3() بحار الأنوار: 52/132، ومجالس المفيد.
4() بحار الأنوار: 52/131، والمحاسن.
5() بحار الأنوار: 52/122، والاحتجاج.

اللــه، فقــال: (ليُعِن قــويُّكم ضــعيفَكم، وليعطــف غــنيّكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتمـوا أسـرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنـا ومـا جـاءكم عنـا، فـإن وجـدتموه في القـرآن موافقـاً فخـذوا بـه، وإن لم تجـدوه موافقاً فردّوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده، وردّوه إلينـا حتى نشرح لكم من ذلك ما شُرح لنا، فإذا كنتم كما أوصــيناكم، ولم تعدوا إلى غيره، فمات منكم ميّتٌ قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً، ومن أدرك قائمنا فقُتل معه كان له أجـر شـهيدين، ومن قتل بين يديه عدوّاً لنا كان له أجر عشرين شهيداً)(1)

[الحديث: 834] قـال الإمـام البـاقر: (يـأتي على النـاس زمـانٌ يغيب عنهم إمـامهم، فيـا طـوبى للثـابتين على أمرنـا في ذلـك الزمـان، إنّ أدنى مـا يكـون لهم من الثـواب أن ينـاديهم الباري عزّ وجل: عبادي، آمنتم بسرّي، وصدقتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثـواب مـني، فـأنتم عبـادي وإمـائي حقـا، منكم أتقبّـل، وعنكم أعفـو، ولكم أغفـر، وبكم أسـقي عبـادي الغيث، وأدفـع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي)، قيل: يا ابن رســول الله، فما أفضل ما يسـتعمله المـؤمن في ذلـك الزمـان؟ قـال: (حفظ اللسان ولزوم البيت)(2)

[الحديث: 835] قيل للإمـام الصـادق: (مـا تقـول فيمن مات على هذا الأمر منتظراً له؟)، قال: (هو بمنزلة من كان مـع القائم في فسطاطه، ثم سكت هنيئـةً، ثم قـال: (هـو كمن كـان مع رسول الله ﷺ)(3)

[الحديث: 836] قيل للإمام الصادق: العبـادة مـع الإمـام منكم المستتر في السرّ في دولة الباطل أفضل، أم العبادة في ظهور الحقّ ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟)، فقـال: (الصـدقة في السرّ والله أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك عبـادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل، لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحـال الهدنـة، ممن يعبـد اللـه في ظهور الحقّ مع الإمام الظاهر في دولة الحقّ، وليس العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن في دولـة الحـقّ، واعلموا أنّ مَن صلّى منكم صـلاة فريضـة وحـداناً، مسـتتراً بهـا

1() بحار الأنوار: 52/123، وأمالي الطوسي.
2() بحار الأنوار: 52/145، وإكمال الدين 1/446.
3() بحار الأنوار: 52/125، والمحاسن ص172.

من عدوه في وقتها فأتمّها، كتب الله عـزّ وجـلّ لـه بهـا خمسـة وعشرين صلاة فريضة وحدانيـة، ومن صـلّى منكم صـلاة نافلـة في وقتها فأتمها، كتب الله عزّ وجلّ له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمـل منكم حسـنةً كتب اللـه لـه بهـا عشـرين حسـنة، ويُضاعف الله تعالى حسنات المـؤمن منكم إذا أحسـن أعمالـه، ودان الله بالتقية على دينه وعلى إمامـه وعلى نفسـه، وأمسـك من لسانه أضعافا مضاعفة كثيرة، إنّ الله عزّ وجلّ كريم)

فقيل لـه: جعلت فـداك، قـد رغّبتـني في العمـل، وحثثتـني عليه، ولكني أحب أن أعلم: كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصـحاب الإمـام منكم الظـاهر في دولـة الحـق، ونحن وهم على دينٍ واحدٍ، وهو دين الله عزّ وجلّ؟

فقـال: (إنكم سـبقتموهم إلى الـدخول في دين اللـه وإلى الصلاة والصوم والحجّ وإلى كل فقه وخير، وإلى عبادة الله سرّاً من عدوكم مـع الإمـام المسـتتر، مطيعـون لـه، صـابرون معـه، منتظرون لدولة الحق، خائفون على إمامكم وعلى أنفسكم من الملوك، تنظرون إلى حقّ إمامكم وحقكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك واضطروكم إلى جذب الـدنيا وطلب المعـاش، مـع الصـبر على دينكم، وعبـادتكم، وطاعـة ربكم، والخـوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً.

فقيـل لـه: جعلت فـداك، فمـا نتمـنى إذاً أن نكـون من أصـحاب القـائم في ظهـور الحـق، ونحن اليـوم في إمامتـك وطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحق؟

فقال: (سبحان الله، أمـا تحبـون أن يُظهـر اللـه عـزّ وجـل الحقّ والعدل في البلاد، ويحسّن حال عامة الناس، ويجمـع اللـه الكلمة، ويؤلف بين القلوب المختلفة، ولا يُعصى الله في أرضه، ويُقام حدود الله في خلقه، ويُردّ الحقّ إلى أهله، فيظهروه حتى لا يستخفي بشيءٍ من الحقّ مخافة أحدٍ من الخلق؟.. أما والله، لا يموت منكم ميّتٌ على الحال التي أنتم عليها، إلا كـان أفضـل عند الله عزّ وجلّ من كثير ممن شهد بدراً وأحداً، فأبشروا !)[1]

[الحـديث: 837] قـال الإمـام الصـادق: (فمـا تمـدون أعينكم؟، فما تستعجلون؟، ألسـتم آمـنين؟، أليس الرجـل منكم يخرج من بيته فيقضي حوائجه ثم يرجـع لم يُختطـف؟، إن كـان من قبلكم على ما أنتم عليـه ليؤخـذ الرجـل منهم فتُقطـع يـداه

(1) بحار الأنوار: 52/128، وإكمال الدين 2/357.

ورجلاه، ويُصلب على جذوع النخل، ويُنشر بالمنشار ثم لا يعدو ذنب نفسه، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:214])[1]

[الحديث: 838] قال الإمام الصادق ذات يوم: (ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلا به؟)، فقيل: بلى، فقال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا، يعني أئمة خاصة والتسليم لهم، والورع، والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم)، ثم قال: (إنّ لنا دولةً يجيء الله بها إذا شاء)، ثم قال: (من سُرّ أن يكون من أصحاب القائم، فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة !)[2]

[الحديث: 839] قيل للإمام الصادق: جعلت فداك، متى الفرج؟، فقال: (أنت ممن يريد الدنيا؟، من عرف هذا الأمر فقد فُرّج عنه بانتظاره)[3]

[الحديث: 840] قال الإمام الصادق: (ستصيبكم شبهةٌ فتبقون بلا علم يُرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق)، قيل: (وكيف دعاء الغريق؟)، قال: تقول: (يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك)، قيل: يا مقلّب القلوب والأبصار، ثبّت قلبي على دينك، فقال: (إنّ الله عزّ وجلّ مقلّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: (يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك)[4]

[الحديث: 841] سئل الإمام الرضا عن شيءٍ من الفرج، فقال: (أليس انتظار الفرج من الفرج؟.. إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71])[5]

[الحديث: 842] قال الإمام الرضا: (ما أحسن الصبر

1() بحار الأنوار: 52/130، وغيبة الشيخ.
2() بحار الأنوار: 52/140، وغيبة النعماني.
3() بحار الأنوار: 52/142، وغيبة النعماني.
4() بحار الأنوار: 52/149، وإكمال الدين 2/21.
5() بحار الأنوار: 52/128، وإكمال الدين.

وانتظار الفرج، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71]، فعليكم بالصبر، فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم)[1]

2 ـ الأحاديث الواردة في أصحاب الإمام المهدي والممهدين له:

وهي أحاديث كثيرة تتوافق مع نظيراتها في المصادر السنية، وهي تدل على أن الانتظار الحقيقي للإمام المهدي هو الذي يرتبط بالعمل الإيجابي في خدمة الإسلام وقيمه النبيلة، وليس انتظار الكسالى المقعدين الذين لم يفهموا الدور الحقيقي للإمام المهدي.

ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 843] قال رسول الله ﷺ: (طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه، يتولّى وليه، ويتبرّأ من عدوه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودّي ومودتي، وأكرم أمتي عليَّ، وأكرم خلق الله عليَّ)[2]

[الحديث: 844] قال رسول الله ﷺ: (إذا كان عند خروج القائم ينادي مناد من السماء: أيها الناس إن الله قطع عنكم مدة الجبارين، وولى الأمر خير أمة محمد ﷺ فالحقوا بمكة، فيخرج النجباء من مصر، والأبدال من الشام وعصائب العراق، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، كأن قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن والمقام)[3]

[الحديث: 845] عن جابر بن عبد الله في اللوح الذي وجده عند فاطمة الزهراء: (ثم أكمّل ذلك بابنه رحمةً للعالمين عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب، سيذلّ أوليائي في زمانه، ويتهادون رؤوسهم كما يتهادى رؤوس الترك والديلم، فيُقتلون ويُحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تُصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنين في نسائهم، أولئك أوليائي حقاً، بهم أرفع كلّ فتنةٍ عمياء حندس (أي الشديد الظلمة)، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار (أي الأثقال)

1() بحار الأنوار: 52/129، وإكمال الدين.
2() بحار الأنوار: 52/130، وغيبة الشيخ ص290.
3() بحار الأنوار ج52 ص304.

والأغلال أولئـك عليهم صـلواتٌ من ربهم ورحمــةٌ، وأولئـك هم المهتدون)[1]

[الحديث: 846] قال الإمـام علي يـذكر الإمـام المهـدي: (كأنني بـه قـد عـبر من وادي السـلام إلى مسـيل السـهلة على فرسٍ محجّلٍ لهِ شمراخٌ يزهر، يدعو ويقـول في دعائـه: (لا الـهَ إلا اللَّه حقّاً حقّاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، لا إله إلا الله تعبّـداً ورّقاً، اللهم، معزّ كلَّ مؤمنٍ وحيـدٍ، ومـذلّ كـلّ جبّـارٍ عنيـدٍ، أنت كنفي حين تُعيينـي المـذاهب، وتضـيق عليّ الأرض بمـا رحبت، اللهم، خلقتني وكنت غنيـاً عن خلقي، ولـولا نصـرك إيـاي لكنتُ من المغلوبين، يا منشر الرحمة من مواضعها، ومخرج البركـات من معادنها، ويا من خصّ نفسه بشموخ الرفعة، فأوليـاؤه بعـزّه يتعززون، يا من وضعت لـه الملـوك نـير المذلـة على أعنـاقهم، فهم من سطوته خـائفون، أسـألك باسـمك الـذي فطـرتَ بـه خلقك، فكـلٌّ لـك مـذعنون، أسـألك أن تصـلي على محمـد وآل محمـد، وأن تنجـز لي أمـري، وتعجّـل لي في الفـرج، وتكفيـني وتعافيني، وتقضي حوائجي، الساعة الساعة، الليلة الليلـة، إنـك على كل شيءٍ قدير)[2]

[الحديث: 847] قال الإمـام علي: (لتملأن الأرض ظلمـاً وجوراً حـتى لا يقـول أحـد اللـه إلا متخفيـاً، ثم يـأتي اللـه بقـوم صالحين يملؤنها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)[3]

[الحـــديث: 848] قـــال الإمـــام علي: (ألا وإن المهـــدي أحسن الناس خلقاً وخلقاً، ثم إذا قام اجتمع إليـه أصـحابه، على عدة أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثـة عشـر رجلاً، كـأنهم ليـوث قـد خرجوا من غاباتهم، مثل زبر الحديد، لو أنهم هموا بإزالة الجبال لأزالوها عن مواضعها، فهم الذين وحدوا الله حـق توحيـده، لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل، خوفاً وخشـية من اللـه تعـالى، قوام الليـل، صـوام النهـار، كأنمـا ربـاهم أب وأحـد وأم واحـدة، قلوبهم مجتمعة بالمحبة والنصيحة)[4]

[الحـديث: 849] قـال الإمـام البـاقر: (كـأني بقـوم قـد خرجـوا بالمشـرق، يطلبـون الحـقّ فلا يُعطَونـه ثم يطلبونـه فلا

1() بحار الأنوار: 52/143، والكافي 1/527.

2() بحار الأنوار: 52/392، والعدد.

3() بحار الأنوار ج13 ص29.

4() إلزام الناصب ج2 ص200.

يُعطَونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيُعطَون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداءٌ، أما إني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر)[1]

[الحديث: 850] قال الإمام الباقر: (كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين، ليس من شيءٍ إلا وهو مطيعٌ لهم، حتى سباع الأرض وسباع الطير تطلب رضاهم في كل شيءٍ، حتى تفخر الأرض على الأرض، وتقول: (مرّ بي اليوم رجلٌ من أصحاب القائم)[2]

[الحديث: 851] قال الإمام الباقر: (تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهدي بعث إليه بالبيعة)[3]

[الحديث: 852] قال الإمام الباقر: (أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، أولاد العجم، بعضهم يحمل في السحاب نهاراً[4]، يعرف باسمه واسم أبيه ونسبه وحليته، وبعضهم نائم على فراشه فيوافيه في مكة على غير ميعاد)[5]

[الحديث: 853] قال الإمام الباقر: (يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف، عدة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق)[6]

[الحديث: 854] قال الإمام الصادق: (إنّ الله عزّ وجلّ يُلقي في قلوب شيعتنا الرعب، فإذا قام قائمنا وظهر مهدينا، كان الرجل أجرأ من ليث وأمضى من سنان)[7]

[الحديث: 855] سئل الإمام الصادق: كم يخرج مع القائم، فإنهم يقولون إنه يخرج معه مثل عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، قال: (ما يخرج إلا في أولي قوة، وما يكون أولو القوة أقل من عشرة آلاف)[8]

1() بحار الأنوار: 52/243، وغيبة النعماني ص145.

2() بحار الأنوار: 52/327، وإكمال الدين.

3() الغيبة للطوسي ص 289.

4() وربما يشير هذا إلى السفر بالطائرات، وخاصة عند ذكره للنوم فيها أثناء السفر، وربما يشير إلى كرامة إلهية خاصة.

5() الغيبة للنعماني باب 20 حديث 8.

6() بحار الأنوار ج52 ص224.

7() بحار الأنوار: 52/ 371، وكشف الغمة.

8() إكمال الدين 2/368.

ومقصــوده أن من يمهــد لــه لا ينحصــرون في أصــحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر، بل هـذا العـدد هم المجتمعـون عنـده في بدو خروجه[1].

[الحـديث: 856] قـال الإمـام الصـادق: (ورجـال كـأن قلـوبهم زبـر الحديـد، لا يشـوبها شـك في ذات اللـه، أشـد من الحجـر، لـو حملـوا على الجبـال لأزالوهـا.. كـأن على خيـولهم العقبان يتمسحون بسرج الإمام يطلبون بذلك البركـة، ويحفـون به، يقونه بأنفسـهم في الحـروب، ويكفونـه مـا يريـد.. رجـال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يـبيتون قيامـاً على أطرافهم، ويصـبحون على خيـولهم، رهبـان بالليـل، ليـوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسـيدها، كـأن قلـوبهم القناديـل، وهم من خشية الله مشـفقون، يـدعون بالشـهادة، ويتمنـون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين[2]، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحق)[3]

[الحـديث: 857] قـال الإمـام الكـاظم يـذكر الممهـدين للإمام المهدي: (رجل من قم، يـدعو النـاس إلى الحـق، يجتمـع معه قوم قلـوبهم كزبـر الحديـد، لا تـزلهم الريـاح العواصـف، لا يملـون من الحـرب ولا يجبنـون، وعلى اللـه يتوكلـون والعاقبـة للمتقين)[4]

ومع أن الروايـة ــ كسـائر الروايـات والأحـاديث المرتبطـة بالنبوءات ـ لم تذكر اسم الرجـل، ولا زمانـه، ولكنـا ــ من خلال عرضها على التاريخ ـ لا نجد شخصا تنطبق عليه كانطباقها على الإمام الخميني والشعب الإيراني، واللذين أثني على كليهما في الرواية.

ويؤيد هذه الرواية مـا ورد في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمـد: 38]، فقـد ورد في تفسـيرها في مصـادر السـنة عن أبي هريـرة أنـه قال: تلا رسول الله هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾، قـالوا: ومن يسـتبدل بنـا؟ قـال: فضـرب

1() بحار الأنوار: 52/323.
2() يكنى بثارات الحسين عن نصرة المستضعفين.
3() بحار الأنوار ج52 ص 308.
4() بحار الأنوار: 60 /ـ 216، وقد نقلها صـاحب البحـار عن كتـاب تـاريخ قم لمؤلفـه الحسن بن محمد الحسن القمي الذي ألفه قبل أكثر من ألف سنة.

رسول الله ﷺ على منكب سلمان ـ أي سـلمان الفارسـي ــ ثم قال: (هذا وقومه)[1]

ويؤيـدها مـا ورد من الروايـات حـول مدينـة قم، والأدوار المناطة بها، ومنهـا مـا روي عن الإمـام الصـادق أنـه قـال:(إنما سـمي قم لأن أهله يجتمعـون مع قـائم آل محمد ﷺ ويقومـون معه، ويستقيمون عليه وينصرونه)[2]

وروي أن جماعة من أهل الري دخلـوا عليـه، وقـالوا: نحن من أهل الري، فقال: مرحباً بإخواننا من أهـل قم. فقـالوا: نحن من أهل الري، فقال: مرحباً بإخواننا من أهـل قم. فقـالوا: نحن من أهل الري. فأعاد الكلام! قالوا ذلك مراراً وأجابهم بمثـل مـا أجاب به أولاً، فقال: (إن لله حرماً وهو مكة وإن لرسوله حرمـاً وهـو المدينـة، وإن لأميرالمؤمـنين حرمـاً وهـو الكوفـة، وإن لنـا حرمـاً وهـو بلـدة قم، وسـتدفن فيهـا امـرأة من أولادي تسـمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنـة)، قـال الـراوي: وكـان هـذا الكلام منه قبل أن يولد الكاظم[3].

وقال: (إن الله احتج بالكوفة على سائر البلاد، وبـالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد، واحتج ببلدة قم على سائر البلاد، وبأهلها على جميع أهل المشـــرق والمغـــرب من الجن والإنس، ولم يَدَع قم وأهله مستضـعفاً بـل وفقهم وأيـدهم)، ثم قال: (سيأتي زمان تكـون بلـدة قم وأهلهـا حجـة على الخلائـق، وذلك في زمان غيبـة قائمنـا إلى ظهـوره، ولـولا ذلـك لسـاخت الأرض بأهلهـا. وإن الملائكـة لتـدفع البلايـا عن قم وأهلـه، ومـا قصده جبار بسوء إلا قصمه قاصم الجبارين، وشغله عنه بداهيـة أو مصـيبة أو عـدو، ويُنسي الله الجبـارين في دولتهم ذكـر قم وأهله، كما نسوا ذكر الله)[4]

[الحـديث: 858] قيـل للإمـام الرضـا: أنت صـاحب هـذا الأمر؟، فقال: (أنا صاحب هذا الأمر، ولكني لستُ بالـذي أملأهـا عدلاً كما مُلئت جوراً، وكيف أكون ذاك على ما تـرى من ضـعف بدني؟، وإنّ القـائم هـو الـذي إذا خـرج كـان في سـن الشـيوخ، ومنظـر الشـباب، قوياً في بدنـه، حـتى لـو مـدّ يـده إلى أعظم

1() رواه الترمذي، ح(3260)
2() بحار الأنوار:57/215.
3() بحار الأنوار:57/217.
4() بحار الأنوار:57/213.

شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبـال لتدكـدكت صخورها، يكون معه عصا موسى، وخـاتم سـليمان، ذاك الرابـع من ولدي، يغيّبه الله في ستره ما شاء الله، ثم يُظهره فيملأ بـه الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً)[1]

1() بحار الأنوار: 52/322، وإكمال الدين.

الفصل الخامس

الأحاديث المردودة حول الإمامة والامتداد الرسالي

بما أن الوصايا النبوية المتعلقة بالإمامة وما يقف في وجهها من الفتن، من أكبر العقبات التي تحول بين الفئة الباغية ومشروعها الشيطاني المضاد للدين الحق؛ فقد استعملت كل إمكانياتها في تحريف تلك الوصايا وتشويهها عبر ضخ الكثير من الروايات المضادة لمعانيها، أو المشوهة لها.

وهو نفس المنهج الذي قام به المشركون حين كانوا يستعملون الباطل واللغو للصرف عن القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: 26]

وقد وصف الله تعالى ما كانوا يمارسونه لصرف الناس عن القرآن الكريم، فقال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: 6، 7]

والمراد باللهو كل الأحاديث الفارغة المملوءة بما تنبهر به الأسماع، مما يغذي الخيال، لكنه لا يفيد في الواقع أي فائدة.

ولهذا؛ فإن الفئة الباغية ــ بشقيها السياسي والديني ـ استعملت لإنجاح الثورة المضادة التي قامت بها في مواجهة الإمامة والامتداد الرسالي، ثلاثة أنواع من الروايات:

الأولى: تلك الروايات المشوهة والمسيئة لأئمة الهدى، وتصويرهم بصورة مخالفة تماما لما ورد في الروايات الصحيحة الكثيرة عنهم، وهي روايات تخدم المشروع الذي قام به بنو أمية للقضاء على كل أثر للولاء لخصومهم من آل بيت النبوة.

وقد أشار إلى هذا النوع من الروايات الإمام الرضا بقوله: (إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه

فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا)[1]

الثانية: تلك الروايات التي وضعت لمناقب الكثير من الصحابة، والتي تخالف في معانيها القرآن الكريم، أو تضاد تلك الوصايا المرتبطة بأئمة الهدى، والغرض من ذلك تمييع ما ورد عنهم، وكأن رسول الله ﷺ كان يثني كل حين على من يستحق ومن لا يستحق.

وقد أشار إلى هذا النوع من الروايات الإمام أحمد؛ فقد حدث عنه ابنه عبد الله بن أحمد قال: سألت أبي فقلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: (إيش أقول فيهما؟ إنّ علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطرَوه كياداً منهم له)[2]

وقد علق ابن حجر على هذه الرواية بقوله: (فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما)[3]

الثالثة: الروايات التي وضعت في الملاحم والفتن، والتي تغرقها في الأساطير والخرافات، وتبعدها عن الواقع، وهي أشبه بتلك الإسرائيليات التي فُسر بها القصص القرآني، ليبعده عن تأثيره الواقعي.

بناء على هذا سنذكر هنا مجاميع لأمثال تلك الروايات والأحاديث التي نرى ضرورة ردها لمخالفتها للقرآن الكريم، ولسائر الأحاديث الصحيحة المتفق عليها بين الأمة جميعا.

أولا ـ الأحاديث المشوهة لأئمة الهدى والمسيئة لهم:

وهي أحاديث كثيرة للأسف تملأ التراث السني والشيعي، ولا تتناسب مع غيرها من الأحاديث المقبولة التي ذكرناها، وقد قام بوضعها صنفان من البغاة:

أولهما: النواصب من أعداء العترة الطاهرة، والذين تمتلئ بهم كتب الحديث والرجال، وينال بعضهم أشرف أنواع الأوسمة مع أن رسول الله ﷺ اعتبر بغض الإمام علي نفاقا،

1() بحار الأنوار: 25/278، والاحتجاج ص242، تفسير الإمام ص18.
2() الموضوعات لابن الجوزي: 2/ 24.
3() فتح الباري:7/ 104.

وكان الأصل رمي كل راو متهم في ولائه للإمام علي والعترة الطاهرة، لكن العكس هو الذي حصل.

ثانيهما ــ الغلاة من الشيعة، والذين حذر منهم الأئمة تحذيرا شديدا، بل اعتبروهم أخطر من النواصب أنفسهم، وذلك بسبب تشويههم للإمامة بالمبالغات في حقها، وتحويلها إلى نوع من الشرك، كما ذكرنا الأحاديث الدالة على ذلك سابقا.

ويمكننا من خلال الاستقراء حصر الأحاديث المردودة الواردة في هذا الباب إلى الأنواع التالية:

1 ـ الأحاديث المشوهة لأئمة الهدى:

وهي أحاديث نجدها للأسف في مصادر السنة والشيعة، وتخالف كل ما ورد عن أئمة الهدى من قيم نبيلة، بالإضافة إلى مخالفتها للقرآن الكريم، وهي فوق ذلك مروية بأسانيد مملوءة بالضعف.

وسنكتفي هنا بنموذجين منها، كلاهما له علاقة بتعدد الزوجات.. أحدهما مرتبط بالإمام علي، والثاني بالإمام الحسن.

النموذج الأول: تشويه الإمام علي

وهي رواية لا تشوه الإمام علي فقط، وإنما تشوه رسول الله ﷺ، وتجعله من المخالفين للقرآن الكريم، والمعقبين على أحكامه.

ونص الرواية هو ما حدث به المسور بن مخرمة أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ، فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌ ناكحا ابنة أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ؛ فسمعته حين تشهد يقول: (أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، وإنما فاطمة بضعةٌ مني يؤذيني ما آذاها، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدا)، قال: فترك عليٌ الخطبة(1).

وهي رواية ظاهرة الوضع، وأن الذي وضعها من النواصب الممتلئين بالحقد على الإمام علي؛ فلذلك راح يطعنه في وفائه لرسول الله ﷺ ووفائه لزوجته فاطمة بضعة رسول الله ﷺ، ليس بتعديد الزوجات فقط، وإنما بالزواج من بنت أبي جهل عدو رسول الله ﷺ اللدود.

(1) رواه البخاري (3110)، ومسلم (2449)

وربمـا يكـون مقصـده من ذلـك الـرد على مـا ورد من الروايات الكثيرة عن غضب الزهـراء على أبي بكـر وغـيره من الصحابة في شـأن حقهـا في فـدك، ولـذلك راحـوا يضـعون من الحديث ما يبين غضبها على الإمام علي، ليستوي الطرفان.

ولذلك نرى النواصـب يشـيدون بهـذه الروايـة، ويعتبرونهـا، ويعظمونها، ويبنون مـواقفهم من الإمـام علي على أساسـها[1]، مع أن أي قـارئ لهـا يكتشـف أنهـا لا تشـوه الإمـام علي فقـط، وإنما تشوه قبل ذلـك رسـول اللـه ﷺ، بـل تطعنـه في تحكيمـه لكتاب ربه، ورحمته بأمته.

فهي تصور أن رسول الله ﷺ رحم ابنته، ولبى مطلبهـا في نفورها من التعدد، في نفس الـوقت الـذي يرضـى ذلـك لغيرهـا من النساء، وهو ما يتنـافى مـع عدالـة رسـول اللـه ﷺ ورحمتـه الشاملة التي تجعله يتعامل مع جميع نساء الأمة بنفس معاملته لابنته.

ومن العجيب أن الذين يدافعون عن هذه الرواية ويبررونها يستشهدون لذلك بما ورد في رواية أخرى، قال فيها رسول الله ﷺ: (وأنا أتخوف أن تفتن في دينها)[2]، و(إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها)[3]

والتي علـق عليهـا بعضـهم بقولـه: (إن الغـيرة من الأمـور التي جبلت عليهـا المـرأة، فخشـي النـبي ﷺ أن تـدفعها الغـيرة لفعل ما لا يليـق بحالهـا ومنزلتهـا، وهي سـيدة نسـاء العـالمين، خاصة وأنها فقدت أمها، ثم أخواتها واحدة بعد واحـدة، فلم يبـق لها من تستأنس به ممن يخفـف عليهـا الأمـر ممن تفضـي إليـه بسرها إذا حصلت لها الغيرة)

وقال آخر: (السياق يشعر بأن ذلك مباحٌ لعلي، لكنـه منعـه النبي ﷺ رعاية لخاطر فاطمة، وقبل هو ذلك امتثالا لأمـر النـبي ﷺ والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد في خصائص النـبي ﷺ أن لا يتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصا بفاطمة)[4]

1() من الأمثلة على ذلك قول ابن القيم: (وفى ذكـره ﷺ صـهره الآخـر، وثنـاءه عليـه بأنه حدثه فصدقه، ووعده فوفى له، تعريضٌ بعلي رضي الله عنه، وتهييجٌ له على الاقتداء به، وهذا يشعر بأنه جرى منه وعد له بأنه لا يريبها ولا يؤذيها، فهيجه على الوفاء لـه، كمـا وفى له صهره الآخر) زاد المعاد (5/118)

2() البخاري (3110)

3() مسلم (2449)

4() فتح الباري (9/329)

ولو أن هؤلاء نظروا إلى سند الرواية وحده لكفاهم دلالة على وضعها وتدليسها؛ فرواتها من النواصب شديدي البغض للإمام علي؛ فمنهم عروة بن الزبير، والمسور بن مخرمة، وكان من أعوان عبدالله بن الزبير وأنصاره والمقتولين معه في الكعبة، وكان من الخوارج، ومنهم عبدالله بن أبي مليكة، وهو قاضي الزبير ومؤذنه، وكل هؤلاء (على مذهب إمامهم عبدالله بن الزبير الذي اشتهر بعدائه لأهل البيت، وتلك أخباره في واقعة الجمل وغيرها، ثم حصره بني هاشم في الشعب بمكة فإما البيعة له وإما القتل، ثم إخراجه محمد بن الحنفية من مكة والمدينة وابن عباس إلى الطائف.. وقد قال أمير المؤمنين كلمته القصيرة المعروفة: (ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله)[1]

النموذج الثاني: تشويه الإمام الحسن

وهي روايات كثيرة وردت في المصادر السنية والشيعية، نقلها النواصب بعضهم عن بعض، ثم تلقفها أصحاب كتب الحديث التي تهتم بالرواية أكثر من اهتمامها بالدراية.

وهي تذكر أن الإمام الحسن كان كثير الزواج والطلاق، وأنه لم يكن يطلق نساءه إلا لأجل أن يتزوج نساء جددا، لأن الشرع لا يبيح له أن يجمع فوق أربع نسوة.

وهذه الروايات تتنافى مع ما كان عليه الإمام الحسن وسائر أئمة الهدى من الزهد في الدنيا، والاهتمام بأداء الواجبات الرسالية الكثيرة المناطة بهم، بالإضافة إلى أنها ترميه بالقسوة والشدة؛ فالذي يقدم على الطلاق لغير سبب سوى الزواج مرة أخرى، وبعدد جديد من النسوة، ليس في قلبه أدنى رحمة وعطف، وهو أمر يتنزه عنه المؤمنون العوام؛ فكيف بإمام من أئمة الهدى.

ومن الروايات الواردة في هذا في المصادر الشيعية ما روي أن عليا قال وهو على المنبر: (لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق)، فقام رجل من همدان فقال: بلى والله لنزوجنه وهو ابن رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين؛ فإن شاء أمسك وإن شاء طلق[2].

---

(1) نهج البلاغة، 555/453.
(2) مرآة العقول ج21 ص 96.

وفي سند هـذه الروايـة: محمـد بن أبي عمـير، وقـد ذكـره السيد الخوئي، ورجح أنه بيـاع السـابري ولم يوثقـه، وعلى هـذا يكون سند الرواية ضعيفاً[1].

ومنها ما روي عن الإمام الصادق أنـه قـال: إن الحسـن بن علي طلق خمسين امرأة فقام علي بالكوفة فقـال: يـا معاشـر أهل الكوفة لا تنكحوا الحسن فإنه رجل مطلاق فقام إليه رجـل فقال: بلى والله لننكحنه فإنه ابن رسول الله وابن فاطمة، فإن أعجبته أمسك وإن كره طلق[2].

والرواية ضعيفة السـند؛ فـإن يحـيى بن أبي العلاء مجهـول ولم يوثق فلا يعتمد عليها، ولذلك حكم المجلسـي بـأن الحـديث مجهول، وقال السيد الخوئي في الراوي مجهول[3].

ومثلها روايات أخرى في المصادر السـنية، منهـا أن الإمـام علي قال: (يا أهل العراق أو يا أهل الكوفة لا تزوجوا حسنا فإنه رجـل مطلاق)، وقولـه: (مـا زال الحسـن يـتزوج ويطلـق حـتى حسبت أن يكون عداوة في القبائل) [4]

وهو يدل على أن مصدر هذه الروايات جميعـا واحـد، وهـو تلك الفئة الباغيـة الـتي اسـتعملت كـل الوسـائل لتشـويه أئمـة الهدى، والحط من شأنهم، كمـا اتفقت على ذلـك كـل المصـادر التاريخية.

وقـد اختلفت تلـك الروايـات في عـدد زوجاتـه.. فقـد ذكـر بعضهم أن أزواجه أربعة وستين عدا الجواري.. وذكر أبو طـالب المكي في [قـوت القلـوب] أن تـزوج مـائتين وخمسـين امـرأة وقيل ثلاثمائة.. وروي في مكارم الأخلاق: أنـه تـزوج زيـادة على مائتين وربما كان يعقد على أربع في عقد واحد.

وقد استعرض الشيخ حسين الراضي الروايات الواردة في هذا الباب، وناقش أسانيدها، وبين ضعفها جميعا، ثم علق عليهـا بمجموعة من الانتقادات المهمة نلخصها فيما يلي[5]:

1() معجم رجال الحديث ج 20 ص 25.

2() وسائل الشيعة، ج 22 ص 9.

3() الحدائق الناضرة ـ المحقق البحراني ج 2 ص 148.

4() المصنف ـ ابن أبي شيبة الكوفي ج 4 ص 172.

5() انظـر مقـالا بعنـوان [من التهم الـتي الصـقت بالامـام الحسـن أنـه كثـير الـزواج والطلاق]، وقد نشرت في الموقع الرسمي للشيخ حسين الراضي، تحت عنوان [شـبهات حول الإمام الحسن]

1. أن هذه الروايات اختلفت في عدد الزوجات، وهـو يـدل على اضطرابها.. فبعض الروايات تذكر 50 امرأة.. وبعضها تذكر 70 امرأة.. وبعضها تذكر 90 امرأة.. وبعضها تذكر 250 امرأة.. وبعضها تذكر 300 امرأة، وربما يقال أكثر من ذلك لأن المغيرة بن شعبة تزوج بـ 1000 امرأة، كما هـو مشـهور، وهنـا يريـدون أن يقيسوا الإمام الحسن بالمغيرة بن شعبة.

2. أن عدد أولاده لا يتناسب مع مـا روي من كـثرة نسـائه، فقد ذكر المدائني وغيره أن الإمام الحسن إنما خلّـف 12 ولـداً وبنتـاً، وهـو لا يتناسـب مـع 300 امـرأة الـتي ذكرهـا المـدائني وغيره..

3. أن الإمام الحسن كان كثيراً ما يناظر أعداءه سواء كان معاوية أو عمرو بن العاص، أو غيرهما، ولم نر في منـاظرة من المناظرات أنهم تطرقوا إلى أن الإمام الحسن كان كثير الزواج لأن هذه تهمة ليست قليلة.

2 ـ أحاديث الغلو في حق أئمة الهدى:

وهي أحاديث بدأ نشرها ابتـداء من عهـد الإمـام علي، كمـا تدل على ذلك الروايات، واستمر في جميـع العهـود، وربمـا إلى يومنا هذا؛ فلا يزال الغلاة يضعون في كل حين أحـاديث جديـدة، يروونها من غير سند، ليحولوا الأئمة إلى شخصيات أسطورية لا تختلف عن تلك الشخصيات التي تتحدث عنها الأساطير الوثنية.

وقـد ذكرنـا في الفصـل السـابق مواجهـة الأئمـة الشـديدة لهؤلاء الغلاة، بـل حكمهم عليهم بـالتكفير، واعتبـارهم شـرا من النواصب، ولا نريد أن نكرر ذلك هنـا، ولكنـا سـنذكر نمـاذج عن الغلو الذي حدث بعد الأئمة نتيجة تأثر بعض الشـيعة بمـا يُطلـق عليه التصوف الفلسفي، والذي جعـل هـؤلاء يطبقـون نفس مـا يردده الصوفية على الأئمة.

ومصدرنا في هذه النماذج كتاب [مشارق أنــوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين]، للحافظ رجب البرسـي، والـذي لا تـزال بعض المجامع الشيعية تتداول رواياته للأسف مع كونها متناقضة مـع تلـك الأحـاديث الـتي يحـذر فيهـا أئمـة الهـدى من التصـوف الفلسفي، كما يحذرون من الغلو.

وقبل سرد بعض ما ورد فيه من نماذج الغلو نذكر أن جميع من تـرجم للكـاتب ذكـر تـأثره بالتصـوف وعلاقتـه بـالغلو، وإن اختلفوا في تقدير مدى غلوه.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله العلامة الأميني في ترجمتـه له، فقـد قـال: (الشـيخ رضـي الـدين رجب بن محمـد بن رجب البرسي الحلي المعروف بالحافـظ: من عرفـاء علمـاء الإماميّـة وفقهائهـا المشـاركين في العلـوم، على فضـله الواضـح في فنّ الحديث، وتقدّمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته، وتضلّعه في علم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها، وبذلك كله تجد كتبه طافحـة بـالتحقيق ودقّـة النظـر، ولـه في العرفـان والحـروف مسالك خاصّة، كما أنّ له في ولاء أئمة الدين عليهم السلام آراء ونظريـات لا يرتضـيها لفيف من النـاس، ولـذلك رمـوه بـالغلوّ والارتفـاع، غـير أنّ الحـقّ أنّ جميع ما يثبته المـترجم لهم عليهم السـلام من الشـؤون هي دون مرتبـة الغلـوّ وغـير درجـة النبوّة)[1]

وبخلافه نجد العلامة المجلسي ـ مع كونـه من الإخبـاريين ـ يقف منه موقفا متشددا؛ فقـد قـال عنـه في البحـار: (لا أعتمـد على ما يتفرد في نقله لاشتمال كتابيه ـ مشارق الانوار والألفين ـ على ما يوهم الخبط والارتفاع والخلط)

وقال عنه الحر العاملي: (في كتابه افراط وربما نسب الى الغلو)

وقال عنـه محسـن الامين في أعيـان الشـيعة: (في طبعـه شذوذ، وفي مؤلفاته خبط وخلط وشيء من الغلو)

وعلى النقيض من هؤلاء نجد من يقـدس الكتـاب، ويجعلـه من الكتب المعتـبرة، ويتـوهم أن ذلـك هـو عين التحقيـق، ومن ذلك ما عبر عنه محقق كتابه بقوله ـ تعليقـا على من انتقـده ــ: (ولذلك تجد كثيرا من علمائنا المحقّقين في المعرفـة بالأسـرار يثبتون لأئمة الهدى كلّ هاتيـك الشـؤون وغيرهـا ممّـا لا يتحمّلـه غيرهم، وكان في علماء قم من يرمي بالغلو كلّ من روى شـيئا من تلكم الأسرار حتى قـال قـائلهم: إنّ أوّل مـراتب الغلـوّ نفي السـهو عن النـبيّ ﷺ إلى أن جـاء بعـدهم المحقّقـون وعرفـوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزنا، وهـذه بليّـة مني بها كثـيرون من أهـل الحقـائق والعرفـان ومنهم المـترجم، ولم تزل الفئتان على طرفي نقيض، وقـد تقـوم الحـرب بينهمـا

1() الغدير: 7 / 33 ـ 68.

على أشدّها، والصلح خير)[1]

وهــو يقصــد بــالتحقيق والمحققين هنــا تلــك النظريــات العرفانيــة المســتلهمة من كتب ابن عــربي والجيلي والقونــوي وغيرهم، والتي تحـاول أن تعطي فلسـفة لمثـل هـذه المعـاني، وهي لا تكتفي بها في مصاديق ومحال محدودة، بل تعممها لكل من يشم فيه رائحة الولايـة، بـل أصـبح لقب الولايـة خاصـا بمن يتفوه بمثل هذه الأبيات التي يقول فيها صاحبها[2]:

تـقـدم لي عـنـد المهـيـمن سـابق... من الفضل واستدعاه حكم المشيئة

فلي عـزة الملـك القـديـــم لأنـنـــي... بـعـــزة ربـــي في العوالــم عــزتي

ولي مقعد التـنزيه عن كل حـادث... ولي حضـرة التجــريد عن كل شـركة

جلست بكرسـي التـفــرد فاستــوى....من اللـه عـرش لي على ماء قــدرتي

تراني ببطـن الغـيب إذ أنا ظـاهر... وما ثــم غــيري ظـاهر حـين غـيبـتـي

تجليت من لــوح البطــون ولم يكن... تجــلى مـنــه غـيـــر تحـقـيـق حكــمتي

لأني قـبــل الكــون إذ أنــا بـعــده... ولم يــك كــون غــير تـلوين بهجـتـي

تجليت قبل باسم لوح القضا كما... تجـليـت بعـــد بـاســم ناري وجـنـتـي

ترامت بأنــواري المقاديـــر إنــني... عـجـيـــبٌ بــدت في كـثـرتــي أحـديتي

وقال آخر:

قالت الأولياء جمعا بعزم...أنت قطبٌ على جميع الأنام

قلت كفـوا ثم اسـمعوا نص قـولي...إنمـا القطب خـادمي وغلامي

كل قطب يطوف بالبيت سبعا...وأنا البيت طائفٌ بخيامي

كشف الحجب والستور لعيني...ودعاني لحضرة ومقام

فـاخترقت السـتور جمعـا لحـبي...عنـد عـرش الإلـه كـان

1() مشارق أنوار اليقين، ص7.

2() القصيدة للشيخ الصوفي محمد الحراق.

مقامي

وكساني بتاج تشريف عز...وطراز وخلعة باختتام

فرس العز تحت سرج جوادي...وركابي عال وعزمي لجامي

وإذا ما جذبت قوس مرامي...كان نار الجحيم منها سهامي

سائر الأرض كلها تحت حكمي...وهي في قبضتي كفرخ حمام

مطلع الشمس ثم أقصى الغروب...خطوتي وأقلها باهتمام

وعلى مثال هذه القصائد الواردة في كتب المدرسة السنية نجد هذه النماذج في هذا الكتاب المتأثر بهذا النوع من التصوف، والتي يمكن تصنيفها إلى الأنواع التالية:

أ ـ الغلو المرتبط بالأحاديث الموضوعة الخالية من الإسناد:

وهي أحاديث تشابه الأحاديث التي يرويها الصوفية عادة في كتبهم خالية من كل سند، وربما يكون إسنادها هي ما يراه الشيخ في رؤاه المنامية أو كشوفه، ثم يذكرها بكل ثقة، ويتقبلها من بعده، باعتبارها أحاديث مسندة.

وسنكتفي منها هنا بنموذجين، كلاهما رفضه أكثر علماء الشيعة المعتدلين، وهما:

الخطبة الافتخارية:

وهي خطبة طويلة عزاها ــ من غير سند ــ الشيخ رضي الدين البرسي الحلي إلى الأصبغ بن نباتة، وهي متناقضة مع كل المعاني والقيم والتي مثلها الإمام علي بسلوكه وأخلاقه، كما دعا إليها في أحاديثه وخطبه وحكمه.

ومن الغلو الوارد فيها: (أعطيت الصراط والميزان واللواء والكوثر، أنا المقدم على بني آدم يوم القيامة، أنا المحاسب للخلق، أنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، ألا كل ذلك من فضل الله علي، ومن أنكر أن لي في الأرض كرة بعد كرة وعودا بعد رجعة، حديثا كما كنت قديما، فقد رد علينا، ومن رد علينا فقد رد على الله. أنا صاحب الدعوات، أنا صاحب الصلوات، أنا صاحب النقمات، أنا صاحب الدلالات، أنا صاحب الآيات العجيبات، أنا عالم أسرار البريات، أنا قرن من حديد، أنا أبدا جديد، أنا منزل الملائكة منازلها، أنا آخذ العهد على الأرواح في الأزل، أنا المنادي لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: 172]

بأمر قيوم لم يزل. أنا كلمة الله الناطقة في خلقه، أنا آخذ العهد على جميع الخلائق في الصلوات، أنا غوث الأرامل واليتامى، أنا باب مدينة العلم، أنا كهف الحلم، أنا عامة الله القائمة، أنا صاحب لواء الحمد، أنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أخبرتكم لكفرتم. أنا قاتل الجبابرة، أنا الذخيرة في الدنيا والآخرة، أنا سيد المؤمنين، أنا علم المهتدين، أنا صاحب اليمين، أنا اليقين، أنا إمام المتقين، أنا السابق إلى الدين، أنا حبل الله المتين، أنا الذي أملأها عدلا كما ملئت ظلما وجورا بسيفي هذا. أنا صاحب جبريل، أنا تابع ميكائيل، أنا شجرة الهدى، أنا علم التقى، أنا حاشر الخلق إلى الله بالكلمة التي بها يجمع الخلايق، أنا منشئ الأنام، أنا جامع الأحكام، أنا صاحب القضيب الأزهر والجمل الأحمر، أنا باب اليقين)[1]

ومنه: (أنا المتكلم بالوحي، أنا صاحب النجوم، أنا مدبرها بأمر ربي وعلم الله الذي خصني به، أنا صاحب الرايات الصفر، أنا صاحب الرايات الحمر، أنا الغائب المنتظر لأمر العظيم، أنا المعطي، أنا المبذل، أنا القابض يدي على القبض، الواصف لنفسي، أنا الناظر لدين ربي، أنا الحامي لابن عمي، أنا مدرجة في الأكفان، أنا والي الرحمن، أنا صاحب الخضر وهارون، أنا صاحب موسى ويوشع بن نون، أنا صاحب الجنة، أنا صاحب القطر والمطر، أنا صاحب الزلازل والخسوف، أنا مروع الألوف، أنا قاتل الكفار، أنا إمام الأبرار، أنا البيت المعمور، أنا السقف المرفوع، أنا البحر المسجور، أنا باطن الحرم، أنا عماد الأمم، أنا صاحب الأمر الأعظم، هل من ناطق يناطقني؟ أنا النار، ولولا أني أسمع كلام الله وقول رسول الله ﷺ لوضعت سيفي فيكم وقتلتكم عن آخركم، أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر، أنا أم الكتاب، أنا فصل الخطاب، أنا سورة الحمد، أنا صاحب الصلاة في الحضر والسفر، بل نحن الصلاة والصيام والليالي والأيام والشهور والأعوام، أنا صاحب الحشر والنحر، أنا الواضع عن أمة محمد الوزر، أنا باب السجود، أنا العابد، أنا المخلوق، أنا الشاهد، أنا المشهود، أنا صاحب السندس الأخضر، أنا المذكور في السماوات والأرض، أنا الماضي مع رسول الله في السماوات، أنا صاحب الكتاب والقوس، أنا صاحب شيث بن آدم، أنا صاحب موسى وإرم، أنا بي تضرب

1() مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص: 165-166.

الأمثال، أنا السماء الخضر، أنا صاحب الدنيا الغبراء، أنا صاحب الغيث بعد القنوط. ها أنا ذا فمن ذا مثلي، أنا صاحب الرعد الأكبر، أنا صاحب البحر الأكدر، أنا مكلم الشمس، أنا الصاعقة على الأعداء، أنا غوث من أطاع من الورى والله ربي لا إله غيره)[1]

وبعد هذه الخطبة المملوءة بالغلو الذي يتناقض مع كل ما روي عن الإمام علي من خطب ومواعظ وأدعية يذكر بعض ما يحصل بعده من فتن، وهي أيضا لا تختلف عما ذكره في الخطبة من المعاني المتناقضة مع القرآن الكريم ومع المعاني الواردة في سائر خطبه، ومن الأمثلة على ذلك قوله فيها: (ثم تقبل دولة بني العباس بالفرج والبأس، وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة والفرات، ملعون من سكنها، منها تخرج طينة الجبارين، تعلى فيها القصور، وتسبل الستور، ويتعلون بالمكر والفجور، فيتداولها بنو العباس 42 ملكا على عدد سني الملك)[2]

وهذه التفاصيل تدل على أنها كتبت بعد سقوط الدولة العباسية، وأن راويها على علم بتاريخها وعدد ملوكها، وإلا فإن عادة النبوءات ألا تشتمل على أمثال هذه التفاصيل.

بالإضافة إلى ذلك؛ فإن ما ذكره عن مدينة الزوراء، ولعن من سكنها يتناقض مع ما ورد في النصوص المقدسة من عدم ارتباط اللعن بالأماكن، بل بالأعمال، ولذلك فإن ساكن الزوراء وغيرها لا يتحمل جرائر ما حصل فيها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164]

الخطبة التطنجية:

وهي خطبة طويلة قدم لها الشيخ البرسي بقوله: (ومن خطبة له تسمّى التطنجية، ظاهرها أنيق، وباطنها عميق، فليحذر قارئها من سوء ظنّه، فإن فيها من تنزيه الخالق ما لا يطيقه أحد من الخلائق، خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بين الكوفة والمدينة)[3]

ثم ساق الخطبة بطولها، وهي خطبة ركيكة الأسلوب، ظاهرة التكلف، وواضعها يحاول استعمال بعض الكلمات أو

1() المرجع السابق، ص: 166.
2() المرجع السابق، ص 166.
3() مشارق الأنوار، ص 263.

التعابير التي يستعملها الإمام علي في سائر خطبه ليموه بها.

ومن الأمثلـة على مـا ورد فيهـا من الغلـو والخرافـة: (أنـا الواقف على التطنجين، أنا النـاظر إلى المغـربين والمشـرقين، رأيت رحمة الله والفردوس رأي العين، وهـو في البحـر السـابع يجري في الفلـك في زخـاخيره النجـوم والحبـك، ورأيت الأرض ملتفــة كالتفــاف الثــوب القصــور، وهي في خــزف من التطنج الأيمن ممّا يلي المشـرق والتطنجـان، خليجـان من مـاء كأنهمـا أيسار تطنجين، وأنا المتولي دائرتها، وما الفردوس وما هم فيـه إلّا كالخاتم في الإصبع، ولقـد رأيت الشـمس عنـد غروبهـا وهي كالطاير المنصرف إلى وكره، ولو لا اصطكاك رأس الفــردوس، واختلاط التطنجين، وصــرير الفلــك، يســمع من في السّــموات والأرض رميم حميم دخولهـــا في المـــاء الأســـود، وهي العين الحمئة)[1]

ومنها: (ولقد علمت من عجائب خلـق اللـه مـا لا يعلمـه إلّا الله، وعرفت ما كان وما يكون وما كان في الـذر الأوّل مـع من تقــدّم من آدم الأول، ولقــد كشــف لي فعــرفت، وعلمــني ربي فتعلّمت، ألا فعوا ولا تضجوا ولا ترتجـوا فلـولا خـوفي عليكم أن تقولوا جن أو ارتد لأخبرتكم بما كانوا ومـا أنتم فيـه ومـا تلقونـه إلى يوم القيامة، علم أو عز إلي فعلمت، ولقـد سـتر علمـه عن جميع النبيين إلّا صاحب شريعتكم هذه صلوات اللـه عليـه وآلـه، فعلّمني علمه، وعلمته علمي، ألا وإنّـا نحن النــذر الأولى، ونحن نذر الآخرة والأولى، ونذر كل زمان وأوان، وبنـا هلـك من هلـك، وبنا نجا من نجا، فلا تستطيعوا ذلك فينا، فـو الـذي فلـق الحبـة، وبرأ النسمة، وتفرّد بالجبروت والعظمة، لقد سخرت لي الرياح والهواء والطير، وعرضت عليّ الدنيا، فأعرضت عنهـا، أنـا كـاب الدنيا لوجهها فحنى، متى يلحق بي اللواحق، لقد علمت ما فوق الفـــردوس الأعلى، ومـــا تحت الســـابعة الســـفلى، ومـــا في السّــموات العلى، ومـا بينهمـا ومـا تحت الـثرى كـل ذلـك علم إحاطـة لا علم أخبـار، أقسـم بـربّ العـرش العظيم، لـو شـئت أخبرتكم بآبائكم وأسلافكم أين كـانوا وممّن كـانوا وأين هم الآن وما صاروا إليه)[2]

ومنها: (أنـا صـاحب الطوفـان الأوّل، أنـا صـاحب الطوفـان

1() المرجع السابق، ص263.

2() المرجع السابق، ص264.

الثاني، أنا صاحب سيل العرم، أنا صـاحب الأسـرار المكنونـات، أنا صاحب عاد والجنات، أنا صاحب ثمود والآيـات، أنـا مـدمّرها، أنا مزلزلها، أنا مرجعها، أنـا مهلكهـا، أنـا مـدبرها، أنـا بانيهـا، أنـا داحيها، أنا مميتها، أنا محييها، أنا الأوّل، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنـا الباطل، أنا مع الكور قبل الكور، أنا مع الدور قبل الدور، أنا مـع القلم قبل القلم، أنا مـع اللـوح قبـل اللـوح، أنـا صـاحب الأزليـة الأولية، أنا صاحب جابلقا وجابرسا، أنا صاحب الرفـوف وبهـرم، أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم)[1]

ومنها: (كأني بضـعيفكم يقـول ألا تسـمعون إلى مـا يدّعيـه ابن أبي طالب في نفسه، وبـالأمس تكفهـر عليـه عسـاكر أهـل الشـام فلا يخـرج إليهـا؟.. وبـاعث محمـد وإبـراهيم لأقتلن أهـل الشـــام بكم قتلات وأي قتلات، وحقي وعظمـــتي لأقتلنّ أهـــل الشـام بكم قتلات وأي قتلات، ولأقتلن أهـل صـفين بكـل قتلـة سبعين قتلة، ولأردنّ إلى كل مسلم حياة جديدة، ولأسلمن إليـه صاحبه وقاتله، إلى أن يشفى غليل صدري منـه، ولأقتلن بعمّـار بن ياسر وبأويس القـرني ألـف قتيـل أو لا يقـال لا وكيـف وأين ومـــتى وأنى وحـــتى، فكيـــف إذا رأيتم صـــاحب الشـــام ينشـــر بالمناشـــير، ويقطـــع بالمســـاطير، ثم لأذيقنّـــه أليم العقـــاب، ألا فابشروا، فإليّ يرد أمر الخلق غـدا بـأمر ربي، فلا يسـتعظم مـا قلت، فإنا أعطينا علم المنايا والبلايا، والتأويل والتنزيل، وفصـــل الخطاب وعلم النوازل، والوقايع والبلايا، فلا يعزب عنّا شيء)[2]

ومنها: (ألا وكم عجائب تركتها، ودلائـل كتمتهـا، لا أجـد لهـا حملة، أنا صاحب إبليس بالسجود، أنا معذّبه وجنوده على الكـبر والغرور بأمر الله، أنا رافع إدريس مكانا عليا، أنا منطق عيسـى في المهد صبيا، أنا مدين الميـادين وواضـع الأرض، أنـا قاسـمها أخماسـا، فجعلت خمسـا بـرا، وخمسـا بحـرا، وخمسـا جبـالا، وخمسا عمّارا، وخمسا خرابا، أنـا خـرقت القلـزم من الـترجيم، وخرقت العقيم من الحيم، وخرقت كلّا من كـل، وخـرقت بعضـا في بعض، أنا طيرثا، أنا جانبوثا، أنا البارحلون، أنـا عليوثوثـا، أنـا المسترق على البحار في نواليم الزخار عند البيـار، حـتى يخـرج لي ما أعد لي فيه من الخيل والرجل، فآخـذ مـا أحببت، وأتـرك

1() المرجع السابق، ص264.
2() المرجع السابق، ص265.

ما أردت)[1]

ومنها: (أنا مبرج الأبراج وعاقد الرياح، ومفتح الأفراج وباسط العجاج، أنا صاحب الطور، أنا ذلك النور الظاهر، أنا ذلك البرهان الباهر، وإنما كشف لموسى شقص من شقص الذر من المثقال، وكل ذلك بعلم من الله ذي الجلال، أنا صاحب جنّات الخلود، أنا مجري الأنهار أنهارا من ماء تيار، وأنهارا من لبن، وأنهارا من عسل مصفّى، وأنهارا من خمر لذّة للشاربين، أنا حجبت جهنّم وجعلتها طبقات السعير، وسقير الجير، والأخرى عمقيوس أعددتها للظالمين، وأودعت ذلك كلّه وادي برهوت، وهو والفلق ورب ما خلق، يخلد فيه الجبت والطاغوت وعبيدهما، ومن كفر بذي الملك والملكوت، أنا صانع الأقاليم بأمر العليم الحكيم، أنا الكلمة التي بها تمّت الأمور ودهرت الدهور، أنا جعلت الأقاليم أرباعا، والجزائر سبعا، فإقليم الجنوب معدن البركات، وإقليم الشمال معدن السطوات، وإقليم الصبا معدن الزلازل وإقليم الدبور معدن الهلكات)[2]

ب ـــ الغلو المرتبط بالاجتهاد المبني على النظريات الصوفية:

وأمثلتها كثيرة جدا، وهي تنتهج نفس منهج ابن عربي وغيره، من التفسير الباطني للقرآن الكريم، والذي لا يعتمد على أي دليل سوى التخريجات والاستنباطات المبنية على أسرار الحروف أو الكشف والإلهام وغيرها من مصادر التلقي غير المعصومة.

ومن الأمثلة على ذلك ما حاول به البرسي تطبيقه على الإمام علي في فصل بعنوان: [علي السرّ في فواتح السور]،حيث قال: (ثم إنّ الله سبحانه أوحى إلى نبيّه ﷺ أن عليا معه في السرّ المودع في فواتح السور، والاسم الأكبر الأعظم الموحى إلى الرسل من السرّ، والسرّ المكتوب على وجه الشمس والقمر والماء والحجر، وأنه ذات الذوات، والذات في الذات، في الذات للذات، لأن أحدية الباري متنزّهة عن الأسماء والصفات، متعالية عن النعوت والإشارات، وأنه هو الاسم الذي إليه ترجع الحروف والعبارات، والكلمة المتضرّع بها إلى الله سائر البريات، وأنه الغيب المخزون بين اللام والفاء

1() المرجع السابق، ص265.

2() المرجع السابق، ص266.

والواو والهاء والكاف والنون، فقال سبحانه: حم (1) عسق (2) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الشورى: 1 ـ 3].. وإليه الإشارة بقوله: (لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب)[1]، ومعناه لا صلاة للعبد ولا صلة له بالرب، إلّا بحب علي ومعرفته)[2]

وقال في فصل بعنوان: [الإمام محيط بالكون]: (ثمّ صرّح لنا أن الولي هو المحيط بكل شيء، فهو محيط بالعالم، والله من ورائهم محيط، فقال: وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس: 12]، فأخبرنا سبحانه أن جميع ما جرى به قلمه وخطّه في اللوح المحفوظ في الغيب، أحصيناه في إمام مبين، وهو اللوح الحفيظ لما في الأرض والسماء، هو الإمام المبين وهو علي، فاللوح المحفوظ علي، وهو أعلى وأفضل من اللوح بوجوده، (الأوّل) لأنّ اللوح وعاء الخط وظرف السطور، والإمام محيط بالسطور وأسرار السطور، فهو أفضل من اللوح.. (الثاني) لأنّ اللوح المحفوظ بوزن مفعول، والإمام المبين بوزن فعيل، وهو بمعنى فاعل، فهو عالم بأسرار اللوح، واسم الفاعل أشرف من اسم المفعول.. (الثالث) أن الولي المطلق ولايته شاملة للكل، ومحيط بالكل واللوح داخل فيها فهو دال على اللوح المحفوظ وعال عليه، وعالم بما فيه)[3]

وقال في فصل عقب هذا مطبقا ما يطبقه الصوفية مما يسمونه أسرار الحروف: (ثم ذكر في آخر هذه السورة آية فيها اسم الله الأعظم فقال: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ [يس: 58]، ويخرج من تكسير حروفها السبيل السلام أنا هو محمد، ثم دلّنا بعد هذا المقام العظيم لنبيّه على مقام آخر فيها لوليه، وأنه هو كلمة الجبّار ومنبع سائر الأسرار، ومطلع فائض الأنوار، فقال: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس: 82]، فجعل وجوده الوجود، والموجود بين حرفي الأمر وهما الكاف والنون، وباطن الكاف والنون الاسم المخزون المكنون، لمن عرف هذا السرّ المصون، وإليه الإشارة بقوله: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ [الأعراف: 54]، والخلق والأمر هما العين والميم، وذلك لأن ظهور الأفعال عن الصفات، وتجلّي الصفات

1() صحيح مسلم: 1 / 295 ح 595.
2() مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص: 191.
3() المرجع السابق، ص236.

عن الذات)[1]

وقـال في فصـل آخـر تحت عنـوان [آل محمّـد الاسـم الأعظم]: (ألم تعلم أنّا إذا اعتبرنا الأسماء والصفات، فإنّا لا نجد أعظم من ثلاثة أسماء: اسم الذات، واسم الصفات، واسـم هـو سـرّ الـذات وروح الصـفات، وهي الكلمـة الجاريـة في سـائر الموجـودات، فهي سـرّ الـذات وسـرّ الصـفات وبهـا تنفعـل الكائنات، فاسم الله ا ل ه ا ل ه وهو اسـم المقـدس وهـو علم على ذات الأحد الحق، واسم الصفات للأحد الواحد وهو محمـد، والاسم الذي هـو روح الصـفات وسـرّ الـذات ع ل ي، وهـو نـور النور، وكل واحد من هذه الثلاثة اسم أعظم، فاسم الجلالـة هـو الاسـم المقـدّس والمكـرّم، واسـم محمّـد ﷺ هو ظـاهر الاسم الأعظم، لأن الواحد صـورة الوجـود، ومنبـع الموجـود، وظـاهر المعـدود، واسـم ع ل ي ظـاهر البـاطن وبـاطن الظـاهر، فهـو الاسم الأعظم بالحقيقة، لأنه جامع سـرّ الربوبيـة، وسـرّ النبـوّة، وسرّ الولاية، وسرّ الحكم والسلطنة، وسرّ الجـبروت والعظمـة، وسرّ التصرّف الإلهي. وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَـهُ الْمَثَـلُ الْأَعْلَى فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الـروم: 27]، وهـو علي؛ وبيـان ذلك أنك إذا قلت: ا ل م تضـمن بكل حـرف منها محمد وعلي، وإذا قلت الله فإنّه علم على ذات المعبود واجب الوجـود، وإذا قلت: يا الله، فالياءناديت، والاسم ناجيت، والمعنى عنيت، فهـو اسـم الذات المقدّسة، أو إذا أشـبعت ضـمة الهـاء منـه بـرزت الـذات وفي طي حروفه اسم علي، فهو يشير بالمعنى إلى ذات الـربّ المعبود، وبالحروف إلى الكلمة التي قام بهـا الوجـود، إذا قلت: لا إله إلّا هو، وهي حروف التنزيه والنفي والإثبات وهي عشـرة)[2]

وهكـذا يطبـق القـرآن الكـريم جميعـا على هـذه المعـاني، مستدلا لها بما ورد في الروايـة الـتي سـبق الحـديث عن ردهـا، والتي تنص على (أن القرآن الكـريم ثلاثـة أثلاث: ثلث في مـدح علي وعترته ومحبّيه، وثلث في مثالب أعدائه ومخالفيه، والثلث الآخر ظاهره الشرائع والأحكام وتبـيين الحلال والحـرام وباطنـه اسم محمد وعلي)[3]

1() المرجع السابق، ص192.
2() المرجع السابق، ص247.
3() المرجع السابق، ص236.

3 ـ أحاديث الغلو في حق أتباع أئمة الهدى:

وهي أحاديث كثيرة تتناقض مـع القيم الـواردة في القـرآن الكريم والسنة المطهرة، بالإضافة إلى تناقضها مـع مـا ورد من الأحاديث عن أئمـة الهـدى، والـتي تجعـل الـولاء لهم رهنـا على الأعمال الصالحة، وليس مجرد دعاوى.

ومن أحسن الأمثلة على ذلـك مـا ورد في كتـاب [مشـارق الأنوار] في فصل تحت عنـوان [حـديث الطين]، حيث نقـل فيـه هذا الحديث الغريب عن الإمـام الصـادق أنـه قـال: (إن الله لما أراد أن يخلق الخلق ولا شـيء هنـاك خلق أرضا طيّبة، وأجـرى عليها مـاء عـذبا سـبعة أيـام، وعـرض عليها ولايتنا فقبلت، فأخذ من ذلك الماء العـذب طينتنا، ثم خلق من ثفل ذلك المـاء طينة شيعتنا فهم منّا ولو كنّا وآبـاؤهم من المـاء الـذي نحن منـه لكنّـا وآباؤهم سواء، ثم خلق أرضا سبخة وأخرى عليهـا مـاء مـالح ثم عرض عليها ولايتنا فأبت فأجرى عليها ذلك الماء سـبعة أيـام ثم خلق من ذلك الماء الطغاة والأئمة الكفار، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [القصص: 41] ثم خلق من ثفل ذلك شيعة أعدائنا، ثم مزج ثفل ذلك الطين بطينـة شـيعتنا، لم يشهد أعداؤنا الشهادتين ولم يصـلوا ولم يصـوموا فمـا ظهـر منهم من الخـيرات والحسـنات فليسـت منهم ولا لهم، إنّمـا هـو من مزاج طينة شيعتنا لهم، ثم مزج الماء الثاني بالماء الأوّل ثم عركه عرك الأديم ثم قبض منـه قبضـة وقـال: وهـذه الجنـة ولا أبالي، ثم قبض قبضة وقال: وهذه النار ولا أبالي)[1]

وقـد علـق عليـه صـاحب المشـارق بقولـه: (تمسّـك أهـل الأخبار بأذيال هذا الحديث ظاهر، وأنكره أكثر أهل العدل لدلالـة ظاهره على الأخبار وهو حديث حسن مملوء بالعدل كيف يتكلّم وقد صرّح القرآن بـه، وإليـه الإشـارة بقولـه: ﴿فَرِيـقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيـقٌ فِي السَّـعِيرِ﴾ [الشـورى: 7]، وقولـه: ﴿ فَمِنْهُمْ شَـقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: 105])

وهكذا راح يقتطع ما شاء من الآيـات القرآنيـة عن محالهـا ليثبت من خلالهـا أن التكليـف الإلهي مجـرد عبث لا معـنى لـه، ذلك أن مصير كل إنسان مرتبـط بالطينـة الـتي خلـق منهـا، ولا يمكنه الفكاك من ذلك أبدا.

ولم يكتف بتلك الآيات التي حرف معانيهـا، بـل راح يحـاول

(1) بحار الأنوار: 26 / 279 ح 22.

تأييدها بالعقل؛ فيقول: (وذلك لأن علم الله سبحانه سابق على أفعال العباد ولاحق وكاشف فهو سبحانه يعلم قبل إيجادهم من المطيع ومن العاصي، لأنه ليس عند الله زمان ولا مكان، ثم أخذ عليهم العهد في الذرات وهو رمز رفيع ومعناه علم قبل إنشاء ذراتهم، من جبلته الانقياد للطاعة، ومن جبلته الظلم والانقياد للمعصية فما يغني النذر فصاروا في العلم قبضتين: مطيع بالقوّة، وعاص بالقوّة، ثم لما أوجدهم وكلّفهم كشف العلم السابق ما في جبلاتهم فصاروا فريقين، كما قال وقوله الحق مؤمن بالفعل وكافر، ولذلك قال: ولا أبالي، وفيه إشارة لطيفة معناها لا أبالي بعد أن فطرتهم على التوحيد، وعرضت عليهم الإيمان في عالم الأرواح، ثم ذكرتهم العهد في ظلم الأشباح، فمنهم من أبصر فاستبصر ومنهم من أنكر فاستكبر، فلا أبالي إن نسب الجبرية الظلم إليّ وأنا العدل الحكيم، ولا أبالي يوم القيامة فريقا في الجنة بإيمانهم وفريقا في السعير بكفرهم وطغيانهم)[1]

ثم يورد حديثا آخر يجعل من الموالين للإمام علي أدوات لكسر الميزان والصراط والحساب وكل ما ورد في القرآن الكريم حول المحكمة الإلهية الممتلئة بالعدالة، فقد ورد فيه مرفوعا إلى رسول الله ﷺ: (يا علي إن الله يحبّك ويحبّ من يحبّك، وإن الملائكة تستغفر لك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك، وإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين محبّو علي؟ فيقوم قوم من الصالحين؟ فيقال لهم: خذوا بيد من شئتم وادخلوا الجنة، وإن الرجل الواحد ينجي من النار ألف رجل، ثم ينادي المنادي: أين البقية من محبّو علي؟ فيقوم قوم مقتصدون، فيقال لهم: تمنّوا على الله ما شئتم؛ فيعطى كل واحد منهم ما طلب؛ ثم ينادي: أين البقية من محبّي علي؟ فيقوم قوم قد ظلموا أنفسهم، فيقال: أين مبغضو علي؟ فيقوم خلق كثير، فيقال: اجعلوا كل ألف من هؤلاء لواحد من محبّي علي فيجعل أعمال أعدائك لمحبيك فينجون من النار، وأنت الأجلّ الأكرم، وأنت العلي العظيم، محبّك محبّ الله ورسوله، ومبغضك مبغض الله ورسوله)[2]

ومن الأحاديث المردودة في هذا الباب، والتي يكفي نصها

1() مشارق أنوار اليقين، ص 243.

2() بحار الأنوار: 42 / 28 ح 7.

في معرفة كـذبها ووضـعها وتدليسـها مـا روي عن أبي الحجـاج قال: قال لي أبو جعفر: (يا أبا الحجاج إن الله خلق محمـداً وآل محمـد من طينـة علـيين، وخلـق قلـوبهم من طينـة فـوق ذلـك، وخلق شـيعتنا من طينـة دون علـيين، وخلـق قلـوبهم من طينـة عليين، فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد، وإن اللـه خلـق عـدو آل محمـد من طين سـجين وخلـق قلـوبهم من طين أخبث من ذلك، وخلق شيعتهم من طين دون طين سـجين وخلـق قلـوبهم من طين سجين، فقلوبهم من أبدان أولئـك وكـل قلب يحن إلى بدنه)[1]

ومنها ما روي عن الإمام الصادق أنه قـال: (إن اللـه خلقنـا من عليين، وخلق أرواحنـا من فـوق ذلـك، وخلـق أرواح شـيعتنا من علـيين، وخلـق أجسـادهم من دون ذلـك، فمن أجـل ذلـك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا)[2]

ومنها ما روي عن الإمام الصادق أنه قـال: (إن اللـه خلقنـا من نور عظمته، ثم صَوَّرَ خَلْقَنَـا من طينـة مخزونـة مكنونـة من تحت العرش، فأسكن ذلك النـور فيـه، فكنـا نحن خلقـاً وبشـراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنـا منـه نصـيباً، وخلـق أرواح شـيعتنا من طينتنـا، وأبـدانهم من طينـة مخزونـة مكنونـة أسـفل من ذلـك الطينـة، ولم يجعـل اللـه لأحـد في مثـل الـذي خلقهم منـه نصـيباً إلا للأنبيـاء، ولـذلك صـرنا نحن وهم: النـاس، وصار سائر الناس همج للنار وإلى النار)[3]

ومنها ما روي عن أبي اسحاق الليثي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر يـا ابن رسـول اللـه أخـبرني عن المـؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟ قـال: اللهم لا، قلت: فيلـوط؟ قـال: اللهم لا، قلت: فيسـرق؟ قـال: لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: لا، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبـائر أو فاحشة من هذه الفـواحش؟ قـال: لا قلت: فيـذنب ذنبـاً؟ قـال: نعم هـو مـؤمن مـذنب ملم، قلت مـا معـنى ملم؟ قـال: الملم بالـذنب لا يلزمـه ولا يصـير عليـه قـال: فقلت سـبحان اللـه مـا أعجب هذا لا يـزني ولا يلـوط ولا يسـرق ولا يشـرب الخمـر ولا يـأتي بكبـيرة من الكبـائر ولا فاحشـة! فقـال: لا عجب من أمـر

1() بصائر الدرجات ص34.

2() الكافي ج1 ص117، عنه البحار ج58 ص44، بصائر الدرجات ص39.

3() الكافي ج1 ص389.

الله، إن الله تعالى يفعـل مـا يشـاء و﴿لَا يُسْـأَلُ عَمَّا يَفْعَـلُ وَهُمْ يُسْــأَلُونَ﴾ [الأنبيــاء: 23] فمم عجبت يــا ابــراهيم؟ ســل ولا تســتنكف ولا تســتحي فــإن هــذا العلم لا يتعلمــه مســتكبر ولا مسـتحي، قلت: يـا ابن رسـول اللـه اني أجـد من شـيعتكم من يشرب الخمـر ويقطـع الطريـق ويخيـف السـبل ويـزني ويلـوط ويأكل الربا ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة ويقطع الرحم ويأتي الكبائر، فكيف هـذا ولم ذاك؟!.. فقـال: يـا ابراهيم هل يختلج في صدرك شيء غير هـذا، قلت: نعم يـا ابن رسول الله أخرى أعظم من ذلك! فقال: وهو ما يا أبا اسـحاق؟ قال: فقلت يا بن رسول الله وأجد من أعدائكم ومناصـبيكم من يكـثر من الصـلاة ومن الصـيام ويخـرج الزكـاة ويتـابع بين الحج والعمــرة ويحــرص على الجهــاد ويــأثر على الــبر وعلى صــلة الأرحــام ويقضــي حقــوق إخوانــه ويواســيهم من مالــه ويتجنب شرب الخمر والزنا واللـواط وسـائر الفـواحش فمم ذاك؟! ولم ذاك؟! فسره لي يا ابن رسول الله وبرهنه وبيّنه، فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي.. قال: فتبسم الباقر، ثم قـال: يا ابراهيم خذ إليك بيانـاً شـافياً فيمـا سـألت وعلمـاً مكنونـاً من خزائن علم الله وسره، أخبرني يا ابراهيم كيف تجـد اعتقادهمـا قلت: يا ابن رسول الله أجد محبيكم وشيعتكم على مـا هم فيـه ممـا وصـفته من أفعـالهم لـو أعطي أحـدهما مـا بين المشـرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن ولايتكم ومحبتكم إلى مـوالاة غـيركم وإلى محبتهم مـا زال ولـو ضـربت خياشـيمه بالسـيوف فيكم ولـو قتـل فيكم مـا ارتـدع ولا رجـع عن محبتكم وولايتكم، ورأي الناصـب على مـا هـو عليـه ممـا وصـفته من أفعـالهم لـو أعطى أحدكم ما بين المشرق والمغـرب ذهبـاً وفضـة أن يـزول عن محبة الطواغيت ومـوالاتهم إلى مـوالاتكم مـا فعـل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ولو قتل فيهم ما ارتـدع ولا رجع وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأز من ذلـك وتغـير لونه ورأي كراهية ذلك في وجهه بغضاً لكم ومحبة لهم.. فتبسم الباقر، ثم قال: يا ابراهيم ها هنا هلكت العاملة الناصبة ﴿تَصْـلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: 4، 5] ومن أجل ذلك قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـاهُ هَبَـاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقـان: 23] ويحـك يـا ابـراهيم، أتـدري مـا السـبب والقصة في ذلك وما الذي قـد خفي على النـاس منـه، قلت: يـا

ابن رسول الله فبينه لي واشرحه وبرهنه؟ قال: يا ابراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أن الله تعالى خلق الأشياء من شيءٍ فقد كفر لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليته وهويته كان ذلك الشيء أزلياً بل خلق الله تعالى الأشياء كلها لا من شيء، فكان مما خلق الله تعالى أرضاً طيبة ثم فجر منها ماء عذباً زلالاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام طبقها وعمها، ثم أنضب ذلك الماء عنها، فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليهم السلام، ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ولو ترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً، قلت: يا ابن رسول الله فما فعل بطينتنا؟ قال: أخبرك يا ابراهيم خلق الله تعالى بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة منتنة، ثم فجر منها ماء أجاجاً آسناً مالحاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فلم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقها وعمها، ثم نضب ذلك الماء عنها، ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمتهم، ثم مزجه بثفل طينتكم ولو ترك طينتهم على حالها ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجوا ولا أدوا الأمانة ولا أشبهوكم في الصور وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوه مثل صورته. قلت يا بن رسول الله فما صنع بالطينتين؟ قال: مزج بينهما بالماء الأول والماء الثاني، ثم عركها عرك الأديم، ثم أخذ من ذلك قبضة، فقال: هذه إلى الجنة ولا أبالي، وأخذ قبضة أخرى، وقال: هذه إلى النار ولا أبالي ثم خلط بينهما ووقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رأيته من شيعتنا من زنا أو لواط أو ترك صلاة أو صوم أو حج أو جهاد أو خيانة أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه لأن من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب من مواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه لأن من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم فإذا عرضت هذه

الاعمال كلها على الله تعالى قال: أنا عـدل لا أجـور ومنصـف لا أظلم وحكم لا أحيـف ولا أميـل ولا أشـطط الحقـوا الأعمـال السيئة التي اجترحها المؤمن بسـنخ الناصـب وطينتـه، وألحقـوا الاعمال الحسنة التي اكتسـبها الناصـب بسـنخ المـؤمن وطينتـه ردوها كلها إلى أصلها، فـإني أنـا اللـه لا إلـه إلا أنـا عـالم السـر وأخفى، وأنـا المطلـع على قلـوب عبـادي لا أحيـف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه.. ثم قال الباقر: اقـرأ يا ابراهيم هذه الآية قلت: يا ابن رسول الله أية آية، قال: قولـه تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْـدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ [يوسف: 79] هو في الظاهر مـا تفهمونـه هـو واللـه في البـاطن هـذا بعينـه، يـا ابـراهيم إن للقـرآن ظـاهراً وباطنـاً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً، ثم قال: أخبرني يا ابراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلـدان أهـو بـاين من القـرص؟ قلت: في حـال طلوعـه بـاين، قـال: أليس إذا غـابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود إليه؟ قلت: نعم، قال: كذلك يعود كل شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نـزع اللـه تعـالى سـنخ الناصـب وطينتـه مـع أثقالـه وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصب وينزع سـنخ المـؤمن وطينته مع حسناته وأبواب بره واجتهـاده من الناصـب فيلحقهـا كلها بالمؤمن، أفـترى هـا هنـا ظلمـاً أو عـدواناً؟ قلت: لا يـا ابن رسول الله، قـال: هـذا واللـه القضـاء الفاصـل والحكم القـاطع والعدل البين ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـأَلُونَ﴾ [الأنبيـاء: 23] هذا يـا ابـراهيم الحـق من ربـك فلا تكن من الممـترين هـذا من حكم الملكوت، قلت: يـا ابن رسـول اللـه ومـا حكم الملكـوت؟ قـال: حكم اللــه حكم أنبيائــه، وقصــة الخضــر وموســى ؑ حين استصـحبه، فقـال: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِيَ صَـبْرًا (67) وَكَيْـفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِـطْ بِـهِ خُبْـرًا ﴾ [الكهـف: 67ـ، 68]ـ افهم يا إبـــراهيم واعقل، أنكر موسى على الخضر واســتفظع أفعاله، حتى قال له الخضر يا موسى ما فعلته عن أمري إنما فعلته عن أمر الله تعـالى، من هـذا ويحك يا إبـراهيم، قـرآن يُتلى، وأخبـار تؤثر عن الله تعـالى من رد منهـا حرفـاً فقـد كفـر وأشـرك ورد على الله تعالى.. قال الليثي: فكأني لم أعقل الآيات وأنا أقرأها أربعين سنة إلا ذلك اليوم فقلت: يـا ابن رسـول اللـه مـا أعجب

هذا تؤخذ حسنات أعدائكم فترد على شيعتكم، وتؤخذ سيئات محبيكم فترد على مبغضيكم؟! قال: أي الله الذي لا إله إلا هو فالق الحبة وبارئ النسمة وفاطر الارض والسماء ما أخبرتك إلا بالحق وما أنبأتك إلا الصدق وما ظلمهم الله، وما الله بظلام للعبيد، وإن ما أخبرتك لموجود في القرآن كله، قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن؟! قال: نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن، أتحب أن أقرأ ذلك عليك؟ قلت بلى يا ابن رسول الله، فقال: قال الله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (12) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ [العنكبوت: 12، 13])[1]

إلى آخر الرواية، والتي تتنافى مع كل القيم الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأحاديث أئمة الهدى، ومع ذلك نجد أن هناك من يتعلق بها، ويحاول تبريرها وتأويلها بإيراد نصوص نظيرة لها في كتب المدرسة السنية.. مع أن كل ما يخالف القرآن الكريم مرفوض سواء ورد في المصادر السنية أو الشيعية.

وأول ما يرفضه هو ما ورد في القرآن الكريم من أن طينة البشر واحدة، قال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ [المؤمنون: 12، 13]، وقال: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ [الأنعام: 2]

وهكذا أخبر أن جميع النفوس مصدرها من نفس واحدة، قال تعالى: يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً [النساء: 1]، وقال: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ [الأنعام: 98]

ولهذا يخاطب الله تعالى البشر جميعا بكونهم من مصدر واحد، قال تعالى: يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا [الأعراف: 27]، وقال: يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

1() علل الشرائع ج2 ص606، عنه البحار ج5 ص228، مختصر البصائر ص223.

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: 13]

وأحب أن أنبه هنا إلى الجريمة التي يرتكبها الطائفيون حين يسرعون إلى استعمال أمثال هذه الروايات لضرب كل ما ورد عن أئمة الهدى من المعاني والقيم الطيبة الكثيرة، بدل أن يكتفوا برد الضعيف والموضوع والمدلس.

أما ورود بعض تلك الأحاديث في الكافي وغيره من الكتب المعتبرة؛ فهو لا يعني صحتها؛ فليس هناك كتاب صحيح صحة مطلقة، وقد كتب بعضهم دراسة علمية حول الكافي والرواة المتروكين فيه بعنوان [المتروكون ومروياتهم في أصول الكافي]، وقد ذكر فيه أن العدد الإجمالي لأحاديث الكافي 16199 حديثًا، وأن منها ما لا يقل عن 9485 حديثًا من الضعيف بشهادة عدد من نقاد الشيعة الإمامية أنفسهم.

بالإضافة إلى ذلك ذكر أن في كتاب الكافي مجموعة كبيرة جدًّا من الرواة المتروكين عند نقاد الحديث من الشيعة، منهم من نص على تركه معظم رجالهم وعلمائهم في الجرح والتعديل، ومنهم من اختُلِف فيه عندهم، وبلغ عدد المتروكين في هذا الكتاب نحو مائة راوٍ، وبلغ عدد مروياتهم (2130)

مع العلم أن الحديث المتروك عند الشيعة الإمامية، شر أنواع الحديث، إذ تأتي مرتبته بعد الموضوع مباشرة.

ثانيا ــ أحاديث المناقب التي وضعتها الفئة الباغية:

وهي أحاديث كثيرة جدا، والكثير منها يتناقض مع الأحاديث الأخرى المتفق عليها بين الأمة جميعا، وهي لا تتناقض معها فقط، بل تتناقض مع ما تقتضيه الإمامة من تفرد شخص واحد بالمزايا التي تقتضيها.

ومن الأمثلة على ذلك أن الأحاديث الكثيرة تثبت علم الإمام علي بالقرآن الكريم، وبكل قضايا الدين أصولها وفروعها، وأنه لا يدانيه في ذلك أحد من الناس، وأنه لذلك استحق أن يكون إماما ومرجعا للأمة، والواقع يدل عليه؛ فقد كان أكثر الناس معاشرة لرسول الله ﷺ، وأكثرهم تلمذة على يديه، ولذلك كان وعيه وفهمه وعلمه بالدين أعظم وعي وفهم وعلم.

لكن روايات المناقب تخالف هذه الناحية، حيث أنها توزع

هذه الفضائل، وفي غير محالها المناسـبة لهـا، والـتي دل عليهـا الواقع، وكأنها تريد أن ترضي الجميع، ولو على حساب الحقيقة.

ومثـال ذلـك مثـال من يشـهد لشـخص بأنـه أعلم النـاس بالرياضـيات.. لكنـه يـذكر في نفس الـوقت أن آخـر هـو الأعلم بالجبر.. وآخر هو الأعلم بالهندسة.. وآخر هو الأعلم بالرياضـيات التطبيقية.. وآخر هـو الأعلم بفـرع آخـر من فـروع الرياضـيات.. وهكذا يزال عن الأول أعلميته بالرياضيات بطريقة غير مباشرة.

ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أرحم أمـتى بـأمتى أبـو بكـر، وأشـدهم فى أمـر اللـه عمـر، وأصـدقهم حيـاء عثمـان، وأقـرؤهم لكتـاب اللـه أبى بن كعب، وأفرضـهم زيـد بن ثـابت، وأعلمهم بـالحلال والحـرام معـاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا، وإن أمين هذه الأمـة أبـو عبيـدة بن الجراح)(1)

وهو حديث مشهور متداول لكنـه معلـول سـندا ومتنـا، أمـا إعلاله السندي؛ فقد عبر عنه الحافـظ أبـو الحسـن الـدارقطني بقوله: (يرويه خالدٌ الحذاء، وعاصمٌ الأحول، واختلف عنهما: فأما حديث خالد الحذاء، فرواه إسماعيل ابن علية عن خالد عن أبي قلابة مرسلا.. واختلـف عن الثـوري: فـرواه قبيصـة عن الثـوري عن خالـد وعاصـم عن أبي قلابـة عن أنس.. وخالفـه معلى بن عبد الرحمن، فـرواه عن الثـوري عن عاصـم عن أبي قلابـة عن ابن عمر، وعن خالـد عن أبي قلابـة عن أنس.. ورواه وكيـعٌ عن الثـوري عن خالـد عن أبي قلابـة عن أنس.. ورواه ابن عيينـة، وحمـاد بن سـلمة، وحمـاد بن زيـد عن عاصـم عن أبي قلابـة مرسلا.. ورواه أبو قحذم النضر بن معبـد عن أبي قلابـة مرسـلا أيضـا.. وروى شـعبة من هـذا الحـديث كلمـة، وهي فضـيلة أبي عبيـدة بن الجـراح خاصـة عن خالـد عن أبي قلابـة عن أنس.. واختلف عن شعبة في ذلك: فقيـل: عن سـليمان بن حـرب عن شعبة عن ثابت عن أنس. وقيل: عن أبي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن شعبة عن عاصـم الأحـول عن أنس. وقيـل: عن أبي عمر الحوضي عن شعبة عن قتادة عن أنس. وأصـحها: عن شعبة عن خالد عن أبي قلابة عن أنس)(2)

---

(1) الترمذي (ح3791)
(2) العلل، (ح2676)

بل إن ابن تيمية نفسه ضعفه، فقد قال: (وبعضهم يحتج لذلك بقوله: (أفرضكم زيد). وهو حديثٌ ضعيفٌ؛ لا أصل له. ولم يكن زيدٌ على عهد النبي ﷺ معروفا بالفرائض، حتى أبو عبيدة لم يصح فيه إلا قوله: (لكل أمة أمينٌ وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[1]

وأما إعلال متنه، فقد عبر عنه الفضل بن شاذان في قوله في بعض حجاجه: (فأوّل ما ننقم عليكم من ذلك ما رويتموه عن علمائكم أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنّ زيدا أفرضكم وعليّ أقضاكم وأبىّ أقرؤكم ومعاذ أعلمكم بالحلال والحرام وقد علمتم أنّ القاضى لا يكون قاضيا حتّى يعرف هذه الخلال كلّها لا شكّ فيه إذ لا يكون أقضاهم حتّى يعرف الفرائض فيكون عالما بما أمر الله به منها فى كتابه وسنّة نبيّه، ولا يكون أعلمهم بالحلال والحرام حتّى يعرف الفرائض لأنّها هى من الحلال والحرام)[2]

ومثل ذلك الأحاديث الكثيرة التي وضعت في حق أبي بكر وعمر خصوصا، والتي وضعت في عهد معاوية للحط من شأن الإمام علي من جهة، ولكونهما كانا سببا في تولي معاوية وغيره من الطلقاء تلك المناصب الرفيعة التي لم يكونوا يستحقونها.

ومن الأمثلة عنها ما رووه مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين)[3]

وهو ظاهر الوضع، وأن المقصود منه سلب تلك المنقبة العظيمة التي خص بها رسول الله ﷺ الإمامين الحسن والحسين، وكونهما سيدي شباب أهل الجنة، ولذلك استعمله ابن تيمية في التهوين من شأنهما، فقد قال: (وهما - يعني الحسن والحسين - وإن كانا سيدا شباب أهل الجنة، فأبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، وهذا الصنف أكمل من ذلك الصنف)[4]

وهكذا حاول القاري أن يثبت بذلك الحديث أن من كان

1() مجموع الفتاوى (31/ 342)
2() الإيضاح، ص314.
3() الترمذي (3666)، وابن ماجة (95)
4() منهاج السنة النبوية (4/ 169)

سيدا على الكهول فهو سيد على الشباب، فقال: (الكهول: جمع الكهل، وهو - على ما في القاموس - من جاوز الثلاثين أو أربعا وثلاثين إلى إحدى وخمسين، فاعتبر ما كانوا عليه في الدنيا حال هذا الحديث، وإلا لم يكن في الجنة كهلٌ، وقيل: سيدا من مات كهلا من المسلمين فدخل الجنة، لأنه ليس فيها كهلٌ، بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين، وإذ كانا سيدي الكهول، فأولى أن يكونا سيدي شباب أهلها)[1]

وبما أن أمثال هذه التحاليل لا تكفي؛ فقد راحوا يضعون أحاديث أخرى يلغون فيها السيادة عن الحسنين، فقد رووا عن علي أنه قال: (كنت عند النبي ﷺ، فأقبل أبو بكر، وعمر، فقال: (يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين)[2]

ومثل ذلك ما ورد من تخصيص عمر بن الخطاب بتحديث الملائكة له دون سائر الصحابة مع أسبقيتهم له في الإسلام، وتضحياتهم الكثيرة في سبيله، ذلك لأن الفئة الباغية تعظم عمر أكثر من غيره من الصحابة، بل تعتبره ولي نعمتها، فهو الذي ولى معاوية على الشام، ولذلك بالغت كثيرا في تفضيله حتى على من سبقه إلى الإسلام من الصحابة متخلين عن نظريتهم في كون الأفضل هو الأسبق.

فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر)[3]

ومثله ذلك الأحاديث المرتبطة بمناقب عثمان، ومنها قوله سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا)، أو قال: (اختلافا وفتنة)، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: (عليكم بالأمين وأصحابه)، وهو يشير إلى عثمان بذلك[4].

ولا شك أن أصحابه الذين يقصدهم هنا هم مروان ومعاوية وغيرهما من الفئة الباغية.

بناء على هذا سنذكر هنا بعض النماذج عن تلك الأحاديث

1() مرقاة المفاتيح (9/ 3913)
2() رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (602)
3() رواه البخاري في باب (مناقب عمر) في: 2/194.
4() أحمد 2/344 (8522)

التي لم يرد منها إلا التهوين من شأن العترة، ووصايا رسول الله ﷺ المرتبطة بها.

1 ـ الأحاديث الموضوعة في حق معاوية:

وهي أحاديث كثيرة، وضعت في عهد معاوية أو بعده، تزلفا له، أو تزلفا للأمويين، أو ربما تزلفا للعباسيين الذين اعتبروا أئمة الهدى أعداء منافسين لهم.

ولذلك أضيفت في عهدهم [العقيدة في معاوية] إلى جانب العقيدة في الله ورسله وملائكته في عقائد أهل السنة والجماعة؛ فلا يعتبر سنيا عندهم إلا من عظم معاوية، ولهذا ألفوا الكتب والرسائل في بيان فضائله والدفاع عنه[1]، ولا

---

[1]() من الكتب المؤلفة عنه ما كتبه الحافظ أبوبكر بن أبي الدنيا (ت: 281) في حلم معاوية (الموجود منتقى منه مجرد الأسانيد، مخطوط في الظاهرية، ويستخرج أغلبه من تاريخ ابن عساكر)،

وصنف في مناقبه أبوبكر ابن أبي عاصم (ت: 287)، وأبوعمر غلام ثعلب (ت: 345)، وأبوبكر النقاش (ت: 351) ذكر كتابهما ابن حجر في فتح الباري 7/104.

وجمع أبوالفتح بن أبي الفوارس (ت: 412) في فضائل معاوية (منهاج السنة 4/84)، وصنف أبوالقاسم السقطي (ت: 406) جزءا في فضائل معاوية (مخطوط في الظاهرية)، وكذا علي بن الحسن الصيقلي القزويني (التدوين 3/352)، وللحسين بن علي الأهوازي (ت: 446) كتاب شرح عقد أهل الإيمان في معاوية بن أبي سفيان (في الظاهرية الجزء السابع عشر منه)

ولأحمد رضا البريلوي (ت: 1340) كتاب الأحاديث الراوية لمناقب الصحابي معاوية (كما في معجم الموضوعات المطروقة ص595)

وقد طبعت مؤخرا رسائل: ابن أبي الدنيا، والسقطي، والأهوازي معا، بتحقيق هزايمة وياسين، نشر مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، كما طبع رسالة ابن أبي الدنيا لوحدها: إبراهيم صالح في دار البشائر بدمشق.

أما من ذب عن معاوية ودافع عنه: فمنهم أبويعلى محمد بن الحسين الفراء في كتابه: تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان (حققه عبد الحميد بن علي الفقيهي، ثم حققه أبوعبد الله الأثري وطبعه بدار النبلاء بعمان)

ولابن تيمية جواب سؤال عن معاوية بن أبي سفيان (حققه صلاح الدين المنجد، وطبع بدار الكتاب العربي في بيروت، وطبع ناقصا ضمن مجموع الفتاوى 4/453 وانظر 35/58-79 منه)

ولأحد علماء اليمن سنة 1137: نصيحة الإخوان في ترك السب لمعاوية بن أبي سفيان (كما في ذيل كشف الظنون 4/652)

ولأحمد بن حجر الهيتمي: تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان (طبع آخر الصواعق المحرقة له، وطبع في مكتبة الصحابة بطنطا وغيرها مفردا، واختصره الشيخ سليمان الخراشي، وقدم له مقدمة مفيدة)

وللشيخ حسن بن علوي بن شهاب الدين العلوي الحضرمي (ت1332): الرقية الشافية من نفثات سموم النصائح الكافية (طبع في سنغافورة عام 1328 ويعاد طبعه إن شاء الله)

ولعصريه القاسمي كتاب نقد النصائح الكافية (طبع)، ولعبد العزيز بن حامد الفرهاوري: الناهية عن الطعن في أمير المؤمنين معاوية (طبع)

وقد جمع الشيخ محمد مال الله كلام ابن تيمية عن معاوية في منهاج السنة (طبع)،

يمكن الدفاع عنه من دون التهوين من عدوه الأكبر الإمام علي.

ومن الأمثلة على ذلك قول الآجري في (الشريعة): (معاوية رحمه الله كاتب رسول الله ﷺ على وحي الله عز وجل وهو القرآن بأمر الله عز وجل وصاحب رسول الله ﷺ ومن دعا له النبي ﷺ أن يقيه العذاب ودعا له أن يعلمه الله الكتاب ويمكن له في البلاد وأن يجعله هادياً مهدياً.. وهو ممن قال الله عز وجل ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (التحريم: 8) فقد ضمن الله الكريم له أن لا يخزيه لأنه ممن آمن برسول الله ﷺ)[1]

وقال ابن بطة في (الإبانة الصغرى): (تترحم على أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أخي أم حبيبة زوج النبي ﷺ خال المؤمنين أجمعين وكاتب الوحي وتذكر فضائله)[2]

ولهذا ـ أيضا ـ نراهم يجيزون نقد عمار والطعن فيه وتأويل ما ورد في فضله من نصوص، بينما يعتبرون الكلام في معاوية طامة كبرى، وزندقة عظمى، وبدعة ليس لصاحبها قرار سوى في النار، فقد رووا عن عبد الله بن المبارك قوله: (معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شَزْراً؛ اتهمناه على القوم، أعني على أصحاب محمد ﷺ)[3]

ورووا عن الربيع بن نافع قوله: (معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب رسول الله ﷺ فإذا كشف الرجل الستر اجترئ على ما وراءه)[4]

ورووا كذبا وزورا عن النسائي أنه سُئِلَ عن معاوية، فقال: (إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول

وللشيخ زيد الفياض رسالة في الدفاع عن معاوية (لم تطبع، كما في ذيل الأعلام للعلاونة 2/68)

وللشيخ عبد المحسن العباد رسالة: أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية (طبع بالجامعة الإسلامية في طيبة)

وللمؤرخ محمود شاكر ترجمة مفردة لمعاوية ضمن سلسلة خلفاء الإسلام (طبع في المكتب الإسلامي ببيروت)

وللأستاذ منير الغضبان كتاب معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد (طبع بدار القلم في دمشق)

[1] الشريعة [3 / 496.

[2] الإبانة الصغرى [ص: 299].

[3] تاريخ دمشق59/209.

[4] تاريخ بغداد 1/209.

الدار، قال: فمن أراد معاوية؛ فإنما أراد الصحابة)[1]
وهـذا تزويـر وكـذب على الإمـام النسـائي، لأن المـؤرخين يذكرون تعرضه لمحنة سببها كتابه في في فضل الإمام علي بن أبي طالب الذي جمع فيـه الأحـاديث الـواردة في فضـل الامـام علي وأهل بيته، فقد ذكـروا أنـه بعـد أن تـرك مصـر في أواخـر عمره قصد دمشق ونزلها، فوجد الكثير من أهلها منحـرفين عن الامام علي، فأخذ على نفسه وضع كتاب يضم مناقبـه وفضـائله رجاء أن يهتـدي بـه من يطالعـه أو يلقى إليـه سـمعه، فـأتى بـه والقاه على مسامعهم بصورة دروس متواصـلة.. وبعـد ان فـرغ منه سئل عن معاوية وما روي من فضائله، فقـال: (أمـا يرضـى معاوية أن يخرج رأسا بـرأس حـتى يفضـل؟)، وفي روايـة: (مـا أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنك)، فهجموا عليـه وداسـوه حتى أخرجوه من المسجد، فقـال: احملـوني إلى مكـة، فحمـل إليها، فتوفى بها[2].
بناء على هذا سنذكر هنا بعض النمـاذج عن تلـك الأحـاديث التي وضعت لتحسين صورة معاوية، والتي يدافع عنهـا ويحـاول تصحيحها كل أولئك الذين يستعملون كل الوسـائل للتهـوين من شـأن الإمـام علي، وتضـعيف كـل حـديث صـحيح ورد فيـه، أو تأويله، أو تمييعه.
[النمـوذج: 1]ـ وهي الأحـاديث الـتي وضـعت لإعطـاء شرعية لحكمه، وهي متناقضة مع كل تلك الأحاديث الـتي تحـذر من الملك العضوض، ومن علاقة معاوية به، والتي سبق ذكرها.
ومن تلـك الأحـاديث الـتي يـدافعون عنهـا مـا رواه معاويـة قال: كنت أوضئ رسول الله ﷺ ذات يوم؛ أفـرغ عليـه من إنـاء في يدي، فنظر إلي نظرة شديدة، ففـزعت، فسـقط الإنـاء من يدي، فقال: (يا معاوية؛ إن وليت شيئا من أمر أمتي فـاتق اللـه واعدل، فما زلت أطمع فيهـا منـذ ذلـك اليـوم، وأسـأل اللـه أن يرزقني العدل فيكم)[]
والمحـدثون الـذين رووا هـذا الحـديث، ويسـتدلون بـه، يجتهـدون في تصـحيحه يـذكرون وثاقـة الـرواة الـذين رووه،

1() تهذيب الكمال 1/339-340،.
2() انظر: تـذكرة الحفـاظ للـذهبي ص699،ووفيـات الأعيـان لابن خلكـان ج1 ص77 والمقفى الكبير للمقريزي ج1 ص402، والبداية والنهاية لابن كـثير ج11 ص124 وغيرهـا كثير.

ويغفلون عن معاوية، مع أنهم لو طبقوا عليه أحاديث رسول الله ﷺ لاعتبروه أكبر المدلسين والوضاعين والكاذبين، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي لم يكتف ببغض الإمام علي، بل كان يقاتله ويسبه ويستعمل كل الوسائل للتهوين من شأنه.

ولهذا نرى ابن تيمية وتلاميذه يستعملون أمثال ذلك الحديث، ويعتبرون عهد معاوية أفضل من عهد الإمام علي، فقد قال: (جرى بعد موت معاوية من الفتن والفرقة والاختلاف ما ظهر به مصداق ما أخبر به النبي ﷺ، حيث قال: (سيكون نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون ملكٌ ورحمة، ثم يكون ملكٌ عضوض)، فكانت نبوة النبي ﷺ نبوة ورحمة، وكانت خلافة الخلفاء الراشدين خلافة نبوة ورحمة، وكانت إمارة معاوية ملكا ورحمة، وبعده وقع ملكٌ عضوض)[1]

[النموذج: 2]ـ ما يروونه من أدعية رسول الله ﷺ له، ومنها أنه ﷺ ذكر معاوية، فقال: (اللهم اجعله هاديا مهديا، واهد به)[2]، وأنه دعا لمعاوية فقال: (اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب)[3]

أما دعاؤه عليه؛ فقد حولوه إلى فضيلة من الفضائل، وسأذكر الحديث، ثم أذكر تلاعبهم به، فقد روي عن ابن عباس قال: (كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ، فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطأني حطأة، وقال: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية. قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: لا أشبع الله بطنه)[4]

فهذا الحديث مع وضوحه في تحذير الأمة من معاوية، وذمه إلا أنهم عدوه من فضائله معاوية[5]، كما عبر عن ذلك ابن

1() مجموع الفتاوى (35/ 19)

2() رواه البخاري في التاريخ (5/240) والترمذي (3842) وابن سعد (7/418) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (2/358 رقم 1129) والبغوي في معجم الصحابة (4/491)

3() رواه أحمد في المسند (4/127) وفضائل الصحابة (1748) -ومن طريقه الخلال في العلل (141) والسنّة (2/449) وابن عساكر (59/75)

4() مسلمٌ (4/2010 رقم 2604)

5() وأشار لهذا البيهقي في دلائل النبوة (6/243) والذهبي في السير (3/124 و

كثير بقوله: (وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أما فى دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميرا كان يأكل في اليوم سبع مرات، يجاء بقصعة فيها لحمٌ كثير وبصلٌ فيأكل منها، ويأكل فى اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا، ويقول: (والله ما أشبع، وإنما أعيا)، وهذه نعمةٌ ومعدةٌ يرغب فيها كل الملوك)[1]

وقال الشيخ ربيع بن عبد الرؤوف الزواوي معلقا على هذه التأويلات: (انظر إلى أهل العلم كيف يبحثون عن الفضائل، ويَجمعون شتاتها، ويُركّبونَ مُتَفرِّقَها، لأن قلوبَهم سَلِمَت لأصحاب الرسول ﷺ، واليوم يبتُرُ بعضُ أهل الكلام النصوص؛ ليخترع للقوم ذُنوبا ونقائص يُطْلِقون الألسنة بها)[2]

وقال عبد الله بن جعفر بن فارس: (معناه والله أعلم: لا أشبع الله بطنه في الدنيا حتى لا يكون ممن يجوع يوم القيامة، لأن الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: أطول الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة)[3]

بل إنهم اخترعوا لأجله حديثا مسيئا لرسول الله ﷺ، وهم لا يروونه إلا لأجل الرفع من شأن معاوية، فقد رووا أنه ﷺ قال لأم سليم: (يا أم سليم؛ أما تعلمين أن شرطي على ربي؟ أني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشرٌ أرضى كما يرضى البشر؛ وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهورا وزكاة وقربة تقربه بها منه يوم القيامة)[4]

ولهذا لا يذكرون دعاء رسول الله ﷺ على معاوية، إلا ويذكرون معه هذا الحديث، ومن الأمثلة على ذلك قول النووي تحت عنوان: (باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك؛ كان له زكاة وأجرا ورحمة)، ثم ساق الحديث، وقال بعده: (وقد فهم مسلم من هذا الحديث أن معاوية لم

14/130)، وفي تذكرة الحفاظ (2/699)، وابن كثير في البداية والنهاية (11/402)

1() البداية والنهاية (11/402)

2() تصحيح الأفهام حول ما أُثير من خلافٍ بين الصحابة الكِرام ص62.

3() في زياداته على مسند الطيالسي (4/465)

4() رواه مسلم (4/2009-2010 رقم 2603)

يكن مستحقا للدعاء عليه، فلهذا أدخلـه في هـذا البـاب، وجعلـه غيره من مناقب معاوية؛ لأنه في الحقيقة يصير دعاء له)[1]

ولم يكتف بذلك، بـل راح يقـول: (إن مـا وقـع من سـبه ﷺ ودعائه ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عـادة العـرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله: تربت يمينـك، وعقـرى، وحلقى، وفي هذا الحديث: لا كبرت سنك، وفي حديث معاويـة: لا أشـبع اللـه بطنـه، ونحـو ذلـك، لا يقصـدون بشـيء من ذلـك حقيقـة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابـة، فسـأل ربـه سبحانه وتعـالى ورغب إليـه في أن يجعـل ذلـك رحمـة وكفـارة وقربة وطهورا وأجرا، وإنما كان يقع هذا منه في النـادر والشـاذ من الأزمان، ولم يكن ﷺ فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه)[2]

[النموذج: 3] ما يروونه من نبوءات رسول اللـه ﷺ عنـه وعن ابنه يزيـد، فقـد رووا عن أم حـرام، قـالت: أتانـا النـبي ﷺ يوما فقال عندنا، فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: مـا يضـحكك يـا رسـول اللـه؛ بـأبي أنت وأمي؟ قـال: (أريت قومـا من أمـتي يركبون ظهر البحر كـالملوك على الأسـرة) فقلت: ادع اللـه أن يجعلني منهم. قال: (فإنك منهم) قالت: ثم نام، فاسـتيقظ أيضـا وهو يضـحك، فسـألته، فقـال مثـل مقالتـه، فقلت: ادع اللـه أن يجعلني منهم. قال: (أنت من الأولين)، قـال: فتزوجهـا عبـادة بن الصـامت بعـد، فغـزا في البحـر؛ فحملهـا معـه، فلمـا أن جـاءت قربت لها بغلة فركبتها، فصرعتها؛ فاندقت عنقها)[3]

وقد تعلق به كل من يذكر فضائل معاوية ويزيد، ويعتبرونـه من الأحاديث التي تضمن لهما الجنة [4].

[النموذج: 4] ما يروونه من أحاديث تذكر تدينـه وتقـواه، والـتي يتلاعبـون بواسـطتها بعقـول من يغفلـون عن سـائر الأحاديث الواردة في شأنه، والـتي تـبين دوره السـلبي الخطـير

1() شرح النووي على مسلم (16/156)

2() شرح النووي على مسلم (16/156)

3() رواه البخاري (6282 و6283) ومسلم (1912).

4() من الأمثلة على ذلك قول ابن عبد البر عن هـذا الحـديث في التمهيـد (1/235): (وفيه فضلٌ لمعاوية، إذ جعل من غزا تحت رايته من الأولين)، وعـده الآجـري (5/2441) واللالكائي (8/1438) وغيرهما من فضائل معاوية.

في الأمة، والذي لا يختلف عن دور السامري في بني إسرائيل.

ومن تلك الأحاديث ما يروونه عن مرجانة أم علقمة قالت: (قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة، فأرسل إلى عائشة: أن أرسلي إلي بأنبجانية رسول الله ﷺ وشعره، فأرسلت به معي، حتى دخلت به عليه، فأخذ الأنبجانية فلبسها، وأخذ شعره فدعا بماء فغسله، فشربه وأفاض على جلده)[1]

ومنها ما يروونه عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: (ما أجلسكم؟" قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام؛ ومن به علينا. قال: (آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟" قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)[2]

والشاهد من الحديث قول معاوية: (وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني)

[النموذج: 4] ما يروونه من أحاديث في فضل أمه وأبيه، في الوقت الذي يكفرون فيه أبا طالب، ويحكمون عليه بالخلود في جهنم، ومن تلك الأحاديث ما يروونه عن هند بنت عتبة (امرأة أبي سفيان، وأم معاوية) أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلهم الله من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزهم الله من أهل خبائك. فقال النبي ﷺ: (وأيضا والذي نفسي بيده)[3]

قال ابن كثير: (فالمدحة في قوله: (وأيضا والذي نفسي بيده)، وهو أنه ﷺ كان يود أن هند وأهلها وكل كافر يذلوا في

1() رواه ابن سعد (1/112) ومن طريقه ابن عساكر (59/153)
2() رواه مسلم (4/2075 رقم 2701)
3() رواه البخاري في مناقب هند (رقم 3825) ومسلم (3/1339 رقم 1714)

حال كفرهم، فلما أسـلموا كـان يحب أن يعـزوا، فـأعزهم اللـه، يعني أهل خبائها)[1]

2 ـ الأحاديث الموضوعة في المبشرين بالجنة

وهي أحــاديث قــد يكــون بعضــها صــحيحا، ولكن الفهم الخاطئ تطرق إليها، ذلـك أن من مهـام رسـول اللـه ﷺ ـ كمـا يذكر القرآن الكريم ـ التبشير بالجنة، ولذلك، فإنه يبشر بها كـل من عمل عملا صـالحا، ليـذكر لـه من خلال ذلـك التبشـير أنـه ـ بعملـه ذلـك ــ يمكنـه أن يـدخل الجنـة، وهـو لا يعـني الضـمان المطلق بدخولها.

وذلك يشبه من يرى تلميذا يجتهد في دراسته؛ فيبشره أنه إن دام على ذلك، فسينجح، وهو لا يعني ضمان النجاح له، ذلـك أن التلميذ قد يقصر بعد ذلك، ولـذلك يتخلـف عن النجـاح الـذي بشر به.

وهكـذا؛ فـإن كـل الآيـات القرآنيـة الـتي وردت في فضـل الصـحابة وتبشـيرهم برضـوان اللـه وجنتـه ينطبـق عليهـا هـذا المعيار، فعندما يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُـوبِهِمْ فَـأَنْزَلَ السَّـكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 18ـ 19] لا يعني الرضوان المطلق، بـل يعني الرضوان المرتبط بذلك العمل، وهو بيعـة رسـول اللـه ﷺ في ذلك الموقف.

ولهذا قـدم اللـه تعـالى على تلـك الآيـات احتمـال حصـول النكث من بعض المبايعين، وهو يعـني تخلفـه عن الرضـون بعـد استحقاقه له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَـايِعُونَ اللَّهَ يَـدُ اللَّهِ فَـوْقَ أَيْـدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَـا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِـهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10]

وهذا ما فهمـه الصـحابة أنفسـهم، فقـد روي عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب فقلت: طوبى لك، صحبت النبي ﷺ، وبايعته تحت الشجرة، فقال: (يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)[2]

بـل إن أبـا الغاديـة، قاتـل عمـار، كـان ممن حضـر بيعـة الرضـوان، وقـد ورد في الحـديث مـا يـدل على كونـه من أهـل

1() البداية والنهاية (11/411)

2() البخاري 5/ 56.

النار، فقد قال ﷺ: (قاتل عمار وسالبه في النار) (1)

وقد قال الألباني عنه: (وأبو الغادية هو الجهني وهو صحابي كما أثبت ذلك جمع، وقد قال الحافظ في آخر ترجمته من الإصابة بعد أن ساق الحديث، وجزم ابن معين بأنه قاتل عمار: والظن بالصحابة في تلك الحروب، أنه كانوا فيها متأولين، وللمجتهد المخطىء أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس، فثبوته للصحابة بالطريق الأولى) (2)

ولهذا راح أولئك الذين لم يفهموا معنى البشارة بالرضوان والجنة يتأولون هذا الحديث على الرغم من اعترافهم بصحته؛ فقد قال ابن حزم: (وعمار رضي الله عنه قتله أبو الغادية يسار ابن سبع السلمي شهد بيعة الرضوان، فهو من شهد الله له بأنه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه ورضي عنه، فأبو الغادية رضي الله عنه متأول مجتهد مخطئ فيه، باغ عليه مأجور أجرا واحدا)(3)

وقد علق عليه الألباني بقوله: (هذا حق، لكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة، إذ لا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهدا، ورسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار في النار! فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح بها. والله أعلم)(4)

وربما يكون الذي دفع الألباني إلى هذا التعليق كون أحد قتلة عثمان بن عفان من أهل بيعة الرضوان، وهو الصحابي عبد الرحمن بن عديس البلوي، الذي قال عنه ابن عبد البر في ترجمته: (شهد الحديبية ممن بايع تحت الشجرة رسول الله ﷺ، هو كان الأمير على الجيش القادمين من مصر إلى المدينة الذين حاصروا عثمان وقتلوه)(5)

ومثل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ

1() المستدرك للحاكم (5661)
2() سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني،ج5، ص18.
3() الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج4، ص125.
4() سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني،ج5، ص18.
5() الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ج2، ص840.

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: 100]، وقوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الفتح: 29]

فهي لا تعني الضمان المطلق بالرضوان ودخول الجنة، وإنما تبين أهليتهم لها إن هم ثبتوا ولم يغيروا ويبدلوا، كما أشار إلى ذلك ما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم، أسلمنا كما أسلمو، وجاهدنا كما جاهدوا، فقال رسول الله ﷺ: (بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي)، فبكى أبو بكر، ثم بكى. ثم قال: (أئنا لكائنون بعدك؟!)[1]

ومما يؤكد ذلك أن بعض أولئك السابقين ارتد عن الإسلام، فكل من أرخوا للصحابة يذكرون عبيد الله بن جحش، وسابقيته للإسلام، وهجرته إلى الحبشة، وارتداده بعد ذلك، فقد قال ابن حجر العسقلاني: (وعلى هذا يحمل حال من ارتد من قريش ولهذا لم يعرج ابو سفيان على ذكرهم وفيهم صهره زوج ابنته ام حبيبة وهو عبيد الله بن جحش فانه كان اسلم وهاجر الى الحبشة بزوجته ثم تنصر بالحبشة ومات على نصرانيته)[2]

لكن مع كل هذا، ومع كثرة الأحاديث الواردة في البشارات بالجنة، وفي شمولها للكثير من الصحابة، من أمثال بلال وعمار وأبي ذر والمقداد وغيرهم من المستضعفين من غير قريش، إلا أنهم يختصرون المبشرين بالجنة في عشرة من القرشيين، على الرغم من تأخر إسلام بعضهم.

ونص الحديث هو ما روي عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: (عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وطلحة في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد

1() موطأ مالك 2: 461.
2() فتح الباري شرح صحيح البخاري 8/162.

الرحمن بن عوف في الجنة، ولو شئت لسميت العاشـر)، قـال: فقالوا: من هو ؟ قال: سعيد بن زيد[1].

ونص الحـديث نفسـه يـدل على تـنزه رسـول اللـه ﷺ عن ذكره بهذه الصيغة، ذلك أن رسـول اللـه ﷺ كـان مبشـرا للأمـة جميعا؛ فكيف يختصر بشارته في عشرة من أصـحابه، لأن ذلـك يؤذي الآخرين، ويسيء إليهم، ومثله مثل أستاذ يخاطب تلاميـذه النجباء الكثيرين قائلا: سـينجح منكم فلان وفلان وفلان.. فـذلك ممـا يفت في عضـد غـيرهم، ويـؤذيهم، ورسـول اللـه ﷺ أرحم بأمته من أن يفعل ذلك.

ولذلك كانت تقترت بشاراته بالأعمال، كوسيلة من وسائل الترغيب فيهـا، مثلمـا روي في الحـديث أنـه ﷺ قـال لبلال عنـد صلاة الغداة: (يـا بلال، حـدثني بـأرجى عمـل عملتَـه عنـدك في الإسلام منفعَة؛ فإنِّي سمعتُ الليلة خشـف نعليـك بين يـديَّ في الجنـة!)، قـال بلال: (مـا علمتُ عملاً في الإسـلام أرجى عنـدي منفعَة، مِن أني لا أتطهَّر طهورًا تامًّا في ساعة مِن ليل ولا نهار، إلا صليتُ بذلك الطهور ما كتب الله لي أنْ أصلي)[2]

فرسول الله ﷺ في هذا الحديث كان يريـد من أصـحابه أن يقتـدوا ببلال في هـذا العمـل، ولـذلك دلهم عليـه من خلال هـذا الأسلوب، وهو لا يعـني الضـمانة المطلقـة بـدخول الجنـة، وقـد وضحنا معنى ذلك بتفصيل في كتاب [أسرار ما بعد المــوت بين الدين والعقل]، وهو ارتباط الدنيا بالآخرة، كما ورد في الحـديث عنه ﷺ قوله: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شـراك نعلـه، والنـار مثل ذلك)[3]

ومثلـه مـا روي عن أنس بن مالـك قـال: كنـا جلوسـا مـع رسول الله ﷺ فقال: (يطلـع عليكم الآن رجـلٌ من أهـل الجنـة) فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلـق نعليـه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلـك، فطلـع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا فطلع ذلـك الرجـل على مثـل حالـه الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقـال: إني لاحيت أبي فأقســمت أن لا أدخــل عليــه ثلاثــا، فــإن رأيت أن

1() الترمذي (ج 4 / 334)
2() رواه البخاري 1 / 110 رقم: 1149، صحيح مسلم 4 / 1910 رقم: 2458.
3() رواه البخاري 5/ 2380 (6123)

تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال نعم قال أنسٌ: وكـان عبـد الله يحدث أنه بات معه تلـك الليـالي الثلاث فلم يـره يقـوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعـار وتقلب على فراشـه ذكـر اللـه عـز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبـد اللـه: غـير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا. فلما مضت الثلاث ليال وكـدت أن أحتقـر عمله قلت: يـا عبـد اللـه إني لم يكن بيـني وبين أبي غضـبٌ ولا هجرٌ ثم، ولكن سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول لـك ثلاث مـرار: (يطلـع عليكم الآن رجـلٌ من أهـل الجنـة) فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الـذي بلـغ بـك مـا قـال رسـول اللـه ﷺ ؟ فقال ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت؛ غير أني لا أجد في نفسـي لأحـد من المسـلمين غشـا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبـد اللـه: هـذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق[1].

وعلى هذا المعـنى تحمـل كـل الأحـاديث الـواردة في هـذا الباب، ولو أن بعضها كـان ظـاهر الوضـع، مثلمـا يـروى عن أبي موسى الأشعري: أنه توضـأ في بيتـه، ثم خـرج، فقلت: لألـزمن رسول الله ﷺ ولأكـونن معـه يـومي هـذا. قـال: فجـاء المسـجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عنـد البـاب وبابهـا من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ فقمت إليه، فإذا هو جـالس على بـئر أريس وتوسـط قفهـا، وكشـف عن سـاقيه ودلاهمـا في البـئر فسـلمت عليـه ثم انصـرفت، فجلسـت عنـد الباب فقلت: أكونن بواب رسول الله ﷺ. فجـاء أبـو بكـر فـدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبـو بكـر. فقلت: على رسـلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال: (ائذن له وبشره بالجنة). فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة. فدخل أبـوبكر فجلس عن يمين رسـول اللـه ﷺ معـه في القـف، ودلى رجليـه في البـئر كمـا صـنع النـبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت وجلست، وقد تركت أخي يتوضـأ ويلحقني فقلت: إن يرد اللـه بفلان خـيرا -يريـد أخـاه- يـأت بـه،

1() رواه أحمـد (12720)، وعبـد الـرزاق في المصـنف (20559) وابن المبـارك في الزهـد (694) والنسـائي في الكـبرى (10699) وعبـد بن حميـد في مسـنده (1157) والضياء في المختارة (2619).

فإذا إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقلت: على رسلك. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن. فقال: (ائذن له وبشره بالجنة). فجئت فقلت: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة. فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست. فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك. فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: (ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)، فجئت فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شرك بن عبد الله قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم[1].

3 ــ الأحاديث الموضوعة في فضائل التابعين ومن بعدهم:

وهي من الأحاديث التي استعملت لأغراض سياسية أو مذهبية، وربما لمواجهة تلك الحجاج التي كان يحتاج بها أئمة الهدى على وصايا رسول الله ﷺ المتعلقة بهم، ولذلك وضعت الأحاديث التي تضعهم مع غيرهم في محل واحد، ومن تلك الأحاديث:

[النموذج: 1]ــ الأحاديث الموضوعة في فضائل العباسيين، وهي قد يكون بعضها صحيحا، لكنه غير وبدل وتصرف فيها الرواة ليحولوه إلى فضيلة للعباسيين مع أنه ينطبق عليهم نفس ما ينطبق على الأمويين من الأحاديث الواردة في الملك العضوض.

ومن تلك الأحاديث ما يذكرونه في فضل السفاح العباسي، وأن رسول الله ﷺ بشر به، فقال: (يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان)، وفي لفظ: (يخرج من أهل بيتي رجل يقال له: السفاح، فيكون عطاؤه المال حثيا)[2]، وربما يكون الحديث صحيحا، والمراد منه الإمام المهدي، وليس أبا العباس السفاح صاحب الجرائم الكثيرة.

ومنها ما يروونه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

1() البخاري، الفتح [7/25] رقم: [3674].

2() رواه أحمد، سبل الهدى والرشاد (10/91)

(منا السفاح، ومنا المنصور، ومنا المهدي)[1]

ومنها ما يروونـه عن ابن عبـاس والخطيب عن أبي سـعيد قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (منـا القـائم، ومنـا المنصـور، ومنـا السفاح ومنا المهدي، فأما القائم فتأتيه الخلافة ولم يهرق فيهـا محجمة من دم، وأما المنصور فلا ترد له راية، وأما السفاح فهو يسفح المال والدم، وأمـا المهـدي فيملأ الأرض عـدلا كمـا ملئت ظلما)[2]

ومنهـا مـا يروونـه عن جـابر قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (ليكونن في ولد العباس ملوك يلون أمر أمتي، يعز اللـه تعـالى بهم الدين)[3]

ومنها ما يروونه عن ابن عبـاس عن أم الفضـل أن رسـول الله ﷺ قال للعباس: (يا عباس، أنت عمي وصنو أبي، وخير من أخلف بعدي من أهلي، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائـة فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي)[4]

ومنها ما يروونه عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال: (يا عباس إن الله بدأ هـذا الأمـر بي وسـيختمه بغلام من ولـدك يملؤها عدلا كمـا ملئت جـورا، وهـو الـذي يصـلي بعيسـى عليـه الصلاة والسلام)[5]

ومنها ما يروونه عن ابن عباس قـال: حـدثتني أم الفضـل، قالت: مـررت بـالنبي ﷺ فقـال: (إنـك حامـل بغلام فـإذا ولـدت فأتيني به)، قلت: يا رسول الله أنى ذاك، وقـد تحـالفت قـريش أن لا يأتوا النساء؟ قال: (هو ما قد أخبرتك)، قالت: فلما ولدتـه أتيته به، فأذن في أذنـه اليمـنى، وأقـام في اليسـرى وألبـأه من ريقه، وسماه عبد الله وقـال: (اذهـبي بـأبي الخلفـاء)، فـأخبرت العباس فأتاه فذكر له، فقال: (هو ما أخبرتك، هـذا أبـو الخلفـاء حتى يكون منهم السفاح، حتى يكون منهم المهدي، حتى يكـون

1() رواه الـبيهقي وأبـو نعيم كلاهمـا في الـدلائل والخطيب، سـبل الهـدى والرشـاد (10/91)

2() رواه الخطيب والـبيهقي وأبـو نعيم كلاهمـا في الـدلائل، سـبل الهـدى والرشـاد (10/91)

3() رواه الدارقطني في الإفـراد وابن عسـاكر وابن النجـار، سـبل الهـدى والرشـاد (10/91)

4() رواه الخطيب، سبل الهدى والرشاد (10/91)

5() رواه الـدارقطني في الإفـراد والخطيب وابن عسـاكر، سـبل الهـدى والرشـاد (10/91)

منهم من يصلي بعيسى عليه الصلاة والسلام)[1]

ومنها ما يروونه عن رسول الله ﷺ أنه قـال: (المهـدي من ولد العباس عمي) [2]

[النموذج: 2]ـ الأحاديث الموضوعة في منـاقب الفقهـاء، والتي قد يكون بعضها صحيحا لكنهم يؤولونه، ومن الأمثلـة على ذلـك قولـه ﷺ: (لـو كـان العلم معلقـا بالثريـا لنالـه رجـال من فارس)[3]، والذي قال الصالحي فيه تعليقا عليه: (ومـا جـزم بـه شـيخنا من أن الإمـام أبـا حنيفـة هـو المـراد من هـذا الحـديث السابق ظـاهر لا شـك فيـه، لأنـه لم يبلـغ من أبنـاء فـارس في العلم مبلغـه، ولا مبلـغ أصـحابه، وليس المـراد بفـارس البلـد المعروف، بـل جنس من العجم وهم الفـرس، كـان جـد الإمـام أبي حنيفة منهم[4].

ومن الأمثلة عنها ما يروونه عن رسـول اللـه ﷺ أنـه قـال: (إن في أمتي رجلا اسمه النعمان وكنيتـه أبـو حنيفـة هـو سـراج أمتي هو سراج أمتي. هو سراج أمتي)[5]

ومنها: (يكون في آخر الزمان رجل يكـنى بـأبي حنيفـة هـو خير هذه الأمة)[6]

ومنها: (إن سائر الأنبياء تفتخر بي وأنا أفتخر بـأبي حنيفـة، وهو رجل تقي عند ربي، وكأنـه جبـل من العلم، وكأنـه نـبي من أنبياء بـني إسـرائيل، فمن أحبـه فقـد أحبـني، ومن أبغضـه فقـد أبغضني)[7]

1() رواه أبو نعيم، سبل الهدى والرشاد (10/91)

2() ورواه ابن الجـوزي في (العلـل المتناهيـة)(2\855\1431) وقـال:حـديث عثمـان تفرد به محمد بن الوليد، قال ابن عدي:كان يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلب الأسـانيد والمتون، قال سمعت الحسن بن أبى معشر يقول هو كذاب قال الألباني: موضوع،.وذكـر نحوا من الكلام المتقدم في الوليد وزاد: وقال أبو عروبة:كذاب،وبهـذا أعلـه المنـاوي في (الفيض) نقلا عن ابن الجـوزي وبـه تـبين خطـأ السـيوطي في إيـراده لهـذا الحـديث في الجامع الصغير قال: ومما يدل على كذب هذا الحديث أنه مخالف لقوله ﷺ: (المهـدي من عترتي من ولد فاطمة) وقد تقدم برقم (7) (الضعيفة) (80) قال الشيخ أحمـد في (إبـراز الوهم المكنون)(ص133): قد جمع بأنه عباسي الأم، حسني الأب، وليس بذاك، والحديث لا يصح وقال أخوه عبد الله في كتابه (المهدي)(44): هو ضعيف جدا

3() رواه أحمـد وأبـو نعيم والبخـاري ومسـلم والترمـذي،، سـبل الهـدى والرشـاد (10/116)

4() سبل الهدى والرشاد (10/116)

5() الخطيب البغدادي في تاريخه 13 ص 335.

6() الخطيب الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة 1 ص 14.

7() قال العجلوني: لا يصلح وإن تعددت طرقه. كشف الخفاء ج 1 ص 33.

ومنها: (لو كان في أمة موسى وعيسى مثل أبي حنيفة لما تهودوا وما تنصروا)[1]

ومثله ما يذكرونه في مناقب الإمام مالك، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبـل، فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة)، قـال سـفيان بن عيينـة نوى هذا العالم مالك بن أنس، ولم يعرف بهذا الاسم غـيره، ولا ضربت أكباد الإبل إلى أحد مثل ما ضربت إليه[2].

وقال أبو مصعب: كـان النـاس يزدحمـون على بـاب مالـك ويقتتلون عليه من الزحام، يعـني لطلب العلم، وممن روي عنـه من الأئمة المشهورين، محمد بن شهاب الزهـري، والسـفيانان، والشافعي، والأوزاعي إمام أهل الشـام، والليث بن سـعد إمـام أهل مصر، وأبو حنيفـة النعمـان بن ثـابت الإمـام، وصـاحباه أبـو يوسف ومحمد بن الحسن، وعبد الرحمن بن مهدي شيخ الإمـام أحمد، ويحـيى شـيخ البخـاري، وأبـو رجـاء قتيبـة بن سـعد شـيخ البخاري ومسلم، وذا النون المصري، والفضل بن عياض، وعبـد الله بن المبارك، وإبراهيم بن أدهم[3].

ومثله ما يذكرونه في منـاقب الإمـام الشـافعي، فقـد رووا عن ابن عباس قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (اللهم اهـد قريشـا، فإن علم العالم يسع طباق الأرض)[4]، وفي رواية: (فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما)[5]

ثانيا ـ الأحاديث المردودة حول الامتداد الرسالي:

وهي أيضا كثيرة، والقصد في أكثرها الإغراب الـذي يشـابه الإسرائيليات، بالإضافة إلى تفاصيلها الكثيرة الـتي لا تـرد عـادة في النبوءات الغيبية، بالإضافة إلى أن بعضها يتنـاقض مـع القيم القرآنية والفطرية.

وقد يكون من بين تلك الأحـاديث بعض مـا أوردنـاه سـابقا من تفاصيل حول الفتن التي تسبق الإمام المهدي، وخاصة تلـك الـتي تـذكر الأسـماء بدقـة، وإنمـا ذكرناهـا في محـل الأحـاديث المقبولـة باعتبـار معانيهـا العامـة متفـق عليهـا بين المسـلمين جميعا.

1() كشف الخفاء 1 ص 33.

2() رواه الحاكم وصححه، سبل الهدى والرشاد (10/117)

3() سبل الهدى والرشاد (10/117)

4() رواه أحمد والترمذي، سبل الهدى والرشاد (10/117)

5() رواه الخطيب وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد (10/117)

وبما أن هذا النوع من الحديث مما تمتلئ به مصادر السنة والشيعة؛ فسنذكر هنا نماذج عما ورد في كليهما.

1 ـ ما ورد في المصادر السنية:

من النماذج عن الأحاديث الغريبة، والتي نرى ردها، لا بجميع تفاصيلها، وإنما بالكثير منها:

أ ـ الأحاديث الغريبة الواردة في فتح القسطنطينية:

ومن أمثلتها ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدا، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته)[1]

فهذا الحديث الغريب يربط فتح القسطنطينية بالدجال، بل يجعله علامة من علامات الساعة الكبرى من خروج الدجال، ونزول المسيح.. وذلك مما لم يحصل في الواقع التاريخي.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحديث يبرر كل تلك السلوكات العدوانية التي مورست باسم الفتح مع أن الهدف هو الغنائم، فقد ورد في الحديث (فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون)، ولست أدري كيف يتناسب اسم الفتح مع اقتسام الغنائم، وهل الذي يقوم بإنقاذ الناس يستل ما في جيوبهم.

ومن الأحاديث المتعلقة بهذا ما رواه عن النبي ﷺ أنه قال:

1() رواه مسلم في صحيحه (8/175)رقم (2897) في الفتن، باب فتح قسطنطينية، ونزول عيسى ابن مريم.

(سمعتم بمدينة، جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها - قال ثور بن يزيد: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر - ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرج فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون[1].

وهذا الحديث الذي رواه مسلم أيضا يتناقض مع الحديث السابق، وقد استفاد منه المحدثون أن الروم أو الأتراك من بني إسحاق، مع أن ذلك لا يدل عليه أي شيء.

ومن عجائب الحديث أن هؤلاء يفتحون هذه المدينة ذات الجيش القوي بدون سلاح، بل بأذكار يرددونها فقط.

والحديث لا ينسى كسابقه اقتسام المغانم باعتبارها هدفا من الأهداف الكبرى..

والحديث يربط مثل سابقه فتح القسطنطينية بظهور الدجال.. ولست أدري هل ما حصل قبل قرون من فتح القسطنطينية وتحولها إلى عاصمة للخلافة الإسلامية، وامتلائها بالمساجد ليس فتحا، فإن كان كذلك فليس هناك أي أرض مفتوحة للمسلمين.

وقد حاول أحمد شاكر أن يتلاعب بمعنى الفتح في هذا الحديث، فقال: (فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عز وجل، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا فإنه كان تمهيدا للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله ﷺ)[2]

1() رواه مسلم في الفتن (18: 33)

2() حاشية عمدة التفسير 256 / 2 تحقيق أحمد شاكر.

وحديثه هذا يتناقض مع ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)[1]

فقد ذكر فتحا واحدا لجزيرة العرب ولفارس وللقسطنطينية.. لكنهم في سبيل تصحيح أحاديث أبي هريرة، وعدم القبول بنقدها يخترعون العجائب.

ب ـ ما ورد من الأحاديث التي تبعث التشاؤم في مستقبل الأمة:

وهو ما يتناقض مع تلك النصوص المقدسة الكثيرة التي تبين عودة الأمة إلى دينها، وظهور الإسلام على الدين كله، وتنعم البشرية به أجيالا طويلة.

ومن تلك الأحاديث ما يروونه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم)[2]

ومنها ما روي عن النواس بن سمعان أنه قال: (ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال الغداة، فخفضت فيه، ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شابٌ قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بـ (عبد العزى بن قطن)، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح (سورة الكهف)، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا، وعاث شمالا، يا عباد الله، فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله، فذاك اليوم الذي كسنة: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم

1() مسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم.

2() رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن حبان، سبل الهدى والرشاد (10/122)

أطول ما كانت درا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين، رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام، وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى، كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيثما شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر،

فعليهم تقوم الساعة)[1]

ونحن لا نـرد كـل التفاصـيل الـواردة في هـذا الحـديث، وخاصة تلك التي دلت عليها غيرها من الأحاديث، وإنما نرد ذلـك الترتيب، والزمان المرتبـط بـه، والـذي يجعـل من الفـترة الـتي يظهر الله فيها الإسلام على الـدين كلـه، فـترة قصـيرة، لا تنعم فيها البشرية إلا بتلك البركات المادية التي وصفها الحديث.

ج ـــ مـــا ورد من الأحـــاديث الغريبـــة المرتبطـــة بالمستقبل:

والتي هي محل شك، خاصة أن الذين رووها من المتعلقين بالإسرائيليات، والمهتمين بالغرائب والخرافات.

ومن الأمثلة عنهـا مـا روي عن فاطمـة بنت قيس، قـالت: سـمعت نـداء المنـادي منـادي رسـول اللـه ﷺ ينـادي: الصـلاة جامعـة، فخـرجت إلى المسـجد، فصـليت مـع رسـول اللـه ﷺ، فكنت في النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صـلاته، جلس على المنـبر وهـو يضـحك، فقـال: ليلـزم كـل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قـال: إني واللـه مـا جمعتكم لرغبـة، ولا لرهبـة، ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافـق الـذي كنت أحـدثكم عن المسـيح الـدجال، حـدثني أنـه ركب في سـفينة بحريـة مـع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشـمس، فجلسـوا في أقـرب السـفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب، كثير الشعر، لا يـدرون مـا قبله من دبـره، فقـالوا: ويلـك، مـا أنت؟ قـالت: أنـا الجساسـة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل الذي في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سـمت لنـا رجلا، فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سـراعا حـتى دخلنا الدير، فـإذا فيـه أعظم إنسـان رأينـاه قـط خلقـا، وأشـده وثاقـا، مجموعـة يـداه إلى عنقـه، مـا بين ركبتيـه إلى كعبيـه بالحديـد، قلنـا: ويلـك مـا أنت؟ قـال: قـد قـدرتم على خـبري، فـأخبروني: مـا أنتم؟ قـالوا: نحن أنـاس من العـرب، ركبنـا في

1() رواه مسـلم رقم (2937) وأبـو داود رقم (4321) و(4322) والترمـذي رقم (2241)

سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيـرة، فلقيتنا دابة أهلب، كثير الشعر، لا ندري مـا قبلـه من دبـره، من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنـا الجساسـة، قلنـا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجـل الـذي في الـدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنـا إليـك سـراعا، وفزعنـا منهـا، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخـبروني عن نخـل بيسـان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمــر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال: أخــبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة المـاء، قـال: أمـا إن ماءهـا يوشـك أن يـذهب، [ص:335] قال: أخـبروني عن عين زغـر، قـالوا: عن أي شـأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بمــاء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعـون من مائهـا، قـال: أخبروني عن نبي الأميين، ما فعل؟ قالوا: [قد] خـرج من مكـة، ونزل يثرب، قال: أقاتلـه العـرب؟ قلنـا: نعم، قـال: كيـف صـنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطـاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذاك خـير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، أنا المسيح، وإني أوشـك أن يـؤذن لي في الخــروج، فــأخرج فأســير في الأرض، فلا أدع قريــة إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبــة، فهمـا محرمتـان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحدا منهما، اسـتقبلني ملك بيده السيف صـلتا يصـدني عنهـا، وإن على كـل نقب منهـا ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول اللـه ﷺ: وطعن بمخصـرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة ـ يعني المدينـة ــ ألا هـل كنت حدثتكم عن ذلك؟ فقال الناس: نعم، قال: فإنه أعجبـني حـديث تميم: أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنـه وعن المدينـة ومكـة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بـل من قبـل المشـرق، مـا هو؟ من قبل المشـرق، مـا هـو؟ ــ وأومـأ بيـده إلى المشـرق ـ قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ)[1]

ومنها ما رواه أبو هريرة عن رسـول اللـه ﷺ أنـه قـال: (لا تقوم الساعة حتى يمـر الرجـل بقـبر الرجـل فيقـول: يـا ليتـني

1() رواه مســـــلم رقم (2942)، وأبــــو داود رقم (4325) و(4326) و(4327)، والترمذي رقم (2254)

مكانه)[1]

ومثل هذا حصل في كل الأزمنة، ففيها جميعا كان هناك من يتمنى الموت، بسبب الآلام التي تصيبه في الحياة، بل إن رسول الله ﷺ نفسه نهى عن ذلك، كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي)، وقد عقب أنس على هذا الحديث بقوله: (لولا أن رسول الله ﷺ قال:)لا يتمنين أحدكم الموت، لتمنيته)[2]

ومن تلك الأحاديث الغريبة التي حدث بها أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ولا ندري معناها، ولا نثق فيه ثقة مطلقة، قوله: (لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرا لا تكن منه بيوت المدر، ولا تكن منه إلا بيوت الشعر)[3]

ومنها حكايته أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر)[4]

ومنها إخباره عن طلوع الشمس من مغربها، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: 158])[5]

ومثل هذا الحدث الكوني العظيم يقتضي أدلة أقوى، وأسانيد أكثر، ولا يجدي فيه أمثال أبي هريرة.. بالإضافة إلى أن الحديث مما يستدل به السلفية على أن الشمس تدور حول الأرض.

ومن أحاديثه المرتبطة بهذا الباب، والتي أثارت جدلا كبيرا بين الشراح حكايته أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة

1() رواه البخاري 6 / 75، ومسلم رقم (2922)
2() رواه البخاري 10 / 107 و108، ومسلم رقم (2680)
3() أحمد (2/262، رقم 7554)
4() رواه أحمد (2/319، رقم 8223)، والبخارى (3/1315، رقم 3395).
5() رواه أحمد (2/231، رقم 7161)، والبخارى (4/1697، رقم 4359)، ومسلم (1/137، رقم 157)، وأبو داود (4/115، رقم 4312)، وابن ماجه (2/1352، رقم 4068)

حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، فيقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا أنجو)[1]

و في رواية (يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا)[2]

وفي رواية (لا تذهب الدنيا حتى ينجلي فراتكم عن جزيرة من ذهب، فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون)[3]

وقد اختلف شراح الحديث كثيرا في بيان الزمن الذي يحسر فيه الفرات عن جبل الذهب، وأكثرهم خصه بزمن نزول المسيح عليه السلام، وفي الزمن الذي يكثر فيه المال، كما ذكر أبو هريرة.

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أن معنى حسر الفرات عن الذهب، المراد به البترول.

وقد رد السلفية على هذا الوجه ردودا كثيرة.

منها أن النص جاء فيه جبل من ذهب نصا لا يحتمل التأويل، والبترول ليس بذهب على الحقيقة فإن الذهب هو المعدن المعروف.

ومنها أن النبي ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب، فيراه الناس، والنفط أو البترول يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة.

ومنها أن النبي ﷺ خص الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار، والنفط نراه يستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض، وفي أماكن كثيرة متعددة.

ومنها أن النبي ﷺ أخبر أن الناس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يحصل أنهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره، بل إن النبي ﷺ نهى من حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئا[4].

ومنها ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سيكون في آخر الزمان يخرج الرجل من بيته فيرجع، فتخبره عصاه ونعله

1() رواه البخاري (8 / 100)، ومسلم (برقم 2894)
2() أبو داود (برقم 4313) والترمذي (برقم 2572)
3() رواه حنبل بن إسحاق في كتابه الفتن (ص 216)
4() انظر: إتحاف الجماعة (2 /ـ 185 186) فقد ذكر الشيخ حمود التويجري وجوها كثيرة للرد على هذا.

بما أحدث أهله)[1]

ومنها ما رواه أبو سعيد أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده)[2]

وغيرها من الأحاديث التي قد لا تُرد ردا مطلقا، ولكنها لغرابتها عن سائر الأحاديث، وكون الذين يروونها ممن اختلطوا بأهل الكتاب، ورووا عنهم؛ فإنه يستحسن التوقف في شأنها.

2 ـ ما ورد في المصادر الشيعية:

وهي لا تقل عن نظيراتها السنية، وللأسف؛ فإنها تشوه ما ورد عن أئمة الهدى من المعاني الطيبة الموافقة للقرآن الكريم، ولهذا لا يستبعد أن يكون الناشرون لها من الفئة الباغية التي اخترقت صفوف الموالين لهم، لتنشر الغلو والخرافة والأسطورة.

ولهذا تقترن هذه الأحاديث بأحاديث الغلو، والتي سبق أن أشرنا إليها في المبحث السابق، وسنكتفي هنا بنموذجين من تلك الأحاديث الغريبة المشتهرة.

أ ـ خطبة البيان الغريبة المنسوبة للإمام علي:

والتي يمتزج فيها الغلو بالغرابة، وللأسف؛ فإن هذه الخطبة ـ مع كون كبار علماء الشيعية يرفضونها ـ إلا أن الكثير يستدل بها، وينسب تفاصيلها الغريبة للإمام علي.

وقد يكون سبب ذلك أولئك المتساهلين في التصحيح، من أمثال كاظم الرشتي الذي دافع عنها على الرغم من ذكره لمواقف المنكرين لها، فقد قال: (اعلم أن العلماء في هذه الخطبة الشريفة وأمثالها من الخطب، كخطبة البيان، وخطبة الافتخار وغيرها، تشعبوا على أربع شعب: الأول: طرحوا هذه الأخبار وأسقطوها عن نظر الاعتبار، وقالوا أنها أخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا.. وتلك الأخبار أكثر ها ضعيفة سيما الخطب وأغلبها في مشارق الأنوار للشيخ رجب البرسي وقد حكم العلماء بغلوه وما هذا شأنه لا حجة فيه مع أن هذا الأخبار والخطب تخالفها العقول فثبت أن هذه الخطب ليست من أمير

---

[1] () رواه مسدد وأحمد، سبل الهدى والرشاد (10/163)
[2] () رواه ابن منيع، وعبد بن حميد، والترمذي، سبل الهدى والرشاد (10/163)

المؤمــنين ولا الخيــار من أولاده المعصــومين وإنمــا هي من موضوعات الغلاة والمفوضة)[1]

وممن أنكرهـا المجلسـي، فقـد قـال عنهـا: (لكن الأخبـار الكثيرة مما أوردناها في كتاب بحار الأنـوار يمنـع من القـول بـه فيما عدا المعجزات ظاهرا بل صريحا مع أن القول به قول بمـا لا يعلم إذ لم يرد ذلك في الأخبـار المعتـبرة فيمـا نعلم ومـا ورد من الأخبار الدالة على ذلك كخطبة البيان، وأمثالها فلم توجد إلا في كتب الغلاة وأشباههم)[2]

وقال مصطفى آل السيد حيدر الكاظمى: (أنا لم نعثر على مستند صحيح لهذه الخطبة المسماة بالبيان، ولم يثبتها أحـد من المحـدثين كالشـيخ الطوسـى والكليـنى ونظـائرهم وعـدم ذكـر المجلسى لها توهين لهـا لإحاطتـه بالأخبـار ويبعـد عـدم اطلاعـه عليها مع أنها غير بليغة كثيرة التكرار غير بينة الألفاظ)[3]

ومن الوجــوه الــتي ذكرهــا جعفــر مرتضــى العــاملي في ردها[4]:

1 ـ خلوها من السند، فقد ورد في مطلعها: (وقد ثبت عنه علماء الطريقة، ومشـايخ الحقيقـة، بالنقـل الصـحيح، والكشـف الصريح: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم اللـه وجهـه قام على منبر الكوفة الخ..)

وهذه الفقرة تدل على أن الراوي لها هـو من أهـل السـنة الذين يختارون عبـارة (كـرم اللـه وجهـه) في ثنـائهم على أمـير المؤمنين، بالإضافة إلى أن هذه الفقرة صرحت بـأن سـند هـذه الخطبـة: هــو النقــل الصــحيح والكشــف الصــريح، ولكن هــذا الصـحيح، وذلـك الصـريح إنمـا ثبت لخصـوص علمـاء الطريقـة، ومشايخ الحقيقة، ولا ندري لماذا لم يثبت ذلك أيضا عند العلماء والباحثين، أو نقاد الحديث والمحدثين.

2 ـ يبدو أن واضع هذا النص للخطبة قد كان من الصـوفية، كما يشير إليه هذا السند، ويشير إليه أيضـا العبـارة الـتي وردت في نهاية الخطبة، حيث يقـول: (والصـلاة على قطب الأقطـاب، ورسول ملك الوهاب، وعلى آله المنتجبين الأطياب، ما أشرقت

1() كاظم الرشتي، شرح الخطبة التطنجية صفحه ٣٤٩ ٣٥٠.

2() محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج ٣ ص١٤٣.

3() مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي، بشـارة الإسـلام في علامـات ظهـور صـاحب الزمان ص 81.

4() جعفر مرتضى العاملى دراسة في علامات الظهور، ص ٩٤.

شموس الغيوب من غياهب القلوب)، وجاء في الرواية: (فيظهر عند ذلـك صـاحب الرايـة المحمديـة، والدولـة الأحمديـة، القـائم بالسيف الحال، الصادق في المقال، يمهد الأرض، ويحيي السنة والفرض. سيكون ذلك بعد ألف ومئـة، وأربـع وثمـانين سـنة من سني الفترة بعد الهجرة)، وحسـبنا في تكـذيب هـذا مـا ورد من الروايات الـتي تؤكـد على تكـذيب الوقـاتين، ورد مـزاعمهم في ذلك.

ثم ختم ردوده على الخطبـة بقولـه: (وأخـيرا، فنحن أمـام احتمالين: أحدهما: أن يكون البعض قد اطلع على بعض علامات الظهور، ولاسيما ما روي من طـرق الشـيعة وغـيرهم، فنسـجها من عند نفسه على هذا النحـو البـديع، وضـمنها مـا راق لـه من تلك العلامات، التي ليس لهـا في الأغلب سـند يعتمـد عيـه.. ثم نسب ذلك إلى علي أمير المؤمنين ليكون لها وقع في القلــوب، ومكانة في النفوس. وقد يكون قد جـرب ذلـك مـرتين أو ثلاثـا، كما رأينـا في نصوصـها المختلفـة.. والثـاني: أن يكـون للخطبـة أصل أصيل، ثم تلاعبت بهـا الأهـواء، وحرفهـا المحرفـون، وزيـد عليها ونقص منها، وحرفت إلى حد جعلهـا تفقـد معظم معالمهـا الأصيلة، وخرجت عن الانسجام والبلاغة لتصـبح على درجـة من الركاكة والسقوط، مشحونة بالأباطيل، والأضاليل، وحتى أصـبح من أبرز مميزاتهـا الخـروج على أبسـط قواعـد اللغـة، والنحـو، والاشتقاق، وعن أصول الخطاب بصورة كلية، وقد يكـون لبعض الغلاة، والباطنية، والصوفية، وربما اليهود أيضا اليد الطـولى في هذا البلاء، الذي حاق بها، حيث وجـد هـؤلاء وأولئـك فيهـا مرتعـا خصبا، ومادة صالحة لإشاعة أضاليلهم وأباطيلهم.. ولكن الشــي الذي لاشك فيه هـو: أن أولئـك المتلاعـبين والوضـاعين لم يكن لهم حــظ وافــر من العلم، ولا من المعرفــة باللغــة وقواعــدها واشتقاقاتها فكانت لهم الفضيحة الردية، والنكبة والبليـة. وذلـك هو صنع الله بهم، وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[1]

بناء على هذا، سنذكر هنا الخطبة، ليتأملها القارئ؛ فأعظم دليل على وضعها وكذبها قراءتها، ومقارنة ما فيهـا بمـا ورد عن الإمام علي.

وتبدأ الخطبة بأن الإمام علي قام على المنبر بالكوفة وهـو يخطب فقـال: بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم، الحمـد للـه بـديع

1() المرجع السابق، ص 95.

السـماوات والأرض وفاطرهـا، وسـاطح المـدحيات ووازرهـا، ومطود الجبال وقافرها، ومفجر العيون ونافرها، ومرسل الرياح وزاجرها، وناهي القواصـف وآمرهـا، ومـزين السـماء وزاهرهـا، ومدبر الأفلاك ومسـيرها، ومقسـم المنـازل ومقـدرها، ومنشـئ السحاب ومسخرها، وموج الحنادس ومنورها، ومحدث الأجسام ومقررها، ومكـور الـدهور ومكـدرها، ومـورد الأمـور ومصـدرها، وضامن الأرزاق ومدبرها، ومحيي الرفاة وناشـرها. أحمـده على آلائه وتوفرها، وأشكره على نعمائه وتواترهـا. وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، شـهادة تـؤدي إلى السـلامة ذاكرهـا، وتؤمن من العـذاب ذاخرهـا، وأشـهد أن محمـدا ﷺ الخـاتم لمـا سـبق من الرسـل وفاخرهـا، ورسـوله الفـاتح لمـا اسـتقبل من الـدعوة وناشـرها، أرسـله إلى أمـة قـد شـعر بعبـادة الأوثـان شاعرها، فأبلغ ﷺ في النصيحة وافرها، وأنار منار أعلام الهدايـة ومنابرها، ومحا بمعجز القرآن دعوة الشيطان ومكاثرهـا، وأرغم معاطيس غواة العرب وكافرها، حتى أصبحت دعوته الحق بأول زائرها، وشريعته المطهرة إلى المعاد يفخر فاخرهـا ﷺ الدوحـة العليا وطيب عناصرها. أيها الناس سـار المثـل، وحقـق العمـل، وتسـلمت الخصـيان، وحكمت النسـوان، واختلفت الأهـواء، وعظمت البلـوى، واشـتدت الشـكوى، واسـتمرت الـدعوى، وزلزلت الأرض، وضيع الفرض، وكتمت الأمانـة، وبـدت الجنايـة، وقـام الأدعيـاء، ونـال الأشـقياء، وتقـدمت السـفهاء، وتـأخرت الصـلحاء وازور القـران، واحمـر الـدبران، وكملت الفـترة، وسدسـت الهجـرة، وظهـرت الأفـاطس، فحسـمت الملابس، يملكون السرائر، ويهتكون الحرائر، ويجيـؤن كيسـان، ويخربـون خراسـان، فيهـدمون الحصـون، ويظهـرون المصـون، ويفتحـون العـراق بـدم يـراق، فـآه آه، ثم آه آه، لعـريض الأفـواه، وذبـول الشفاه)

ثم التفت يمينـا وشـمالا، وتنفس الصـعداء ملالا، وتـأوه خشوعا، وتغير خضوعا، فقام إليه سويد بن نوفل الهلالي فقال: يا أمير المؤمنين أنت حاضر بما ذكرت وعالم بـه! فـالتفت إليـه بعين الغضب وقال له: ثكلتك الثواكـل، ونـزلت بـك النـوازل، يـا ابن الجبان الخبـائث، والمكـذب النـاكث، سيقصـر بـك الطـول، ويغلبك الغـول، أنـا سـر الاسـرار، أنـا شـجرة الأنـوار، أنـا دليـل السماوات، أنا أنيس المسبحات، أنـا خليـل جبرائيـل، أنـا صـفي

ميكائيل، أنا قائد الأملاك، أنا سمندل الأفلاك، أنا سرير الصـراح، أنا حفيظ الألواح، أنا قطب الديجور، أنا البيت المعمور، أنا مزن السحائب، أنا نور الغياهب، أنا فلك الحجج، أنا حجـة الحجج، أنـا مسدد الخلائق، أنا محقق الحقائق، أنا مأول التأويل، أنـا مفسـر الإنجيل، أنا خامس الكساء، أنا تبيان النساء، أنا ألفة الايلاف، أنا رجـال الأعـراف، أنـا سـر إبـراهيم، أنـا ثعبـان الكليم، أنـا ولي الأولياء، أنا ورثة الأنبياء، أنا أوريا الزبور، أنا حجـاب الغفـور، أنـا صفوة الجليل، أنا إيليا الإنجيل، أنا شديد القوى، أنا حامل اللـوا، أنـا إمـام المحشـر، أنـا سـاقي الكـوثر، أنـا قسـيم الجنـان، أنـا مشاطر النيران، أنا يعسوب الدين، أنا إمـام المتقين، أنـا وارث المختار، أنا ظهير الاظهار، أنا مبيد الكفرة، أنا أبو الأئمة البررة، أنا قالع الباب، أنا مفرق الأحزاب، أنا الجوهرة الثمينـة، أنـا بـاب المدينـة، أنـا مفسـر البينـات، أنـا مـبين المشـكلات، أنـا النـون والقلم، أنا مصباح الظلم، أنا سؤال متى، أنـا ممـدوح هـل أتى، أنا النبأ العظيم، أنا الصراط المسـتقيم، أنـا لؤلـؤ الأصـداف، أنـا جبل قاف، أنا سر الحروف، أنا نور الظروف، أنا الجبل الراسخ، أنا العلم الشامخ، أنا مفتاح الغيوب، أنا مصباح القلوب، أنـا نـور الأرواح، أنا روح الأشباح، أنا الفارس الكرار، أنا نصـرة الأنصـار، أنا السيف المسلول، أنا الشهيد المقتول، أنا جـامع القـرآن، أنـا بنيـان البيـان، أنـا شـقيق الرسـول، أنـا بعـل البتـول، أنـا عمـود الاسلام، أنا مكسر الأصنام، أنا صاحب الاذن، أنا قاتل الجن، أنـا صالح المؤمنين، أنا إمام المفلحين، أنا إمـام أربـاب الفتـوة، أنـا كنز أسرار النبوة، أنا المطلع على أخبار الأولين، أنا المخـبر عن وقائع الآخرين، أنا قطب الأقطاب، أنا حبيب الأحباب، أنا مهـدي الأوان، أنا عيسى الزمان، أنا والله وجه الله، أنا والله أسد الله، أنا سيد العرب، أنا كاشف الكرب، أنا ليث بـني غـالب، أنـا علي بن أبي طالب.

قال: فصاح السائل صيحة عظيمة وخـر ميتـا. فعقب أمـير المؤمنين (كرم الله وجهـه) كلامـه بـان قـال: الحمـد للـه بـارئ النسـم، وذارئ الأمم والصـلوات على الاسـم الأعظم، والنـور الأقدم، محمد وآله وسلم. ثم قـال: سـلوني عن طـرق السـماء فاني أعلم بها من طرق الأرض، سلوني قبل أن تفقدوني، فـان بين جنبي علوما كثيرة كالبحار الزواخر. فنهض إليـه الرسـخ من العلماء، والمهـرة من الحكمـاء، وأحـدق بـه الكمـل من الأوليـاء

والندر من الأصفياء، يقبلون مواطئ قدميه، ويقسمون بالاسم الأعظم عليه، بان يتم كلامه، ويكمل نظامه. فقال بحر الراسخين، وحبر العارفين، الامام الغالب علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): يظهر صاحب الراية المحمدية، والدولة الأحمدية، القائم بالسيف، والحال الصادق في المقال، يمهد الأرض، ويحيى السنة والفرض. ثم قال: أيها المحجوب عن شأني، الغافل عن حالي، إن العجائب آثار خواطري، والغرائب أسرار ضمائري، لأني قد خرقت الحجاب، وأظهرت العجاب، وأتيت بالباب، ونطقت بالصواب، وفتحت خزائن الغيوب، وفتقت دقائق القلوب، وكنزت لطائف المعارف، ورمزت عوارف اللطائف، فطوبى لمن استمسك بعروة هذا الكلام، وصلى خلف هذا الامام، فإنه يقف على معاني الكتاب المسطور، والرق المنشور، ثم يدخل إلى البيت المعمور، والبحر المسجور)[1]

ب ـ ما ورد من الأحاديث والروايات في تشويه حركة الإمام المهدي:

حيث تجعل منه مجرد صاحب سيف، لا هم له إلا القتل، وهو ما يتنافى مع الوراثة النبوية الكاملة، والتي تنطلق من الرحمة والهداية والحرص على إظهار الإسلام بصورته الجميلة، وهذا لا يعني عدم حصول القتال، ولكن فرق بين أن يقاتل دفاعا عن الحق، وبين ما ورد في الروايات من القتل الكثير الذي لا مبرر له.

ومثل تلك الروايات ما ورد عن التفاصيل المرتبطة بحكمه، والتي تجعل منه صاحب دين جديد، لا محيي دين جده ﷺ.

وسنلخص هنا بعض الردود المهمة على أمثال تلك الروايات من مقال لعالم شيعي له اطلاع واسع على المصادر الشيعية، ويميز بين أسانيد أحاديثها الصحيحة من غيرها، فمن تلك الردود، قوله[2]:

1 ـ إنّ عقيدتنا في المهدي المنتظر أنّه تابع لدين جده المصطفى ﷺ وسائر على هديه، وهو خليفته كما تنص على ذلك الكثير من الروايات الوارة عن الأئمة من أهل البيت،

1() ينابيع المودة لذوي القربى، ج 3، ص 205 - 209.

2() المقال بعنوان: شبهات حول مشروع الإمام المهدي، الشيخ حسين الخشن، من موقعه الالكتروني على النت.

وعليه فكيف ينسخ دينه أو يأتي بدين جديد!؟

ويستدل لهذا بما روي عن الإمام الصادق أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: 83]: (إذا قام القائم لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ)(1)

2 ـ إنّ الإمام المهدي هو محيي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وليس ناسخاً لهما، فعن الإمام علي في ذكر المهدي ونهضته: (ويحيي ميت الكتاب والسنة) (2)، ويشير في الخطبة عينها إلى أنّ رأي المهدي هو تبع للكتاب والسنة: (ويعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي)

3 ـ أن أمّا ما جاء في بعض الروايات من أنّه (يقوم بأمر جديد وكتاب جديد وسنة جديدة وقضاء جديد)، كما جاء في رواية أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر(3) لا يراد بها أنّه يأتي بدين جديد مغاير لدين جده المصطفى ﷺ، وإنّما المقصود منه مواجهة الزيف والبدع التي أدخلت على الإسلام والتي شوّهت صورته النقية، وأدّت إلى اندراس مفاهيمه وقيمه وحدوده.

ويشير إلى ذلك ما ورد في الأحاديث من غربة الأمة عن دينها وابتعادها عن صفاء التوحيد وإشراقة الرسالة، كما نبّهت على ذلك الأحاديث النبوية الشريفة كما في قوله ﷺ فيما روي عنه: (إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء) (4)، وفي كتب أهل السنة روي عنه ﷺ: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صام ولا صدقة ولا نسك) (5)

ومثل ذلك ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر، فضّل عنه الجمهور، وإنّما سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر

1() تفسير العياشي ج1 ص183، وعنه منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ص136.
2() نهج البلاغة: ج2 ص21.
3() الغيبة للنعماني: ص239.
4() صحيح مسلم، ج1 ص90 والحديث مروي من طرق الشيعة أيضاً، فلاحظ: كمال الدين وتمام النعمة ص66.
5() المستدرك للحاكم النيسابوري: ج4 ص473.

قد ضلوا عنه، وسمي بالقائم لقيامه بالحق) (1)

وبناء على هذا؛ فإنه إن وردت بعض الروايات التي توهم أنّه يأتي بسنة مغايرة لسنّة جده المصطفى ﷺ، أو بكتاب غير كتاب الله تعالى فلا بدّ أن ترمى وتضرب عرض الحائط بإجماع علماء الأمة.

4 ـ من أخطر الإساءات والتشويهات التي تعرضت لها النهضة المهدوية الموعودة تلك المحاولة التي تعمل على تصويرها باعتبارها مشروعاً دموياً، ويتحول الإمام المهدي في هذا المشروع إلى شخص سفاح وقتّال، ونابش للقبور ومنكل بأجساد الموتى.

ومع الأسف فإنّ العقل الدموي المتوحش لدى بعض المسلمين قد أساء إلى كل العقائد الإسلامية وصوّرها بصورة العنف ولون الدم، فالله تعالى في نظر هذا العقل ليس سوى منتقم جبار يتلذذ بتعذيب عباده، والنبي ﷺ إنما أرسل بالذبح.

والأمر على خلاف ذلك، فمشروع الإمام المهدي هو بسط الأمن والسلام والعدل، وليس القتل وسفك الدماء، وهذا ما أكدت عليه النصوص المعتبرة، ففي الحديث عن الإمام علي: (ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها ولذهبت الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه لو تعلمون) (2)

فهذا الحديث يشير إلى الكثير من المعاني الجميلة التي تنعم بها البشرية في حكومة الإمام المهدى، ومنها:

1. وفرة النعم الإلهية، (لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها)
2. إقامة العدل، (اصطلحت السباع والبهائم) فهذا التعبير كناية عن بسط العدل، فلا يحصل عدوان، كما أنّه تعبير عن حصول الاكتفاء ووفرة النعم.
3. الأمن، (تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زينتها)، وهذا تعبير واضح عن الاستقرار الأمني الذي تنعم به البشرية وعن تحسن وضع

1() الإرشاد للمفيد: ج2 ص383.
2() الخصال ص 626.

البيئة، بحيث تتحول الصحاري إلى واحات خضراء، أي أنّ مشــروعه هــو الإعمــار، وليس الــدمار، وإنقــاذ الإنســان وليس إبادته.

وبناء على هذا فإن كل الروايات التي تخالف هذه المعــاني مرفوضة، ومن أمثلتها ما روي عن الإمام الباقر أنه قــال: (ليس شأنه إلا القتل ولا يستتب أحداً ولا تأخذه في الله لومة لائم) (1)

ومثلها ما روي عن زرارة أنــه ســأل الإمــام البــاقر، فقــال: (أيسير بسيرة محمد ﷺ؟) (قــال: (هيهــات هيهــات يــا زرارة مــا يسير بسيرته)، قلت: جعلت فداك لِمَ؟ قال: (إن رسول الله ﷺ سار في أمته باللين وكان يتألف الناس، والقــائم يســير بالقتــل، بذلك أمــر في الكتــاب الــذي معــه أن يســير بالقتــل ولا يســتتب أحداً) (2)

وكلا الروايتين مرفوضتان سندا(3) ومتنا، لأنهــا تخــالف كــل ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهــرة والروايــات الــواردة عن أئمــة الهــدى، بالإضــافة إلى أنهــا تحــول من الخلاص الــذي سيأتي به الإمام المهدى والذي تنتظره البشرية جميعا مشروعا للدمار، لا للسلام والإنقاذ.

وهــذا لا يعــني ــ كمــا أشــرنا ســابقا ــ إلى عــدم حصــول المواجهــات والقتــال؛ فقتــال الظلمــة والمســتبدين ضــروري لتحقيق السلام.

5 ـ أسوء تشويه يمكن أن تتعرض له نهضة الإمام المهــدي هــو مــا تلوكــه بعض الألســن من أنّــه يتوجــه منــذ اليــوم الأول لخروجه إلى قبور بعض الناس فينبشها وينشر أجســاد أصــحابها ويصلبهم على جذوع الشجر، ممــا يــوحي بأنــه صــاحب مشــروع انتقامي وثأري.

وقــد حــاول بعض المغرضــين المتــاجرين بــالفتن، تحميــل الشــيعة الإماميــة وزر هــذا الاعتقــاد زاعمــاً أنهم يؤمنــون بــأن

1() مختصر بصائر الدرجات: ص213.

2() الغيبة للنعماني: ص236.

3() وذلك لأن الرواية الأولى قد اشـتمل سـندها على الحسـن بن علي بن أبي حمـزة البطائني وهو كذاب ملعون وفيه يوسف بن كليب وهو مجهـول، أمـا الروايـة الثانيـة فهي أشد وهناً وضعفاً من الأولى فقد اشـتمل السـند على محمـد بن علي الكـوفي المعـروف بأبي سمينة وهو ضعيف حداً فاسد الاعتقاد لا يعتمد في شـيء، ولـذلك أخرجـه أحمـد بن محمد بن عيسـى الأشـعري من قم، انظـر رجـال النجاشـي ص 332، إلى غـير ذلـك من الروايات التي أجاد الشيخ المنتظري في تفنيدها وردها انظر: موعود الأديان ص191 وما بعدها.

المهدي يُخرج فلاناً وفلاناً من حجرة الرسول ﷺ ويأمر بصلبهما، مع أن هذا الكلام افتراء واضح، ولا يمت إلى الحقيقة بصلة، لأن مثل هذا التصرف هـو أمـر مرفـوض ولا يمكن القبـول بـه، لأنّـه يمثل تجاوزاً وانتهاكاً لكل القيم الأخلاقية والإسـلامية الـتي نهت عن التمثيل بجثث الموتى.

والعجيب أنّ قائل هذا الكلام ينقل مثـل هـذا الاعتقـاد عن السيد المرتضى، وأنه قال في كتابه [المسـائل الناصـرية]: (إنّ أبـا بكـر وعمـر يصـلبان يومئـذ على شـجرة في زمن المهـدي.. وتكون تلك الشجرة رطبة قبل الصلب فتصير يابسة بعده) (1)

وهـو كلام لا صـحة لـه على الإطلاق، فلا يوجـد مثـل هـذا الكلام في المسـائل الناصـرية والمعـروف بــ [الناصـريات]، ولا سيماّ أنّ المسائل الناصرية كتاب فقهي فـرعي، وليس فيـه مـا يتصل بالعقيدة.

بالإضـــافة إلى أنـــه إذا ورد شـــيء من ذلـــك في بعض المرويات لا يمكن بناء تصور عقائدي حـول دور الإمـام المهـدي ومشروعه على أساس هذه الروايات الضعيفة، ولا يمكن نسـبة مضمونها إلى أهل البيت ولا إلى أتباع نهجهم.

6 ـــ إنّ مشـروع الإمـام المهـدي هـو مشـروع الإسـلام، والإسلام قد هـدم كـل العصـبيات ودفنهـا إلى غـير رجعـة، ﴿إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ﴾ [الحجـرات: 13]، وهـدف الإمـام المهدي هو إحقاق الحـق وإقامـة العـدل، وليس من العـدل من شيء ولا من قيم الإسلام ولا العدالة في شيء أن يتم اسـتعداء صنف من البشر على أساس عرقي، سواءً كانوا من العــرب أو العجم، فكيف يُنسب إلى المهدي عداوة العرب؟

فهذا تشويه لصورة المهدي ولمشـروعه النهضـوي، ليغـدو مشـروعاً عنصـرياً، كمـا حولتـه بعض التصـورات إلى مشـروع مــذهبي خــاص، يخــالف مــا ورد من أن مشــروع المهـدي هــو مشروع إنساني، لأن محقق العدل ورافـع رايتـه ولوائـه، وليس من العـدل في شـيء اسـتعداء جماعـة على أسـاس العـرق أو اللون.

---

(1) نقلاً عن كتاب المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، ص 79.

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب جمع ما ورد من الأحـاديث في المصـادر السنية والشيعية حول الإمامة والامتداد الرسالي، والتي تتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم من:

1 ـ أن من مقتضـيات عنايـة اللـه تعـالى بعبـاده، باعتبـاره ربهم وهـاديهم، توفـير كـل أسـباب الهدايـة الـتي تحميهم من الضلالة، ومن التحريـف الـذي يلحـق الأديـان بعـد وفـاة الأنبيـاء عليهم السلام، وأن الذين يقومون بذلك يُطلـق عليهم [الأئمـة]، أو [أئمة الهدى]، أو [الخلفاء]، أو [الورثة]، أو [الهداة]

2 ـ أن أتباع الأنبياء يفترقون في مواقفهم من أولئك الأئمة الهداة الذين استخلفهم أنبيـاؤهم عليهم، وأوصـوهم بهم؛ فبينمـا يطبق بعضهم تلك الوصايا، ويحرص عليها، بينما يخالف آخـرون، تلك الوصايا، ويرتضون لأنفسهم أئمة بدلهم، لكن ذلـك لا يعـني اندراس الدين الأصيل، لأن في ذلك فتنـة كـبرى، تجعـل البشـر محرومين من الهداية الإلهية الصافية.. فلذلك لا يخلوا عصر من العصور من المتمسكين بالدين الحقيقي، وأتباع أئمة الهدى.

3 ـ أن الأصل في إمامة الأئمـة ووراثتهم أن تكـون شـاملة لكـل الجـوانب الـتي يرتبـط بهـا الـدين سـواء تعلقت بالقضـايا الدينية البحتة، أو تعلقت بـالجوانب الحياتيـة ابتـداء من الجـانب السياسي.. ذلك أنهم يمثلون الهداية النبوية ويطبقونها في تلـك الجـوانب، لكن النصـوص الكثـيرة تشـير إلى أن إمامـة الأئمـة للجانب السياسي تفتقـر للقابليـة الشـعبية؛ فـإن لم تتحقـق، أو رغب النـاس عن حكم الأئمـة لهم؛ فـإن ذلـك يعفيهم من هـذا الجانب، ليبقى الجانب الأساسي، وهـو جـانب الهدايـة والتوجيـه والبلاغ عن الله وتوضيح حقائق الدين في كل الجوانب بما فيهـا الجانب السياسي.